

# النفسية والمفسرون

بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوره ، وألوانه ومذاهبه ،  
مع عرض شامل لأشهر المفسرين ، وتحليل كامل لأهم كتب التفسير ،  
من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر

تأليف

الدكتور محمد حسين الذهبي

الحائز لشهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث  
والأستاذ في كلية الشريعة بالأزهر الشريف  
ورئيس قسم الشريعة في كلية الحقوق العراقية ( سابقاً )

## الجزء الثاني

يطلب من

دار الكتب الحديثة

١٤ شارع الجمهورية - تلغراف ٩١٦١٠٧

صاحبها تومنينت مضمين

الطبعة الثانية

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

## الشيعة

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم :

الشيعة في الأصل ، هم الذين شايعوا عليا وأهل بيته ووالدهم ، وقالوا : إن عليا هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الخلافة حقه ، استحقها بوصية من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي لا تخرج عنه في حياته ، ولا عن أبنائه بعد وفاته ، وإن خرجت عنهم فذلك يرجع إلى واحد من أمرين : أحدهما : أن يغتصب غاصب ظالم هذا الحق لنفسه . ثانيهما : أن يتخلى صاحب الحق عنه في الظاهر ، تقية منه ، ودرءاً للشر عن نفسه وعن أتباعه .

وهذا المذهب الشيعي ، من أقدم المذاهب الإسلامية ، وقد كان مبدأ ظهوره في آخر عهد عثمان رضي الله عنه (١) ثم نما واتسع على عهد علي رضي الله عنه ؛ إذ كان كلما اختلط رضي الله عنه بالناس تملكهم العجب ، واستولت عليهم الدهشة ، مما يظهر لهم من قوة دينه ، ومكنون علمه ، وعظيم مواهبه ، فاستغل الدعاة كل هذا الإعجاب وأخذوا ينشرون مذهبهم بين الناس .

ثم جاء عصر بني أمية وفيه وقعت المظالم على العلويين ، ونزلت بهم محن قاسية ، أثارت كامن المحبة لهم ، وحركت دفين الشفقة عليهم ، ورأى الناس في علي وذريته شهداء هذا الظلم الأموي ، فاتسع نطاق هذا المذهب الشيعي وكثر أنصاره . ويظهر لنا أن هذا الحب لعلي وأهل بيته ، وتفضيلهم على من سواهم ، ليس بالأمر الذي جد وحدث بعد عصر الصحابة ، بل وجد من الصحابة من كان يجب

(١) وقيل عند انتخاب الخليفة الأول بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

علياً ويرى أنه أفضل من سائر الصحابة ، وأنه أولى بالخلافة من غيره ، كعمار ابن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وجابر ابن عبد الله . . . وغيرهم كثير .

غير أن هذا الحب والتفضيل لم يمنع أصحابه من مبايعة الخلفاء الذين سبقوا علياً رضى الله عنه ؛ لعلمهم أن الأمر شورى بينهم ، وأن صلاح الإسلام والمسلمين لا بد له من شمل متحد وكلية مجموعة ، كما أن الأمر لم يصل بهم إلى القول بالمبدأ الذي تكاد تتفق عليه كلمة الشيعة ، ويروونه قوام مذهبهم وعقيدتهم وهو أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ، ويعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز للنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر ، وأن علياً رضى الله عنه ، هو الذي عينه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، (١)

لم يكن الشيعة جميعاً متفقين في المذهب ، والعقيدة ؛ بل تفرقت بهم الأهواء فانقسموا إلى فرق عدة ، يرجع أساس اختلافها وانقسامها إلى عاملين قويين ، كان لهما كل الأثر تقريباً في تعدد فرق الشيعة وتفرق مذاهبهم :

أولهما : اختلافهم في المبادئ والتعاليم ، فمنهم من تغالى في تشيعه وتطرف فيه إلى حد جملة يلقى على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم ، ويرمى كل من خالف علياً وحزبه بالكفر . ومنهم من اعتدل في تشيعه فاعتقد أحقية الأئمة بالإمامة وخطأ من خالفهم ، ولكن ليس بالخطأ الذي يصل بصاحبه إلى درجة الكفر .

وثانيهما : الاختلاف في تعيين الأئمة ، وذلك أنهم اتفقوا جميعاً على إمامة علي رضى الله عنه ، ثم على إمامة ابنه الحسن من بعده ، ثم على إمامة الحسين من بعد أخيه . ولما قتل الحسين على عهد يزيد بن معاوية تعددت وجهة نظر

الشيعة فيمن يكون الإمام بعد الحسين رضى الله عنه : ففرق يرى أن الخلافة  
بعد قتل الحسين انتقلت إلى أخيه من أبيه، محمد بن علي، المعروف بابن الحنفية،  
فبايعوه بها .

وفريق ثان ، يرى حصر الإمامة في ولد علي من فاطمة ، وقد أصبحت  
بعد قتل الحسين حقا لأولاد الحسن ؛ لأنه أكبر إخوته فلا يؤثر بها غير  
أولاده ، وهم ينتظرون كبرهم ليبايعوا أرشداهم .

وفريق ثالث، يرى ما يراه الفريق الثاني من حصرها في ولد علي من فاطمة ،  
غاية الأمر أنه يقول : إن الحسن قد تنازل عنها فسقط حق أولاده فيها ،  
وبقيت الإمامة حقا لأولاد الحسين الذي قتل من أجلها فهم أولى بالانتظار .

بلغ عدد الفرق التي انقسم إليها الشيعة حداً كبيراً من الكثرة ، منها من  
تعالى في تشيعه وتجاوز بمعتقداته حد العقل والإيمان، ومنها من اعتدل في تشيعه  
فلم تبالغ كما بالبع غيرها .

ولست بمستوعب كل هذه الفرق ، ولكنني سأقتصر على فرقتين هما :  
الزيدية ، والإمامية ( الإثنا عشر والإسماعيلية ) ؛ لأنني لم أعر على مؤلفات  
في التفسير لغير هاتين الفرقتين من فرق الشيعة .

### الزيدية :

أما الزيدية ، فهم أتباع زيد بن علي بن الحسين رضى الله عنهم ، طمحت  
نفسه إلى استرداد الخلافة ، فخرج على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ،  
ولكن أتباعه خذلوه وتفرقوا عنه فقتل وصلب ، ثم أحرق جسده . وقد  
ورد في سبب تفرق أصحابه عنه وخذلانهم له ؛ أنه لما اشتد القتال بينه وبين  
يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك ، قال الذين بايعوه : ماتقول  
في أبي بكر وعمر ؟ فقال زيد : أثنى عليهما جدى علي ، وقال فيها حسناً ، وإنما

خروجي على بني أمية ؛ فإنهم قاتلوا جدي علياً ، وقتلوا جدي حسيناً ،  
فخرجوا عليه ورفضوه ، فسموا رافضةً بذلك السبب (١) ، اه .

والزيدية أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية ، إذا أنها لم تغل في  
معتقداتها ، ولم يكفر الأكثرون منها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
ولم ترفع الأئمة إلى مرتبة الإله أو إلى درجة النبيين .

### قوام مذهب الزيدية :

وقوام مذهب زيد وأتباعه إلى ما قبل طرو التغيير عليه والتفرق بين  
أصحابه ، هو ما يأتي :

- ١ - أن الإمام منصوص عليه بالوصف لا بالإسم ، وهذه الأوصاف هي :  
كونه فاطمياً ، ورعاً ، سخيماً ، يخرج داعياً الناس لنفسه .
- ٢ - أنه يجوز إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه بتوفر هذه  
الصفات فيه .

وبنوا على هذا أنه لو وقع اختيار أولى الحل والعقد على إمام لم تتوفر فيه هذه  
الصفات مع وجود من تتوفر فيه صحت إمامته ، ولزمت بيعته ؛ ولهذا قالوا  
بصحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعدم تكفير الصحابة ببيعتهما .  
ولقد كان من مذهب الزيدية جواز خروج إمامين في قطرين مختلفين لاني قصر  
واحد ، كما كان من مذهبهم أن مرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو مخلد في النار ،  
وهذا هو عين مذهب المعتزلة . ويظهر أن هذه العقيدة تسربت من المعتزلة إلى  
الزيدية فقالوا بها كما قالوا بكثير من مبادئهم . والسرف في ذلك هو أن زيدا رحمه  
الله تلبذا لواصل بن عطاء ، فأخذ عنه آراءه الاعتزالية وقال بها (٢) .  
غير أن الزيدية لم يدوموا على وحدتهم المذهبية زمناً طويلاً ، بل تفرقوا

(١) التبصير في الدين ص ١٨ .

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٠٨ .

واختلفت عقائدهم . وقد ذكر لنا صاحب المواقف أنهم تفرقوا إلى ثلاث فرق، وذكر لكل فرقة خصائصها وميزاتها وعقائدها<sup>(١)</sup>، ولا نطيل بذكر ذلك . ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إليه في موضعه .

### الإمامية<sup>(٢)</sup> :

أما الإمامية فهم القائلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً ، لا بطريق التعريض بالوصف كما يقول الزيدية ، كما أنهم يحصرون الإمامة بعد علي في ولده من فاطمة رضي الله عنها . وأصحاب هذا المذهب قد بالغوا في تشييعهم، وتعدوا حدود العقل والشرع، فكفروا الكثير من الصحابة ، واعتبروا أبا بكر وعمر مغتصبين للخلافة ظالمين لعلي رضي الله عنه ، فأوجبوا التبرؤ منهما ، ولم يسلم من هذا التطرف إلا نفر قليل ، كالعلامة الطبرسي صاحب التفسير .

وقد اتفق الإمامية على إمامة علي رضي الله عنه ، ثم انتقلت الإمامة إلى ابنه الحسن بالوصية له من أبيه ، ثم إلى أخيه الحسين من بعده ، ثم إلى ابنه علي زين العابدين ، ثم إلى ابنه محمد الباقر ، ثم إلى ابنه جعفر الصادق ، ثم اختلفوا بعد ذلك في سوق الإمامة ، وانقسموا إلى فرق عدة أشهرها فرقتان : الإمامية الإثنا عشرية والإمامية الإسماعيلية .

### الإمامية الإثنا عشرية :

أما الإمامية الإثنا عشرية ، فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه موسى الكاظم ، ثم إلى ابنه علي الرضا ، ثم إلى ابنه محمد الجواد ، ثم إلى ابنه علي الهادي ، ثم إلى ابنه الحسن العسكري ، ثم إلى ابنه محمد المهدي المنتظر

(١) المواقف ج ٨ ص ١٠ .

(٢) الإمامية : نسبة إلى الإمام لأنهم أكثروا من الاهتمام به ؛ وركزوا كثيراً من تعاليمهم حوله .

وهو الإمام الثاني عشر ، ويزعمون أنه دخل سرداباً في دار أبيه بسر من رأى ولم يعد بعد ، وأنه سيخرج في آخر الزمان ، ليملأ الدنيا عدلاً وأماناً ، كما ملئت ظلماً وخوفاً .

وهؤلاء قد جاوزوا الحد في تقديسهم للأئمة ، فزعموا : أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء . وقالوا : إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو ميت على الكفر ، وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة .

### أشهر تعاليم الإمامية الإثني عشرية :

وأشهر تعاليم الإمامية الإثني عشرية أمور أربعة : العصمة ، والمهدية ، والرجعة ، والتقية .

أما العصمة : فيقصدون منها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم ، ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان .

وأما المهدية : فيقصدون منها الإمام المنتظر الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض أماناً وعدلاً ، بعد أن ملئت خوفاً وجوراً . وأول من قال بهذا هو كيسان مولى علي بن أبي طالب في محمد بن الحنفية . ثم تسربت إلى طوائف الإمامية ، فكان لكل منها مهدى منتظر<sup>(١)</sup> .

---

(١) وردت بعض الأحاديث في شأن المهدي ، رواها الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم ، كقوله عليه السلام « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم ؛ لطول الله حق يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي ؛ يواطىء اسمه اسمي ؛ واسم أبيه اسم أبي » ومثل قوله « لو لم يبق إلا يوم ؛ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » وقد وقع بين المسلمين خلاف في شأن المهدي هذا ؛ فمنهم من يقول به ؛ ومنهم من ينكره ؛ ولكن لم تر من المسلمين من ذهب مذهب الإمامية في تعيين المهدي ودعواهم أنه الامام الثاني عشر الذي اختفى حياً وسيمود في آخر الزمان .



وأما الرجعة : فهي عقيدة لازمة لفكرة المهديّة ، ومعناها : أنه بعد ظهور المهدي المنتظر ، يرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا ، ويرجع علي ، والحسن ، والحسين ، بل وكل الأئمة ، كما يرجع خصومهم ، كأبي بكر وعمر ، فيقتص لهؤلاء الأئمة من خصومهم ، ثم يموتون جميعا ، ثم يحيون يوم القيامة .

وأما التقيّة : فمعناها المداراة والمصانعة ، وهي مبدأ أساسي عندهم ، وجزء من الدين يكتمونه عن الناس ، فهي نظام سرى يسيرون على تعاليمه ، فيدعون في الخفاء لإمامهم المحتفى ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر ، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة .

هذه هي أهم تعاليم الإمامية الإثني عشرية ، وهم يستدلون على كل ما يقولون ويعتقدون بأدلة كثيرة ، غير أنها لا تسلم لهم ، ولا تثبت مدعاهم . ونحن نتمسك عنها وعن ردها خوف الإطالة ، وسيمر بك - إن شاء الله تعالى - شيء من ذلك .

### الإمامية الإسماعيلية :

وأما الإمامية الإسماعيلية ، فيرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه إسماعيل ، بالنص من أبيه على ذلك ، قالوا : وفائدة النص مع أنه مات قبل أبيه هو بقاء الإمامة في عقبه ، ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم ، وهو أول الأئمة المستورين ، وبعده تتابع أئمة مستورون إلى أن ظهر بالدعوة الإمام عبد الله المهدي رأس الفاطميين .

ثم إن هؤلاء الإمامية الإسماعيلية لقبوا بسبعة ألقاب ، وبعض هذه الألقاب أسماء لبعض فرقهم ، وهذه الألقاب هي ما يأتي :

١ - الإسماعيلية : لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق كما قلناه .

٢ - الباطنية : لقولهم بالإمام الباطن أي المستور ، أو لقولهم بأن للقرآن

ظاهرا وباطنا ، والمراد منه باطنه دون ظاهره .

٣ — القرمطة : لأن أولهم الذى دعا الناس إلى مذهبهم رجل يقال له حمدان قرمط<sup>(١)</sup> .

٤ — الحرمية : لإباحتهم المحرمات والمحارم .

٥ — السبعية : لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع سبعة : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، ومحمدالمهدى المنتظر سابع النطقاء ، وبين كل اثنين من النطقاء سبعة أئمة يتممون شريعته ، ولا بد فى كل عصر من سبعة بهم يقتدى وبهم يهتدى .

٦ — البابكية أو الحرمية : لاتباع طائفة منهم بابك الخرمى الذى خرج بأذربيجان .

٧ — المحمرة : للبسهم الحمره أيام بابك ، أولتسميتهم المخالفين لهم حمير<sup>(٢)</sup> . هذا وسيأتى بعد ما يكشف لنا عن عقيدة هؤلاء الباطنية ، عندما نتكلم عن موقفهم من تفسير القرآن الكريم .

وقبل أن أخلص من هذه العجالة أسوق لك كلمة أنقلها بنصها عن أبى المظفر الإسفرائينى فى كتابه ( التبصير فى الدين ) قال رحمه الله :

دواعلم أن الزيدية والإمامية منهم ، يكفر بعضهم بعضاً ، والعداوة بينهم قائمة دائمة ، والسكيسانية يعدون فى الإمامية ، واعلم أن جميع من ذكرنا هم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ، ويدعون أن القرآن قد غير عما كان ووقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ، ويزعمون أنه قد كان فيه النص على إمامة على فأسقطه الصحابة منه ، ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الآن ولا على شىء من الأخبار المروية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويزعمون

(١) قرمط : قرية من قرى واسط ، أو نسبة لقرمطة فى خطوه . وقيل فى خطه

وقرمطة الخطا تابها . (٢) المواقف ج ٨ ص ٣٨٨ — ٣٨٩ .

أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين ، وينتظرون إماماً يسموه المهدي ، يخرج ويعلمهم الشريعة ، وليسوا على شيء من الدين وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة ، ولكن مقصودهم إسقاط كلفة تكليف الشريعة عن أنفسهم حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية ، ويعتدروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة وتغيير القرآن من عند الصحابة ، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر ، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين<sup>(١)</sup> ، اهـ

---

(١) التبصير في الدين ص ٢٤ ، ٢٥ وقد تقدم أن هذا التطرف قد شد عنه نفر قليل من الإمامية .

## موقف الشيعة من تفسير القرآن الكريم

إذا نحن أجلنا النظر في مذهب الشيعة ، وجدنا أصحابه لم يسلموا من التفرق والتحزب والانقسام في الرأي والعقيدة . فبيننا نجد الغلاة الذين رفعوا عليا إلى مرتبة الآلهة فكفروا ، نجد المعتدلين الذين يرون عليا أفضل من غيره من الصحابة ، وأنه أحق بالولاية وأولى بها من غيره فحسب ؛ ونجد من يقف موقفا وسطا بين هؤلاء وهؤلاء ، فلا هو يؤله عليا ، ولا هو يرى أنه بشر يخطئ ويصيب ، بل يرى أنه معصوم ، وأنه الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منازع ولا مدافع وإن غلب على أمره واغتصبت الولاية منه .

ولم يقف أمر الشيعة عند حد الانقسام إلى حزبين أو ثلاثة ، بل تفرقت بهم الأهواء - كما قلنا - إلى حد الكثرة في التحزب ، وكان كل حزب له عقيدة خاصة لا يشارك فيها غيره ، ورأى خاص لا يقول به سواه .

وكان طبيعيا - وكل حزب من هذه الأحزاب يدعى الإسلام ، ويعترف بالقرآن ولو في الجملة - أن يبحث كل عن مستند يستند إليه من القرآن ويحرص كل الحرص على أن يكون القرآن شاهدا له لا عليه ، فما وجده من الآيات القرآنية يمكن أن يكون دليلا على مذهبه تمسك به ، وأخذ في إقامة مذهبه على دعامة منه . وما وجده مخالفا لمذهبه حاول بكل ما يستطيع أن يجعله موافقا لا مخالفا ، وإن أدى هذا كلها إلى خروج اللفظ القرآني عن معناه الذي وضع له وسبق من أجله . وإليك طرفا من تأويلات هؤلاء الغلاة :

من تأويلات السبئية (١) :

فمثلا نجد بعض السبئية يزعم أن عليا في السحاب ، وعلى هذا يفسرون

---

(١) السبئية هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام رغلا في حب على حتى جعله نبيا ؛ ثم بالغ في الغلو حتى جعله إلها . وزعم أنه لم يقتل ولكنه رفع إلى السماء .

الرعد بأنه صوت علي والبرق بأنه لمعان سوطه أو تبسمه ، ولهذا كان الواحد منهم إذا سمع صوت الرعد يقول : عليك السلام يا أمير المؤمنين .  
كذلك نجد زعيم السبئية يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيرجع إلى الحياة الدنيا ، وتأول على ذلك قوله تعالى في الآية ( ٨٥ ) من سورة القصص :  
« إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد »<sup>(١)</sup> .

من تأويلات البيانية :

كذلك نجد بيان بن سمان التميمي زعيم البيانية<sup>(٢)</sup> ، يزعم أنه هو المذكور في القرآن بقوله تعالى في الآية ( ١٣٨ ) من سورة آل عمران « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، ويقول : أنا البيان ، وأنا الهدى والموعظة .  
كما نراه يزعم أن الله تعالى رجل من نور ، وأنه يفن كله خير وجهه ، ويتأول على زعمه هذا قوله تعالى في الآية ( ٨٨ ) من سورة القصص . « كل شيء هالك إلا وجهه ، وقوله في الآيتين ( ٢٦ ، ٢٧ ) من سورة الرن . « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك . . . »<sup>(٣)</sup> ،

من تأويلات المغيرية :

كذلك نجد المغيرة بن سعيد العجلي زعيم المغيرية<sup>(٤)</sup> يقول : إن الله تعالى

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٢٤ ، وتاريخ الجدل لأبي زهرة ص ١٢٨  
(٢) البيانية هم أتباع بيان بن سمان التميمي ، وهم الذين زعموا أن الامامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنة أبي هاشم عبد الله بن محمد ، ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان ابن سمان بوصيته إليه . واختلف هؤلاء في بيان زعيمهم فمنهم من زعم أنه كان نبيا ، وأنه نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . ومنهم من زعم وأنه كان إلها . انتهى من الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٤) المغيرية هم أتباع المغيرة بن سعيد العجلي . وكان يظهر في بدء أمره موالة الامامية ثم ادعى النبوة . وادعى أنه يعرف الاسم الأعظم : وزعم أنه يحيي به الموتى ويهزم الجيوش : انتهى من الفرق بين ص ٢٢٩ .

لما أراد أن يخلق العالم تكلم بالإسم الأعظم ، فطار ذلك الاسم ووقع تاجا على رأسه ، وتناول على ذلك قوله تعالى في الآية ( ١ ) من سورة الأعلى : سبح اسم ربك الأعلى ، وزعم أن الاسم الأعلى إنما هو ذلك التاج (١) . . .

ويزعم المغيرة أيضا ، أن الله تعالى خلق أظلال الناس قبل أجسادهم ، فكان أول ما خلق منها ظل محمد صلى الله عليه وسلم . قال : فذلك قوله في الآية (٨١) من سورة الزخرف : قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ، . . . قال : ثم أرسل ظل محمد إلى أظلال الناس ، ثم عرض على السموات والجبال أن يمنعن علي بن أبي طالب من ظالميه فأبين ذلك ، فعرض ذلك على الناس . فأمر عمر أبا بكر أن يتحمل نصرة علي ومنعه من أعدائه ، وأن يغدر به في الدنيا ، وضمن أنه أن يعينه على الغدر به ، على شريطة أن يجعل له الخلافة من بعده ، ففعل أبو بكر ذلك . قال : فذلك تأويل قوله في الآية (٧٢) من سورة الأحزاب : وإنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ، فزعم أن الظلوم والجهول أبو بكر . وتناول في عمر قوله تعالى في الآية ( ١٦ ) من سورة الحشر : دكثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك . . . والشيطان عنده عمر (٢) .

### من تأويلات المنصورية :

وكذلك نجد أبا منصور العجلي زعيم المنصورية (٣) والمعروف بالكسف،

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٢٩ .

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) المنصورية هم أتباع أبي منصور العجلي ؛ الملقب بالكسف ؛ الذي زعم أن الإمامة دارت في أولاد علي حتى انتهت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي المعروف بالباقر . وادعى هذا العجلي : أنه خليفة الباقر ثم ألد في دعواه فزعم ما نقلناه عنه بالأصل . ٨١ من الفرق بين الفرق ص ٢٤٤ .

يزعم أنه عرج به إلى السماء ، وأن الله تعالى مسح بيده على رأسه وقال له : يا بني بلغ عني ، ثم أنزله إلى الأرض ، وزعم أنه الكسف الساقط من السماء المذكور في قوله تعالى في الآية ( ٤٤ ) من سورة الطور : « وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سبحان مكرهم » (١) .

وتأولت هذه الطائفة الجنة بأنها رجل أمرنا بمولاته وهو الإمام ، والنار بالزند ، أي رجل أمرنا ببعضه وهو ضد الإمام وخصمه كأي بكر وعمر . وتأولوا الفرائض والمحرمات فقالوا : الفرائض أسماء رجال أمرنا بمولاتهم ، والمحرمات أسماء رجال أمرنا بمعاداتهم (٢) .

#### من تأويلات الخطائية :

كذلك نجد من الخطائية (٣) من يتأول الجنة بأنها نعيم الدنيا ، والنار بأنها آلامها (٤) .

ووجدنا منهم من يقول إنه لا مؤمن إلا والله تعالى يوحى إليه ، وعلى هذا المعنى كانوا يتأولون قوله تعالى في الآية ( ١٤٥ ) من سورة آل عمران : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً » ، ويقولون : إن معناه يوحى من الله ، ويقولون ، إذا جاز أن يوحى إلى النحل كما ورد في قوله تعالى

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ .

(٢) للمواقف ج ٨ ص ٣٨٦ .

(٣) الخطائية أتباع أبي الخطاب الأسدی وهم حسن فرق ، يقولون إن الامامة كانت في أولاد علي إلى أن انتهت إلى محمد ( الحبيب آخر الأئمة المستورين ) ابن جعفر الصادق ويقولون : إن الأئمة كانوا آلهة ؛ وكان أبو الخطاب يقول في أيامه : إن اولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأجابه ، وكان يقول : إن جعفرًا إله ، فلما بلغ ذلك جعفرًا منه وطرده ، وكان أبو الخطاب يدعى بمد ذلك الألوهية . انتهى من التبصير في الدين ص ٧٣ — ٧٤ .

(٤) للمواقف ج ٨ ص ٣٨٦ .

في الآية (٦٨) من سورة النحل : د وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من  
الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ، لم لا يجوز أن يوحى إلينا (١) .  
من تأويلات العبيدين :

كذلك نجد أبا إسحق الشاطبي يذكر لنا عن بعض العلماء : أن عبيد الله  
الشيعة المسمى بالمهدى ، حين ملك إفريقية واستولى عليها ، كان له صاحبان  
من كتامة ينتصر بهما على أمره ، وكان أحدهما يسمى بنصر الله ، والآخر  
يسمى بالفتح فكان يقول لهما : أنتم اللذان ذكر كما الله في كتابه فقال : إذ جاء  
نصر الله والفتح ، . قالوا : وقد كان عمل ذلك في آيات من كتاب الله تعالى .  
فبدل قوله تعالى في الآية (١١٠) من سورة آل عمران : كنتم خير أمة أخرجت  
للناس ، بقوله : ( كتامة خير أمة أخرجت للناس ) (٢) .

فأنت ترى أن هؤلاء الغلاة الذين كفروا بما يعتقدون ، يجدون في صرف  
اللفظ القرآن عن معناه الذى سيق له إلى معنى يتفق مع عقيدتهم ، ويتناسب  
مع أهوائهم ونزعاتهم ، وهم بعملهم هذا يحملون القرآن ما لا يحتمله ، ويقولون  
على الله بغير علم ولا برهان .

كذلك نجد الإمامية الإثني عشرية يميلون بالقرآن نحو عقائدهم ، ويلوونه  
حسب أهوائهم ومذاهبهم ، وهؤلاء ليس لهم في تفسيرهم المذهبي مستند صحيح  
يستندون إليه ، ولا دليل سليم يعتمدون عليه ، وإنما هي أوهام نشأت عن  
سلطان العقيدة الزائفة ، وخرافات صدرت من عقول عتس فيها الباطل  
وأفرخ ، فكان ما كان من خرافات وترهات !! .

نعم يعتمد الإمامية الإثنا عشرية في تفسيرهم للقرآن الكريم ونظراتهم إليه ،  
على أشياء لاتعدو أن تكون من قبيل الأوهام والخرافات التي لا توجد إلا في  
عقول أصحابها ، فمن ذلك الذى يعتمدون عليه ما يأتى :

(١) التبصير في الدين ص ٧٤ .

(٢) الموافقات ج ٣ ص ٣٩٢



أولاً : جمع القرآن الكريم وتأويله ، وهو كتاب جمع فيه على رضى الله عنه القرآن على ترتيب النزول (١) .

ثانياً : كتاب أملى فيه أمير المؤمنين عليه السلام ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن ، وذكر لكل نوع مثالا يخصه . ويعتقدون أنه الأصل لكل من كتب في أنواع علوم القرآن ، وهم يروون عن على رضى الله عنه هذا الكتاب بطرق عدة ، وهو في أيديهم إلى اليوم ، ويبلغ ثلاث عشرة ورقة إلا ربعاً بالقطع الكبير الكامل ، كل صفحة منها سبعة وعشرون سطراً (٢) .

ثالثاً : الجامعة وهي كتاب طوله سبعون ذراعاً من إمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخط على عليه السلام ، مكتوب على الجلد المسمى بالرق في عرض الجلد ، جمعت الجلود بعضها ببعض حتى بلغ طولها سبعين ذراعاً وعدها من مؤلفات على باعتبار أنه كتبها ورتبها من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وإملائه . قالوا : وفيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش (٣) .

رابعاً : الجفر ، وهو غير الجامعة وفيه يقول ابن خلدون : «واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن ساعد العجلي وهو رأس الزيدية ، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق ، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك لجعفر ونظائرهم من رجالاتهم ، على طريق الكرامة والكشف الذى يقع لمثلهم من الأولياء ، وكان مكتوباً عند جعفر فى جلد ثور صغير ، فرواه عنه هارون العجلي ، وكتبه ، وسماه : «الجفر» باسم الجلد الذى كتب فيه (١) ؛ لأن الجفر فى اللغة هو الصغير . وصار هذا

(١) أعيان الشيعة ج ١ ص ١٥٤

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٨

(٤) المعروف من كتب اللثة أن الجفر ذكر الماعز إذا بلغ أربعة أشهر ، وفى

القاموس : الجفر من أولاد الشاء ما عظم واستكشر .

الامم علما على هذا الكتاب عندهم ، وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني ، مروية عن جعفر الصادق . وهذا الكتاب لم تتصل روايته ، ولا عرف عينه ، وإنما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها دليل ، ولو صح السند إلى جعفر الصادق لسكان فيه نعم المستند من نفسه ، أو من رجال قومه ؛ فهم أهل الكرامات (١) ، ١٠٠٠ هـ .

ويعرف صاحب أعيان الشيعة الجعفر بأنه كتاب أملاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه ، ويذكر في ذلك أقولا متضاربة ثم يقول بعد فراغه منها : «الظاهر من الأخبار أن الجعفر كتاب فيه العلوم النبوية من حلال ، وحرام ، وأحكام ، وأصول ما يحتاج إليه الناس في أحكام دينهم وما يصلحهم في دنياهم ، والإخبار عن بعض الحوادث ، ويمكن أن يكون فيه تفسير بعض المتشابهة من القرآن المجيد (٢) ، ثم ينكر على من يستبعد أن يكون الجعفر فيه كل هذه العلوم ، ويتمثل بقول أبي العلاء المعري :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أروهم عليهم في مسك جعفر  
ومرأة المنجم وهي صغرى أرتة كل عامرة وققر (٣)

خامسا : مصحف فاطمة ، جاء في البصائر : « أن أبا عبد الله سأل بعض الأصحاب عن مصحف فاطمة ، فقال : إنكم تبحثون عما تريدون وعما لا تريدون . إن فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين يوما ، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبريل يأتيها ويمسح عزاها على أبيها ، ويطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها . وكان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة (٤) . »

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣٧٣

(٢) أعيان الشيعة ج ١ ص ١٨٢

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٤

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ١٨٨

هذه هي أهم الأشياء التي يستند إليها الإمامية الاثنا عشرية في تفسيرهم  
لكتاب الله تعالى، وهي كلها أوهام وأباطيل لا ثبوت لها إلا في عقول الشيعة...  
وكيف يكون سائغا ومقبولا أن ينبنى تفسير القرآن وفهم معانيه على أوهام  
وأباطيل؟ لهذا نرى العلامة ابن قتيبة يشدد النكير على الشيعة في تفسيرهم  
لكتاب الله تعالى فيقول:

وَأعجب من هذا التفسير - يعني تفسير المعتزلة - تفسير الروافض  
للقرآن، وما يدعونه من علم باطنه بما وقع إليهم من الجفر الذي ذكره هرون  
ابن سعد المعجلي، وكان رأس الزيدية فقال:

لم تر أن الرافضيين تفرقوا	فكلهم في جعفر قال منسكرا
فظانفة قالوا: إمام . ومنهم	طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم	برئت إلى الرحمن بمن تجفرا
برئت إلى الرحمن من كل رافض	بصير بياب الكفر . . في الدين أعورا
إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى	عليها، وإن يمضوا على الحق قصرا
ولو قال: إن الفيل ضب لصدقوا	ولو قال: زنجي تحول أحمرأ
وأخلف من بول البعير فإنه	إذا هو للإقبال ووجه أدبرا
ققبح أقوام رموه بفرية	كما قال في عيسى الفرسى من تنصرا (١)

(١) هذا الذي ذكره ابن قتيبة عن هرون بن سعد المعجلي، يناقض ما تقدم عن  
ابن خلدون من أن الجفر كان عند هرون بن سعد المعجلي وهو يرويه عن جعفر الصادق  
ويمكن دفع هذا التناقض بأن نقول: إن هرون بن سعد المعجلي، وكان رافضيا مغاليا  
أول أمره، وكان يروي هذا الجفر ويصدق به ثم رجع عن مذهبه وغلوه وتصديقه  
بالجفر، وقال مقالته التي رواها ابن قتيبة بمد توبته . وهذا الذي ذهبنا إليه اعتمدنا  
فيه على ما جاء في تهذيب التهذيب عند الكلام عن هرون بن سعد المعجلي ج ١١ ص ٦  
وخلصته: أن هرون بن سعد المعجلي، ويقال الجمفي السكوفي الأعور . قال أحمد:  
روى عنه الناس . . وهو صالح . وروى عن ابن معين أنه قال: ليس به بأس وذكروه =

قال أبو محمد: وهو جلد جعفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الإمام كل ما يحتاجون إلى علمه ، وكل ما يكون إلى يوم القيامة ، فمن ذلك قولهم في قول الله عز وجل « وورث سليمان داود (١) ، إنه الإمام ، ورث النبي صلى الله عليه وسلم علمه . وقولهم في قول الله عز وجل « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة (٢) ، إنها عائشة رضی الله عنها وفي قوله تعالى « فقلنا اضربوه ببعضها (٣) ، إنه طلحة والزبير . وقولهم في الخمر والميسر : إنهما أبو بكر وعمرو (رضی الله عنهما) . والجبث والطاغوت : إنهما معاوية وعمرو بن العاص . . . مع عجائب أرغب عن ذكرها ، ويرغب من بلغه كتابنا هذا عن استماعها .

وكان بعض أهل الأدب يقول : ما أشبه تفسير الرافضة للقرآن إلا بتأويل رجل من أهل مكة للشعر ، فإنه قال ذات يوم : ما سمعت بأكذب من بني تميم زعموا أن قول القائل :

بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع ، وأبو الفوارس نهشل  
أنه في رجال منهم . . . قيل له : فما تقول أنت فيهم ؟ قال : البيت : بيت  
الله . وزرارة : الحجر ، قيل . فمجاشع ؟ قال : رمز . . . جشعت بالساء . قيل :  
فأبو الفوارس ؟ قال : أبو قيس ، قيل له : فنهشل ؟ قال نهشل . . . أشده ،  
وفكر ساعة ثم قال : نهشل : مصباح السكعبة ، لأنه طويل أسود ، فذلك نهشل .

== ابن حبان في الثقات ، وذكره أيضاً في الضمراء ؛ قال : وكان غالباً في الرفض لانهل  
عنه الرواية بحال . وروى عن ابن معين أيضاً أنه قال : كان من غلاة الشيعة . وقال  
الساجي : كان ينلو في الرفض وحكى أبو العرب الصقلي عن ابن قتيبة أنه أشد له شعراً  
يدل على نزوعه عن الرفض ، اه ملخصاً ، ونزع عن الرفض معناه : رجوع عنه ، يقال نزع  
عن الأمر إذا انتهى عنه وأباه . كما أفاده صاحب القاموس وغيره .

- (١) في الآية ١٦ من سورة النمل
- (٢) في الآية ٦٧ من سورة البقرة
- (٣) في الآية ٧٣ من سورة البقرة

وهم أكثر أهل البدع اقترافاً ونحلاً ، فمنهم قوم يقال لهم البياينة ، ينسبون إلى رجل يقال له بيان ، قال لهم : إلى أشار الله تعالى إذ قال : هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، (١) .

وهم أول من قال بخلق القرآن . ومنهم المنصورية ، أصحاب أبي منصور الكسفي ، وكان قال لأصحابه : في نزل قوله وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً (٢) ومنهم الخناقون والشداخون ومنهم الغرابية ، وهم الذين ذكروا أن علياً رضي الله عنه كان أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الغراب بالغراب ، فتغاط جبريل عليه السلام حيث بعث إلى علي لشبهه به .

قال أبو محمد : ولا نعلم في أهل البدع والأهواء أحداً ادعى الربوبية لبشر غيرهم ؛ فإن عبد الله بن سيار ، ادعى الربوبية لعل فأحرق على أصحابه بالنار ، وقال في ذلك .

لما رأيت الأمرأ مرأً منكراً أججت نارى ودعوت قنبرا (٣)

ولا نعلم أحداً ادعى النبوة لنفسه غيرهم ؛ فإن المختار بن أبي عبيد ادعى النبوة لنفسه ، وقال : إن جبريل وميكائيل يأتيان إلى جبهته ، فصدقه قوم واتبعوه ، وهم الكيسانية (٤) ، اه .

هذا ولا يفوتنا أن القول : إن هذه الطوائف من الشيعة قد باد معظمها ، وأشهر ما بقى منها إلى اليوم ثلاث فرق ، هى : الإمامية الإثنا عشرية ، والإمامية الإسماعيلية ، وهم المسمون بالباطنية ، والزيدية .  
أما الإمامية الإثنا عشرية ، فينتشرون اليوم في بلاد إيران ، وبلاد العراق كما يوجد منهم جماعة بالشام .

(١) فى الآية (١٣٨) من سورة آل عمران (٢) فى الآية (٤٤) من سورة الطور .

(٤) قنبر هو مولى على الذى تولى طرحهم فى النار .

(٤) تأويل مختلف الحديث ص ٨٤ - ٨٨ .

وأما الإسماعيلية ، فينتشرون في بلاد الهند : كما يوجدون في نواح أخرى متفرقة ، وزعيمهم أغاخان الزعيم الهندي الإسماعيلي المعروف (١) وأما الزيدية فيوجدون ببلاد اليمن .

إذا فالأجدد بنا أن نمسك عن موقف هذه الفرق البائدة من تفسير القرآن ، مادامت قد بادت ولم يبق لها أثر ، ومادمننا لم تقف لها على شيء في التفسير أكثر من هذه النبذ المتفرقة التي وجدناها للبعض منهم وجمعناها من بطون الكتب المختلفة .

والذي يستحق عنايتنا وبحسنا بعد ذلك ، هو تلك الفرق الثلاث التي لاتزال موجودة إلى اليوم محتفظة بتعاليمها وآرائها . وسنبداً أولاً بالإمامية الاثني عشرية ، ثم بالإمامية الإسماعيلية ، ثم بالزيدية فنقول وبالله التوفيق .

---

(١) وهو من نسل الحسن بن الصباح صاحب قلعة الموت والحسن هذا من نسل

على بن أبي طالب إله من ضحى الاسلام ج ٣ ص ٢٢٥

## (١) موقف الإمامية الإثني عشرية

من تفسير القرآن الكريم

للإمامية الإثني عشرية معتقدات يدينون بها ، وينفردون بها عن عداهم من طوائف الشيعة . وهم حين يعتقدون هذه المعتقدات لا بد لهم - ما داموا يقرون بالإسلام ويعترفون بالقرآن ولو بوجه ما - أن يقيموا هذه العقائد على دعائم من نصوص القرآن الكريم ، وأن يدافعوا عنها بكل ما يمكنهم من سلاح الجدل وقوة الدليل .

موقفهم من الإمامة وأثر ذلك في تفسيرهم :

وإذا نحن استعرضنا هذه المعتقدات وجدنا أن أهمها يدور حول أئمتهم ، فهم يلقون على الأئمة نوعاً من التقديس والتعظيم ، ويرون أن الأئمة ( أركان الأرض أن تميد بأهلها ، وحجة الله البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى )<sup>(١)</sup> ويرون أن الإمامة ( زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا ، وعز المؤمنين )<sup>(٢)</sup> .

ولما كان الإمام عندهم فوق أن يحكم عليه ، وفوق الناس في طينته وتصرفاته ، فإننا نراهم يعتقدون بأن له صلة روحية بالله تعالى كتلك الصلة التي للأنبياء والرسل ، وأنه مشروع ومنفذ ، وأن الله قد فوض النبي والإمام في الدين ، ويروون عن الصادق أنه قال : ( إن الله خلق نبيه على أحسن أدب وأرشد عقل ، ثم أدب نبيه فأحسن تأديبه فقال : د خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين )<sup>(٣)</sup> ، ثم أتى الله عليه فقال : ( وإنك لعلى

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢١٥ نقلاً عن أصول الكافي ص ٩٣

(٢) المرجع السابق

(٣) في الآية (١٩٩) من سورة الأعراف

خلق عظيم<sup>(١)</sup> ثم بعد ذلك فوض إليه دينه ، فوض إليه التشريع فقال :  
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا<sup>(٢)</sup> » ، ود من يطع الرسول  
فقد أطاع الله<sup>(٣)</sup> الله فوض دينه إلى نبيه . ثم أن نبى الله فوض كل ذلك إلى  
على وأولاده سلمتم وجمده ، الناس ، فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن  
تصمتوا إذا صمتنا ، ونحن فيما بينكم وبين الله ، وما جعل الله لأحد خيراً في  
خلاف أمرنا<sup>(٤)</sup> .

وحيث إن الله تعالى خلق النبى وكل إمام بعده على أحسن أدب وأرشد  
عقل ، فلا يختار النبى ولا الإمام إلا ما فيه صلاح وثواب ، ولا يخطر بقلب النبى  
ولا بقلب الإمام ما يخالف مشيئة الله وما يناقض مصلحة الأمة . فيفوض الله تعيين  
بعض الأمور إلى رأى النبى ورأى الإمام مثل الزيادة فى عدد ركعات الفرض  
ومثل تعيين التوافل من الصلاة والصيام ، وذلك لإظهارا لكرامة النبى والإمام ،  
ولم يكن أصل التعيين إلا بالوحى ، ثم لم يكن الاختيار إلا بالإلهام ، وله فى  
الشرع شواهد : حرم الله الخمر ، وحرم النبى كل مسكر فأجازه الله ، وفرض  
الله الفرائض ولم يذكر الجدة ، فجعل النبى للجد السدس ، وكان النبى يبشر  
ويعطى الجنة على الله ويمجيزه الله .

وأيضاً فوض الله للنبى والأئمة من بعده أمور الخلق ، وأمور الإدارة  
والسياسة من التأديب والتكميل والتعليم ، وواجب على الناس طاعتهم فى كل  
ذلك . قالوا : وهذا حق ثابت دلت الأخبار عليه .

وأيضاً فوضهم الله تعالى فى البيان ، بيان الأحكام والإفتاء وتفسير آيات  
القرآن وتأويلها ، ولهم أن يبينوا ولهم أن يسكتوا ، ولهم فوق ذلك البيان  
كيفما أرادوا وعلى أى وجه شاءوا تقيية منهم وعلى حسب الأحوال والمصلحة .

(١) الآية ٤ من سورة نون

(٢) فى الآية ٦٤ من سورة النساء

(٣) فى الآية ٨٠ من سورة النساء

(٤) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص ٨٧



والتفويض بهذا المعنى يدعون أنه حق ثابت لهم، والاختبار ناطقة به وشاهدة عليه . يقول صاحب الكافي ( سأل ثلاثة من الناس الصادق عن آية واحدة في كتاب الله فأجاب كل واحد بجواب ، أجاب ثلاثة بأجوبة ثلاثة ، واختلاف الأجوبة في مسألة واحدة كان يقع إما على سبيل التقية وإما على سبيل التفويض (١) ) .

وهناك نوع آخر من التفويض يثبتونه للنبي والأئمة ، ذلك هو أن النبي أو الإمام له أن يحكم بظاهر الشريعة . وله أن يترك الظاهر ويحكم بما يراه وما يلمه الله من الواقع وخالص الحق في كل واقعة ، كما كان لصاحب موسى في قصة الكهف ، وكما وقع لدى القرنين (٢) .

ثم كان من توابع هذه العقيدة التي يعتقدونها في أنهم أن قالوا بعصمة الأئمة ، وقالوا بالمهدى المنتظر ، وقالوا بالرجعة ، وقالوا بالتقية ، وهذه كلها عقائد رسخت في أذهانهم وتمكنت من عقولهم ، فأخذوا بعد هذا ينظرون إلى القرآن الكريم من خلال هذه العقائد ففسروا القرآن وفقاً لهواهم ، وفهموا نصوصه وتأولوها حسبما تمليه عليهم العقيدة ويزينه لهم الهوى . وهذا تفسير بالرأى المذموم ، تفسير من اعتقد أولاً ، ثم فسر ثانياً بعد أن اعتقد .

### تأثر الإمامية الإثني عشرية بأراء المعتزلة وأثر ذلك في تفسيرهم :

وهذا وإن الإمامية الإثني عشرية لهم في نصوص القرآن التي تتصل بمسائل علم الكلام نظرة تفوق إلى حد كبير مع نظرة المعتزلة إلى هذه النصوص نفسها ولم يكن بينهم وبين المعتزلة خلاف إلا في مسائل قليلة ، ويظهر أن هذا الارتباط الوثيق الذي كان بين الفريقين راجع إلى تلمذ الكثير من شيوخ الشيعة وعلماهم لبعض شيوخ المعتزلة ، كما يظهر لنا جلياً أن هذا الارتباط في التفكير شيء قديم غير جديد ، فالحسن العسكري ، والشريف المرتضى ،

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ص ٨٩

(٢) المرجع السابق ص ٨٩

وأبو علي الطبرسي ، وغيرهم من قدماء الشيعة ، ينظرون هذه النظرة الاعتزالية في تفسيرهم التي بأيدينا، والتي تعرضنا لبعضها وسنعرض لبعضها الآخر قريباً، بل إننا نجد الشريف المرتضى في أماليه يحاول محاولة جديدة أنه يجعل علياً رضى الله عنه معتزلياً أو رأس المعتزلة على الأصح، وقد تقدمت لنا مقالته التي عرضنا لها عند الكلام عن أماليه<sup>(١)</sup>. وليس من شك في أن هذه النظرات الاعتزالية كان لها أثر كبير في تفسيرهم، وستقف على شيء من ذلك إن شاء الله تعالى .

### ثأرهم بمذاهبهم الفقهية والأصولية في تفاسيرهم .

ثم إن الشيعة لهم في الفقه وأصوله آراء خالفوا بها من سواهم . فمثلاً نجدهم يذكرون أن أدلة الفقه أربعة وهي : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ؛ ودليل العقل . أما الكتاب فلهم رأى فيه سنعرض له فيما بعد .

وأما السنة فهم غير أمناء عليها ولا ملتزمين ما صح منها ، وسنعرض لها فيما بعد أيضاً .

وأما الإجماع فليس حجة بنفسه ، وإنما يكون حجة إذا دخل الإمام المعصوم في الجمعين ، أو كان الإجماع كاشفاً عن رؤية في المسألة ، أو كان الإجماع عن دليل معتبر ؛ فهو في الحقيقة داخل في الكتاب أو السنة .

---

(١) يرى بعض العلماء أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله ، والحسن ، ابنا محمد بن الحنفية ، وعن أبي هاشم أخذ واصل بن عطاء - مقدمة تبين كذب المفتري ص ١٠ ، ١١ - ويقول أبو الحسن الطرائفي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧ هـ في كتابه رد أهل الأهواء والبدع ( عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم له الأمر ، اعتزل جماعة من أصحاب علي الحسن ومعاوية وجميع الناس ولزموا منازلهم ، وقالوا : نشتغل بالمعلم والمعبادة فسموا بذلك معتزلة . اهـ من هامش تبين كذب المفتري ص ١٠ .

وأما دليل العقل عندهم فلا يدخل فيه القياس ، ولا الاستحسان ،  
ولا المصالح المرسلة ، لأن ذلك كله ليس حجة عندهم (١)

وفي الفقه لهم مخالفات يشذون بها، فمثلاً تراهم يقولون: إن فرض الرجلين  
في الوضوء هو المسح دون الغسل ، ولا يجوزون المسح على الخفين ، وجوزوا  
نكاح المتعة ، وجوزوا أن تورث الأنبياء ، ولهم مخالفات في نظام الإرث ،  
كإنكارهم للعول مثلاً ، ولهم مخالفات كثيرة غير ذلك في مسائل الاجتهاد :

لهذا كان طبيعياً أن يقف الإمامية الإثنا عشرية من الآيات التي تتعلق  
بالفقه وأصوله موقفاً فيه تعصب وتعسف ، حتى يستطيعوا أن يخضعوا هذه  
النصوص ويجعلوها أدلة لأرائهم ومذاهبهم ، كما كان طبيعياً ، أن يتأولوا  
ما يعارضهم من الآيات والأحاديث، بل ووجدناهم أحياناً يزيدون في القرآن  
ما ليس منه ويدعون أنه قراءة أهل البيت ، وهذا إمعان منهم في اللجاج ،  
وإغراق في المخالفة والشذوذ . .

احتياهم على تركيز عقائدهم وترويجها :

ويظهر لنا أن الإمامية الاثني عشرية لم يجدوا في القرآن كل ما يساعدهم  
على أغراضهم وميوههم ، فراحوا - أولاً - يدعون أن القرآن له ظاهر  
وباطن بل وبواطن كثيرة ، وأن علم جميع القرآن عند الأئمة ، سواء في ذلك  
ما يتعلق بالظواهر وما يتعلق بالباطن ، وحجروا على العقول فمنعوا الناس  
من القول في القرآن بغير سماع من أئمتهم ، وراحوا - ثانياً - يدعون أن  
القرآن وارد كله أوجله في أئمتهم ومواليهم ، وفي أعدائهم ومخالفهم كذلك  
وراحوا - ثالثاً - يدعون أن القرآن حرّف وبدل عما كان عليه زمن النبي  
صلى الله عليه وسلم ، وكل هذا لا أعتقد إلا أنه من قبيل الاحتيال على تركيز

---

(١) أنظر أعيان الشيعة ج ١ ص ٤٧٧ - وقد مثل لدليل العقل بالبراءة من التكليف  
بواجب لم يرد فيه نص . أنظر ص ٢٣٦ من كتاب أصول الاستنباط للسيد علي تقي  
الحيدري طبع شركة النشر والطباعة العراقية سنة ١٩٥٠ .

عقائدهم وإيمانهم الناس أنها مستقاة من القرآن الذي هو المنبع الأساسي والأول للدين .

وأعجب من هذا ، أنهم أخذوا يموهون على الناس ، ويفرون العامة بما وضعوه من أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته ، وطعنوا على الصحابة إلا نفرًا قليلاً منهم ، ورموهم بكل نقيصة في الدين ؛ ليجدوا لأنفسهم من وراء ذلك ثغرة يخرجون منها عندما تأخذ بنقايتهم الأحاديث الصحيحة التي يروونها هؤلاء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويحسن بنا الأمر سراعاً على هذه النقط الأربعة بالذات ، بل علينا أن نقف أمامها وقفة طويلة ودقيقة حتى نستطيع أن نقف على مدى هذه الأوهام والدعاوى التي كان لها أكبر الأثر في اتجاه التفسير عند الإمامية الاثني عشرية ، فنقول وبالله التوفيق .

### ( ١ ) ظاهر القرآن وباطنه :

يقول الإمامية الاثني عشرية : إن القرآن له ظاهر وباطن . وهذه حقيقة نقرهم عليها ولا نعارضهم فيها بعدما صح لدينا من الأحاديث التي تقر هذا المبدأ في التفسير<sup>(١)</sup> غاية الأمر أن هؤلاء الإمامية لم يقفوا عند هذا الحد . بل تجاوزوا إلى القول بأن للقرآن سبعة وسبعين بطلاً ، ولم يقتصروا على ذلك بل تهادوا وادعوا أن الله تعالى جعل ظاهر القرآن في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسل ، وجعل باطنه في الدعوة إلى الإمامة والولاية وما يتعلق بهما .

### حرصهم على التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه :

ولقد كان من أثر هذا الرأي في القرآن ، أن اشتد حرص هؤلاء القائمين به على أن يعقدوا صلة بين المعاني الظاهرة والمعاني الباطنة للقرآن . ويعملوا بكل ما في وسعهم وطاقتهم على إيجاد مناسبة بينهما حتى يقرّبوا هذا المبدأ من عقول

(١) سيأتي بيان المراد بالباطن قريباً ، وسترى أنه بمنزلة عما ذهب إليه الإمامية .

الناس ويجعلوه أمرا سائغا مقبولا . ومن أمثلة هذا التوفيق والربط بين ظاهر القرآن وباطنه ، قوله تعالى في الآية ( ١٥ ) من سورة محمد عليه السلام : مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لينة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات . ، فهم يقرون أن هذا الظاهر مراد الله تعالى ، ومراد له مع هذا الظاهر معنى آخر باطنى هو علوم الأئمة عليهم السلام ، ويقولون : إن الجامع بين المعنيين هو الانتفاع بكل منهما وبمثل هذا يوفقون بين المعانى الظاهرة والباطنة ، حتى لا يكون مستبعدا إرادة الله لمعنى خاص بحسب ما يدل عليه ظاهر اللفظ ، وإرادته لمعنى آخر بحسب ما يدل عليه باطن الأمر .

حملهم الناس على التسليم بما يدعون من المعانى الباطنة للقرآن .

وكانى بالإمامية الاثنى عشرية بعد أن ربطوا بين ظاهر القرآن وباطنه ، وجمعوا بينهما بجامع التناسب والتشابه . . . كأنى بهم يعتقدون أن مثل هذا الربط لا يكفى فى حمل الناس على أن يذهبوا مذهبهم هذا ، فحاولوا أن يحملوه عليه من ناحية العقيدة والالهاب الدينى ، الذى يشبه الإرهاب الكهنسى للعامة فى العصور المظلمة ، من حمل الناس على ما يوحون به لإلهم بعد أن حطروا عليهم لإعمال العقل ، وحالو بينهم وبين حريتهم الفكرية ، فقالوا : إن الإنسان يجب عليه أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء ، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكمه ومتشابهه ، وناسخه ومنسوخه ، ولا بد أن يكون ذلك على سبيل التفصيل إن وصل إليه علم ذلك مفصلا عن آل البيت ، ويكفى فيه للإجمال إن لم يصل إليه التفصيل . قالو : ولا يجوز له أن ينكر الباطن بحال ، وعليه أن يسلم بكل ما وصل إليه من ذلك عن طريق آل البيت وإن لم يفهم معناه ، ولو أن إنساناً آمن بالظاهر وأنكر الباطن لكفر بذلك ، كما لو أنكر الظاهر وآمن بالباطن أو الظاهر والباطن جميعاً .

وحرصا منهم على تعطيل عقول الناس ومنعهم من النظر الحر في نصوص القرآن الكريم ، قالوا : إن جميع معاني القرآن ، سواء منها ما يتعلق بالظاهر وما يتعلق بالباطن ، اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة من بعده ، فهم الذين عندهم علم الكتاب كله ؛ لأن القرآن نزل في بيتهم ( وأهل البيت أدري بما في البيت ) . أما من عداهم من الناس فلا يرون أدنى شبهة في قصور علمهم ، وعدم أدراكه لكثير من معاني القرآن الظاهرة ، فضلا عن معانيه الباطنة ، قالوا : ولهذا لا يجوز لإنسان أن يقول في القرآن إلا بما وصل إليه من طريقهم غاية الأمر أنهم جوزوا لمن أخلص حبه وانقياده لله ولرسوله ولأهل البيت واستمد علومه من أهل البيت حتى أنس من نفسه العلم والمعرفة . . جوزوا مثل هذا أن يستنبط من القرآن ما يتيسر له ؛ لانه بحجة لآل البيت وأخذه عنهم سار كأنه منهم وقد قيل ( سلمان منا آل البيت ) .

أثر التفسير الباطني في تلاعبهم بنصوص القرآن .

ولقد كان من نتائج هذا التفسير الباطني للقرآن أن وجد القائلون به أمام أفكارهم مضطربا بالغا ومجالا رحبا ، يتسع لكل ما يشاؤه الهوى وتزينه لهم العقيدة ، فأخذوا يتصرفون في القرآن كما يحبون ، وعلى أي وجه يشتهون ، بعد ما ظنوا أن العامة قد اتخذت بأوهامهم وسلموا بأفكارهم ومبادئهم .

فقالوا - مثلا - : إن من لطف الله تعالى أن يشير بواسطة المعاني الباطنة لبعض الآيات إلى ما سيحدث في المستقبل من حوادث ، ويعدون هذا من وجوه إعجازه ، ثم يفرعون على هذه القاعدة ما يشاؤه لهم الهوى ، وما يزينه في أعينهم داعي العقيدة وسلطانها ، فيقولون مثلا في قوله تعالى في الآية ( ١٩ ) من سورة الإنشقاق « لتركبن طبقا عن طبق ، إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء

كذلك مكن لهم القول بباطن القرآن من أو يقولو : إن اللفظ الذي يراد به العموم ظاهرا كثيرا ما يراد به الخصوص بحسب المعنى الباطن ، فمثلا لفظ

الكافرين الذي يراد به العموم ، يقولون : هو في الباطن مخصوص بمن كفر بولاية علي .

كما مكنتهم أيضا من أن يصرفوا الخطاب الذي هو موجه في الظاهر إلى الأمم السابقة أو إلى أفراد منها ، إلى من يصدق عليه الخطاب في نظرهم من هذه الأمة بحسب الباطن ، فمثلا قوله تعالى في الآية (١٥٩) من سورة الأعراف (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) يقولون فيه : قوم موسى في الباطن هم أهل الإسلام .

ولقد مكنتهم أيضا من أن يتركوا أحيانا المعنى الظاهر ويقولوا بالباطن وحده ، كما في قوله تعالى في الآيتين (٧٤ ، ٧٥) من سورة الإسراء « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ، فالظاهر غير مراد عندهم ، ويقولون عنى بذلك غير النبي ؛ لأن مثل هذا لا يليق أن يكون موجها للنبي عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو معنى به من قد مضى ، أو هو من باب (إياك أعنى واسمعى يا جارة) .

كذلك مكنتهم هذا المبدأ من إرجاع الضمير إلى ما لم يسبق له ذكر ، كما في قوله تعالى في الآية (١٥) من سورة يونس « قال الذين لا يرجون لقاءنا لانت بقرآن غير هذا أو بدله ... ، حيث يفسرون ( أو بدله ) بمعنى أو بدل علياً . ومعلوم أن علياً لم يسبق له ذكر ، ولم يكن الكلام مسوقا في شأن خلافته وولايته .

وبما ساغ لهم أن يقولوه بعد تقريرهم لمبدأ القول بالباطن : إن تأويل الآيات القرآنية لا يجرى على أهل زمان واحد ، بل عندهم أن كل فقرة من فقرات القرآن لها تأويل يجرى في كل آن ، وعلى أهل كل زمان ، فعانى القرآن على هذا متجددة . حسب تجدد الأزمنة وما يكون فيها من حوادث . بل وساغ لهم ما هو أكثر من ذلك فقالوا : إن الآية الواحدة لها تأويلات كثيرة مختلفة متناقضة ، وقالوا : إن الآية الواحدة يجوز أن يكون أولها في شيء ، وآخرها في شيء آخر . .

ولا شك أن باب التأويل الباطني باب واسع يمكن لكل من ولجه أن يصل منه إلى كل ما يدور بخلدّه ويجيش بخاطره .

وليس لقائل أن يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صرح بأن للقرآن باطناً ، وإن المفسرين جميعاً يمتدّون بذلك ويقولون به ، فكيف توجه اللوم إلى الإمامية وحدهم ؟ ليس لقائل أن يقول ذلك ؛ لأن الباطن الذي أشار إليه الحديث وقال به جمهور المفسرين ، هو عبارة عن التأويل الذي يحتمله اللفظ القرآني ، ويمكن أن يكون من مدلولاته . أما الباطن الذي يقول به الشيعة فشيء يتفق مع أذواقهم ومشاربهم ، وليس في اللفظ القرآني الكريم ما يدل عليه ولو بالإشارة .

مخلصهم من تناقض أقوالهم في التفسير :

ثم إن الإمامية الإثني عشرية ، أحسوا بخطر موقفهم وتجرّجه عندما جوزوا أن يكون للآية الواحدة أكثر من تفسير واحد مع التناقض والاختلاف بين هذه التفسيرات . فأخذوا يموّهون على العامة ويضلّونهم ، فقرروا من المبادئ ما أوجبوا الاعتقاد به أولاً على الناس ليصلوا بعد ذلك إلى مخلص يتخلصون به من هذا المأزق الحرج ، فكان من هذه المبادئ التي قرروها وأوجبوا الاعتقاد بها ما يأتي :

أولاً : أن الإمام مفوض من قبل الله في تفسير القرآن .

ثانياً : أنه مفوض في سياسة الأمة .

ثالثاً : التقية .

وكل واحد من هذه الثلاثة يمكن أن يكون مخلصاً للخروج من هذا التناقض الذي وقع في تفاسيرهم التي يروونها عن أئمتهم ، فكون الإمام مفوضاً من قبل الله في تفسير القرآن مخلص لهم ؛ لأن باب التفويض واسع . وكونه مفوضاً في سياسة الأمة مخلص أيضاً ؛ لأن الإمام أعلم بالتزليل والتأويل ، وأعلم بما فيه صلاح السائل والسامع ، فهو يجيب كل إنسان على حسب ما يرى فيه صلاح حاله .



والقول بالتقته مخلص أوسع من سابقه ، لأن الإمام له أن يسكت ولا يجيب ،  
تقية منه ( قيل عند الباقر : إن الحسن البصرى يزعم أن الذين يكتبون العلم  
تؤذى ريح بطونهم أهل النار ، فقال الباقر : فهلك إذا مؤمن آل فرعون ،  
ما زال العلم مكتوما منذ بعث الله نوحاً ، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً ، لا يوجد  
العلم إلا ههنا . . . وأشار إلى صدره (١) .

وللإمام أن يجيب بحسب الأحوال وما يرى فيه المصلحة . . . تقية منه أيضاً  
وبنوا على هذا ( أن الإمام إن قال قولاً على سبيل التقية ، فلشيعى أن يأخذ به  
ويعمل بما قاله الإمام إن لم يتنبه الشيعى إلى أن قول الإمام كان على سبيل  
التقية (٢)

ونحن لا نظن أن الأئمة كانوا يلجئون إلى هذه التقية . . . تقية الخداع في  
الأخبار ، والنفاق في الأحكام ، وإنما هي تمحلات يتمحلونها ، ليخلصوا بها  
أنفسهم من هذا الارتباك الذى وقعوا فيه .

### ( ٢ ) موقف القرآن من الأئمة وأولياهم وأعدائهم :

ثم إن الإمامية الإثني عشرية ، قرروا أن الإقرار بإمامة على ومن بعده  
من الأئمة والتراتم حبههم ومواليتهم ، وبغض مخالفينهم وأعدائهم ، أصل من  
أصول الإيمان ، بحيث لا يصلح إيمان المرء إلا إذا حصل ذلك ، مع الإقرار  
بباقى الأصول ، كما قرروا وجوب طاعة الأئمة ، واعتقاد أفضليتهم على الخلائق  
أجمعين .

قرر الإمامية هذا كله ، ثم أخذوا ينزلون نصوص القرآن على ما قرروه ،  
بل وزادوا على ذلك فقالوا : إن كل آيات المدح والثناء وردت في الأئمة ومن  
والاهم ، وكل آيات الذم والتقريع وردت في مخالفينهم وأعدائهم ، بل ويدعون

(١) الوشعة فى نقد عقائد الشيعة ص ٨٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٢ .

ما هو أكثر من ذلك فيقولون : إن جلّ القرآن بل كله ، أنزل في الإرشاد إليهم ، والأعلان بهم ، والأمر بموافقتهم ، والنهي عن مخالفتهم .  
ولقد كان من أثر زعمهم أن القرآن جله أو كله وارد في أئمتهم ومن والاهم ، وفي أعدائهم ومن وافقهم ، أن قالوا : إن ما نسب الله إلى نفسه بصيغة الجمع أو صميره سره أن أراد إدخال النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة معه . قالوا : وهو مجاز شائع معروف ، بل وبالغوا فقالوا : إن الأئمة هم المقصودن بالذات أحياناً كما في قوله تعالى : « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، حيث روى عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال فيها : إن الله أعظم وأعز وأجل من أن يظلم ، ولكن خلطنا بنفسه فجعل طلبه ، ولا يتنا ولايته ، حيث يقول : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، بمعنى الأئمة منا » (١) هـ .

وأعجب من هذا ، أنهم جعلوا لفظ الجلالة ، والإله والرب ، مراداً به الإمام وكذا الضمائر الراجعة إليه سبحانه ، وتأولوا ما أضافه الله إلى نفسه من الإطاعة والرضى والغنى والفقر مثلاً ، بما يتعلق بالإمام كإطاعته ، ورضاه وغناه ، وفقره ... الخ ، ويعدون ذلك من قبيل المجاز الشائع المعروف ... ولكن لا شيوع لمثل هذا المجاز ولا معرفة لنا به إذا المجاز المتعارف عليه بين العلماء هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي ، وأين العلاقة هنا ؟ . وإذا تكلفوا العلاقة فأين القرينة الصارفة للفظ عن حقيقته ؟ ثم ... لم هذا التكلف والعدول إلى المجاز ، وقد تقرر أنه لا يعدل إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة ؟ .

(٢) تحريف القرآن وتبديله :

وأجيب أن الإمامية الإثني عشرية ، عز عليهم أن يكون القرآن غير صحيح في عقيدتهم بالنسبة للأئمة وموافقهم ، وبالنسبة لأعدائهم ومخالفهم ، وكفى بهم

(١) مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص ٣٩ . والآية رقم (٥٥) من سورة

وقد تساءلوا فيما بينهم فقالوا: إذا كان القرآن جله وارداً في شأن الأئمة وشيعتهم، وفي شأن أعدائهم ومخلفيهم، فلم لم يأت القرآن بذلك صريحاً مع أنه المقصود أولاً وبالذات؟ ولم اكتفى بالإشارة الباطنة فقط؟... كأي بهم بعد هذا التساؤل، وبعد هذا الاعتراض الذي أخذ بخناقهم، راحوا يتلصقون للتخلص منه كل سبيل، فلم يجدوا أسهل من القول بتحريف القرآن وتبديله، فقالوا: إن القرآن الذي جمعه على عليه السلام. وتوارثه الأئمة من بعده، هو القرآن الصحيح الذي لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل، أما ما عداه فحرف ومبدل، حذف منه كل ماورد صريحاً في فضائل آل البيت، وكل ماورد صريحاً في مثالب أعدائهم ومخالفهم. وأخبار التحريف متواترة عند الشيعة، ولهم في ذلك روايات كثيرة يروونها عن آل البيت، وهم منها براء.

يروى الكافي عن الصادق: أن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة عشر ألف آية، والتي بأيدينا منها ستة آلاف ومائتان وثلاث وستون آية، والبواقي مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه على (١).

ويقولون: إن سورة (لم يكن) كانت مشتملة على اسم سبعين رجلاً من قريش بأنسابهم وآبائهم. وإن سورة (الأحزاب) كانت مثل سورة (الأنعام) أسقطوا منها فضائل أهل البيت. وإن سورة (الولاية) أسقطت بتامها... وغير ذلك من خرافاتهم.

وأخف ما لهم في هذا الموضوع هو (أن جميع ما في المصحف كلام الله، إلا أنه بعض ما نزل. والباقي مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شيء وإذا قام القائم يقرؤه الناس كما أنزله الله على ما جمعه أمير المؤمنين على) (٢).

ونقد اصطدم مدعو التحريف والتبديل، بنصوص من القرآن صريحة في هدم مدعاهم هذا، فمن تلك النصوص: قوله تعالى في الآية (٩) من سورة

(١) الوشيعة ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

الحجر ( إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) ولكن سرعان ما تخلصوا منها بالتأويل فقالوا : ( إنا لحافظون .. أى عند الأئمة ) وبمثل هذا التأويل يتخلصون من باقى النصوص المعارضة لهم .

واصطدموا أيضاً بأمرين آخرين لهما عظيم الخطر على عقائدهم ومبادئهم . أولهما : كيف تتعمدون فى تعاليمكم ومعتقداتكم على هذا القرآن الذى بأيدينا وقد جزمتم بوقوع التحريف والتبديل فيه ؟ ثانيهما : كيف توجبون على الناس أن يعترفوا بفضائل آل البيت ، ويتبرءوا من أعدائهم ومخالفهم ، والحجة غير قائمة عليهم بعد أن حذف كل ذلك من القرآن ؟

وقد أجابوا عن الأول : بأن التحريف إنما وقع فيما لا يحل بالمقصود كثير إخلال ، كحذف اسم على ، وآل محمد . وأسماء المنافقين .

وأجابوا عن الثانى : بأن الله تعالى علم ما سيكون من وقوع التحريف والتبديل فى القرآن ، فلم يكتب بما جاء صريحاً فى فضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم ، بل أشار إلى ذلك ودل عليه بحسب بطون القرآن وتأويله ، وهذا قد سلم من التحريف والتبديل قطعاً ، فبقيت الحجة ، قائمة على الناس وإن بدلوا الظاهر وحرفوه .

والحق أن الشيعة هم الذين حرفوا وبدلوا ، فكثيراً ما يزيدون فى القرآن ما ليس منه ، ويدعون أنه قرأه أهل البيت ، فمثلاً نراه عند قوله تعالى فى الآية (٦٧) من سورة المائدة : **ويا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، يزيدون** ( فى شأن على ) وهى زيادة لم ترد إلا من طريقهم ، وهى طريق مطعون فيها . وهم الذين حرفوا القرآن أيضاً حيث تأولوه على غير ما أنزل الله ( قيل للصادق : ألم يكن على قوياً فى دين الله ؟ قال : بلى . قيل : فكيف ظهر عليه القوم ولم يدفعهم ؟ وما منعه من ذلك ؟ قال الصادق : آية فى كتاب الله منعه . قيل : أى آية ؟ قال : **ولو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً** ، كان لله ودائع

مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومناققين، ولم يكن على يقتل الآباء حتى تخرج  
الودائع، فلما خرجت ظهر عليّ من ظهر فقتلهم (١).  
وروى العياشي عن الباقر أنه قال: لما قال النبي، اللهم أعز الإسلام بعمر  
ابن الخطاب أو بعمر بن هشام، أنزل الله: «وما كنت متخذ المضلين  
عضدا» (٢).

وتقول أصول الكافي في قوله تعالى في الآية (١٢٧) من سورة النساء:  
«إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر  
لهم ولا ليهديهم سبيلاً، إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان، آمنوا  
بالنبي أولاً، ثم كفروا حيث عرضت عليهم ولاية علي، ثم آمنوا بالبيعة لعلي،  
ثم كفروا بعد موت النبي. ثم ازدادوا كفراً بأخذ البيعة من كل الأمة» (٣).

هذه أمثلة نذكرها ونضعها بين يدي القاريء الكريم ليحكم بنفسه حكماً  
صادقاً: أن هؤلاء الشيعة، الذين يدعون التحريف والتبديل للقرآن، هم أنفسهم  
المحرفون لكتاب الله، المبدلون فيه، بصرفهم ألفاظ القرآن إلى غير مدلولاتها  
وتقولهم على الله بالهوى والتشهي.

#### (٤) موقفهم من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة:

ولقد رأى الإمامية الاثنا عشرية أنفسهم أمام كثرة من الأحاديث المروية  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمام كثرة من الروايات المأثورة عن  
الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وفي تلك الأحاديث وهذه الآثار ما يخالف  
تعاليمهم مخالفة صريحة؛ لذا كان بدهيا أن يتخلص القوم من كل هذه الروايات،  
إما بطريق ردها، وإما بطريق تأويلها. والرد عندهم سهل ميسور؛ ذلك لأن  
الرواية إما أن تكون قولاً لصحابي، وإما أن تكون قولاً لرسول الله صلى

(١) الوشيعة ص ٦٤ نقلا عن الوافي ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢) الوشيعة ص ٦٤ .

(٣) الوشيعة ص ٦٥ نقلا عن أصول الكافي ج ٣ ص ٣٢٥ .

الله عليه وسلم عن طريق صحابي ، وهم يجرحون معظم الصحابة ، بل ويكفرونهم لمبايعتهم أبا بكر أولاً ، ثم عمر من بعده ، ثم عثمان من بعدهما . . . وأما التأويل فباب واسع . . . وهم أهله وأربابه .

فمثلاً نجدهم يردون الأحاديث والآثار التي ثبتت في تحريم نكاح المتعة ونسخ حله ، كما نجدهم يردون أحاديث المسح على الخفين ويقولون : لأنها من رواية المغيرة بن شعبة رأس المنافقين . ثم نجدهم يسلمون صحة الرواية جدلاً . ولكنهم يتأولونها فيقولون : إن الخف الذي كان يلبسه النبي صلى الله عليه وسلم كان مشقوقاً من أعلى ، فكان ، يمسح على ظاهر قدمه من هذا الشق . . . وظاهر أن هذا تأويل بارد متكلف ،

فإذا كان هؤلاء لا يقبلون أقوال الصحابة ، ولا يثقون بروايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا فمن يقبلون قوله ؟ ومن يثقون بروايته ؟ .

الذي عليه الشيعة إلى اليوم ، أنهم لا يأخذون الحديث إلا من كان شيعياً ، ولا يقبلون تفسيراً إلا من كان شيعياً ، ولا يثقون بشيء مطلقاً إلا إذا وصل لهم من طريق شيعي . . . . . وبهذا حصروا أنفسهم في دائرة خاصة ، حتى كأنهم هم المسلمون وحدهم ، فإن عاشور وسط السنين فباطنهم لأنفسهم ، وظاهرهم للتقية . . . . .

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد — حد الثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداهم — بل وجدنا الروسا من الشيعة كجابر بن يزيد الجعفي وغيره قد استغلوا أفكار الجمهور الساذجة ، وقلوبهم الطيبة الطاهرة ، وحبهم لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فراحوا يضعون الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته ، ويضمنونها ما يرضى ميولهم المذهبية ، وأغراضهم السيئة الدنيئة ، ولم يفهم أن يحكموا أسانيد هذه الشيعة لأنهم وجدوها مؤيدة لدعواهم . . . . . ويعجبني هنا ما ذكره أبو المظفر الإسفرائيني في كتابه التبصير في الدين ،

وهو : أن الروافض ( لما رأوا الجاحظ يتوسع في التصانيف ، ويصنف لكل فريق ، قالت له الروافض : صنف لنا كتاباً ، فقال لهم : لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها ، فقالوا له . إذا دلنا على شيء نتمسك به ، فقال : لا أرى لكم وجهاً إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئاً تزعمونه ، تقولون : إنه قول جعفر بن محمد الصادق ، لا أعرف لكم سبباً تستندون إليه غير هذا الكلام .. فتمسكو بمقهم وغبأوتهم بهذه السوءة التي دلمم عليها ، فكلما أرادوا أن يخلقوا بدعة أو يخترعوا كذبة ، نسبوها إلى ذلك السيد الصادق ، وهو عنها منزه ومن مقالتهم في الدارين برى (١) .

أهم الكتب التي يعتمدون عليها في رواية الأحاديث والأخبار :

هذا .. وللإمامية الاثني عشرية كتب كثيرة ، يعتمدون عليها في رواية الأحاديث والأخبار ، وينزلونها من أنفسهم منزلة سامية ، ويثقون بها وثوقاً بالغاً ، فمن أهم هذه الكتب ما يأتي :

أولاً : كتاب الكافي ، وهو أهم الكتب عند الإمامية الإثني عشرية على الإطلاق ، وهو لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٢٢٨هـ أو ٢٢٩هـ . وهو عندهم كالبخاري عند أهل السنة وهذا الكتاب يحتوي على ستة عشر ألف حديث ، قسمها - كما فعل أهل السنة - إلى صحيح ، وحسن ، وضعيف . وهو يقع في ثلاث مجلدات : المجلد الأول في الأصول ، والثاني والثالث في الفروع .

ثانياً : كتاب التهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي مجلدان في الفروع .

ثالثاً : كتاب من لا يحضره الفقيه ، لمحمد بن علي بن بابويه . وهو في الفروع .

رابعاً : كتاب الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار ، لمحمد بن الحسن

الطوسي ، اختصره من كتاب التهذيب .

هذه المكتبة الأربعة ، هي أمهات كتب الشيعة التي يعتمدون عليها ويثقون بها ، وقد جمعها كتاب الوافي في ثلاث مجلدات كبيرة ، وهو من مؤلفات محمد بن مرتضى ، المعروف بملاً محسن الكاشي .

وهناك كتب في الحديث ذكرها صاحب أعيان الشيعة غير ما تقدم ، منها : وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة ، للشيخ محمد بن الحسن العاملي ، وبحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الأطهار ، للشيخ محمد الباقر ، وهي لا تقل أهمية عن الكتب المتقدمة (١) .

والذي يقرأ في هذه الكتب لا يسهه أمام ما فيها من خرافات وأضاليل إلا أن يحكمم بأن متونها موضوعة ، وأسانيدها مفتعلة مصنوعة ، كما لا يسهه إلا أن يحكمم على هؤلاء الأمامية بأنهم قوم لا يحسنون الوضع ؛ لأنهم ينقصهم الذوق ، وتعوزهم المهارة . وإلا فأى ذوق وأية مهارة في تلك الرواية التي يروونها عن جعفر الصادق رضى الله عنه ، وهي : أنه قال : ( ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته ، فأعلم الله أن المولود من شيعتنا حجه من ذلك الشيطان ، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه في دبر الغلام فكان مأبونا ، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة (٢) ) .

أظن أن القارىء معى في أن الذى وضع هذه الرواية واخيلقها على جعفر الصادق ، رجل ينقصه الذوق ، وتعوزه المهارة ، ونحن أمام هذه الأحاديث والروايات ، لا يسعنا إلا أن نردها رداً باتاً ، وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : إن غالب هذه الأحاديث يروونها بدون سند ، بل يعتمدون على مجرد وجودها في كتبهم . تروى كتب الشيعة أن إماماً من أئمة أهل البيت أولاد على يقول : ( ذروا الناس فإن الناس أخذوا عن الناس وإنكم أخذتم عن رسول الله ) . ولسكر بأى سند ؟ تجيب كتب الشيعة : ( إن شيوخنا رووا عن الباقر وعن

( ١ ) أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

( ٢ ) الوشيعة ص ٤٠ نقلاً عن الوافي ج ١٣ ص ١٤ .



الصادق وكانت التقية شديدة ، وكانت الشيوخ تكتم الكتب ، فلما خلت الشيوخ وماتت وصلت كتب الشيوخ إلينا ، فقال إمام من الأئمة حدثوا بها فإنها صادقة (١) .

ثانياً : إن ما روى من هذه الروايات مسنداً لا بد أن يكون في سنده شيعي متعصب لمذهبه ، وقد قال رجال الحديث : إنه لا تقبل رواية المبتدع الذي يدعو لمذهبه ويروج له .

ثالثاً : ( إن القاعدة المنطق عليها بين المحدثين أن كل متن يناقض المعقول . أو يخالف الأصول . أو يعارض الثابت من المنقول ، فهو موضوع على الرسول ) وغالب أحاديثهم لا تسلم لهم إذا عرضناها على هذه القاعدة .

وكلمة الحق والإنصاف : أنه لو تصفح إنسان أصول الكافي : وكتاب الرافي وغيرهما من الكتب التي يعتمد عليها الإمامية الإثنا عشرية ، لظهر له أن معظم ما فيها من الأخبار موضوع وضع كذب وافتراء ، وكثير مما روى في تأويل الآيات وتنزيلها ، لا يدل إلا على جهل القائل بها وافتراءه على الله ، ولو صح ما تزويه هذه الكتب من تأويلات فاسدة للقرآن ، لما كان قرآن ، ولا لإسلام ، ولا شرف لأهل البيت ، ولا ذكر لهم .

وبعد . . . فغالب ما في كتب الإمامية الإثني عشرية في تأويل الآيات وتنزيلها ، وفي ظهر القرآن وبطنه ، استخفاف بالقرآن الكريم ، ولعب بآيات الذكر الحكيم . . . وإذا كان لهم في تأويل الآيات وتنزيلاتها أغلاط كثيرة ، فليس من المعقول أن تكون كلها صادرة عن جهل منهم ، بل المعقول أن بعضها قد صدر عن جهل . والكثير منها صدر عمداً عن هوى ملتزم ، وللشيعة — كما يدنا — أهواء التزمها .

(١) الشيعة ص ٤٦ — ٤٧ نقلا عن الوافي ج ١ ص ١٢٤ وشرح الكافي ج ١

## أهم كتب التفسير عند الإمامية الإثني عشرية

للإمامية الإثني عشرية ثروة كبيرة من كتب التفسير ، منها ما تم ، ومنها ما لم يتم ومنها القديم ومنها الحديث ، ومنها ما بقي ، ومنها ما اندثر ، وكلها تدور حول تركيز عقيدتهم مع اختلاف بيتهما في الغلو والاعتدال ، واختلاف في المنهج الذي سلكه مؤلف كل منها ومن هذه الكتب ما يأتي : -

١ - تفسير الحسن العسكري ، المتوفى سنة ٢٥٤ هـ أربع وخمسين ومائتين من الهجرة لم يتم ، وهو مطبوع في مجلد واحد ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

٢ - تفسير محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي الكوفي المعروف ، بالعيشي ، من علماء القرن الثالث الهجري . وهو من أمهات كتب التفسير عند الشيعة . وعليه يعولون كثيراً ، ولم يقع لنا هذا التفسير .

٣ - تفسير علي بن إبراهيم القمي . في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري ، وهو تفسير مختصر يعتمد عليه أرباب هذا المذهب كثيراً ، وهو مطبوع في مجلد واحد كبير ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

٤ - التبيان : للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ستين وأربعمائة من الهجرة . وهو الذي استمد منه الطبرسي تفسيره ، وقد ذكر صاحب أعيان الشيعة أنه يقع في عشرين مجلداً . ولم يقع لنا هذا التفسير أيضاً (١) .

٥ - مجمع البيان : لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ

---

(١) ذكر لي عند ما كنت بالعراق : أن هذا التفسير يجري طبعه في النجف ، ولعله ثم الآن .

ثمان وثلاثين وخمسة من الهجرة ، وهو مطبوع في مجلدين كبيرين ، وموجود بدار الكتب المصرية وبالمكتبة الأزهرية (١) .

٦ — الصافي : محمد بن مرتضى ، الشهير بملا محسن الكاشي ، من علماء القرن الحادى عشر الهجرى ، وهو مطبوع فى مجلد واحد كبير ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

٧ — الأصفى : للمؤلف السابق ، وهو مختصر من الصافي ، ومطبوع فى مجلد واحد كبير ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، وأخرى بمكتبة الجامعة المصرية ( جامعة القاهرة ) .

٨ — البرهان : لهاشم بن سليمان بن اسماعيل الحسينى البحرانى ، المتوفى سنة ١١٠٧ هـ سبع ومائة بعد الألف من الهجرة ، وهو مطبوع فى مجلدين ، وموجود بدار الكتب المصرية .

٩ — مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار : للمولى عبد اللطيف الكازرانى ، ولم يقع لنا هذا التفسير والموجود منه مقدمته فقط ، وهى مطبوعة فى مجلد كبير وموجودة فى دار الكتب المصرية .

١٠ — المؤلف : محمد مرتضى الحسينى ، المعروف بنور الدين ، من علماء القرن الثانى عشر الهجرى ، وهو مخطوط فى مجلد واحد صغير ، وموجود بدار الكتب المصرية .

١١ — تفسير القرآن : للمولى السيد عبد الله بن محمد رضا العلوى ، المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ اثنتين وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة ، وهو مطبوع فى مجلد كبير ، وموجود بدار الكتب المصرية .

١٢ — بيان السعادة فى مقامات العبادة : لسلطان بن محمد بن حيدر الخراسانى ، من علماء القرن الرابع عشر الهجرى ، وهو مطبوع فى مجلد كبير وموجود بدار الكتب المصرية .

---

(١) وقد طبع أخيراً فى إيران فى عشر مجلدات ، كما أن دار التقريب بالقاهرة تقوم على طبعه الآن وقد صدر منه جزء واحد .

١٣ - آلاء الرحمن في تفسير القرآن : لمحمد جواد بن حسن النجفي المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ اثنتين وخمسين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة . لم يتم ، والموجود منه بدار الكتب المصرية الجزء الأول ، وهو كل ما كتبه المؤلف ، ثم عاجلته المنية قبل إتمامه . وهو يبدأ بسورة الفاتحة ، وينتهي عند قوله تعالى في الآية (٥٦) من سورة النساء إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا... الآية .

هذا هو أهم ما عرفناه من كتب التفسير عند الإمامية الإثني عشرية . وقد أمكنني أن أطلع على كل ما ذكرته من الموجود من هذه الكتب . وعلى غير ما ذكرته مما هو موجود أيضاً بدار الكتب المصرية ، فوقفت بنفسى على مشارب أصحابها في التفسير ، واتجاهاتهم في فهمهم لكتاب الله تعالى ، وكما كنت أود أن أطلع على تفسير العياشى ، وتفسير الطوسى ، لأقف بنفسى على هذين الكتابين الاعتباريين أهم المراجع في التفسير عند أرباب هذا المذهب .

وأظننى لست بحاجة إلى أن أتكلم عن كل كتاب اطلعت عليه من كتب هؤلاء القوم في التفسير ، بل يكفينى أن أتكلم عن بعض منها ، وهو أهمها ، مع ملاحظة أن يكون كل كتاب يقع عليه اختياري ، له لون خاص من ألوان التفسير عند الإمامية الإثني عشرية ، وطالع يمتاز به عما سواه .

وقد رأيت أن أخص أولاً مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للكارزاني ، لأنها تعطينا فكرة واضحة عن التفسير من وجهة نظر هؤلاء القوم بوجه عام ، ومن وجهة نظر مؤلفها بوجه خاص .

ثم أتكلم عن تفسير الحسن العسكري ، لأنه يمثل لنا تفسير إمام من أئمتهم المعصومين ، الذين عندهم علم الكتاب كله ، ظاهره وباطنه .

ثم عن مجمع البيان للطبرسى ، لأنه يمثل لنا تفسير معتدلى الإمامية الإثني عشرية كما أنه يعطينا فكرة واضحة عن طريقة الجدل عندهم ، ومقدار دفاعهم عن آرائهم وعقائدهم .

ثم عن الصافي لملا محسن الكاشي : لأنه يمثل لنا التفسير عند متطر في الإمامية الاثني عشرية .

ثم عن تفسير القرآن للسيد عبد الله العلوي : لأنه يمثل لنا التفسير السهل الذي جمع بين الاختصار وكثره الفائدة .

ثم عن بيان السعادة في مقامات العبادة ، لسلطان بن محمد الخراساني ؛ لأنه يمثل لنا التفسير الصوفي الفلسفي عند الإمامية الاثني عشرية .

هذه هي أهم الكتب التي سأتكلم عنها وعن مؤلفيها وسأعرض لها مرتبة حسب ترتيبها في الذكر ، فأقول مستمداً من الله العون والتوفيق :

## (١) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار

للمولى عبد اللطيف الكازراني

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو المولى عبد اللطيف الكازراني مولدا ، النجفي مسكنا<sup>(١)</sup> .

التعريف بمرآة الأنوار ومشكاة الأسرار وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير يعد في الحقيقة مرجعا مهما من مراجع التفسير عند الإمامية الإثني عشرية ، وأصلا لا بد من قراءته لمن يريد أن يقف على مدى تأثير عقيدة صاحبه ومن على شاكلته في فهمه لكتاب الله ، وتزييله لنصوصه على وفق ميوله المذهبية وهواه الشيعي . . . . . ولكن كيف نحكم بأهمية هذا التفسير كمرجع من مراجع التفسير عند الإمامية الإثني عشرية ، ونحن لم نعثر عليه في مكتبة من مكاتبنا المصرية ؟ أليس هذا يعد من قبيل الحكم على ما نجمله ، والقول فيما ليس لنا به علم ؟؟ . . . لا ، فالكتاب وإن لم نطع به ولم نطلع عليه ، قد وجدنا ما هو عوض عنه إلى حد كبير ، ذلك هو مقدمته التي قدم بها مؤلفه لتفسيره هذا .

وجدت هذه المقدمة في دار الكتب المصرية ، فقرأتها ، فرأيته تكشف لنا عن منهج صاحبها في تفسيره ، وتوضح لنا كثير من آرائه في فهم كتاب الله وتبين في صراحة تامة كيف تأثر المولى الكازراني بعقيدته الزائفة ، فحمل كتاب الله ما لا يحتمله بأى حال من الأحوال . وها أنا ذا ألخص لك أهم المباحث التي تشتمل عليها هذه المقدمة . وبذلك نلقى ضوءاً على هذا التفسير المفقود ونعطى القارئ فكرة واضحة إلى حد كبير عن طريقة المؤلف ومنهجه في تفسيره

(١) لم تقف له على ترجمه أكثر من ذلك .

المؤلف يتكلم عن الباعث له على تأليف تفسيره وعلى منهجه الذى سلكه فيه:

يحمد القارىء أول ما يقرأ فى هذه المقدمة ، بيا ناسبها من المؤلف ، يكشف لنا فيه عن الباعث الذى حمله على تأليفه لهذا التفسير ، وعن المنهج الذى نهجه لنفسه فيه وسار عليه ، كما يكشف لنا فى أثناء بيانه هذا ، عن نظرتة لكتاب الله وموقفه من تفسيره . تلك النظرة التى لا نشك أنها نظرة رجل ينظر إلى القرآن من خلال عقيدته ، وذلك الموقف الذى لا ترتاب فى أنه موقف من أغراه مذهبه وخدمته هو .

يقول المؤلف فى المقدمة ص ٢ ، ٣ مانصه : . . . . إن من أبين الأشياء وأظهرها ، وأوضح الأمور وأشهرها ، أن لكل آية من كلام الله المجيد . . . وكل فقرة من كتاب الله الحميد ، ظهراً وبطناً ، وتفسيراً وتأويلاً ، بل لكل واحدة منها — كما يظهر من الأخبار المستفيضة — سبعة بطون وسبعون بطناً ، وقد دلت أحاديث متكاثرة ، كادت أن تكون متواترة ، على أن بطوننا وتأويلها ، بل كثيراً من تنزيلها وتفسيرها ، فى فضل شأن السادة الأطهار ، وإظهار جلاله حال القادة الأخيار ، أعنى النبي المختار . وآله الأئمة الأبرار ، عليهم صلوات الله الملك الغفار . بل الحق المتين ، والصدق المبين ، كما لا يخفى على البصير الخبير بأسرار كلام العليم القدير ، المرتوى من عيون علوم أمناه الحكيم الكبير ، أن أكثر آيات الفضل والإنعام ، والمدح والإكرام ، بل كلها فيهم وفى أوليائهم نزلت ، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع ، والتهديد والتفضيح ، بل جملتها فى مخالفيهم وأعدائهم وردت . بل التحقيق الحقيق — كما سيظهر عن قريب — أن تمام القرآن إنما أنزل للإرشاد إليهم ، والإعلام بهم ، وبيان العلوم والأحكام لهم ، والأمر بإطاعتهم وترك مخالفتهم ، وأن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن فى دعوة الإمامة والولاية ، كما جعل جل ظهره فى دعوة التوحيد والنبوة والرسالة .

وهذه الدعاوى من المولى الكازراني لا نكاد نسلها له ، إذ أنها لا تقوم على دليل صحيح ، وما ادعاه من دلالة الأخبار المستفيضة والأحاديث المتكاثرة

على ما ذهب إليه ، أمر لا يلتفت إليه ولا يعول عليه . لأن ما يعنيه من الأخبار والأحاديث لا يعدوا أن يكون موضوعاً لا أصل له . ومن هذا يتضح لنا أن هذا الشيعي مبالغ في تشيبه إلى حد جعله يحمل كتاب الله تعالى ما لا يحتمله ، ويجعله موزعاً بين دعوة الحق ودعوة الباطل ، تلك بظاهر القرآن وهذه بباطنه !! . . .

ثم ذكر المؤلف بعد ذلك ما كان من تسامح مفسري الشيعة الذين سبقوه ، وسكوتهم عن ذكر ما ثبت عن الأئمة في تفاسيرهم . وبين عذرهم في ذلك .

ثم ذكر أنه كان يجيش بصدرة ، ويدور بخاطره وخلده . أن يجمع ما تفرق من الأخبار المأثورة عن آل البيت ويشرح مضامينها ، ثم يلحق نصوص كل آية بسورتها ، وذلك كله في كتاب مستقل ، ولكن حال بينه وبين ما تطمح إليه نفسه - حقبة من الزمن - تفرقُ باله ، وتشتت حاله ، وكثرة أشغاله ، ثم ظفر بعد ذلك بجملة من الآثار التي كان حريصاً على جمعها ، فرأى أن الذي تطمح إليه نفسه لا يصح التغافل والتسامح فيه ، فاستخار الله واستعان بحوله وقوته على تحقيق مرامه ، فشرع في جمع الروايات وتحريرها ، وتفسير الآيات وتقريرها .

ثم بين لنا هدفه الذي يرمى إليه من وراء هذا التفسير ، وهو أنه أراد أن يفسر آيات القرآن ويقرر معانيها على وجه منيف ، وبيان لطيف ، وطور رشيق ، وطرز أنيق ، بطريق الإيجاز والاختصار ، مع ذكر لب المقصود من الآيات والأخبار ، بحيث يوضح غوامض أسرارها ، ويكشف عن خبايا أстарها ، ويتبين طريق الوصول إلى ذخائر كنوزها ، ويرفع النقاب عن وجوه رموزها ، من غير تطويل عمل ، ولا اختصار زائد مخل .

ثم بين لنا منهجه الذي سلكه في تأليفه لهذا التفسير ، وهو يتلخص فيما يأتي :  
١ - يختصر الأخبار فلا يذكرها بتامها ، بل يقتصر على موضع الحاجة ، ويحذف الأسانيد رغبة منه في الاختصار .



٢- أنه لا يتعرض لبيان جمع ما يتعلق بظاهر الآيات إلا إذا وجد أن التصريح بالمعنى الظاهر أمر لازم محتوم ، وقد جعل مدار هذا التفسير على بيان ما يتعلق بالبطون لخلو أكثر التفاسير منها أو من جلها .

٣- أنه إذا لم يعثر على نص يفسر به الآية اجتهد في تفسيرها على وفق الأخبار العامة المطلقة التي يمكن استخلاص معنى الآية منها .

٤- أنه يحرص كل الحرص على ذكر ما يعرفه من قراءة أهل البيت عند كل آية من القرآن .

ثم ذكر أنه وفق لما وفق إليه من كتابة التفسير ، بركات أول من آمن بالله بعين الإيقان ، وثاني أول ما خلق الله قبل الكون والمكان ، قاسم درجات الجنان ودركات النيران . . . إمام المشارق والمغرب . أمير المؤمنين أبي الحسنين علي بن أبي طالب ، .

ثم قال : وكنت لا أرجو من الإقدام على هذا الأمر إلا أن يدخلني في شيعته الخاصين . وأوليائه الخالصين . وأن تدركني شفاعته المقبولة ، وحمايته المأمولة وجعلته خدمة لسدته السنية ، وثوابه هدية إلى حضرته العلية ، وسميته ( مرآة الأنوار ومشكاة الأسمار ) اه .

وبالجملة ، فهذا التفسير أشبه ما يكون بالتفسير المأثور ، لالتزام صاحبه فيه بيان المعنى بما ورد من الأخبار عن علماء أهل البيت إماماً صريحاً أو استخلاصاً من عموم الأخبار ، غاية الأمر أن هذه الأخبار أخبار لا يوثق بصحتها ، ولا يعول على صدق نسبتها إلى من تنسب إليه من علماء آل البيت رضى الله عنهم .

بعد هذا البيان قال المولى عبد اللطيف الكازراني ( ولنذكر قبل الشروع في المقصود ثلاث مقدمات نافعة لا بد من بيانها هنا ) ونستعرض هذه المقدمات الثلاث فتراه قد جعل المقدمة الأولى في بيان ما يوضح حقيقة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بدعوة الولاية والإمامة ، كما أن ورود ظهره فيما يتعلق بدعوة التوحيد والنبوة والرسالة ، وأن الأصل في تنزيل آيات القرآن بتأويلها ،

لأنما هو الإرشاد إلى ولاية النبي والأئمة صلوات الله عليهم وإعلام عز شأنهم  
وذل حال شأنهم ، بحيث لاخير أخبر به إلا وهو فيهم وفي أتباعهم وعارفيهم  
ولا سوء ذكر فيه إلا وهو صادق على أعدائهم وفي مخالفهم . قال ( ويستبين  
ذلك في ثلاث مقالات ) .

المقالة الأولى . في بيان ما يوضح المقصود بحسب الأخبار الواردة في خصوص  
هذه المقدمة ، وهي تتم بفصول . ثم ذكر ثلاثة فصول .  
جعل الفصل الأول منها في بيان نبي ما يدل على أن للقرآن بطوناً وآياته  
تأويلات . وأن مفاد فقرات القرآن غير مقصور على أهل زمان واحد ، بل  
بل لكل منها تأويل يجري في كل أوان وعلى أهل كل زمان . . . ثم ساق الروايات  
الدالة على ذلك وكلها مسندة إلى آل البيت ، فمن هذه الروايات ما رواه العياشي :  
 وغيره عن جابر قال ( سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير  
القرآن فأجابني ، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك  
كيف أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي : يا جابر . إن  
للقرآن بطناً ، وللبطن بطناً وظهراً . يا جابر . وليس شيء أبعد من عقول  
الرجال من تفسير القرآن . . . إن الآية ليكون أولها في شيء وآخرها في شيء  
وهو كلام متصل يتصرف على وجوه ) . ثم عقب المولى عبد اللطيف  
على هذا الخبر فقال ( دلالة مبدأ هذا الخبر على وجود تأويل له باطن وظاهر ،  
وعلى تعدد تأويل آية واحدة ، وعلى عدم تنافي تأويل أول آية في شيء وآخرها  
في آخر ، بل عدم تنافي التفسير بالظاهر في أولها والباطن في آخرها أو بالعكس  
ظاهرة ، فإذا سمعت شيئاً من ذلك فلا تنكره ؛ لأنهم عليهم السلام أعلم بالتنزيل  
والتأويل . وبما فيه إصلاح السائل والسامع ، ولهذا ورد : إن القرآن ذلول  
ذو وجوه فاحلوه على أحسن الوجوه ، ويؤيده ما في الكافي عن الصادق  
عليه السلام أنه قال لعمر بن يزيد لما سأله عن قوله تعالى : والذين يصلون  
ما أمر الله به أن يوصل (١) ، هذه نزلت في رحم آل محمد صلى الله عليه وسلم

وقد يكون في قرابتك ، فلا تكونن ممن يقول للشيء لأنه في شيء واحد ) .  
ومن هذه الروايات ما نقله عن كتاب العلل بإسناده إلى أبي حكيم الزاهد  
قال : حدثني أبو عبد الله بمكة قال : « بينما أمير المؤمنين عليه السلام مار بفناء  
الكعبة إذ نظر إلى رجل يصلي فاستحسن صلته ، فقال : يا هذا الرجل ، إن  
الله تبارك وتعالى ما بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بأمر من الأمور إلا وله  
متشابه وتأويل وتنزيل ، وكل ذلك على التبعد ، فمن لم يعرف تأويل صلته  
فصلته كلها خداج ناقصة غير تامة ، ثم عقب المولى على هذا فقال « الظاهر أن  
المراد بالمتشابه الشبيه ، وبالتأويل الباطن وبالتنزيل الظاهر ، وبالتبعد سبيل  
الإطاعة ، والمعنى : أن كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأمر به في الظاهر  
فله شبيه ونظير مأمور به في الباطن ، ويلزم الإيمان بهما جميعاً ، فمن لم يعرف  
شبيه الصلاة وباطنها الذي هو الإمام وإطاعته - كما سيأتي - فصلاته الظاهرية  
ناقصة ، ٥١ ص ٣ - ٤ .

وعند الفصل الثاني في ذكر الأخبار الصريحة في أن بطن القرآن وتأويله ،  
إئمة - هو بالنسبة إلى الأئمة - وولايتهم وأتباعهم وما يتعلق بذلك ، فكان من  
جملة الأخبار التي ساقها : ما رواه الكليني بإسناده إلى أبي بصير قال : « قال  
الصادق عليه السلام : يا أبا محمد ، ما من آية تقود إلى الجنة ويذكر أهلها بخير  
إلا وهى فينا وفي شيعتنا ، وما من آية نزلت يذكر أهلها بشر وتسوق إلى النار  
إلا وهى في عدونا ومن خالفنا . »

وما نقله عن الكافي وتفسير العياشي وغيرهما ، عن محمد بن ميمون ، عن  
الكاظم عليه السلام في قوله تعالى . قل إئمة حرم ربى الفواحش ما ظهر منها  
وما بطن (١) . . . ، قال : القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرم الله في الكتاب  
هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الجور ، وجميع ما أحل الله في الكتاب هو الظاهر  
والباطن من ذلك أئمة الحق .

وما رواه عن الباقر عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته

(١) في الآية ٣٣ من سورة الأعراف .

يوم الغدير ، معاشر الناس : هذا على\* أحقكم بي وأقر بكم إلى ، والله وأنا عنه راضيان ، وما نزلت آية رضى إلا فيه ، وما خاطب الذين آمنوا إلا بدأ به ، وما نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه . معاشر الناس : إن فضائل على عند الله عز وجل ، وقد أنزلها على في القرآن أكثر من أن أحصياها في مكان واحد ، فمن بناكم بها وعرفها فصدقوه .

وما رواه عن عبد الله بن سنان أنه قال : قال زريح المحاربي ؛ سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى « ثم ليقضوا تفهمهم (١) » فقال : المراد لقاء الإمام ، فأنتيت أبا عبد الله عليه السلام وقلت له : جعلت فداك ، قوله عز وجل « ثم ليقضوا تفهمهم » ، قال أخذ الشارب . وقص الأظافر ، وما أشبه ذلك ، فكسيت له كلام ذريح فقال ، صدق ذريح وصدقت ، إن للقرآن ظاهراً وباطناً ومن يحتمل ما يحتمل ذريح ؟ ثم عقب المولى على هذا فقال « الكلام من الإمام عليه السلام صريح في أنهم عليهم السلام كانوا يكتمون أمثال هذه التأويلات عن أكثر الناس ، حتى عن ابن سنان الذي كان من فضلاء أصحابه ، اه (ص ٥) .

وعقد الفصل الثالث في بيان نبد ما يدل على وجوه تناسب الظواهر مع البطون ، وجهات تشابه أهل التأويل مع أهل التبريل فقال « اعلم أن مادلت عليه الأخبار الماضية ، وما تدل عليه الأخبار التي ستأتي من المعاني الباطنة والتأويلات . ليست جملتها مما استعمل فيها اللفظ على سبيل الحقيقة ، بل أكثرها ومعظمها على طريق التجوز ، ونهج الاستعارة ، وسبيل الكناية ومن قبيل المجازات اللغوية والعقلية ، إذ أبواب التجوز في كلام العرب واسعة وموارده في عبارات الفصحاء سائنة ، فلا استبعاد إن أراد الله عز وجل بحسب الاستعمال الذي يدل عليه ظاهر اللفظ معنى ، وبحسب التجوز الذي تدل عليه القرأن ويجمع مع الظاهر بنوع من التناسب معنى آخر وسنشير الى كثير من وجوه التناسب في المقدمة الثالثة وغيرها ، ولكن نذكر

في هذا المقام من كليات تلك الوجود بعض ما يستفاد من أخبار الأئمة  
الاطياب ، ونرفع عن وجوه الآيات لطالب تأويلها الحجاب ، ونكشف عنها  
النقاب ، تبصرة لمن أراد التبصر من أولى الألباب . وأما إحاطة العلم بالجميع ،  
فهى المراسخين في العلم ومن عنده علم الكتاب . . . كما سيظهر في الفصل  
الآخير .

فاعلم أنه يمكن تبيين المرام في هذا المقام من وجوه وإن أمكن إرجاع  
بعضها إلى بعض ، ثم ساق وجوها خمسة يرجع بعضها إلى بعض كما قال ، فكان  
عما ذكره في الوجه الرابع ما جاء في البصائر عن نصر بن قابوس قال ، سألت  
أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل ( وظل بمدود \* وماء مسكوب \*  
وفواكه كثيرة \* لا مقطوعة ولا ممنوعة \* )<sup>(١)</sup> قال يا نصر إنه ليس حيث  
يذهب الناس إنما هو العالم وما يخرج منه .

ثم قال المولى قال : شيخنا العلامة - رحمه الله - لعل المعنى ليس حيث  
يذهب الناس من احصار جنة المؤمنين في الجنة الصورية الأخروية ، بل هم  
في الدنيا أيضاً بركة أتمتهم عليهم السلام جنات روحانية من ظل حمايتهم  
ولطفهم المدود في الدنيا والآخرة . وماء مسكوب من علومهم الممتعة التي  
بها تحيي النفوس والأرواح ، وفواكه كثيرة من أنواع معارفهم التي  
لا تنقطع عن شيعتهم ولا يمنعون منها ، وفرش مرفوعة مما يتلذذون به من  
حكهم وآدابهم بل لا يتلذذ المقربون في الآخرة أيضاً في الجنان الصورية إلا  
بتلك الملاذ المعنوية التي كانوا يتمتعون بها في الدنيا كما تشهد به الأخبار - انتهى  
كلامه أعلى الله مقامه ، فتأمل ولا تغفل عن جريان مثل في ساير نعم الجنة ،  
مثل أنهار الخمر وأمثالها ، كما يشهد له ما سيأتي في الأنهار واللبن من تأويل  
اللبن والخمر بعلوم الأئمة عليهم السلام . وسيأتي في الجنة والنار وما بمعناها  
من تأويل الأولى بولاية الأئمة ، والثانية بعداوتهم . وأمثال هذه التأويلات  
كثيرة ينادى بها كثير من الأخبار في الترجمات الجائئة المناسبة لها فافهم .

(١) الآيات (٣٠ - ٢٣) من سورة الواقعة .

وكذا كل ما ورد ظاهره في العذاب ، والمسوخ والهلاك ، والموت البدني ، ونحو ذلك ، فباطنه في الهلاك المعنوي بضلالاتهم وحرمانهم عن العلم والكمالات ، وموت قلوبهم ومسوخها وعميها عن إدراك الحق ، فهم إن كانوا في صور البشر لكنهم كالأنعام بل هم أضل ، وإن كانوا ظاهراً بين الأحياء ، فهم أموات ، ولكن لا يشعرون ، إذ لا يسمعون الحق ، ولا يبصرونه ، ولا يعقلونه ، ولا ينطقون به ، ولا يأتى منهم أمر ينفعهم في آخرهم ، فهم شر من الأموات وكذا كل ما كان في القرآن مما ظاهره في النهي عن القبائح الصورية ، وتحريم الخبائث الظاهرية ، كالزنا ، والسرقه والإيذاء ، ونحوها مما هو علامة رذالة حال فاعله ، ودليل خبائه طبع مرتكبه ، كالخمر والميتة ، والدم ، ونحوها مما تستقدر منه الطباع السليمة ، وتنفر منه القرائح المستقيمة ، فبطنه في النهي عن القبائح الباطنة التي هي معاداة الأئمة عليهم السلام ، والزجر عن الخبائث المعنوية التي هي أعاديهم ومنكروا ولايتهم والفضائل التي هي فيهم ، فإنها أيضاً - في استقذار الأرواح ، وتخبث القلوب ، واستنفار العقول . . . ونحو ذلك مثل الخبائث الظاهرة والقبائح الصورية . بل أشد كما لا يخفى . وهكذا حال بطون ما ظاهره في الترغيب بالمبرات والأمر بالخيرات بالنسبة إلى الأئمة وولايتهم ومعرفتهم ، وبالجملة المدار على تشبيه الأمور المعنوية بالصورية ، كالحياة والموت والانتفاعات والتصورات الروحانية بالجسمية . . . وهكذا في البواقي . على أن في هذا الأخير تناسباً آخر أيضاً ، وهو أنه لا خفاء في كون النبي والأئمة صلوات الله عليهم وسائط معرفة العبادات والمأمورات . وأنهم الأصل في قبولها فلا بُدَّ إن أريدوا بها في بطن القرآن . وكذا لا بعد في كون أعدائهم من حيث مضادتهم لهم من المراد بالخبائث والمنهيات ( اه ص ٨ .

وفي الوجه الخامس من العلل ، علل ما ورد من تأويل معرفة الله . وعبادته ومخالفته ، وأساقه ، وظلمه ، ورضاه ، وسخطه ، وأمثالها بمعرفة الإمام ، وإطاعته ومخالفته ، وأسفه وظلمه ورضاه ، وسخطه وكذا تأويل الإمام ،

يد الله ، وعينه ، وجنبه ، وقلبه وسائر ما هو من هذا القبيل بما نسبة الله إلى نفسه وخصه به ، بالإمام عليه السلام ، وما ورد من الأخبار في تأويل روح الله ونفسه ، ولفظ الجلالة والإله والرب الإمام عليه السلام . . . علل هذه التأويلات وما شاكلها بأن الذي جرى من عادة الأعظم والملوك والأكابر أن ينسبوا ما وقع من خدمتهم بأمرهم إلى أنفسهم تجوزاً ، وكذا قد ينسبون مجازاً ما يصاب خدمهم ومقربيه من الإطاعة والخير والشر إلى أنفسهم ، لإظهار الجلالة حال أولئك الخدم عندهم ، وإشعاراً بأنهم في لزوم المراعاة والإطاعة ودفع الضر عنهم وجلب النفع إليهم بمنزلة مخاديمهم وفي حكمهم ، بحيث أن كل ما يصل إليهم فهو كالواصل إلى المخاديم .

قال الصادق عليه السلام - كما سيأتي عن الكافي وغيره - إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكن خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مر بوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه ، وسخطهم سخط نفسه ؛ لأنهم جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه . . . الخبر . . . في رواية أخرى: ولكن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته ، ثم أنزل بذلك قرآناً على نبيه . . . الخبر قال المولى : وسيأتي بقية الأخبار مفصلة . وهكذا كثيراً ما يطلق تجوزاً على مقربى الرجل وأعوانة أسامى جوارحه وأعضائه وسائر ما يختص به في النفع كما يقال للوزير الكامل المقرب عند السلطان النافع له جداً : إنه يده وسيفه وعينه . . . وهكذا بناء على أنه في الدفع والنفع والقرب والعزة مثل ذلك ، حتى أنه قد يقال : إنه روحه ونفسه ، بل ربما يقال إنه السلطان تجوزاً بمعنى أنه جعل إطاعته إطاعته ، ومخالفته مخالفته ، بحيث لا يرضى بغير ذلك . ادص ٩

ثم عقد الفصل الرابع في بيان ما يدل على أن الواجب على الإنسان أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه ، وتنزيله وتأويله معاً ، كما أن الواجب الإيمان بحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ، وبسائر ما يتعاق بذلك جميعاً مفصلاً أو على سبيل الإجمال إن لم يعلم التفصيل من طريق أهل البيت الذين هم أدري بما في البيت . وإن من أنكر الظاهر كافر وإن أقر بالباطن ، كما هو مذهب الباطنية من ملاحدة

الخطائية والإسماعيلية وغيرهم القائلين بسقوط العبادات كما سيظهر ، وكذا بالعكس : أى إنكار الباطن وإن أقر بالظاهر ، على كل مؤمن أن لا يجترىء بإنكار ما نقل عن الأئمة عليهم السلام فى ذلك تفسيراً وتأويلاً وإن لم يفهم معناه ولم يدرك مغزاه . . . ثم ساق من الروايات ما يدل على ذلك ، وكأها منسوبة إلى أهل البيت ، فمن ذلك ما روى عن الباقر عليه السلام أنه قال : إن الله عز وجل قد أرسل رسوله بالكتاب وتأويله ، فمن كذب بالكتاب أو كذب بما أرسل به رسوله من تأويل الكتاب فهو مشرك ، اه ص ٩

ومنها ما روى عن الهيثم التميمى ، قال : ( قال أبو عبد الله عليه السلام : يا هيثم إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم ذلك شيئاً ، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً لا إيمان بظاهر إلا بباطن ، ولا بباطن إلا بظاهر ) اه ص ٩ .

وعقد الفصل الخامس : فى بيان ما يدل على أن علم تأويل القرآن كله عند الأئمة عليهم السلام ، وما ذكر فى الأخبار الواردة فى المنع من تفسير القرآن بالرأى وبغير سماع من الأئمة ، وفى الجمع بينها وبين ما يعارضها من الآيات والروايات وتوجيه ما هو الحق فى ذلك ، فقال اعلم أنه لا ريب فى اطلاع النبى والأئمة على جميع وجود آيات القرآن ومعانيها كلها ؛ ظواهرها وبواطنها تنزيلها وتأويلها ، وأنهم الذين عندهم علم الكتاب كله ، كما أنزله الله فى بيدهم ؛ فإن أهل البيت أدرى بما فى البيت ، وقد دلت على هذا أخبار متواترة . . . . .  
فمنها ما فى البصائر بسند صحيح عن أبى الصباح قال : والله لقد قال لى جعفر بن محمد عليهما السلام : إن الله علم نبيه صلى الله عليه وسلم التنزيل والتأويل . قال : فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً عليه السلام ؛ قال : وعلمنا . . . الخبر .

وما فيه أيضاً بإسناده عن يعقوب بن جعفر قال : كنت مع أبى الحسن عليه السلام بمكة ، فقال له رجل : إنك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به ، فقال أبو الحسن : فنحن نعرف حلاله وحرامه ، وناسخه ومنسوخه ، وسفريه وحضره ، وفى أى ليلة نزلت من آية ، فيمن نزلت ، وفيهم أنزلت . . . الخبر .



واستدل أيضا بما في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : ما يستطيع أحد يدعى أن عنده علم جميع القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأولياء . . . .  
ثم قال المولى عبد اللطيف بعد سياقه لهذه الرويات وغيرها ، وأما غيرهم عليهم السلام فلا شبهة في قصور علومهم وعجز أفهامهم عن الوصول إلى ساحة إدراك كثير من تفسير الظواهر والتنزيل ، فضلا عن البواطن والتأويل ، بلا إسناد من الأئمة العاملين ، وعناية من الله رب العالمين .

ثم بعد أن استدلل على ذلك بما ذكره من روايات سابقة ولاحقة قال :  
« ولهذا ورد المنع من التفسير بغير الأخذ منهم عليهم السلام . ثم استدلل على عدم جواز تفسير القرآن بالرأى وضرورة الرجوع إلى الأئمة في فهم معانيه ، فكان بما استدلل به ، مارواه عن العياشي عن الصادق عليه السلام قال : « من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ فهو أبعد من السماء ، وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » ، وما ورد في تفسير الإمام عليه السلام من قوله : « أندرون من المتمسك بالقرآن الذي له الشرف العظيم ؟ هو الذي يأخذ القرآن وتأويله عنا أهل البيت ، أو عن وسائط السفراء عنا إلى شيعتنا ، لاعت آراء المجادلين ، وقياس الفاسقين ، فأما من قال في القرآن برأيه فإن انفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار » اهـ ص ١١ - ١٢ .

ثم بعد ذلك وفق بين الأخبار الدالة بظواهرها على حرمة التفسير بالرأى وبين ماورد من قوله تعالى « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها (١) » وقوله « لعلمه الذي يستنبطونه منهم (٢) » ، وقوله عليه السلام « القرآن ذلول ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن الوجوه ، وغير ذلك من الآيات والأخبار

(١) الآية ( ٢٤ ) من سورة محمد عليه السلام .

(٢) في الآية (٨٣) من سورة النساء

الدالة على أن في معاني القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغا ومجالاً رحباً فقال : لنا في هذا المقام توجيهات عديدة نشير ههنا إلى ما هو الأكل منها ، وهو ما ذكره بعض محققى علمائنا ، وقال « الصواب أن يقال : إن من أخلص الانقياد لله ورسوله ولأهل البيت ، وأخذ علمه منهم ؛ وتبع آثارهم ، واطلع على جملة من أسرارهم ، بحيث يحصل له المراس في العلم والطمأنينة في المعرفة ، وانفتح عيناه قلبه ، وهجم به العلم على حقائق الأمور ، وباشر روح اليقين ، وأنس بما استوحش منه الجاهلون ، فله أن يستفيد من القرآن غرائبها ، ويستنبط منه نذا من عجائبه ، وليس ذلك من كرم الله بغيره ، ولا من جوده بعجيب ، وليست السعادة وفقاً على قوم دون آخرين ، وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم ، كما قالوا : سلمان منا أهل البيت ، فمن هذه صفته لا يبعد دخوله في الراسخين في العلم ، العالمين بالتأويل ،

أه ص ١٢ - ١٣

ثم قال : وأما التفسير المنهى عنه ، فقد نزله المحقق أيضاً على وجهين : أحدهما : أن يكون للمفسر في الشيء رأى وإليه ميل من طبعه وهواه . فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ، ليجتج به على تصحيح غرضه ومدعاه ، فيكون قد فسر القرآن برأيه ؛ أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه . وهذا كما أنه مع الجهل كأكثر تفاسير المخالفين مثلاً كذلك قد يكون مع العلم ، كالذى يجتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ، ولكن يلبس على خصمه ، ومن هذا ما مر من تأويلات الباطنية ، وقد يصدر مثله عن له غرض صحيح ، لكن يطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به ذلك ، كالذى يدعو مثلاً إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول : قال الله تعالى : « إذهب إلى فرعون إنه طغى ، ويشير إلى قلبه ويؤمى إليه أنه المراد فرعون . قال ذلك المحقق ، وهذا قد يستغله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو ممنوع .

ثانيهما : أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية ، من غير استظهار  
بالسمع والنقل عن الأئمة فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ  
المبهمة والمبدلة ، وما فيها من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير ،  
وفيما يتعلق بالناسخ والمنسوخ والخاص والعام والرخص والعزائم والمحكم  
والمتشابه ، إلى غير ذلك من وجوه الآيات المفتقرة إلى السماع إذ من بادر إلى  
استنباط المعاني فيها بمجرد فهم العربية كثر غلظه ، ودخل في زمرة من يفسر  
بالرأى ، فلا بد له أولاً من السماع وظاهر التفسير ليتقى مواضع الغلط ، ثم بعد  
ذلك يتسع التفهم والاستنباط ، فإن ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التي  
لا بد منها للفهم ، ومن هذا القبيل قوله تعالى : **وآتينا ثمود الناقة مبصرة  
فظلموا بها<sup>(١)</sup>** ، فإن معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها . والناسخ إلى ظاهر  
العربية يظن أن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ، ولا يدري أنهم  
بماذا ظلموا ، وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم ، ومن ذلك الآيات التي سنشير إلى  
كونها واردة على سبيل الكناية والرموز بحيث لا يطلع على ما فيها إلا من تجرع  
كووس علوم آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، كما سيأتي في الفصل  
السادس من المقالة الأولى من المقدمة الثالثة في قوله تعالى : **وما ظلمونا ولكن  
كانوا أنفسهم يظلمون<sup>(٢)</sup>** ، من أن المراد ظلم محمد وآله . ومنها ما سيأتي أيضاً  
في الفصل الثالث من المقالة المذكورة في قوله تعالى : **ولولا أن ثبتناك لقد  
كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً<sup>(٣)</sup>** ، من أنه تعالى عني بذلك غير النبي صلى الله  
عليه وسلم كما قال الصادق عليه السلام : **ما خاطب الله به نبيه فهو يعني به من  
قد مضى ، وقد روى الكليني وغيره عنه عليه السلام أنه قال : نزل القرآن  
بإيالك أعني واسمعي يا جارة ، وعن الباقر عليه السلام : إذا علم الله شيئاً هو  
كائن أخبر عنه خبر ما قد كان ، وقد مر في حديث جابر قوله عليه السلام :**  
**« وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية ليسكون أولها**

(١) في الآية (٥٩) من سورة الإسراء .

(٢) في الآية (٥٧) من سورة البقرة .

(٣) الآية (٧٤) من سورة الإسراء .

في شيء وآخرها في شيء . . . الخبر ، وسنذكر عن قريب في فصول المقالة المذكورة وغيرها ، ما يوضح حال تفسير الآيات التي كذا شأنها ؛ ليتبصر به الناظر فيما ذكره من تفسير تلك الآيات إن شاء الله تعالى اه ص ١٣ .

ونحن لا نرى أدنى خلل فيما ذكره من الوجهين السابقين بصرف النظر عما ذكره من تفسير ، ولكن تأخذ عليه أنه لم يأخذ بما قال ، بل جعل القرآن تبعاً لرأيه ، ونزله على معان تتفق وهواه ، ورمى غيره بالداء الذي هو فيه .

ثم ذكر المقالة الثانية ، فجعلها في بيان ما يوضح اشتغال كلام الله تعالى ، الوارد فيها يتعلق بالتوحيد والنبوة صريحاً وتزيلاً ، على ما يتعلق بالولاية والإمامة بظنا وكناية وتأويلاً ، بحسب الأخبار الواردة في أن الولاية أي الإقرار بنبوة النبي وإمامة الأئمة والتزام حبه وإطاعتهم وبنقض أعدائهم ومخالفهم أصل الإيمان ، مع توحيد الله عز وجل ؛ بحيث لا يصح الدين إلا بذلك كله ، بل إنها بسبب إيجاد العالم ، وبناء حكم التكليف ، وشرط قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر والشرك ، وأنها التي عرضت كالتوحيد على الخلق جميعاً ، وأخذ عليهم الميثاق ، وبعث بها الأنبياء . وأنزلت في الكتب ، وكلف بها جميع الأمم ولو ضمنا ، وأن نسبة النبوة إلى الإمامة كنسبتها إلى التوحيد في تلازم الإقرار بها وبقرينها ، بحيث إن الكفر بكل في حكم الكفر بالآخر . ولا يفيد الإيمان ببدن دون بعض ، وأن الأئمة مثل النبي في فرض الطاعة والأفضلية بعده على الخلائق أجمعين ، وكونهم وسائط ووسائل لسائر عباد الله المكرمين ، من الأنبياء والأوصياء والملائكة المقربين . . . . . عقد هذه المقالة الثانية لهذا الغرض فقال : « اعلم أن الأحاديث الغير المحصورة ، تدل على هذه الأمور المذكورة ، بل أكثرها مما هو مجمع عليه عند علمائنا الإماميين ، وقد نص على حقيقتها بل كون جلها من ضروريات هذا المذهب أعظم أصحابنا المحدثين ، وكفي في بيان ذلك ما ذكره من مباحث الإمامة وكتب فضائل الأئمة ، وسنذكر في هذا الكتاب لها شواهد كثيرة ، فلنستكنف ههنا بنقل شيء من تصريحات محقق أصحابنا في هذا الباب ، وذكر أقل قليل من نصوص الأئمة

الأطياب إذا لمس هنا موضع البسط والإطناب ويكفي ما سنذكره في تبصرة من هو من أولى الألباب ، فهنا فصول خمسة ، . . . ثم ساق الفصول الخمسة : فجعل الفصل الأول منها في بيان نبذ من تصريحات علماء الشيعة الإمامية

من عظم شأن الأئمة وولايتهم وكفر منكرهم ،

وجعل الفصل الثاني في بيان نبذ من الأخبار التي وردت في خصوص فرض

ولاية أهل البيت وحبهم وطاعتهم ، وأن ذلك مناط صحة الإيمان ، وشرط قبول الأعمال والخروج عن حد الكفر والشرك ، وأورد فيه ما جاء من ذم إنكار الولاية والشك فيهم ، وكفر مبغضهم ومخالفيهم .

وجعل الفصل الثالث في بيان بعض الأخبار التي وردت في أن الإقرار

بإمامة الأئمة وحبهم وولايتهم يتلو الإقرار بنبوة النبي صلى الله عليه وآله في مدخلية صحة الدين وصدق الإيمان ، كما أن الإقرار بالنبوة يتلو التوحيد في ذلك ، وأن نسبة النبوة إلى الإمامية ، كنسبتها إلى التوحيد في تلازم الإقرار بها وبقرينها ، بحيث إن الكفر بكل في حكم الكفر بالآخر ولا يفيد الإيمان ببعض دون الآخر .

وجعل الفصل الرابع في بيان بعض الأخبار التي وردت في خصوص

أن الولاية عرضت مع التوحيد على الخلق جميعا ، وأخذ عليهم الميثاق ، وبعث بها الأنبياء ، وأنزلت في الكتب ، وكلف بها جميع الأمم ، وأورد فيه ما يدل على أنها سبب إيجاد الخلق أيضا .

وجعل الفصل الخامس في بيان بعض الأخبار التي وردت في أن النبي

صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أول المخلوقين ، وأفضلهم ، وأكملهم ، وأكرمهم ، بحيث كانت الملائكة والأنبياء تتوسل بهم وولايتهم ، وتفخر الملائكة بخدمتهم ، وتعلموا التسبيح والتمجيد منهم ، وأنهم وولايتهم الغلة في الإيجاد ، والأصل في الطاعة والمعرفة .

ثم ذكر المقالة الثالثة وجعلها في بيان ما يوضح ورود بطون القرآن فيما يتعلق

بالولاية والإمامة ، بحسب الأخبار التي تدل على أن هذه الأمة تقتضى سنن الأمم السابقة ، وسيرة من كان قبلهم في كل أفعالهم وجميع أطوارهم وأعمالهم ، كما أنه كان كذلك في سائر الأمم . قال . « فإنها بحملتها - يعنى بطون القرآن - تقتضى بحسب إطف الله تعالى أن لا يترك الإنذار والتبشير فيهم ، كما لم يترك بالنسبة إلى سابقهم ، وأن يشير إلى الزين والشين في كل أو ان بالنسبة إلى أهل كل زمان . وحيث لم يكن وقت نزول القرآن بعض ما علم الله صدوره من هذه الأمة صار أبعد منهم ، فلا بد من الطافة الكاملة أن يجعل ذلك تأويل كلامه البليغ ، بحيث يستفاد من التثريل والتبليغ ، ولا شك أن هذا أبلغ في الإعجاز وأجمل للإيجاز . . . . » وقد أورد في جملة ما أورد من الأخبار في ذلك ، ما رواه الطبرسى في الاحتجاج عن علي عليه السلام أنه قال في قوله تعالى : « لتركبن طبقا عن طبق <sup>(١)</sup> » أى لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء . وما رواه الكليني في الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « لتركبن طبقا عن طبق ، قال : يا زرارة . . . أى لتركبن هذه الأمة بعد نبيها طبقا عن طبق في أمر فلان ، وفلان . وفلان ، قال المولى الكازراني : « أقول : أى كانت ضلالتهم بعد نبيهم مطابقة لما صدر من الأمم السابقة في ترك الخليفة واتباع العجل والسامري وأشياء ذلك . . . . » قال : ويحتمل أن يكون المعنى تطابق أحوال خلفاء الجور في الشدة والفساد ، اه ص ٢٣ و ٢٤ .

ثم ذكر المقدمة الثانية فتكلم في بيان ما يوضح وقوع بعض تغيير في القرآن وأنه السر في جعل الإرشاد إلى أمر الولاية والإمامة والإشارة إلى فضائل أهل البيت وفرض طاعة الأمة بحسب بطن القرآن وتأويله ، والإشعار بذلك على سبيل التجوز والرموز والتعويض في ظاهر القرآن وتنزيله فقال : « اعلم أن الحق الذي لا يحصى عنه بحسب الأخبار الواردة المتواترة الآتية وغيرها ، أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شيء

(١) الآية (١٩) من سورة الانشقاق .

من التغييرات ، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات ، وأن القرآن المحفوظ عما ذكر ، الموافق لما أنزله الله تعالى ، ما جمعه علي عليه السلام وحفظه إلى أن وصل إلى ابنه الحسن عليه السلام . . . . وهكذا إلى أن ينتهي إلى القائم عليه السلام ، وهو اليوم عنده صلوات الله عليه . ولهذا - كما قد ورد صريحاً حديث سند كره - لما أن الله عز وجل قد سبق في علمه الكامل صدور تلك الأفعال الشنيعة من المفسدين في الدين ، وأنهم بحيث كلما اطلعوا على تصريح بما يضرهم ويزيد في شأن علي عليه السلام وذريته الظاهرين ، حاولوا إسقاط ذلك رأساً أو تغييره محرفين ، وكان في مشيئته الكاملة ومن الطائفة الشاملة محافظة أوامر الإمامة والولاية ، وممارسة مظاهر فضائل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة ، بحيث تسلم عن تغيير أهل التضيق والتحرير ويبقى لأهل مفادها مع بقاء التكليف ، لم يكتف بما كان مصرحاً به منها في كتابه الشريف ، بل جعل جلّ بيانها بحسب البطون وعلى نهج التأويل . وفي ضمن بيان ما تدل عليه ظواهر التنزيل ، وأشار إلى جمل من برهانها بطريق التجوز والتعريض ، والتعبير عنها بالرموز والتورية وسائر ما هو من هذا القبيل ، حتى تم حجته على الخلائق جميعاً ولو بعد إسقاط المسقطين ما يدل عليه صريحاً بأحسن وجه وأجمل سبيل ، قال : « ويستبين صدق هذا المقال بملاحظة جميع ما نذكره في هذه الفصول الأربعة المشتملة على كل هذه الأحوال .

ثم عقد الفصل الأول في بيان نبدأ بما ورد في جمع القرآن ونقصه وتغييره ، من الروايات التي نقلها أصحابه من الإمامية في كتبهم .

وعقد الفصل الثاني في بيان نبدأ بما ورد في جمع القرآن ونقصه وتغييره ، والاختلاف فيه من الروايات التي نقلها المخالفون في كتبهم .

وعقد الفصل الثالث في بيان ما وعد به سابقاً ، من الخبر المشتمل على التصريح بتغيير القرآن ، وأنه هو السر في الإشارة إلى ما يتعلق بالولاية والإمامة على سبيل الرمز والتعريض .

وعقد الفصل الرابع في بيان خلاصة أقوال علمائهم في تغيير القرآن وعدمه وتزييف استدلال من أنكر التغيير .

ثم ذكر المقدمة الثالثة وقد عقدها لبيان ما يوضح نبذا من التأويلات المأثورة عن الأئمة السادات والمفهومة من بعض الروايات ، المرشدة إلى تأويل ما لم يظفر من تأويله على نص خاص من الكلمات القرآنية والآيات . قال : ويستبان بها أيضاً ما بينته من صحة ورود بطن القرآن فيما يتعلق بالولاية والإمامة ، وأن في هذا الأمر تأويل ما ورد تنزيهه فيما يتعلق بالتوحيد والنبوة . . . . . عقد هذه المقدمة لبيان ما تقدم فقال :

لأعلم أن التأويلات التي ظفرنا عليها من أخبار الأئمة الأطهار على ثلاثة أقسام :

الأول : ماورد مختصاً بكلمة أو آية مذكورة في موضع واحد بحيث لايجرى في غيرها ، ومحل ذكر مورده .

الثاني : ما ورد في آية أو كلمة قرآنية ولكنه بحيث يجرى في غيرها ، بل ربما يكون الورد على سبيل العموم أيضاً ، ونحن نذكر هذا القسم في هذه المقدمة مع نصه أو الإشارة إلى موضع ذكر النص .

الثالث : ما لم يرد في تأويل آية إلا أنه مما يجرى فيها ، كقوله عليه السلام : ونحن يد الله ، ونحوه ، ، وهذا أيضاً ما ذكره في هذه المقدمة مع ذكر نصه أو الإشارة إليه ، وفي هذين الأخيرين إذا وصلنا في كتابنا هذا إلى موضع يجرى فيه أحدهما أولئنا على وفقه بعد الإشارة إلى ورود التأويل وموضعه ، بل مع إعادة ذكر أكثر النصوص في مواردنا . ثم من هذه التأويلات ما هو على نهج الكناية والتعريض والمجازات العقلية ، ومنها ما هو من قبيل المجاز اللغوي ، وهما نحن نرتب هذه المقدمة على مقالتين ، نذكر في إحداهما ما ظاهره على النهج الأول مما لا بد من أفراد ذكره ، وفي الأخرى سائر التأويلات العامة مع نصوصها . ثم نلحقها بخاتمة نختم بها المقدمات . ٣٦ ص .



ثم ذكر المقالة الأولى : فجعلها في بيان بعض التأويلات التي لا بد من إفراد ذكرها من حيث عظم فوائدها ، وجعلها من قبيل المجازات العقلية ، والتجوز في الإسناد ، والكنائية ، والتعويض وإن أمكن التكلف في إدخال بعضها تحت المجاز اللغوي ، وقد جعل هذه المقالة مشتملة على سبعة فصول :

جعل الفصل الأول منها : في بيان ما يظهر من الأخبار من أن الله عز وجل كثيراً ما أراد في كتابه بحسب الباطن بالألفاظ والخطابات الواردة ظاهراً على سبيل العموم خصوص بعض أفراد ما صدقت عليه ، كالآئمة أو شيعتهم أو أعدائهم أو نحو ذلك . قال : ويدل على هذا أحاديث كثيرة : منها ما سياتي في تأويل الكافرين بمن كفر بالولاية ، والمنافقين بمن نافق فيها ، والمشركين بمن أشرك مع الإمام من ليس بإمام ، وأشباه ذلك ... ثم قال : والحق أنه إذا تأمل بصير في أكثر ما ورد من تفسير البطن علم أن معظم ذلك من هذا القبيل ، وهو مجاز شائع ذائع استعماله في كثير من الألفاظ العامة والمطابقة ونحوها . . . إلخ اهـ ص ٣٦ .

وجعل الفصل الثاني : في بيان ما يظهر من الأخبار أن الله تعالى كثيراً ما يخاطب بخطاب أو وصف صادق على الماضين من أهل أزمان النبي صلى الله عليه وسلم والأمم السالفة بحسب الظاهر ، ومراده بحسب التأويل والباطن من صدق ذلك الخطاب أو الوصف عليه من هذه الأمة بالنظر إلى حال الإمامة والولاية وإن لم يكن في ذلك الزمان ... ثم ذكر في ضمن ما رواه من الأخبار الدالة على ذلك ما جاء في تفسير العياشي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله في قوله عز وجل : ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (١) ، قال : قوم موسى : هم أهل الإسلام . قال المولى : والظاهر أن مراده عليه السلام ، أن نظيره جار فيهم ، وإنما ذكر في الآية تمثيلاً لحال هذه

---

(١) في الآية (١٥٩) من سورة الأعراف

الأمة ، ويؤيده ماسياتى فى الأئمة (١) فلا ينافى هذا ما هو الظاهر عن الآية من وجود جماعة فى قوم موسى هادين إلى الحق صريحاً كما يظهر من بعض الأخبار

٢٧ ص ١

وجعل الفصل الثالث : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الله سبحانه قد يريد بخطابه فى كتابه بحسب التأويل والبطن مخاطباً غير من يفهم من الظاهر كون الخطاب متوجهاً إليه . وكان ذلك فى أثناء الخطاب وبين الخطاب مع المخاطب المفهوم من الظاهر وفى آية واحدة ، وذلك كما ورد فى خبر جابر من قوله عليه السلام « إن الآية لتسكون أولها فى شىء وآخرها فى شىء ، وما ورد فى الكافى وفى تفسير العياشى عن عبد الله بن بكير عن أبى عبد الله قال : « نزل القرآن بإياك أعنى واسمعى يا جارة ، وفيهما أيضاً عن أبى عمير عن حدثه عن أبى عبد الله قال « ما خاطب الله به فهو يعنى به من قد مضى ذكره فى القرآن مثل قوله « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، عنى بذلك غيره . قال بعض المحدثين : لعل المراد من مضى ذكره فى القرآن من الذين أسقط أسماءهم الملقدون فى آيات ... قال وفى كثر الفوائد عن الأعمش قال سمعت عطاء بن أبى رباح يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل « ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد » (٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا وعلى نلقى فى جهنم كل من عادانا ... الخبير ، ٣٧ ص ١ »

وجعل الفصل الرابع : فى بيان ما يظهر من الأخبار من أن الضمير فى القرآن قد يكون بحسب التأويل راجعاً إلى شىء ليس بمدكور صريحاً ، بل مقصود بحسب الباطن ومعمود تأويلاً ، كالضمائر التى ورد رجوعها إلى الولاية أو إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو نحو ذلك ، بلا سبق ذكر ظاهره . ثم ذكر

(١) لعله يريد قوله تعالى بمد هذه الآية مباشرة « وقطفناهم اثنتى عشرة أسباطا

أمام . « الآية » حيث يحمل على الأئمة الاثنى عشر

(٢) الآية (٣٤) من سورة ق

ماورد من الأخبار في ذلك ، منها : ما رواه الكليني عن المفضل قال . سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل « قال الذين لا يرجون لقاءنا آتت بقرآن غير هذا أو بدله (١) » قال : قالوا أو بدل علياً ... وما ورد في كنز الفوائد للسكر الكجى من تأويل أهل البيت في حديث أحمد بن إبراهيم عنهم عليهم السلام قالوا « وتعملون رزقكم (٢) » ، أى أن شكر النعمة التي رزقكم وما من عليكم بحمد وآله « أنكم تكذبون ، أى بوصيئته . فلولا إذا بلغت الحلقوم \* وأنتم حينئذ تنظرون ، إلى وصيه على عليه السلام يبشر وليه بالجنة « ونحن أقرب إليه منكم ، يعنى أقرب إلى أمير المؤمنين على منكم « ولكن لا تبصرون ، أى لا تعرفون . ومنها ماورد في تفسير القمى عن أبي الشمال عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى في سورة المدثر « إنها لإحدى الكبر ، نذيراً للبشر (٣) » ، قال : يعنى فاطمة : وكذا قال في سائر الضمائر التي في السورة .  
هـ ص ٢٨ .

وجعل الفصل الخامس : في بيان ما يدل على أنه لا استبعاد في أن يحمل ما عبر عنه بالماضى على ما هو المستقبل الآتى كما يقتضيه كثير من التأويلات . فقال : روى الكليني في السكافي بإسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : إذا علم الله شيئاً هو كائن أخبر خبر ما قد كان ، يعنى إذا كان في علم الله تعالى الكامل وقوع الشيء لا محالة وأنه سيكون قطعاً ، أخبر عنه على سبيل ما قد مضى وكان ، سواء كان ذلك مما يدل عليه ظاهر القرآن وتنزيله ، أو باطنه وتأويله ، كما هو مقتضى التطابق كأحوال يوم القيامة مثلاً ، والثواب والعقاب وسائر ما هو من هذا القبيل كالجمعة وما يكون فيها ، وما يصدر من الأمة

(١) في الآية (١٥) من سورة يونس

(٢) هي وما بعدها إلى قوله « ولكن لا تبصرون » الآيات (٨٢ - ٨٥)

من سورة الواقعة .

(٣) الآيتان (٣٥ ، ٣٦) من سورة المدثر

بالنسبة إلى الإمامة وأمثال ذلك .. قال : ولا يخفى أنه بناءً على هذا يرتفع الاستبعاد المذكور . ٥١ ص ٢٨ .

وجعل الفصل السادس : في بيان ما يظهر من الأخبار من أن إيراد أكثر الأشياء التي نسبها الله عز وجل إلى نفسه على صيغة الجمع وضميره كقوله سبحانه وتعالى : فلما آسفونا انتقمنا منهم <sup>(١)</sup> ، وقوله عز وجل : إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم <sup>(٢)</sup> ، وأمثالها من الكلمات القرآنية فإن السرفه إدخال النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة فيها ، بل إنهم هم المقصودون في كثير منها . وعد هذا من قبيل المجازات الشائعة في كلام الملوك والأعظم ... ثم قال : فلنكتف ههنا بنقل بعض الأخبار الدالة عليه ، وذكر أخباراً منها : مرواه الكليني في الصحيح عن حمزة بن بزيع عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : فلما آسفونا انتقمنا منهم ، فقال : إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون وهم مخلوقون مربوبون ، فجعل رضاهم رضى نفسه ، وسخطهم سخط نفسه ؛ لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه ... الخ ، وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل إلى خلقه ، ولكن هذا معنى ما قال من ذلك ، وقد قال : من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ودعاني إليها ، وقال : من يطع الرسول فقد أطاع الله <sup>(٣)</sup> ، وقال : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم <sup>(٤)</sup> ، قال وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك الخبر ولا يخفى صراحة في المقصود ههنا ... قال : وفي الكافي وغيره عن زرارة عن أبي جعفر قال : سألته عن قول الله عز وجل : وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، فقال : إن الله أعظم وأعز وأجل من أن يظلم ،

(١) في الآية (٥٥) من سورة الزخرف .

(٢) في الآيات (٢٥، ٢٦) من سورة الناشية .

(٣) في الآية (٨٠) من سورة النساء .

(٤) في الآية (١٠) من سورة الفتح .

ولكن خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته حيث يقول .  
(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) (١) يعني الأئمة منا . ص ٣٩ .

وجعل الفصل السابع : في بيان ما يظهر من الأخبار من إطلاق لفظ  
الجلالة والإله والرب بحسب بطن القرآن وتأويله على الإمام في مواضع  
عديدة ، بل هكذا حال بعض الضمائر الراجعة بحسب التنزيل إليه سبحانه وأن  
تأويل ما نسبته الله إلى نفسه بإضافته إلى هذه الألفاظ من العبادة ، والإطاعة  
والمعرفة ، والرضى ، والسخط ، والمخالفة ، والفقر ، والغنى ، إلى غير ذلك هو  
ما يتعلق بالإمام كمتابعته ، وإقامته ، وإطاعته ، ورضاه ، وسخطه ، وسبه ،  
وأذاه ، ومخالفته ، وغناه ، وفقره ، ونحو ذلك . وعد ذلك من قبيل المجازات  
العقلية والتجوز في الإسناد . قال : لكن يظهر من بعض ما سنذكره من  
الأخبار أن في ذلك ما هو من قبيل المجاز اللغوي أو التشبيه بالمعنى العرفي .  
ثم ذكر بعض ما هو نص في بيان المقصود ، فذكر من ذلك ما رواه الطبرسي  
في الاحتجاج عن علي عليه السلام أنه قال في حديث له طويل : إن قوله تعالى :  
« وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله (٢) » وقوله « وهو معكم أينما كنتم (٣) » ،  
وقوله « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم (٤) » ، وإنما أراد بذلك استيلاء  
أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه ، وأن فعلهم فعله . . . الخبر ،  
وما رواه العياشي في تفسيره عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام  
يقول « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد (٥) » ، يعني بذلك  
لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد ، وما جاء في كينز الفرائد للكر الكجى عن  
علي بن أسباط عن إبراهيم الجعفرى عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه

(١) في الآية (٥٥) من سورة المائدة

(٢) في الآية (٨٤) من سورة الزخرف .

(٣) في الآية (٤) من سورة الحديد .

(٤) في الآية (٧) من سورة المجادلة .

(٥) في الآية (٥١) من سورة النحل .

السلام في قوله تعالى : وأله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (١) ، قال : أى أنمام  
هدى مع إمام ضلال في قرآن واحد؟ وما رواه القمى في تفسير قوله تعالى :  
و أشرفت الأرض بنور ربها (٢) ، أن الصادق عليه السلام قال : أى رب  
الأرض . يعنى إمام الأرض ، وما جاء في تفسير القمى في قوله تعالى : مثل  
الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح . . . الآية (٣) ، قال : من  
لم يقرب بولاية على عليه السلام بطل عمله مثل الرماد الذى تجىء الريح فتحمله ،  
وما جاء في كنز الفوائد من تأويل قوله تعالى : قال أما من ظلم فسوف نعذبه  
ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا (٤) أن الإمام عليه السلام قال : هو يرد إلى  
أمير المؤمنين عليه السلام فيعذبه عذابا نكرا ، ثم يقول ديا ليتنى كنت ترابا (٥) ،  
أى من شيعة أبى تراب . اه ص ٤١

وأما المقالة الثانية : فهى فى بيان سائر التأويلات العامة التى تجرى فى غير  
موضعها وتعم أكثر من موضع واحد مع نصوصها وأدلتها . وقد رتب المولى  
مافى هذه المقالة على ترتيب حروف الهجاء ونهج فيها منهج كتب اللغة بملاحظة  
الحرف الأول ، ثم الآخر ثم الثانى . فمن ذلك الذى ذكره ما يأتى :

( الإصر ) قال هو فى سورة البقرة ، وآل عمران ، والأعراف . وفى  
أساس البلاغة : الإصر : الثقل . وفى القاموس : الإصر بالكسر : الذنب ،  
وسياتى فى الذنب تأويله . وقد روى الكلينى أيضا عن الباقر عليه السلام فى  
قوله تعالى : ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم (٦) ، أنه قال  
الإصر الذنوب التى كانوا فيها قبل معرفة فضل الإمام ، فلما عرفوا فضل

- (١) فى الآية (٦١) من سورة النمل .
- (٢) فى الآية (٦٩) من سورة الزمر .
- (٣) فى الآية (١٨) من سورة إبراهيم .
- (٤) فى الآية (٨٧) من سورة الكهف .
- (٥) فى الآية (٤٠) من سورة النبأ .
- (٦) فى الآية (١٥٧) من سورة الأعراف .

الإمام وضع عنهم الإصر ، قال : قال عليه السلام : الإصر الذنب ، وهي الأصار .. الخبر ، وتأويله ظاهر . وفي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام أنه قال في قوله تعالى ، وأخذتم على ذلکم إصرى<sup>(١)</sup> ، أى عهدى . أى عهد الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ونصرة على عليه السلام . اه ص ٥٠

(الباطل) قال : الباطل والمبطلون ، والباطل ضد الحق وقد ورد تأويله بأعداء الأئمة ، وبدولة الباطل ؛ وبما كان عليه بنو أمية وأشباهم من غاصبي الخلافة ، كمدارة الأئمة وغيرها ، ومنه يظهر المراد بالمبطلين أى مدعى الباطل وأتباعهم ، ففي تفسير القمي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ، ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل<sup>(٢)</sup> ، قال هم الذين اتبعوا أعداء على وآل الرسول .. الخبر . اه ص ٧٠

(الراففة) قال : الراففة ، والرادفة ، والرجفة ، والمرجفون : أصل الرجفة الحركة والاضطراب ، ومنها الأرجوفة للكذب الذى يوقع فى الاضطراب . وفي سورة الأحزاب [ فى الآية ٦٠ ] ، والمرجفون فى المدينة ، قال : وسيأتى هناك عن الصادق عليه السلام : أن الراففة الحسين عليه السلام ، والرادفة أبوه على عليه السلام ، وأن أول من ينفض التراب عن رأسه فى الرجفة الحسين عليه السلام . وقد فسرهما المفسرون بالنفخ الأول ، والرادفة بالنفخ الثانى ، وهو أيضا مناسب للتأويل المذكور كما سيأتى فى الصور . وربما أمكن لإجراء ما ذكرناه من التأويل فى بعض موارد الرجفة على حسب التناسب ، بل يمكن التأويل أيضا بقيام القائم ورجعة الناس فلا تغفل . اه ص ١٠٩

(الزيت والزيتون) قال أما الزيتون فعروف . وأما الزيت ففرد منه . ويأتى إن شاء الله فى المشكاة ، وفى سورة النور عند تأويل آية النور ما يدل على تأويل الزيت بالعلم ، وفى سورة (التين) ما يدل على تأويل الزيتون بالحسين ، وقد أوله القمي أيضا بعلى عليه السلام كما سيظهر فى السورة

(١) فى الآية (٨١) من سورة آل عمران .

(٢) فى الآية (٣) من سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

المذكورة ، ولعله يمكن إجراء ذلك في غير تلك السورة أيضا . وقد قيل في وجه هذه الاستعارة : إن الزيتون فاكهة وإدام ودواء وله دهن مبارك لطيف ، وعلى عليه السلام وكذا الحسين عليه السلام كل واحد ثمرة فؤاد المقربين ، وعلومه قوة قلب المؤمنين ، وبنوره ونور أولاده الطاهرين اهتدى جميع المهتدين ، وقد مثل الله نوره بأنوارهم كما شاع في أخبارهم ، ثم قد ورد تأويل الزيتون ببیت المقدس كما يأتي في ( الطور ) اه ص ١١٣ .

( القبلة ) قال في القاموس : القبلة التي يصل نحوها ، والجهة : والسكبة ، وكل ما يستقبل - يقال : ماله قبلة ولا دبرة بكسرهما أى وجهة . هذا وقد مر في الصلاة ما يدل على تأويل القبلة بالأئمة عليهم السلام ، وأنهم المراد بها بحسب بطن القرآن ، واستقبالها كناية عن التمسك بهم واتباعهم ونحو هذا . وفي تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام نحن قبلة الله ونحن كعبة الله ، وسيأتي بعض المؤيد في ( السكبة ) والله الهادي . اه ص ١٨٣  
ثم ذكر الخاتمة ، وجعلها مشتملة على فصلين :

### الفصل الأول : في بيان نبد مما ورد من تأويلات الحروف المقطعة التي

في أوائل بعض السور فقال : اعلم أن أصل تركيب مقطعات أوائل السور من غير ملاحظة ما تكرر منها أربع عشرة بعدد المعصومين الأربعة عشر النبي وفاطمة والأئمة الإثني . والسور هي هذه : ألم . ألمص . أر . ألمر . كهيعص . طه . طسم . طس . يس . ص . حم . حمع . سق . ق . ن . ثم قال : وفي معاني الأخبار بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ألم حروف من حروف اسم الله الأعظم المقطع في القرآن ، الذي يؤلفه النبي والإمام عليه السلام ، فإذا دعا به أجيب ، قال بعض الأفاضل : في هذا الحديث دلالة على أن الحروف المقطعات أمرار بين الله ونبيه ، ورموز لم يقصد بها إفهام غيره وغير الراسخين في العلم من ذريته . أقول : ويؤيده ما في تفسير الإمام عليه السلام : أن معنى ألم أن هذا الكتاب الذي أنزلته هو الحروف المقطعة التي منها ألم وهو بلغتمك وحروف هجانكم ، فاتوا بمثله



إن كنتم صادقين . . . ثم قال وسنشير فيما ورد في ( ص ) إلى ما يدل على أن جميع المقطعات القرآنية اسم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولنذكر بعض ما يتعلق بتأويلها على ترتيبها . فما ورد في ألم ، والمص ، وألر ، وألمر . ما قيل من أن معنى ألم : أنا الله أعلم وأرى . والمص : أنا الله أعلم وأفضل . وعلى هذا يمكن التأويل بأنه أعلم حيث اختار محمداً وعلياً وأهلها الطيبين للنبوته والإمامة وأنزل لهم وفيهم كتابه المجيد ، وعلى هذا القياس تأويل ما يأتي بعده . . الخ )  
٥١ ص ٢٣١ .

ثم قال وأما ( كهيعص ) فعناه أنا الكافي الهادي ، والوالى العالم الصادق  
الوعد . . .

أقول : تأويل هذا : ما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال : أي كاف لشيعتنا ، هاد لهم ، ولى لهم ، وعده حق ، يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إياها في بطن القرآن - وما في الاحتجاج والمناقب وإكمال الدين عن سعد بن عبد الله عن الجحفة القائم عليه السلام أنه سأل عن تأويل ( كهيعص ) فقال . إن هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريا ، ثم فصلها على محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن زكريا سأل ربه أن يعمله بأسماء الخمسة ، فأهبط الله عليه جبريل عليه السلام فعلمه إياها ، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً ، وفاطمة ، والحسن سرى عنه همه وانجلي كربه ، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة . فقال ذات يوم : إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعا منهم تسليت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ؟ فأنبأه تبارك وتعالى عن قصته فقال : كهيعص ، فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة والياء يزيد لعنه الله . . وهو ظالم الحسين ، والعين عطشه . والصاد صبره ، فلما سمع بذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ، ومنع فيها الناس من الدخول عليه . . . الخبر .

قال وسيأتي تتمته في سورتة . ٥١ ص ٢٣٣ .  
وجعل الفصل الثاني من الخاتمة في ذكر بعض الفوائد .

فالفائدة الأولى : بين فيها أن دأبه في هذا التفسير على شيئين :

أحدهما : تأويل ما ورد بحسب التنزيل بالنسبة إلى الأمم السابقة وما صدر منهم بالنسبة إلى إطاعة أنبيائه وعصيانهم، بأن المراد الإطاعة وعدمها فيما بلغوا إليهم وأمرهم به من الإقرار بولاية النبي والأئمة ، والاعتراف بحقهم ، والتسك بهم ، مع التبرى من أعدائهم . بمد الإقرار بالله ورسله . وتصديقهم فيما بلغوا جميعاً ، لا سيما الولاية .

وثانيهما : تطبيق كثير مما ورد بالنسبة إلى تلك الأمم وإلى إطاعتهم وإلى

معصيتهم وما ورد عليهم من الشر والنقم والخير والنعم وغير ذلك على طوائف هذه الأمة فيما صدر منهم بالنسبة إلى إطاعة النبي والأئمة في أمر الولاية وعدمها ، وما ورد ويرد عليهم من الشر والخير لذلك ، وذلك بتمثيل الخيار بالأخيار ، والأشرار بالأشرار ، وتبيان وجه الشبه في تنظيم أفعالهم بأفعالهم ، كتنظيم أصحاب السبت بقتلة ذرية النبي كبنى أمية وبنى العباس مثلاً، وأصحاب الكهف بأبي طالب ونظر أنه مثلاً ، وأصحاب العجل بأهل السقيفة ، وغير ذلك . ١٠٠ ص ٢٣٥ .

والفائدة الثانية : بين فيها أن المراد في الباطن بجميع ما حرم الله في القرآن

أئمة الجور ، وبما أحل أئمة الحق ، وأنهم أصل كل خير ، ومن فروعهم كل بر ، واعدائهم أصل كل شر ، ومن فروعهم كل قبيح وفاحشة ، وأن أعداءهم المراد بالفواحش والمناهي وما يعبد من دون الله . ١٠٠ ص ٢٣٦ .

والفائدة الثالثة : قال فيها لأنه تقدم وجوب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه

معاً ، وأن كلا منهما مقصود البارئ ، ولكن لما كانت التفاسير المتداولة مشتملة على جل ما يتعلق بالظاهر . وكان مقصدنا بالذات من وضع هذا الكتاب إبراز خبايا التأويلات المستفاد من الأئمة السادة ؛ لخلو أكثر التفاسير عنها جميعاً ، ومن أكثرها ، جعلنا مدار كلامنا على تبين هذا الأمر وبيان ما يتعلق بالباطن فلا نتعرض لما يتعلق بالظواهر مفصلاً ، حذراً من التطويل والخروج عن المقصود الأصلي . ١٠٠ ص ٢٣٦ .

والفائدة الرابعة : بين فيها أن كل ما ذكره من تأويل الآيات والكلمات القرآنية في تفسيره ، فبناه على التجوز في المعنى ، أو الإسناد ، أو نحو ذلك من وجوه الاستعارات وأمثالها . قال : ومع هذا لا يجوز ذلك في موضع إلا بعد وجدان مستند له فيه وفي مثله ، أو بحسب العموم والإطلاق الشامل ٥١ ص ٢٣٦ .

والفائدة الخامسة : بين فيها أنه اقتصر في نقل الأخبار على موضع الحاجة منها وما يدل على المراد ، مخافة التطويل .

قال : فربما فرقنا مضمون خبر على مواضع ، وربما نقلنا خلاصة مضمون روايته ، ولكن كل ذلك بحيث لا يخل بالحديث ولا يتغير منه معناه ٥١ ص ٢٣٦ .  
والفائدة السادسة : بين فيها أن كل ما ذكره في تفسيره من التأويلات فهو غير خال من المستند المستفاد من الأئمة عليهم السلام . . . ٥١ ص ٢٣٦ .

والفائدة السابعة : بين فيها أن الرجعة من ضروريات مذهب الشيعة ، وادعى تواتر الأحاديث المثبتة لها في الجملة وإن كانت مختلفة في تفصيلها وقال : لقد وقفت على أزيد من مائتي حديث فيها ، ثم ذكر من الأخبار ما يدل على ذلك . . . ٥١ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

ثم قال . وليكن هذا آخر ما أردنا إيراده في مقدمات تفسيرنا ، ونشرع بعد هذا في أصل التفسير إن شاء الله تعالى وبجوله وقوته وتوفيقه ، حامداً ومصلياً ومسلماً ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الأئمة المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، حمداً وصلوة وتسليماً كثيراً كثيراً . . . ٥١ . . .

ولكن أين هذا التفسير؟؟ . . . قلنا لم نعر عليه في مكتبة من مكاتبنا المصرية . وقلنا : لأنه لو وقع لنا لكان خير مرجع يصور لنا معالم التفسير عند الإمامية الإثني عشرية . . . ولكن أأست معي في أن هذه المقدمة التي لخصت لك أهم مباحثها ، تكشف لنا إلى حد كبير عن مذهب صاحبها في تفسيره ،

وعن مقدار تأثيره بعقيدته في فهمه لكتاب الله ؟ أظن أنك معي في هذا وإليك أسوق أهم القواعد التي سار عليها المولى عبد اللطيف في تفسيره ، وهي قواعد استخلصتها ولخصتها من مقدمة تفسيره ، ولا أحسب أنه تخطاها أو شذ عنها بعد ما دافع عنها وقواها بما استطاع من الأدلة . وهذه هي أهم القواعد :

أولاً : القرآن له ظهر وبطن ، بل كل فقرة من كتاب الله لها سبعة وسبعون بطناً ، وجملة باطن الكتاب في الدعوة إلى الإمامة والولاية ، وجملة ظاهره في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة ، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على المدح والإكرام ففي أئمتهم ، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على التهديد والوعيد والنويخ والتفريع ففي مخالفهم وأعدائهم نزلت .

ثانياً : لا تقتصر معاني الآيات القرآنية على أهل زمان واحد ، بل لكل آية تأويل يجري في كل أوان وعلى أهل كل زمان .

ثالثاً : معاني القرآن الظاهرة متناسبة مع معانيه الباطنة .

رابعاً : المعاني الباطنة ليست جملتها بما استعمل فيها اللفظ على سبيل الحقيقة بل أكثرها ومعظمها على طريق التجوز ونهج الاستعارة وسبيل الكناية ومن قبيل المجازات اللغوية والعقلية ، وهذا في تقديره أمر لاغرابة فيه ولا استبعاد ؛ إذ أن أبواب التجوز في كلام العرب واسعة ، وموارده في عبارات الفضحاء سائغة .

خامساً : يجب على الإنسان أن يؤمن بظاهر القرآن وباطنه على السواء ، كما يجب عليه أن يؤمن بمحكم القرآن ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وبسائر ما يعلق بذلك تفصيلاً أو إجمالاً إن لم يعلم التفصيل من أهل البيت ، ومن أنكر الظاهر وأقر بالباطن أو العكس فهو ملحد كافر ، بل ويجب على كل إنسان أن يصدق بكل ما نقل عن الأئمة من تفسير وتأويل وإن لم يفهم معناه ، ومن الجرأة أن ينسك أحد شيئاً من ذلك لحفائه عليه .

سادساً : علم تأويل القرآن جميعه عند الأئمة ، وهذا أمر اختصو به دون

من عدامه ؛ فلماذا لا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه وبدون سماع منهم ؛ لأنه لاشبهة في أن من عدامه تقصر علومهم وتعجز أفهامهم عن الوصول إلى كثير من ظواهر القرآن فضلاً عن بواطنه وتأويله .

سابعاً : ما علم الله صدوره من هذه الأمة المحمدية في الأزمنة المستقبلية — أى بعد نزول القرآن — أشار الله إليه ونبه عليه في كتابه الكريم ؛ فكل ما وجد ويجد من الحوادث بعد نزول القرآن يستفاد من آياته عن طريق تأويلها ، وهذا أبلغ في الإعجاز وأجمل للإيجاز ، فقوله تعالى ( لتكن طبقاً عن طبق ) وتأويله الإخبار من الله بأن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء .

ثامناً : القرآن الذي جمعه على عليه السلام وتوارثته الأئمة من بعده هو القرآن الصحيح ، وما عداه وقع فيه التغيير والتبديل ، فكل ما ورد صريحاً في مدح أهل البيت وذم شائقيهم أسقط من القرآن أو حرف وبدل ، ولعلم الله بما سيكون من التغيير والتبديل لم يكنف الله تعالى بالإرشاد إلى أمر الإمامة والولاية وفضائل أهل البيت ومثالب أعدائهم بما صرح به القرآن ، بل أرشد إلى ذلك أيضاً بحسب ما يدل عليه باطن اللفظ وتأويله ؛ لتقوم بذلك الحججة على الناس وإن حرف القرآن وبدل .

تاسعاً : كثيراً ما يريد الله في كتابه بحسب الباطن بالألفاظ والخطابات الواردة ظاهراً على سبيل العموم خصوص بعض أفراد ما صدقت عليه ، كالأئمة أو شيعتهم أو أعدائهم أو نحو ذلك ، كما ورد في تأويل المشركين بمن أشرك مع الإمام من ليس بإمام .

عاشراً : ما ورد من الخطاب للأمة السابقة كثيراً ما يراد به بحسب الباطن ما يصدق عليه الخطاب من هذه الأمة بحسب الإمامة والولاية وغيرهما ، مع إرادة الظاهر أيضاً مثل د ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، أراد في الباطن بقوم موسى أهل الإسلام

الحادية عشرة : قد يراد بالخطاب في الباطن مخاطباً غير من نفعهم من الظاهر

كون الخطاب له ، كما ورد عن أبي عبد الله أنه قال : « نزل القرآن بإيائك أعني واسمعي يا جارة ، فقوله تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ، عني به غير النبي ،

الثانية عشرة : قد يرجع الضمير بحسب التأويل والباطن إلى ما لم يسبق له ذكر صريحاً ، مثل قوله تعالى : ( قالوا أنت بقرآن غير هذا أو بدله ) يعني أو بدل علياً .

الثالثة عشرة : ما نسبه الله إلى نفسه بصيغة الجمع أو ضميره كقوله : ( فلما آسفونا انتقمنا منهم ) السر فيه إدخال النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة في مفهومه وهذا مجاز شائع معروف .

الرابعة عشرة : لفظ الجلالة وما شاكلة والضمائر الراجعة إلى الله في الظاهر مراد به الإمام باطناً وتأويلاً ، وهذا مجاز شائع معروف .

هذه هي أهم القواعد التي سار عليها المؤلف في تفسيره ، وهي كما ترى ملخصة من مقدمة تفسيره .

## (٢) تفسير الحسن العسكري

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد الحسن بن علي الهادي بن محمد الجواد ابن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب. الإمام الحادي عشر عند الإمامية الاثني عشرية والمعروف بالحسن العسكري (١). وهو والد المهدي المنتظر .

ولد سنة ٢٣١ هـ لإحدى وثلاثين ومائتين من الهجرة وقيل سنة ٢٢٢ هـ بالمدينة على الراجح ، وتوفي بسر من رأى سنة ٢٦٠ هـ ستين ومائتين ودفن بها بجانب أبيه (٢) .

التعريف بهذا التفسير :

عثرنا على هذا التفسير في دار الكتب المصرية فوجدناه منسوبا إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري ، ومرويا عنه برواية يعقوب يوسف بن محمد بن زياد ، وأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن سيار، وهما من الشيعة الإمامية، وقد تلقيا هذا التفسير وكتباه عن الحسن العسكري في سبع سنين. ولهما في تلقى هذا التفسير عن الحسن العسكري قصة غريبة في مقدمة الكتاب حدثا بها فقالا ما ملخصه : كنا صغيرين . وكان أبوانا إماميين ، وكانت الزيدية هم الغالبين بإستراباد ، وكنا في إمارة الحسن بن زيد العلوي ، الملقب بالداعي إلى الحق ، إمام الزيدية ، وكان كثير الإصغاء إليهم ، يقتل الناس لسعائاتهم ، فخاف أبوانا

(١) العسكري نسبة إلى العسكر وهي سر من رأى ؛ لأن المتصم لما بناها وانتقل إليها بمسكده قيل لها العسكر . وإنما نسب المذكور إليها لأن التوكل أشخص أباه عليا إليها وأقام بها مدة طويلة ، فنسب وولده هذا إليها .

(٢) وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣٩ — ٢٤٠ ، وله ترجمة مستفيضة في أعيان

الوشاية بهما عنده فخر جا بنا وبأهلينا إلى حضرة الإمام أبي محمد الحسن بن علي ابن محمد أبي القائم ، فلما دخلا عليه قال لهما مرحبا بالآوين إلينا ، المتجئين إلى كنفنا ، قد تقبل الله سعيكما ، وأمن روعكما ، وكفا كما أعداءكما ، فانصرفا آمين على أنفسكما وأموالكما ، قالا : فاذا تأمر أيها الإمام ؟ أن نرجع في طريقنا إلى أن ننهي إلى بلد خرجنا منه ؟ وكيف ندخل ذلك البلد ومنه هربنا وطلب سلطان البلد لنا حديث ، ووعيده إيانا شديد ؟ فقال عليه السلام : خلفا على ولديكما هذين لأفيدهما العلم الذي يشرفهما الله به ، ثم لا تحفلا بالسعاة ولا بوعيد المسعى إليه ؛ فإن الله عز وجل يقصم السعاة ويلجئهم إلى شفاعتكم فيهم عند من هربتم منه .

قال أبو يعقوب وأبو الحسن : فآتئرا لما أورا ، وخرجا وخلفانا هناك ، فكنا نختلف إليه فيتلقانا بئر الإمام وذوى الأرحام الماسة ، فقال لنا ذات يوم إذا أنا كما خبر كفاية الله عز وجل أبويكما ، وإخزائه أعداءهما ، وصدق وعدى إباهما ، جعلت من شكر الله عز وجل أن أفيدكما تفسير القرآن مشتملا على بعض أخبار محمد صلى الله عليه وسلم ، فيعظم الله بذلك شأنكما ، قالا : ففرحنا وقلنا يابن رسول الله .. فإذا نأتى جميع علوم القرآن ومعانيه ، قال : كلا إن الصادق علم ما أريد أن أعلمكما بعض أصحابه وفرح بذلك وقال : يابن رسول الله قد جمعت علوم القرآن كلها ، قال : قد جمعت خيرا كثيرا ، وأوتيت فضلا واسعا ، ولكنه مع ذلك أقل قليل أجزاء علم القرآن إن الله عز وجل يقول : « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا (١) » ، ويقول : ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (٢) ، وهذا علم القرآن ومعانيه وما أودع من عجائبه ، فكيف ترى مقدار ما أخذته من جميع هذا القرآن ؟ ولكن القدر الذى أخذته قد فضلك الله به على كل من لا يعلم كملك ولا يفهم كفهيمك .

(١) الآية (١٠٩) من سورة الكهف . (٢) الآية (٢٧) من سورة لقمان .



ثم ذكر ما كان من أمر عدول الحسن بن زيد العلوي عن بطشه وفتكه ،  
وعدم تعرضه للناس في مذاهبهم ، وأمره لأبويهما بملازمة الإمام أبي محمد  
الحسن العسكري لما سمع بهذا قال : هذا حين إنجازي ما وعدتكم من تفسير  
القرآن ، ثم قال : قد وظفت لك كل يوم شيئاً منه تكتبانه ، فالزماني وواظبا  
على توفيق الله تعالى من العبادة حظوظكم . فأول ما أملى علينا أحاديث في فضل  
القرآن وأهله ، ثم أملى علينا التفسير بعد ذلك فكتبناه في مدة مقامنا عنده ،  
وذلك سبع سنين ، نكتب في كل يوم منه مقدار ما ننشط له ، فكان أول ما أملى  
علينا وكتبناه قال : حدثني أبي : علي بن محمد ، عن أبيه : محمد بن علي ، عن أبيه :  
علي بن موسى ، عن أبيه : موسى بن جعفر ، عن أبيه : جعفر بن محمد الصادق ،  
عن أبيه : الباقر محمد بن علي ، عن أبيه : علي بن الحسين زين العابدين ، عن  
أبيه : الحسين بن علي سيد المستشهدين ، عن أبيه : أمير المؤمنين وسيد الوصيين  
وخليفة رسول الله رب العالمين ، فاروق الأمة ، وباب مدينة الحكمة ، ووصو ،  
رسول الرحمة ، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، عن رسول  
رب العالمين ، وسيد المرسلين ، وقائد الغر المحجلين ، والمخصوص أشرف  
الشفاعات في يوم الدين ، صلى الله عليه وآله أجمعين . . . ثم ذكر شيئاً من  
الأخبار في فضل القرآن وحملته . . . ثم قال : قال رسول الله : أندرون من  
التمسك الذي بتمسكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الذي أخذ القرآن وتأويله  
عنا أهل البيت ، وعن وسائطنا السفراء عنا إلى شيعتنا ، لاعن آراء المجادلين  
وقياس القايسين . . . ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :  
« يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة  
للؤمنين » قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ، (١) . قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل الله عز وجل القرآن والعلم بتأويله .  
وبرحمته : توفيقه لموالاته محمد وآله الطيبين ، ومعاداة أعدائهم . . . ثم ذكر  
الحسن العسكري تفسير أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم منسوباً  
إلى علي رضي الله عنه ، وفيه يقول علي : « ألا أنبئكم ببعض أخبارنا ؟ قالوا :

(١) الآيتان (٥٧ ، ٥٨) من سورة يونس .

بلى يا أمير المؤمنين . قال : إن رسول الله لما بنى مسجده بالمدينة وأشرع فيه بابه وأشرع المهاجرون والأنصار أوابهم ، أراد الله إبانة محمد وآله الأفاضل بالفضيلة ، فنزل جبريل عن الله تعالى : بأن سدوا الأبواب عن مسجد رسول الله قبل أن ينزل بكم العذاب ، فأول من بعث إليه رسول الله يأمره بسد بابه العباس بن عبد المطلب ، فقال : سمعاً وطاعة لله ورسوله - وكان الرسول معاذ بن جبل - ثم مر العباس بفاطمة فرآها قاعدة على بابها وقد أقعدت الحسن والحسين ، فقال لها : ما بالك قاعدة انظروا إليها كأنها لبوة بين يديها جروها ، أظن أن رسول الله يخرج عمه ويدخل ابن عمه فمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : ما بالك قاعدة ؟ قالت : انتظر أمر رسول الله بسد الأبواب ، فقال لها : إن الله تعالى أمرهم بسد الأبواب واستثنى منهم رسول الله ، وإنما أتم نفس رسول الله . ثم إن عمر بن الخطاب جاء فقال : أحب النظر إليك يا رسول الله إذا مررت إلى مصلاك ، فأذن لى فى فرجة أنظر إليك منها ، فقال : قد أبى الله عز وجل ذلك ، قال : ففقدار ما أضع عليه وجهى ، قال : قد أبى الله ذلك ، قال : فقدار ما أضع عليه إحدى عيني ، قال : أبى الله ذلك ، ولو قلت قد طرف الإبرة لم أذن لك ، والذي نفس محمد بيده ما أنا أخرجتكم ولا أدخلتكم ولكن الله أدخلهم وأخرجكم . ثم قال : لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت فى عذا المسجد جنباً إلا محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والمنتجبون (١) من آلهم الطيبين من أولادهم . قال : فأما المؤمنون فقد رضوا وسلموا ، وأما المنافقون فاعتاظوا لذلك وأنفوا ، ومشى بعضهم يقول إلى بعض فيما بينهم : ألا ترون محمداً لا يزال ينخص بالفضائل ابن عمه ليخرجنا منها صفراً ، والله لئن أنفذنا له فى حياته لتأتين عليه بعد وفاته ، وجعل عبد الله بن أبي يعنى إلى مقاتلهم وينضب تارة ويسكن أخرى ، ويقول لهم : إن محمداً لمتاله ، فإياكم ومكاشفته ، فإن من كاشف المتاله انقلب خاسئاً حسيراً وينخص عليه عيشه . وإن الفطن اللبيب من يتجرع على

(١) المنتجبون : أى المختارون .

الغصة لينتهز الفرصة . فينبأهم كذلك إذ طلع رجل من المؤمنين يقال له زيد ابن أرقم فقال لهم : يا أعداء الله أبالله تكذبون؟ وعلى رسوله تطعنون؟ ولديته تكيدون؟ والله لأخبرن رسول الله بكم ، فقال عبد الله بن أبي والجماعة : والله لئن أخبرته بنا لنسكن بنك ولنحلفن له؛ فإنه إذا بصدقنا ، ثم والله لنقيم عليك من يشهد عليك عنده بما يوجب قتلك أو قطعك أو حدك ، قال : فأتى زيد رسول الله فأسر إليه ما كان من عبد الله بن أبي وأصحابه ، فأنزله الله عز وجل (ولا تطع الكافرين<sup>(١)</sup>) المجاهدين لك يا محمد فيما دعوتهم إليه من الإيمان بالله والموالاته لك ولأوليائك ، والمعاداة لأعدائك ( والمنافقين ) الذين يطيعونك في الظاهر ويخالفونك في الباطن ( ودع أذاهم ) بما يكون منهم من القول السيء فيك وفي ذوبك ( وتوكل على الله ) في إتمام أمرك وإقامة حجتك ، فإن المؤمن هو الظاهر بالحجة وإن غلب في الدنيا ، لأن العاقبة له ؛ لأن غرض المؤمنين في كدحهم في الدنيا إنما هو الوصول إلى نعيم الأبد في الجنة ، وذلك حاصل لك ولآلك ولأصحابك وشيعتك . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتفت إلى ما بلغه عنهم ، وأمر زيداً فقال : إن أردت أن لا يصيبك شرهم ولا ينالك مكرهم فقل إذا أصبحت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ فإن الله يعينك من شرهم ؛ فإنهم شاطلين يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ، وإذا أردت أن يؤمنك بعد ذلك من الغرق والحرق والسرقة فقل إذا أصبحت : بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ، بسم الله لا يسوق الخير إلا الله ، بسم الله ما شاء الله ، ما يكون من نعمة فن الله ، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، بسم الله ما شاء الله وصلى الله على محمد وآله الطيبين ، فإن من قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الغرق والحرق والسرقة حتى يمسي ؛ ومن قالها ثلاثاً إذا أمسى أمن من الحرق والغرق حتى يصبح ، وإن الخضر وإلياس يلتقيان في كل موسم ، فإذا تفرقا تفرقا عن هذه الكلمات ،

(١) من قوله تعالى «ولا تطع الكافرين» إلى قوله: «وتوكل على الله» في الآية

وإن ذلك شعار شيعتي ، وبه يمتاز أعدائي من أوليائي يوم خروج قائمهم . . . .  
ثم ذكر حديثاً آخر طويلاً عن الباقر يتضمن ما كان من المحاوراة بين العباس  
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن إغلاق باب العباس وغيره ، وإبقاء باب  
علي وحده ، وفيه شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفضل لعلي عليه السلام ،  
وفي آخره يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا عبد الله إن شأن علي عظيم .  
إن حال علي جليل . إن وزن علي ثقيل . وما وضع حب علي في ميزان أحد  
إلا رجع علي سنيته ، ولا وضع بغضه في ميزان أحد إلا رجع علي  
حسانته ... الخ (١) .

هذا ، والكتاب مطبوع في مجلد صغير يقع في ٢٨٦ صحيفة . وهو غير شامل  
للقرآن كله ، بل بعد الفراغ من المقدمة وشرح الاستعاذة شرع في الفاتحة ففسرها ،  
ثم شرع في سورة البقرة فوصل فيها إلى قوله تعالى في الآية (١١٤) (ومن أظلم  
من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن  
يدخلوها إلا خائفين . لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وذلك  
يبدأ من أول الكتاب إلى ص ٢٢٦ .

ومن قوله تعالى فيها (إن الصفا والمروة .. الآية (١٥٨) إلى قوله :  
(ولكم في القصاص حياة . الآية (١٧٩) وذلك يبدأ من ص ٢٢٦ إلى ص ٢٥٤ .  
ومن قوله تعالى فيها : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا  
أفضتم من عرفات ... الآية (١٩٨) إلى قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله  
في ظلل من الغمام ... الآية ٢١٠) وذلك يبدأ من ص ٢٥٤ إلى ص ٢٦٧ .  
ومن قوله تعالى فيها ( ... أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه  
بالعدل ... الآية (٢٨٢) إلى قوله (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم  
قلبه) في الآية (٢٨٣) وذلك يبدأ من ص ٢٦٧ إلى ص ٢٨٦ .

هذا هو كل ما وجد وطبع من التفسير المنسوب إلى الحسن العسكري رحمه

الله تعالى ، وأرى أن أسوق لك بعض النماذج لتقف بنفسك على مسلكه في التفسير ، وتأثره بمذهب الإمامية ، ولنرى بمد ذلك هل يمكن أن يكون هذا التفسير حقيقة لهذا الإمام الصالح ، أو نسب إليه زورا وبهتانا .

### ولاية علي :

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٨ ) من سورة البقرة (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) يقول وقال العالم موسى بن جعفر: إن رسول الله لما أوقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ، ثم قال : يا عباد الله انصبوني ، فقالوا : أنت محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ثم قال: يا أيها الناس ألسنت أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فنظر إلى السماء وقال : اللهم اشهد بقول هؤلاء - وهو يقول ويقولون ذلك ثلاثا - ثم قال : ألا فمن كنت مولاه وأولى به فهذا علي مولاه وأولى به ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ، وانصر من نصره . واخذل من خذله ، ثم قال : قم يا أبا بكر فبايع له بإمرة المؤمنين ، فقام وبايع له . ثم قال : قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين ، فقام فبايع له ، ثم قال بعد ذلك لتقام التسعة رؤساء المهاجرين والأنصار فبايعوا كلهم ، فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب فقال : يخ يخ يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، ثم تفرقوا عند ذلك وقد مكّدت عليهم العهود والمواثيق . ثم إن قوما من متعديهم وجبارتهم تواطؤوا بينهم لئن كان محمد كائنة ليدفُسن هذا الأمر من علي ولا يتركونه . فعرف الله ذلك من قبلهم ، وكانوا يأتون رسول الله ويقولون : لقد أقت علينا أحب خلق الله إلى الله وإليك وإلينا فكفينا مؤنة الظلمة لنا ، والمتجبرين في سياستنا ، وعلم الله من قلوبهم خلاف ذلك من مواطأة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون ، ولدفع الأمر عن مستحقه مؤثرون ، فأخبر الله عز وجل محمداً عنهم فقال : يا محمد (ومن الناس من يقول آمنا بالله ) الذي أمرك بنصب علي إماماً وسائساً لأمتك ومدبراً ، (وما هم بمؤمنين) بذلك ، ولسكنهم يتواطئون على إهلاكك

وإهلاكه ، يوطنون أنفسهم على التردد على علي إن كانت بك كائنة (١) هـ ١٠١ .  
وعند قوله تعالى في الآية ( ١٣ ) من سورة البقرة ( وإذا قيل لهم آمنوا  
كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون )  
يقول د قال موسى بن جعفر : إذ قيل لهؤلاء الناكثين للبيعة ، قال لهم خيار  
المؤمنين كسليمان والمقداد وأبي ذر وعمار : آمنوا برسول الله وعلى الذى أوقفه  
موقفه وأقامه مقامه وأناط مصالح الدين والدنيا كلها به ، وآمنوا بهذا النبي وسلموا  
لهذا الإمام ، وسلموا له فى ظاهر الأمر وباطنه كما آمن الناس المؤمنون كسليمان  
والمقداد وأبي ذر وعمار ، قالوا فى الجواب لمن يفضون إليه لاهؤلاء المؤمنين ؛  
فإنهم لا يجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب ولكنهم يذكرون لمن يفضون إليه  
من أهلهم والذين يثقون بهم من المنافقين ومن المستضعفين من المؤمنين  
الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم ، يقولون لهم : ( أنؤمن كما آمن السفهاء ) يعنون  
سليمان وأصحابه لما أعطوا علياً خالص ودهم ومحض طاعتهم ، وكشفوا رؤوسهم  
بموالاة وأوليائه ومعاداة أعدائه حتى أن اضمحل أمر محمد طحطحهم أعداؤه ،  
وأهلكهم سائر الملوك والمخالفين لمحمد ، فهم بهذا التعرض لأعداء محمد جاهلون  
سفهاء ، قال الله عز وجل ( ألا إنهم هم السفهاء ) الاخفاء العقول والآراء ، الذين  
لم ينظروا فى أمر محمد حق النظر فيعرفوا نبوته ، ويعرفوا صحة ما ناطه بعلمه  
من أمر الدين والدنيا ، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين ، وصاروا  
خائفين وجلين من محمد وذريته ومن مخالفهم ، لا يأمنون أيهم يغلب فيهلكون  
معه . فهم السفهاء حيث لا يسلم لهم بنفقاتهم هذا لاجبة محمد والمؤمنين ولا جبة  
اليهود وسائر الكافرين ، لأنهم يظنون لمحمد من موالاته وموالاة أخيه على  
ومعاداة أعدائهم اليهود والنصارى ، كما يظنون لهم من معاداة محمد وعلى  
وموالاة أعدائهم ، فهم يقدرون فيهم نفاقهم معهم كنفاقهم مع محمد وعلى ،  
ولكن لا يعلمون أن الأمر كذلك وأن الله يطلع نبيه على أسرارهم فيخشاهم  
ويلعنهم ويسقطهم ، (٢) هـ ١٠١

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (١٥٩ ، ١٦٠) من سورة البقرة (وإن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) يقول (إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البيّنات من صفة محمد وصفة علي وحليته ، والهدى بعد ما بيناه للناس في الكتاب) . قال : والذي أنزلناه هو ما أظهرناه من الآيات على فضلهم ومحلمهم ، كالغمامة التي تظيل رسول الله في أسفاره ، والمياه الأجاجة التي كانت تعذب في الآبار بريقه ، والأشجار التي كانت تهطل ثمارها بنزوله تحتها ، والعاهات التي كانت تزول بمسح يده عليها أو بنفث بريقه فيها ، وكالآيات التي ظهرت على علي من تسليم الجبال والصخور والأشجار قائلة : يا ولي الله ويا خليفته رسول الله ، السموم القاتلة التي تناولها من سمي باسمه عليها ولم يصبه بلاؤها . . . . . وسائر ما خصه الله تعالى به من فضائله ، فهذا من الهدى الذي بينه الله للناس في كتابه . . . . . الخ (١) .

### روايات مكذوبة في فضل أهل البيت :

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة البقرة ( . . . الذين يؤمنون بالغيب ) يقول دشم وصف هؤلاء المتقين الذين هذا الكتاب هدى لهم فقال : (الذين يؤمنون بالغيب) يعني بما غاب عن حواسهم من الأمور التي يلزمهم الإيمان بها ، كالبعث ، والنشور ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وتوحيد الله تعالى ، وسائر ما لا يعرف بالمشاهدة وإنما يعرف بدلائل قد نصبها الله عز وجل عليها كآدم ، وحواء وإدريس ، ونوح ، وإبراهيم ، والآنفاء الذين يلزمهم الإيمان بهم بحجج الله تعالى وإن لم يشاهدوهم ، ويؤمنون بالغيب وهم من الساعة مشفقون ، وذلك أن سلمان الفارسي مر بقوم من اليهود فسألوه أن يجلس إليهم ويحدثهم بما سمع من محمد في يومه هذا ، فجلس إليهم لحرصه على

إسلامهم فقال . سمعت محمداً يقول : إن الله عز وجل يقول : يا عبادي :  
أوليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلا أن يتجمل عليكم بأحب  
الخلق إليكم تقضونها كرامة اشفيعه ؟ ألا فاعلموا أن أكرم الخلق على  
وأفضلهم لدى محمد وأخوه علي ، ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إلى ، ألا  
فليدعني من أهمته حاجة يريد نفعها ، أو دهنه دهياء يريد كف ضررها بمحمد  
وآله الأفاضل الطيبين الطاهرين أقضها له أحسن مما يقضيها من تشفعون إليه  
بأعز الخلق عليه . قالوا لسلطان - وهم يستهزئون به - يا عبد الله فما بالك  
لا تقترح على الله وتتوسل بهم أن يجعلك أغنى أهل المدينة ؟ فقال سليمان :  
قد دعوت الله عز وجل بهم ، وسألته ما هو أجل وأفضل وأنفع من ملك  
الدنيا بأسرها ، وسألته بهم أن يهب لي لساناً لنجيد شأنه ذاكرة ، وقلبا لآلاته  
شاكراً ، وعلى اللواهي الداهية لي صابراً ، وهو عز وجل قد أجابني إلى  
ملتصبي من ذلك ، وهو أفضل من ملك الدنيا بخذافيرها وما يشتمل عليه من  
خيراتها مائة ألف مرة . قال : فجعلوا يهزؤون ويقولون : يا سليمان ، لقد  
ادعيت مرتبة عظيمة يحتاج أن يمتحن صدقك من كذبك فيها وهانحن إذا  
قأمون إليك بسياط عذابنا فضا ربوك ، فاسأل ربك أن يكف أيدينا عنك ،  
فجعل سليمان يقول : اللهم اجعلني على البلا يا صابراً ، وجعلوا يضربونه بسياطهم  
حتى أعيوا وملوا ، وجعل سليمان لا يزيد على قوله : اللهم اجعلني على البلا يا  
صابراً ، فلما ملوا وأعيوا قالوا : يا سليمان ، ما ظننا أن روحا تثبت في مقرها على  
مثل هذا العذاب الوارد عليك ، فما بالك لا تسأل ربك أن يكفنا عنك ؟ قال :  
لأن سؤال ذلك ربي خلاف الصبر ، بل سلمت ؛ لإمهال الله تعالى لكم ،  
وسألته الصبر ، فلما استرا حوا قاموا بعد إليه بسياطهم فقالوا : لانزال نضربك  
بسياطنا حتى تزهق روحك أو تكفر بمحمد ، فقال : ما كنت أفعل ذلك ؛ فإن  
الله قد أنزل على محمد ، الذين يؤمنون بالغيب ، وإن احتمل المسكار همك لأدخل  
في جملة من مدحه الله بذلك سهل على يسير ، فجعلوا يضربونه بسياطهم حتى ملوا ،  
ثم قعدوا وقالوا : يا سليمان ، لو كان لك عند ربك قدر لإيمانك بمحمد لاستجاب



دعائك وكفنا عنك ، فقال سليمان : ما أجهدكم . . كيف يكون مستجيبا دعائي  
لإذا فعل بي خلاف ما أريد منه ، أنا أردت منه الصبر فقد استجاب لي فصبرت ،  
ولم أسأله كيفكم عنى فيمنعنى حتى يكون ضد دعائى كما تظنون ، فقاموا  
إليه ثالثة بسياطهم فجعلوا بضربونه وسلمان لا يزيد على قوله : اللهم صبرنى  
على البلايا فى حب صفيك وخليتك محمد ، فقلوا له : يا سلمان ، ويحك  
أو ليس محمد قد رخص لك أن تقول كلمة الكفر به بما تعتقد ضده للتقية؟ فقال  
سلمان : إن الله قد رخص لى ذلك ولم يفرضه على ، بل أجاز لى ألا أعطيكم  
ما تريدون واحتمل مكارهكم ، وجعله أفضل المنزلتين ، وأنا لا أختار غيره ثم  
قاموا إليه بسياطهم وضربوه ضربا كثيرا وسيلوا دماؤه ، وقالوا له وهم ساخرون :  
لو لم تسأل الله كفنا عنك ولا تظهر لنا ما نريد منك لئلا يكف به عنك فادع علينا  
بالهلاك إن كنت من الصادقين فى دعواك أن الله لا يرد دعاءك بمحمد وآله  
الطيبين الطاهرين ، فقال سليمان : لى لأكره أن أدعو الله بهلاككم مخافة أن  
يكون فيكم من قد علم الله أنه سيؤمن من بعد فأكون قد سألت الله اقتطاعه  
عن الإيمان ، فقالوا : قل : اللهم أهلك من كان فى علمك أنه يبقى إلى الموت  
على تمرده ، فإنك لا تصادف بهذا الدعاء ما خفته ، قال فانخرج له حائط البيت  
الذى هو فيه مع القوم وشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يا سلمان  
ادع عليهم بالهلاك فليس فيهم أحد يرشد ، كما دعا نوح على قومه لما عرف  
أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن ، فقال سليمان . كيف تريدون أن أدعو  
عليكم بالهلاك ؟ فقالوا . تدعو الله بأن يقلب سوط كل واحد منا أفعى  
تعطف رأسها ثم تمش عظام سائر بدنه . . فدعا الله بذلك ، فسا من سياطهم  
سوط إلا قلبه الله تعالى أفعى لها رأسا تتناول برأس رأسه وبرأس آخر  
يمينه التى كان فيها سوطه ثم رضضتهم ومششتهم وبلعتهم والتقمتمهم ، فقال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مجلسه : معاشر المؤمنين ، إن الله  
تعالى قد نصر أخاكم سليمان ساعتكم هذه على عشرين فرقة من اليهود والمنافقين ،  
قبلت سياطهم أفاعى رضضتهم ومششتهم وهشمت عظامهم والتقمتمهم

فقوموا بنا فنظر إلى تلك الأفاعى المبعوثة لنصرة سلمان ، فقام رسول الله وأصحابه إلى تلك الدار وقد اجتمع إليها جيرانها من اليهود والمنافقين لما سموا ضحيج القوم بالتقام الأفاعى لهم ، فإذا هم خانقون منها ، نافرون من قربها ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت كلها إليه عن البيت إلى شارع المدينة ، وكان شارعاً ضيقاً فوسعه الله تعالى وجعله عشرة أضعافه ، ثم نادى الأفاعى : السلام عليك يا محمد ياسيد الأولين والآخرين ، السلام عليك يا على ياسيد الوصيين ، السلام على ذريتك الطيبين الطاهرين الذين جعلوا على الخلق قوامين ، هانحن سياط هؤلاء المنافقين الذين قلبنا الله تعالى أفاعى بدعاه هذا المؤمن سلمان قال : رسول الله : الحمد لله الذى جعل من يضاهاى بدعائه عند قبضه وعند انبساطه نوحاً نبيه . ثم نادى الأفاعى : يا رسول الله . . قد اشتد غضبنا على هؤلاء الكافرين ، وأحكامك وأحكام وصيك علينا جائزة فى مالك رب العالمين ، ونحن نسألك أن تسأل الله تعالى أن يجعلنا أفاعى جهنم حتى نكون فيها لهؤلاء معذبين كما كنا لهم فى هذه الدنيا ملتقمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أجبتمكم إلى ذلك فالحقوا بالطبق الأسفل من جهنم ، بعد أن تقدفوا ما فى أجوافكم من أجزاء أجسام هؤلاء الكافرين ليكون أتم لحزيمهم وأبقى للعار عليهم إذا كانوا بين أظهرهم مدفونين ، يعتبر بهم المؤمنون المارون بقبورهم ، يقولون هؤلاء الملعونون المخزيون بدعاه ولى محمد سلمان الخير من المؤمنين ، فقدفت الأفاعى ما فى بطونها من أجزاء أبدانهم ، فهاء أهلوهم فدفنوهم ، وأسلم كثير من الكافرين ، وأخلص كثير من المنافقين ، وغلب الشقاء على كثير من الكافرين والمنافقين ، فقالوا : هذا سحر مبین . ثم أقبل رسول الله على سلمان فقال . يا عبد الله ، أنت من خواص إخواننا المؤمنين ، ومن أحباب قلوب ملائكة الله المقربين ، إنك فى ملكوت السموات والحجب والكرسى والعرش ومادون ذلك إلى الثرى أشهر فى فضلك عندهم من الشمس الطالعة فى يولاغيم ولا قتر ولا غبار فى الجو ، فأنت من أفاضل المدوحين بقوله ( الذين يؤمنون بالغيب )<sup>(١)</sup> .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٢١٠ ) من سورة البقرة ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور ) يقول مانصه ( ... قال علي بن الحسين : طلب هؤلاء الكفار الآيات ولم يقنعوا بما أتاهم به منها بما فيه الكفاية والبلاغ ، حتى قيل لهم ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ) أى إذا لم يقتنعوا بالحجج الواضحة الدامغة ، فهل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ؟ وذلك محال ، لأن الإتيان على الله لا يجوز ، كذلك النواصب اقترحوا على رسول الله فى نصب أمير المؤمنين على إماماً ، واقترحوا . . حتى اقترحوا المحال وذلك أن رسول الله لما نص على بالفضيلة والإمامة . وسكن إلى ذلك قلوب المؤمنين وعانديه أصناف الجاحدين من المعاندين ، وشك فى ذلك ضعفاء من الشاكين ، واحتمال فى السلم من الفريقين من النبى وخيار أصحابه ومن أصناف أعدائه جماعة المنافقين ، وفاض فى صدورهم العداوة والبغضاء ، والحسد والشحناء ، حتى قال قائل المنافقين : لقد أسرف محمد فى مدح نفسه ، ثم أسرف فى مدح أخيه على ، وماذاك من عند رب العالمين ، ولكنك فى ذلك من المتقولين ، يريد أن يثبت لنفسه الرياسة علينا حياً ولعلى بعد موته ، قال الله تعالى : يا محمد ، قل لهم وأى شىء أنكرتم من ذلك ؟ هو عظيم كريم حكيم ، ارتضى عبادة من عباده ، قد اختصهم بكرامات ، لما علم من حسن طاعتهم ولا نقيادهم لأمره ، فقوض إليهم أمور عباده ، وجعل إليهم سياسة خلقه بالتدبير الحكيم الذى وفقهم له : أفلا ترون لملوك الأرض إذا ارتضى أحدهم خدمة بعض عبيده ووثق بحسن اصطناعه بما يندب له من أمور ممالئكه ، جعل ماوراء بابه إليه وأعتمد فى سياسة جيوشه ورعاياه عليه ؟ كذلك محمد فى التدبير الذى رفعه له ربه ، وعلى من بعده الذى جعله وصية وخليفته فى أهله ، وقاضى دينه ومنجز عداوته ، والموازر لأولياته والمناصب لأعدائه فلم يقنعوا بذلك ولم يسلبوا ، وقالوا : ليس الذى تسنده إلى ابن أبى طالب أمراً صغيراً إنما هو دماء الخلق ، ونساؤهم ، وأولادهم ، وأموالهم ، وحقوقهم ، وأنصباؤهم ، وديناهم وأخراهم ، فلتأنا بآية تليق بجلالة هذه الولاية ، فقال رسول الله : أما كفاكم نور على المشرق فى الظلمات الذى رأيتموه ليلة خروجه

من عند رسول الله إلى منزله ؟ أما كفاكم أن عليا جازو الحيطان بين يديه  
ففتحت له وطرقت ثم عادت والتأمت ؟ أما كفاكم يوم غدير خم أن عليا لما  
أقامه رسول الله وأيتم أبواب السماء مفتحة والملائكة فيها مطلقين تناديكم : هذا  
ولي الله فاتبعوه وإلا حل بكم عذاب الله فاحذروه ؟ أما كفاكم رؤيتكم على  
ابن أبي طالب وهو يمشى والجبال تسير من بين يديه لثلاثين ميلاً يحجاج إلى انحراف  
عنها ، فلما جاز رجعت الجبال إلى أما كنها ؟ ثم قال اللهم زدهم آيات فإنها عليك  
سهلات يسيرات لتزيد حجبتك عليهم تأكيداً . قال : فرجع القوم إلى بيوتهم  
فأرادوا دخولها فاعتقلتهم الأرض ومنعتهم ونادتهم : حرام عليكم دخولها  
حتى تؤمنوا بولاية علي ، قالوا . آمنا . . ودخلوا . . . ثم ذهبوا ينزعون ثيابهم  
ليلبسوا غيرها فثقلت عليهم ولم يقلوها ، ونادتهم : حرام عليكم سهولة نزعنا  
حتى تقرؤا بولاية علي ، فأقروا . . ونزعوها . . ثم ذهبوا يلبسون ثياب  
الليل فثقلت عليهم ونادتهم : حرام عليكم لبسنا حتى تعترفوا بولاية علي ،  
فاعترفوا ، ثم ذهبوا يأكلون فثقلت عليهم اللقم وما لم يثقل منها استحجر في  
أفواههم وناداهم : حرام عليكم أكلنا حتى تعترفوا بولاية علي ، فاعترفوا . . . ثم  
ذهبوا يبولون ويتغوطون فثعبوا وتعذر عليهم ونادتهم بطونهم ومذا كيرهم  
حرام عليكم السلامة منا حتى تعترفوا بولاية علي بن أبي طالب ، فاعترفوا . .  
ثم ضجر بعضهم وقال : ( اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأهطر علينا  
حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ) قال الله عز وجل ( وما كان الله ليعذبهم  
وأنت فيهم ) (١) . . . الخ (٢) .

الشجرة التي نهى آدم عن الأكل منها :

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٥) من سورة البقرة ( وقلنا يآدم  
أسكن أنت وزوجك الجنة وكلامنا رعداً حيث شئنا ولا تقر باهذه الشجرة . . )  
يبين المراد من الشجرة ويعلل النهي عنها فيقول ( . . . لا تقر باهذه الشجرة : شجرة  
العلم ، شجرة علم محمد وآل محمد ، الذين آثرهم الله عز وجل به دون سائر خلقه ،

فقال الله تعالى : لا تقربا هذه الشجرة ، شجرة العلم ، فإنها لمحمد وآله خاصة دون غيرهم ، ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم . . . ومنها ما كان يتناوله النبي ، وعلى ، وفاطمة والحسن ، والحسين ، بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب ، وهي شجرة تميزت من بين أشجار الجنة ، إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار والمأكول ، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر ، والعنب والتين والعناب وسائر أنواع التمار والفواكه والأطعمة ، فلذلك اختلف الحماكون لتلك الشجرة ، فقال بعضهم : هي برة ، وقال آخرون : هي عنب ، وقال آخرون : هي عنباه . قال الله تعالى : ولا تقربا هذه الشجرة تلتمسان بذلك دوحه محمد وآل محمد في فضلهم ، فإن الله تعالى خصهم بهذه دون غيرهم ، وهي الشجرة التي من يتناول منها بإذن الله عز وجل ألهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم . ومن تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربه ، ( فتسكونا من الظالمين ) بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أوثر بها غير كما كما إذا أردتما بغير حكم الله (١) .

توسل الأنبياء والامم السابقة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبأهل البيت :

وقد جاء في هذا التفسير من الأخبار ما يدل على أن الأنبياء والامم السابقين كانوا إذا حزبهم أمر وأهمهم توسلوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رضوان الله تعالى عليهم .

فتلا عند قوله تعالى في الآية ( ٢٨ ) من سورة البقرة ( . . . ) فإذا يأتكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) نراه يقول ( . . . ) فلما زلت من آدم الخطيئة واعتذر إلى ربه عز وجل قال : يارب ، تب علي واقبل معذرتي ، وأعدني إلى مرتبتى ، وارفع لديك درجتى فما أشد تبين بعض الخطيئة وذلها بأعضائى وسائر بدنى ، قال الله تعالى : يادم ، أما تذكر أمرى إياك بأن تدعونى بمحمد وآله الطيبين عند شدائدك ودواهلك وفى النوازل تنزل بك ؟ قال

آدم : يارب بلي ، قال الله عز وجل له : فتوسل بمحمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين خصوصا ، فادعني أجيبك إلى ملتصك وأزدك فوق مرادك ، فقال آدم : يارب وقد بلغ عندك من محلمهم أنك بالتوسل بهم تقبل توبتي ، وتغفر خطيئتي ، وأنا الذي أسجدت له ملائكتك ، وأبحته جنتك ، وزجته حواء أمتك وأخدمته كرام ملائكتك؟ قال الله : يا آدم .. إنما أمرت الملائكة بتغظيمك بالسجود إذا كنت وعاء لهذه الأنوار ، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أظنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحذر منها لكنت قد جعلت ذلك ، ولكن المعلوم في سابق علمي يجري موافقا لعلمي ، فالآن بهم فادعني لأجيبك ، فعند ذلك قال آدم : اللهم بجاه محمد وآله الطيبين ، بجاه محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم لما تفضلت بقبول توبتي ، وغفران زلتي . وإعادتي من كراماتك إلى مرتيتي ، فقال الله عز وجل : قد قبلت توبتك وأقبلت برضواني عليك ، ورزقت آلائي ونعماتي عليك ، وأعدتلك إلى مراتبتك من كراماتي ، ووفرت نصيبك من رحماتي . فذلك قوله عز وجل ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (١) ) اه (٢) .

ومثلا عند قوله تعالى في الآية (٥٠) من سورة البقرة :

( وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون )  
نجدده يقول : ( قال الله عز وجل واذكروا إذ جعلنا ماء البحر فرقا ينقطع بعضه من بعض ، فأنجيناكم هناك وأغرقنا فرعون وقومه وأنتم تنظرون إليهم وهم يغرقون ، وذلك أن موسى لما انتهى إلى البحر أوحى الله عز وجل إليه : قل لبني إسرائيل جددوا توحيدى ، وأمرؤا بقلوبكم ذكر محمد سيد عبيدى وإماتى ، وأعيدوا على أنفسكم الولاية لعل أخى محمد وآله الطيبين ، وقولوا : اللهم بجاههم جوزنا على متن هذا الماء ، فإن يتحول لكم أرضا ، فقال لهم موسى ذلك ، فقالوا : أتورد علينا ما نكره ، وهل فرقنا من

آل فرعون إلا من خوف الموت، وأنت تقتحم بنا هذا الماء الغمر بهذه الكلمات، وما يدرينا ما يحدث من هذه علينا؟ فقال لموسى كالب بن يوحنا وهو على دابة له - وكان ذلك الخليج أربعة فراسخ - يا نبي الله، أمرك الله بهذا أن نقوله وندخل الماء؟ قال: نعم، قال وأنت تأمرني به؟ قال: نعم، فوقف وجدد على نفسه من توحيد الله ونبوة محمد وولاية علي والطيبين من آلها ما أمر به، ثم قال: اللهم بجاههم جوزني على متن هذا الماء، وإذا الماء قصته كأرض لينة، حتى بلغ آخر الخليج ثم عاد راكضا، ثم قال لبني إسرائيل: يا بني إسرائيل .. أطيعوا موسى، فما هذا الدعاء إلا مفتاح أبواب الجنان، ومغاليق أبواب النيران، ومستنزل الأرزاق. وجالب على عباد الله وإيمانه رضا المهيمن الخلاق. فأبوا وقالوا: لا نسير إلا على الأرض، فأوحى الله: يا موسى .. اضرب بعصاك البحر وقل: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما فعلته، ففعل فانفلق وظهرت الأرض إلى آخر الخليج، فقال موسى: ادخلوها، قالوا: الأرض وحلة، نخاف أن نرسب فيها، فقالها الله عز وجل: يا موسى .. قل: اللهم بحق محمد وآله الطيبين جففها، فقالها فأرسل الله عليها ريح الصبا فجفت، فقال موسى: ادخلوها، فقالوا: يا نبي الله .. نحن اثنتا عشرة قبيلة بنو اثني عشر أباً، وإن دخلناها رام كل فريق منا تقدم صاحبه، ولا نأمن من وقوع الشر بيننا، فلو كان لكل فريق منا طريق على حدة لأننا ما نخافه، فأمر الله موسى أن يضرب البحر بعددهم اثني عشر ضربة، في اثنتي عشرة موضعاً إلى جانب ذلك الموضع ويقول: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين بين الأرض لنا، وأقصر الماء عنا فصار فيه تمام اثني عشر طريقاً، وجف قرار الأرض بريح الصبا، فقال: ادخلوها، فقالوا: كل فريق منا يدخل سكة من هذه السكك لا يدرى ما يحدث على الآخرين، فقال الله عز وجل: فاضرب كل طود من ماء بين هذه السكك، فاضرب فقال: اللهم بجاه محمد وآله الطيبين لما جعلت في هذا الماء طيقانا واسعة يرى بعضهم بعضاً، فحدثت طيقان واسعة يرى بعضهم بعضاً، ثم دخلوها، فلما بلغوا آخرها جاء فرعون وقومه فدخل بعضهم، فلما دخل آخرهم وهم أولهم

بالخروج أمر الله تعالى فانطبق عليهم فغرقوا ، وأصحاب موسى ينظرون إليهم -  
فذلك قوله عز وجل ( وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ) اه (١).

### التقية :

وهو يعترف بالتقية ويدين بها ، ويروى عن رسول الله صلى عليه وسلم  
أحاديث فيها ، فمن ذلك : أنه روى عن الحسن بن علي أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال : إن الأنبياء إنما فضلمهم الله على الخلق أجمعين لشدة مدارتهم  
لأعداء دين الله ، وحسن تقيتهم لأجل إخوانهم في الله ، اه (٢) .

وروى عن أمير المؤمنين أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يقول : من سئل عن علم فكتمه حيث يجب لإظهاره وتزول عه التقية ، جاء ،  
يوم القيامة ملجما بلجام من النار ، اه (٣) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ١٦٣ ) من سورة البقرة : وإلهكم إله  
واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، يقول . . . الرحيم بعباده المؤمنين من  
شيعة آل محمد ، وسع لهم في التقية ، يجاهرون بإظهار موالاته أولياء الله ومعاداة  
أعدائه إذا قدروا ، ويسرونها إذا عجزوا ( اه (٤) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ١٧٣ ) من سورة البقرة : إنما حرم  
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . . . الآية ، يقول . . . نظر الباقر إلى بعض  
شيعة وقد دخل خلف بعض المنافقين إلى الصلاة ، وأحس الشيعي بأن الباقر  
قد عرف ذلك منه بقصده وقال : أعتذر إليك يا بن رسول الله عن صلاتي  
خلف فلان فإنها تقية ، ولولا ذلك لصليت وحدي ، قال له الباقر : يا أخي . .  
إنما كنت تحتاج أن تعتذر لو تركت ، يا عبد الله المؤمن . . ما زالت ملائكة  
السموات السبع والأرضين السبع تصلي عليك وتعلن إمامك ذلك ، وإن الله

• (٣) ص ١٦٢

• (٤) ص ٢٣٩

• (١) ص ٩٨ - ٩٩

• (٢) ص ١٤٢



تعالى أمر أن تحسب صلاتك خلفه للتقية بسبعمائة صلاة لو صليتها لوحداك .  
فعليك بالتقية اه (١) .

### تأثره بمذهب المعتزلة :

وإنا لنجد في هذا التفسير تأثراً بمذهب المعتزلة ومعتقداتهم ، فمثلا عند قوله تعالى في الآية (٧) من سورة البقرة « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، نجد المؤلف لا يرتضى نسبة الختم إلى الله على ظاهره ، ونراه يتأول هذا الختم بما يتفق ورأى المعتزلة فيقول « أى وسما سمة يعرفها من يشاء من ملائكته إذا نظروا إليها بأنهم الذين لا يؤمنون ، وعلى سمعهم كذلك بسمات ، وعلى أبصارهم غشاوة ، وذلك أنهم لما عرضوا عن النظر فيما كلفوه ، وقصروا فيما أريد منهم ، جهلوا ما لزمهم من الإيمان به ، فصاروا كمن على عينه غطاء لا يبصر ما أمامه ؛ فإن الله عز وجل يتعالى عن العبث والفساد ، وعن مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه ، فلا يأمرهم بمغالبته ولا بالمسير إلى ما قد صدحهم بالعجز (٢) » .

### تأثره في تفسيره بأراء الشيعة في الفروع الفقهية .

كذلك نجد المؤلف يجرى في تفسيره على وفق ما يميل إليه من الأحكام الفقهية التي يقول بها الإمامية الإثنا عشرية .

فمثلا عند قوله تعالى في الآية (٤٣) من سورة البقرة ( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . . ) نراه يروى حديثاً طويلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ منه صراحة أن فرض الرجلين في الوضوء مسحهما لا غسلهما وأن غسلهما لا يجوز إلا للتقية ، وهذا الحديث هو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد إذا توضأ فغسل وجهه تناثرت ذنوب وجهه ، وإذا غسل يديه إلى المرفقين تناثرت عنه ذنوب يديه ، وإذا مسح رأسه تناثرت ذنوب

(٢) ص ٣٦

(١) ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

رأسه ، وإذا مسح برجليه ، أو غسلهما تقيّة تناثرت ذنوب رجليه . . . الخ (١) . . . وهكذا نجد هذا التفسير يسير مع الهوى الشيعي ، سيرا فيه كثير من التطرف والغلو والخروج عن دائرة المعقول المقبول . وإذا كان هذا التفسير من عمل الحسن العسكري ، الإمام المعصوم ، الذي عنده علم القرآن كله ، فذلك أكبر شهادة على أنه لاعصمة له ولا علم عنده ، وكيف يصدر هذا التلاعب بنصوص القرآن من إمام له قيمته ومكانته .

وإذا كان ما يذكره صاحب أعيان الشيعة من علمه وصلاحه أمراً حقيقياً ، فالظن بهذا الكتاب أن يكون منسوباً إلى هذا الإمام زوراً وبهتاناً ، وهذا ما أرجحه وأختاره ، لأنني لم أعثر على نقل صحيح يدل على غلو الرجل وتطرفه في التشيع كما فعل غيره .

### ٣ - مجمع البيان لعلوم القرآن

للطبرسي

ترجمة المؤلف ومكانته العلمية :

مؤلف هذا التفسير في نظر أصحابه هو أبو علي، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي المشهدي<sup>(١)</sup>، الفاضل العالم، المفسر، الفقيه، المحدث، الجليل، الثقة، الكامل، أنبيل. وهو من بيت عرف أهله بالعلم، فهو وابنه رضي الدين أبو نصر حسن بن الفضل صاحب مكارم الأخلاق، وسبطه أبو الفضل علي ابن الحسن، وسائر سلسلته وأقربائه، من أكابر العلماء. ويروى عنه جماعة من العلماء منهم: ولده المذكور، وابن شهر اشوب، والشيخ منتخب الدين، والقطب الراوندي، وغيرهم. ويروى هو عن الشيخ أبي علي بن الشيخ الطوسي. قال الشيخ منتخب الدين في الفهرس وهو ثقة، فاضل دين، عين، له تصانيف، منها: مجمع البيان في تفسير القرآن، والوسيط في التفسير أربع مجلدات، والوجيز مجلدة، وإعلام الوري بأعلام الهدى مجلدين، وتاج المواليد والآداب الدينية للخزانه المعية، ١٥. قال صاحب روضات الجنات معقبا على هذا: وقد فرغ من تأليف المجمع في منتصف ذي القعدة سنة ٥٣٤ هـ أربع وثلاثين وخمسةائة ولعل مراده بالوسيط هو تفسير جوامع الجامع المشهور. وبالوجيز، الكاف الشاف عن الكشاف، ويحتمل المغايرة. ١٥

وقال صاحب مجالس المؤمنین ما معناه: إن عمدة المفسرين، أمين الدين، ثقة الإسلام، أبو علي الفاضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، كان من نحارير علماء التفسير، وتفسيره الكبير الموسوم بمجمع البيان، بيان كاف ودليل واف للجامعيتة لفنون الفضل والكمال، ثم لما وصل إليه بعد هذا التأليف كتاب الكشاف واستحسن طريقته، ألف تفسيراً آخر مختصراً، شاملاً لفوائد تفسيره الأول ولطائف الكشاف، وسماه الجوامع، وله تفسير ثالث أيضاً أخصر من الأولين، وتصانيف أخرى في الفقه والكلام، ويظهر من كتاب اللمعة

(١) الطبرسي: نسبة إلى طبرستان: والمشهد نسبة للمشهدى الرضوى المدفون فيه.

الدمشقية في مبحث الرضاع أن الطبرسي هذا كان داخلاً في زمرة مجتهدي علمائنا أيضاً ، ومقالته في الرضاع معروفة ، وهي قوله بعدم اعتبار اتحاد الفحل في نشر الحرمة ، وكذا قوله بأن المعاصي كلها كبائر ، وإنما يكون اتصافها بالصغيرة بالنسبة لما هو أكبر . ١٥

ومن العجيب أنهم يذكرون قصة في غاية الطرافة والغرابة في سبب تأليفه لتفسيره مجمع البيان الذي نحن بصدده فيقولون د ومن عجيب أمر هذا الطبرسي بل من غريب كراماته ، ما اشتهر بين الخاص والعام ، أنه قد أصابته السكتة فظنوا به الوفاة فسلوه وكنفوه ودفنوه ثم رجعوا ، فلما أفاق وجد نفسه في القبر ومسوداً عليه سبيل الخروج عنه من كل جهة ، فندر في تلك الحالة أنه إذا نجى من تلك الداهية ألف كتاباً في تفسير القرآن ، فانفق أن بعض النباشين قصده لأخذ كفننه ، فلما كشف عن وجه القبر أخذ الشيخ بيده ، فتحير النباش ودهش مما رآه ، ثم تكلم معه فازداد به قلقاً ، فقال له : لا تحف ، أنا حي وقد أصابتنى السكتة ففعلوا بي هذا ، ولما لم يقدر على النهوض والمشى من غاية ضعفه ، حمله النباش على عاتقه وجاء به إلى بيته الشريف ، فأعطاه الخلعة وأولاه مالا جزيلاً ، وتاب على يده النباش ، ثم إنه بعد ذلك وفي بنذره الموصوف ، وشرع في تأليفه مجمع البيان . ١٥

وكانت وفاته ليلة النحر سنة ٥١٢ هـ ثمان وثلاثين وخمسة مائة من الهجرة (١)

الكلام على هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

قبل أن أخوض في الكلام عن هذا التفسير أرى أن أسوق ما جاء في مقدمة هذا التفسير للمؤلف رحمه الله ؛ لما جاء فيها من بيان الحوافز التي دفعت مؤلفه إلى تأليفه ، ولما أوضحه لنا من طريقته التي سلكها في تفسيره ، فهو أدري بها وأعلم .

الدواعى التى حملت الطبرسى على كتابة هذا التفسير :

ذكر الطبرسى هذه الدواعى فقال :

( ... وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً فى علم تفسير القرآن ، واجتهدوا فى إبراز  
مكمنونه وإظهار مضمونه ، وألفوا فيه كتباً جما غاصوا فى كثير منها إلى أعماق  
لججه ، وشققوا الشعر فى إيضاح حججه ، وحققوا فى تفتيح أبوابه وتغلغل  
شعابه ، إلا أن أصحابنا - رضى الله عنهم - لم يدونوا فى ذلك غير مختصرات  
نقلوا فيها ما وصل إليهم فى ذلك من الأخبار ، ولم يعنوا ببسط المعانى فيه  
وكشف الأسرار ، إلا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد ، أبو جعفر محمد بن الحسن  
الطوسى من كتاب التبيان ، فإنه الكتاب الذى يقتبس من ضيائه الحق ، ويلوح  
عليه رواء الصدق ، وقد تضمن فيه من المعانى الأسرار البديعة ، واختصر من  
الألفاظ اللغة الوسيعة ، ولم يقنع بتدوينها دون تبينها ، ولا بتنميقها دون  
تحقيقها ، وهو القدوة وأستضىء بأنواره ، وأطأ مواقع آثاره ، غير أنه خلط فى  
أشياء بما ذكره فى الإعراب والنحو الغث بالسامين ، والخائر بالزباد . ولم يميز  
الصالح بما ذكر فيه والفساد ، وأدى الألفاظ فى مواضع من متضمناته قاصرة  
عن المراد ، وأخل بحسن الترتيب وجودة التهذيب ، فلم يقع له لذلك من القلوب  
السليمة الموقع المرضى ، ولم يعل من الخواطر الكريمة الممكان العلى .

وقد كنت فى ريعان الشباب وحنانة السن ، وريان العيش ونضارة  
الفصن ، كثير النزاع شديد التشوق إلى جمع كتاب فى التفسير ، ينتظم أسرار  
النحو اللطيفة ، ولمع اللغة الشريفة ، ويفى موارد القراءات من متوجهاتها ، مع  
بيان حججها الواردة من جميع جهاتها ، ويجمع جوامع البيان فى المعانى المستنبطة  
من معادنها ، المستخرجة من كوامنها ، إلى غير ذلك من علومه الجملة . مطلة من  
الغلف والآكمة فيعرض لذلك جوانح الزمان ، وعوائق الحدثنان ، وواردت  
الهموم ، وهفوات القدر المحتوم ، وهلم جراً إلى الآن ، وقد زرف سنى على  
الستين واشتعل الرأس شيباً ، وامتألت العيبة عيباً ، فخدانى على تصميم هذه  
العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل العالم ، ولى النعيم

جلال الدين ركن الإسلام . . . فخر آل رسول الله صلى الله عليه وآله ،  
أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسين — أدام الله علاه — بهذا العلم ،  
وصدق رغبته في معرفة هذا الفن ، وقصر همه على تحقيق حقائقه ، والاحتواء  
على جلاله ودقائقه ، والله عز اسمه المسئول أن يحرس للإسلام والمسلمين رفيع  
حضرة ، ويفيض على الفضل والفضلاء سجال سيادته ، ويمد على العلم والعلماء  
أمداد سعاداته . . . فأوجبت على نفسى إجابته إلى مطلوبه ، وإسعافه بمجوبه ،  
واستخرت الله تعالى ، ثم قصرت وهمى وهمى على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة ،  
واكتساب هذه الفضيلة النبيلة ، وشمرت عن ساق الجد ، وبذلت غاية الجهد  
والسكد ، وأسهرت الناظر وأتعبت الخاطر ، وأطلت التفكير وأحضرت التفاسير  
واستمددت من الله التوفيق واليسير (١) .

وصف الطبرسى لتفسيره :

ثم وصف الطبرسى تفسيره فقال :

« وابتدأت في تأليف كتاب هو في غاية التلخيص والتهذيب ، وحسن النظم  
والترتيب ، يجمع أنواع هذا العلم وفنونه ، ويحوى فصوصه وعيونه ، من علم  
قراءاته وإعرابه ولغاته ، وغوامضه ومشكلاته ، ومعانيه وجهاته ، ونزوله  
وأخباره ، وقصصه وآثاره ، وحدوده وأحكامه ، وحلاله وحرامه ، والكلام  
على مطاع المبطلين فيه ، وذكرنا ما يتفرد به أصحابنا — رضى الله عنهم — من  
الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع ،  
والمعقول والمسموع ، على وجه الاعتدال والاختصار ، فوق الإيجاز دون  
الإكثار ؛ فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحمل أعباء العلوم الكثيرة ،  
وتضعف عن الإجراء في الحلقات الخطيرة إذ لم يبق من العلماء إلا الأسماء ،  
ومن العلوم إلا الذمائم (٢) .

(١) هنا يذكر الشيخ الحوازي التي دفعته إلى تأليف هذا التفسير وهي كما ترى

مخالفة للقصة المقدمة .

(٢) الذمائم في الأصل بقية الروح في المذبوح .

منهج الطبرسي في تفسيره :

ثم وضع منهجه فقال :

وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيا ومدنيها ، ثم ذكر الاختلاف في عدد آياتها ، ثم ذكرت تلاوتها ، ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات ، ثم أذكر العلل والاحتجاجات ، ثم أذكر العربية واللغات ، ثم أذكر الإعراب والمشكلات ، ثم أذكر الأسباب والنزولات ، ثم أذكر المعاني والأحكام والتأويلات ، والقصص والجهات ، ثم أذكر انتظام الآيات . على أني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة ، وفي إعرابه كل حجة واضحة ، وفي معانيه كل قول متين ، وفي مشكلاته كل برهان مبين ، فهو بحمد الله للأديب عمدة ، وللنحوي عدة ، وللمقرئ بصيرة ، وللناسك ذخيرة ، وللمتكلم حجة ، وللمحدث محجة ، وللفقيه دلالة ، وللواعظ آلة وسميته ( مجمع البيان لعلوم القرآن ) .

مقدمات الكتاب :

ثم استطردي إلى ذكر مقدمات تتعلق ببعض علوم القرآن فقال : وقبل أن نشرع في تفسير السور والآيات ، فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات لا بد من معرفتها . لمن أراد الخوض في علومه تجمعها فنون سبعة :

جعل الفن الأول منها : في أعداد آي القرآن والفائدة من معرفتها .

والفن الثاني : في ذكر أسامي القراء المشهورين في الأمصار ورواتهم .

والفن الثالث : في ذكر التفسير والتأويل والمعنى ، والتوفيق بين ماورد

من الآيات والآثار من النهي عن التفسير بالرأى وإباحته .

والفن الرابع : في ذكر أسامي القرآن ومعانيها .

والفن الخامس : في أشياء من علوم القرآن يحال في شرحها وبسط الكلام

فيها على المواضع المختصة بها والكتب المؤلفة فيها كإعجاز القرآن ، والكلام

عن زيادة القرآن ونقصانه .

وهنا يقول : فأما الزيادة فيه فجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه ، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه . . . الخ (١) ثم ذكر من جملة العلوم التي بحال في شرحها وبسط الكلام فيها على الكتب المؤلفة فيها الكلام في النسخ والناسخ والمنسوخ وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالقرآن وليست داخلة في التفسير .

والفن السادس : في ذكر بعض ما جاء من الأخبار المشهورة في فضل القرآن وأهله .

والفن السابع : في ذكر ما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن (٢) .

ثم شرع في التفسير فتكلم عن الاستعاذة بالبسملة ففاتحة الكتاب وهكذا إلى آخر القرآن .

والحق أن تفسير الطبرسي - بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم في بابه ، يدل على تبحر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة . والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه ، في تناسق تام وترتيب جميل ، وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها ، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد ، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد ، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد ، وإذا شرح المعنى الإجمالي أوضح المراد ، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض ، وإذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء ، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء ، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل ، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم ، وإذا عرض لمشكلات

(١) ج ١ ص ٦ .

(٢) ج ١ ص ١ - ٦ .



القرآن أذهب الإشكال وأراح البال . وهو ينقل أقوال من تقدمه من المفسرين معزوة لأصحابها ، ويرجح ويوجه ما يختار منها . وإذا كان لنا بعض المآخذ عليه فهو تشييعه لمذهبه وانتصاره له ، وحمله لكتاب الله على ما يتفق وعقيدته ، وتنزيله لآيات الأحكام على ما يتناسب مع الاجتهادات التي خالف فيها هو ومن على شاكلته ، وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعية . غير أنه — والحق يقال — ليس مغالياً في تشييعه ، ولا متطرفاً في عقيدته ، كما هو شأن كثير غيره من علماء الإمامية الإثني عشرية .

وإليك بعض المثل من هذا التفسير ، لترى كيف يميل الطبرسي بالآيات القرآنية إلى المعاني التي تتفق ومذهبه ، وكيف يحاول بكل قواه الجدلية العنيفة أن يقيم مذهبه على أسس من القرآن الكريم ، وأن يرد ما يصادمه من ظواهر النصوص ويدفع بها في وجه خصمه .

### إمامة علي :

لما كان الطبرسي يدين بإمامة علي رضي الله عنه ، ويرى أنه خليفة النبي صلى الله عليه وسلم بلا فصل ، فإننا نراه يحاول بكل جهوده أن يثبت إمامته وولايته من القرآن فزاه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٥٥ ) من سورة المائدة : **« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، يَبْذُلُونَ مَجْهُودًا كَبِيرًا لِاسْتِخْلَاصِ وَجُوبِ إِمَامَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ، فَنَجِدُهُ أَوْ لَا يَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَعَانِي اللَّغْوِيَّةِ لِبَعْضِ مَفْرَدَاتِ الْآيَةِ فَيُفَسِّرُ الْمُؤَلَّى بِقَوْلِهِ « الْوَلِيُّ هُوَ الَّذِي يَلِي النَّصْرَةَ وَالْمَعُونَةَ ، وَالْوَلِيُّ هُوَ الَّذِي يَلِي تَدْبِيرَ الْأَمْرِ . يُقَالُ : فُلَانٌ وَلى أَمْرِ الْمَرْأَةِ إِذَا كَانَ يَمْلِكُ تَدْبِيرَ نِكَاحِهَا . وَوَلِيُّ الدَّمِّ مَنْ كَانَ إِلَيْهِ الْمَطَالِبَةُ بِالْقَوْدِ . وَالسُّلْطَانُ وَلى أَمْرِ الرِّعْيَةِ . وَيُقَالُ لِمَنْ يَرشَحُهُ لِلْخِلَافَةِ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ وَلى عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . قَالَ الْكَمَيْتُ يمدح علياً :**

ونعم ولى الأمر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب

( ويروى الفتوى ) . وإنما أراد ولى الأمر والقائم بتدييره ، قال المبرد في كتاب العبادة عن صفات الله ( أصل الولى الذى هو أولى أى أحق ، ومثله المولى ) . ثم بعد ذلك فسر الطبرسى ( الركوع ) و ( الحزب ) ، ثم ذكر الإعراب ثم ذكر سبب النزول فقال بعد سياقه لسند طويل ( . . . بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل جل متعمم بعمامة ، فجعل ابن عباس لا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال الرجل : قال رسول الله ، فقال ابن عباس : سألتك بالله من أنت ؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال : يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا جندب بن جنادة البدرى أبو ذر الغفارى ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا صمتا ، ورأيت بهاتين وإلا عميتا يقول ( على قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، ومنصور من نصره ، ومخذول من خذله ) أما إنى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئاً ، فرفع السائل يده إلى السماء فقال : اللهم إنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئاً ، وكان على راکعها فأوى بخنصره اليمنى إليه - وكان يتختم فيها - فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء فقاو : اللهم إن أخى موسى سألک فقال ( رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى \* واحمل عقدة من لساني \* يفقهوا قولى \* واجعل لى وزيراً من أهلى \* هرون أخى \* أشدد به أزرى \* وأشركه فى أمرى ) (١) فأنزلت عليه قرآنا ناطقاً ( سنشد عضدك بأخيك ونجعل لك سلطاناً فليصلون إليك ) (٢) . اللهم وأنا محمد نبيك و صفيك ، اللهم فاشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واجعل لى وزيراً من أهلى ، عليا أشدد به ظهري . قال أبو ذر : فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلمة حتى نزل عليه جبريل من عند

(١) الآيات من ٢٥ إلى ٣٢ من سورة طه .

(٢) فى الآية (٣٥) من سورة القصص

ربه فقال : يا محمد . اقرأ ، قال : وما اقرأ ! قال اقرأ ( إنما وليكم الله وسوله  
والذين آمنوا ) وروى هذا الخبر أبو إسحق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه .  
وروى أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن - على ما حكاه المغربي عنه -  
والروماني ، والطبري أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راعع ، وهو  
قول مجاهد والسدي . والمروى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وجميع علماء أهل  
البيت . وقال الكليني : نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقطعت  
اليهود موالاتهم فنزلت الآية . وفي رواية عطاء قال عبد الله بن سلام يا رسول  
الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه وهو راعع فنهجن تتولاه . وقد رواه السيد  
أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح أبي  
الصلاح عن ابن عباس قال : أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه عن  
قد آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله .. إن منازلنا بعيدة ،  
وليس لنا مجلس ولا نتحدث دون هذا المجالس . وإن قومنا لما رأونا آمننا بالله  
ورسوله وصدقناه رفضونا وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يتناكبونا  
ولا يكلمونا فشق ذلك علينا ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : إنما وليكم  
الله ورسوله ... الآية ، ثم إن النبي خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراعع ،  
فبصر بسائل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل أعطاك أحد شيئاً ؟ فقال :  
نعم .. خاتم من فضة ، فقال النبي : من أعطاك ؟ قال : ذلك القائم - وأما بيده  
إلى علي - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : على أي حال أعطاك ؟ قال :  
أعطاني وهو راعع ، فكبر النبي ثم قرأ : ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا  
فإن حزب الله هم الغالبون ، فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي	وكل بطيء في الهدى وهسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً	وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راععاً	زكاة فدتك النفس يا خير راعع
فأنزل فيك الله خير ولاية	وثبتها ثبت الكتاب الشرائع
وفي حديث إبراهيم بن الحكم بن ظهير :	أن عبد الله بن سلام أتى رسول

الله صلى الله عليه وسلم مع رهط من قومه يشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لقوا من قومهم ، فبيناهم يشكون إذ نزلت هذه الآية ، وأذن بلال فخرج رسول صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وإذا بمسكين يسأل ، فقال صلى الله عليه وسلم : ماذا أعطيت ! قال خاتم من فضة . قال : من أعطاكه ! قال : ذلك القائم . فإذا هو علي ، قال : علي أي حال أعطاكه ! قال : أعطاني وهو راكع ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ومن يتول الله ورسوله . . .

ثم شرح الممى فقال : ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بأمرهم ، ويجب طاعته عليهم . فقال : إنما وليكم الله ورسوله ، أى الذى يتولى مصالحكم يحقق تدبيركم هو الله تعالى ، ورسوله يفعل به أمره ( والذين آمنوا ) ثم وصف الذين آمنوا فقال ( الذين يقيمون الصلاة ) بشرائطها ( ويؤتون ) أى ويعطون الزكاة ( وهم راكعون ) أى فى حال الركوع . وهذه الآية من أوضح الدلالة على صحة إمامة على بعد النبى صلى الله عليه وسلم بلا فصل . والوجه فيه : أنه إذا ثبت أن لفظة وليكم فى الآية تفيد من هو أولى بتدبير أموركم ويجب طاعته عليكم ، وثبت أن المراد بالذين آمنوا على ، ثبت النص عليه بالإمامة ووضح . والذى يدل على الأول هو الرجوع إلى اللغة ، فمن تأملها علم أن القوم نصوا على ذلك ، وقد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته . وإن الذى يدل على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره ، أن لفظة إنما على ما تقدم ذكره تفيد التخصيص ونفى الحكم عن عدا المذكور ، كما يقولون : إنما الفصاحة للجاهلية ، ويعنون نفى الفصاحة عن غيرهم . وإذا تقرر هذا لم يجوز حمل لفظة الوالى على الموالاتة فى الدين والمحبة . لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر ، والمؤمنون كلهم مشتركون فى هذا المعنى ، كما قال سبحانه ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض <sup>(١)</sup> ) وإذا لم يجوز حمله على ذلك لم يبق إلا الوجه الآخر وهو التحقيق بالأمور ، وما يقتضى فرض الطاعة

(١) فى الآية ( ٧١ ) من سورة التوبة .

على الجمهور ؛ لأنه لا محتمل للفظ إلا الوجهان ، فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر . والذي يدل على أن المعنى بالذين آمنوا هو على ، الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لما تصدق بخاتمته في حال الركوع ، وقد تقدم ذكرها ، وأيضاً فإن كل من قال إن المراد بلفظة ولي ما يرجع إلى فرض الطاعة والإمامة ، ذهب إلى أنه هو المقصود بالآية والمنفرد ، ولا أحد من الأمة يذهب إلى أن هذه اللفظة تقتضى ما ذكرنا ويذهب إلى أن المعنى بها سواه . وليس لأحد أن يقول : إن لفظة الذين آمنوا لفظ جمع فلا يجوز أن يتوجه إليه على الانفراد ، وذلك أن أهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفضيم والتعظيم ، وذلك أشهر في كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه . وليس لهم أن يقولوا : إن المراد بقوله : وهم راكعون ، أن هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالاً لإيتاء الزكاة ؛ وذلك لأن قوله : يقيمون الصلاة ، قد دخل فيه الركوع ، فلو لم يحمل قوله وهم راكعون على أنه حال من يؤتون الزكاة ، وحملناه على من صفتهم الركوع ، كان ذلك كالتكرار غير المفيد ، والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد . ووجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآية مختصة : أنه قال (إنما وليكم الله) فخطب جميع المؤمنين ، ودخل في الخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره ، ثم قال : (ورسوله) فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته ، ثم قال (والذين آمنوا) فوجب أن يكون الذي خوطب بالآية هو الذي جعلت له الولاية وإلا أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه ، وإلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه، وذلك محال . واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب ومن أراد فليطلبه من مظانه . . . (١) ، اهـ

ولا شك أن هذه محاولة فاشلة ؛ فإن حديث تصدق على بخاتمته في الصلاة - وهو محور الكلام - حديث موضوع لا أصل له ، وقد تكفل العلامة ابن تيمية بالرد على هذه الدعوى في كتابه منهاج السنة ( ج ٤ ص ٣ - ٦ ) .

عصمة الأئمة :

ولما كان الطبرسي يدين بعصمة الأئمة فإننا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة الأحزاب : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، يحاول محاولة جديدة أن يقصر أهل البيت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين ؛ ليصل من وراء ذلك إلى أن الأئمة معصومون من جميع القبائح كالأنبياء سواء بسواء ، فلماذا يقول بعدما سرد من الروايات ما يشهد له بالقصر الذي يريده ( . . . ) والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة ، لو تصدينا لإيرادها لطال الكلام ، وفيما أوردناه كفاية . . . واستدل الشيعية على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة بأن قالوا : إن لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها ، نافية لما لم يثبت ؛ فإن قول القائل إنما لك عندي درهم ، وإنما في الدار زيد ، يقتضى أنه ليس عندي سوى الدرهم ؛ وليس في الدار سوى زيد . وإذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة ، أو الإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس ، ولا يجوز الوجه الأول ؛ لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة ، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ، ولأن هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ، ولا مدح في الإرادة المجردة ، فثبت الوجه الثاني . وفي ثبوته ثبوت عصمة الأئمة بالآية من جميع القبائح . وقد علمنا أن من عدا

من ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم . ومتى قيل : إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج ، فالقول فيه : أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ؛ فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه ، والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم ( . . . ) (١) . اهـ

فأنت ترى أن الطبرسي يحاول من وراء هذا الجدل العنيف أن يثبت عصمة

الآئمة، وهي عقيدة فاسدة يؤمن بها هو ومن على شاكلته من الإمامية الإثني عشرية، ولا شك أن هذا تحكّم في كلام الله تعالى دفعه إليه الهوى. وحمله عليه تأثير المذهب .

### الرجعة :

ولما كان الطبرسي يقول بالرجعة ، فإننا نراه عندما فسر قوله تعالى في الآية (٥٦) من سورة البقرة « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » ، يقول مانصه : (٠٠٠ واستدل قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة . وقول من قال : إن الرجعة لا تجوز إلا في زمن النبي لتسكون معجزة له ودلالة على نبوته باطل ؛ لأن عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الآئمة والأولياء ، والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول . . . (١) ٥١ .

### المهدى :

والطبرسي يدين بالمهدى ، ويعتقد أنه اختفى وسيرجع في آخر الزمان ، وقد تأثر بهذه العقيدة ، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة البقرة « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون » ، يذكر الأقوال الواردة في المعنى المراد بالغيب ، وينقل في جملة ما ينقل من الأقوال : أن ابن مسعود وجماعة من الصحابة فسروا الغيب بما غاب عن العباد عليه . ثم يقول : « وهذا أولى لعمومه ، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي ووقت خروجه . (٢) ١٠٥ هـ »

### التقية :

ولما كان الطبرسي يقول بمبدأ التقية ، فإننا نجده يستطرد إلى الكلام فيها ويؤيد مذهبه عندما فسر قوله تعالى في الآية (٢٨) من سورة آل عمران ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس

(١) ج ١ ص ٥٠

(٢) ج ١ ص ١٧

من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة... الآية) فيقول: من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين فليس من الله في شيء، أي ليس هو من أولياء الله، والله برىء منه، وقيل: ليس هو من ولاية الله تعالى في شيء. وقيل: ليس من دين الله في شيء. ثم استثنى فقال: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) والمعنى: إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم، فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه، ومداراتهم تقية منهم ودفعاً عن نفسه من غير أن يمتد ذلك. وفي هذه الآية دلالة على أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلها عند الضرورة، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الأفعال في قتل المؤمن، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد في الدين.

قال المفيد: إنها قد تجب أحياناً وتكون فرضاً، وتجاوز أحياناً من غير وجوب، وتكون في وقت أفضل من تركها، وقد يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذور أو معفوا عنه متفضلاً عليه بترك اللوم عليها. وقال الشيخ أبو جعفر الطوسي: وظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس، وقد روى رخصته في جواز الإفصاح بالحق عنده، وروى الحسن: أن مسيلة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، ثم دعا بالآخر فقال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أفتشهد أني رسول الله؟ قال: إني أصم. قالها ثلاثاً، كل ذلك يجيبه بمثل الأول، فضرب عنقه، فبلغ ذلك رسول الله فقال: أما ذلك المقتول فمضى على صدقه ويقينه، وأخذ بفضلته فهيناً له، وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه، فعلى هذا تكون التقية رخصة والإفصاح بالحق فيضلة (١). اهـ.



تأثر الطبرسي بفقهاء الشيعة في تفسيره :

ونجد الطبرسي في تفسيره يتأثر بفقهاء الإمامية الاثني عشرية وآرائهم الاجتهادية ، فنراه يستشهد بكثير من الآيات على صحة مذهبه ، أو يرد استدلال مخالفيه بآيات القرآن على مذاهبهم ، وهو في استدلاله ، ورده ، ودفاعه وجدله ، عنيف كل العنف . قوى إلى حد بعيد ، بحيث يخيل لغير المدقق الخبير أن الحق بجانبه ، والباطل بجانب من يخالفه .

نكاح المتعة :

فتلا نجد الإمامية الاثني عشرية يقولون بجواز نكاح المتعة ، ولا يعترفون بنسخه كغيرهم من المسلمين ؛ فلماذا حاول الطبرسي - وهو واحد منهم - أن يأخذ هذا المذهب بدليله من كتاب الله تعالى فعندما فسر قوله تعالى في الآية (٢٤) من سورة النساء والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة . . . الآية ، يقول ما نصه ( . . . فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة . . . ) الآية . قيل : المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة . عن الحسن ومجاهد وابن زيد . فعناه على هذا : فما استمتعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن . وقيل : المراد نكاح المتعة ، وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم . . عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين ، وهو مذهب أصحابنا الإمامية ، وهو الواضح ؛ لأن أصل الاستمتاع والتمتع وإن كان في الأصل واقعاً على الانتفاع والالتذاذ فقد صار يعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد ، لاسيما إذا أضيف إلى النساء ، فعلى هذا يكون معناه : فتمتعتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فآتوهن أجورهن ، ويدل على ذلك أن الله علق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضى أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ ، لأن المهر لا يجب إلا به . هذا ، وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم أبي بن كعب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود : أنهم قرءوا : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن . وفي ذلك

تصریح بأن المراد به عقد المتعة . وقد أورد الثعلبي في تفسيره عن حبيب بن أبي ثابت قال : أعطاني ابن عباس مصحفاً فقال هذا على قراءة أبي ، فرأيت في المصحف : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى . ويأسناده عن أبي نضرة قال : سألت ابن عباس عن المتعة فقال : أما تقرأ سورة النساء ؟ فقلت : بلى ، فقال : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى ، قلت : لا أفروها هكذا . قال ابن عباس : والله هكذا أنزلها الله تعالى ( ثلاث مرات ) . ويأسناده عن سعيد بن جبیر أنه قرأ : فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى . ويأسناده عن شعبة بن الحكم بن عيينة قال : سألته عن هذه الآية ، فما استمتعتم به منهن ، أممسوخة هي ؟ قال : قال الحكم قال : علي بن أبي طالب : لولا أن عمر نهى عن المتعة مازنى إلا شفئ (١) . ويأسناده عن عمران ابن الحصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تعالى ولم تنزل آية بعدها تنسخها فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومات ولم ينهنا عنها ، فقال بعد رجل برأيه ماشاء . وما أوردته مسلم بن الحجاج في الصحيح قال : حدثنا الحسن الحلواني ، قال حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عطاء : قدم جابر بن عبد الله معتمراً فحجناه في منزله ، فسأله القوم عن أشياء ، ثم ذكروا المتعة ، فقال : استمتعتنا على عهد رسول الله وأبي بكر وعمر . وما يدل أيضاً على أن لفظ الاستمتاع في الآية لا يجوز أن يكون المراد به الانتفاع والجماع ، أنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم شيء من المهر من لا ينتفع من المرأة بشيء ، وقد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزم نصف المهر . ولو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد ؛ لأنه قال : ( فأتوهن أجورهن ) أي مهرهن ، ولا خلاف في أن ذلك غير واجب ، وإنما يجب الأجر بكامله بنفس العقد في نكاح المتعة .

وما يمكن التعلق به في هذه المسألة ، الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حلالا ، أنا أنهى

(١) الا شفى بالفاء : أى الا قليل

عنها وأعاقب عليهما، فأخبر بأن هذه المتعة كانت على عهد رسول الله وأصاف  
النهي عنها إلى نفسه بضرب من الرأي، فلو كان النبي صلى الله عليه وسلم نسخها  
أو نهى عنها أو أباحها في وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه  
دون نفسه . وأيضاً فإنه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء في النهي، ولا خلاف  
في أن متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة ، فوجب أن يكون حكم متعة النساء  
حكمها . وقوله (فلا جناح عليكم فيما تراضيتُم به من بعد الفريضة) من قال إن  
المراد بالاستمتاع والاتمتاع والجماع، قال: المراد به ولا حرج ولا إثم عليكم  
فيما تراضيتُم به من زيادة مهر ونقصانه ، أو حط ، أو إبراء ، أو تأخير . وقال  
السدي معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتُم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء  
مدة الأجل المضروب في عقد المتعة، يزبدها الرجل في الأجر وتزبده في المدة،  
وهذا قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم ... (١) هـ .

#### فرض الرجلين في الوضوء :

كذلك يقول الطبرسي - كغيره من علماء مذهبه - بأن المسح هو فرض  
الرجلين في الوضوء ، فلماذا نراه يجادل بكل قوة ، ويدافع عن مذهبه وينصره  
بإدلة إن دلت على شيء فهو قوة عقلية هذا الرجل وسعة ذهنه وكثير إطلاعه ،  
فعندما فسر قوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم  
إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرفق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم  
إلى الكعبين .. الآية ) يقول ما نصه ( . . . وأرجلكم إلى الكعبين ) اختلف في  
ذلك ، فقال جمهور الفقهاء : إن فرضهما الغسل . وقالت الإمامية : فرضهما المسح  
دون غيره ، وبه قال عكرمة . وقد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة  
والتابعين ، كابن عباس ، وأنس وأبي العالية والشعبي . وقال الحسن البصري  
بالتخيير بين المسح والغسل ، وإليه ذهب الطبرسي والجبائي إلا أنهما قالوا : يجب  
مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم . قال ناصر الحق  
من جملة أئمة الزيدية : يجب الجمع بين المسح والغسل . وروى عن ابن عباس أنه

وصف وضوء رسول الله فمسح على رجلية . وروى عنه أنه قال : إن في كتاب الله المسح ، ويأبى الناس إلا الغسل . وقال : الوضوء غسلتان ومسحتان . وقال قتادة : فرض الله غسلتين ومسحتين . وروى ابن عليه ، عن حميد ، عن موسى ابن أنس : أنه قال لأنس ونحن عنده : إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال : اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برءوسكم ، وإنه ليس شيء من بني آدم أقرب من خبثه من قدميه ، فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعواقبهما ، فقال أنس : صدق الله وكذب الحجاج ، قال الله تعالى ( وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ) قال : فكان أنس إذا مسح قدميه بلهما . وقال الشعبي : نزل جبريل عليه السلام بالمسح . وقال : إن في التمسح يمسح ما كان غسلا ، ويلغى ما كان مسحا . وقال يونس : حدثني من صحب عكرمة إلى واسط . قال : فإرأيت غسل رجلية ، إنما كان يمسح عليهما - وأما ما روى عن سادة أهل البيت في ذلك فأكثر من أن يحصى ، فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الأهوازي ، عن فضالة ، عن حماد بن عثمان ، عن غالب بن هذيل قال : سألت أبا جعفر عر المسح على الرجلين فقال : هو الذي نزل به جبريل . وعنه عن أحمد بن محمد قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عن المسح على القدمين كيف هو ؟ فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحهما إلى الكعبين ، فقلت له : لو أن رجلا قال بأصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين ؟ قال : لا . إلا بكفه كلها . وأما وجه القراءتين في ( أرجلكم ) فمن قال بالغسل حمل الجرفيه على أنه عطف على برءوسكم ، وقال : المراد بالمسح هو الغسل . وروى عن أبي زيد أنه قال : المسح خفيف الغسل ، فقد قالوا : تمسحت للصلاة ، وقوى ذلك بأن التحديد إنما جاء في المغسول ولم يجيء في الممسوح ، فلما وقع التحديد في المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقة الغسل في التحديد ، وهذا قول أبي علي الفارسي .

وقال بعضهم : هو خفض على الجوار ، كما قالوا جحر ضب خرب .  
وخرب من صفات الجحر لا الضب ، وكما قال امرؤ القيس :

كأن ثيرا في عرائن وبله كبير أناس بجاد تمزمل  
وقال الزجاج : إذا قرئ بالجر يكون عطفًا على الرءوس فيقتضى كونه

مسوحاً . وذكر عن بعض السلف أنه قال : نزل جبريل بالمسح ، والسنة فيه الغسل . قال : والخفض على الجوار لا يجوز في كتاب الله تعالى ، ولكن المسح على هذا التحديد في القرآن كالغسل . وقال الأخفش : هو معطوف على الرءوس في اللفظ ، مقطوع في المعنى ، كقول الشاعر :

« علفتها تبتا وماء بارداً ،

المعنى وسقيتها ماء بارداً .

وأما القراءة بالنصب ، فقالوا فيه .. إنه معطوف على أيديكم ؛ لأننا رأينا فقهاء الأمصار عملوا على الغسل دون المسح ، ولما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى قوماً توضأوا وأعقابهم تلوح . فقال : دويل للعراقيب من النار . ذكره أبو علي الفارسي . وأما من قال بوجوب مسح الرجلين .. حمل الجر والنصب في أرجلكم على ظاهره بدون تعسف ، فالجر للعطف على الرءوس ، والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور ، وأمثال ذلك في كلام العرب أكثر من أن تحصى . قالوا : ليس فلان بقائم ولا ذاهباً ، وأنشد :

معاوى إننا بشر فأسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

وقال تأبط شراً :

هل أنت باعك ديناراً لحاجتنا أو عبد رب أخا عون بن مخراق  
فعطف عبد على موضع دينار ، فإنه منصوب في المعنى ، ومن ذلك قول الشاعر :

جئني بمثل بني بدر لقمومهم أو مثل إخوة منظور بن سيار  
فإنه لما كان معنى جئني هات وأحضر لي مثلهم ، عطف بالنصب على المعنى ، وأجابوا الأولين عما ذكروه في وجه الجر والنصب بأجوبة نوردها على وجه الإيجاز : قالوا : ما ذكروا أولاً من أن المراد بالمسح الغسل فباطل من وجوه :  
أحدها : أن فائدة اللفظين في اللغة والشرع مختلفة ، وقد فرق الله سبحانه بين الأعضاء المغسولة وبين الأعضاء المسوحة ، فكيف يكون معنى المسح والغسل واحداً ؟

وثانيها : أن الأرجل إذا كان معطوفا على الروموس ، وكان الفرض في الروموس المسح الذي ليس بغسل بلا خلاف ، فيجب أن يكون حكم الأرجل كذلك ، لأن حقيقة العطف تقتضى ذلك .

وثالثها : أن المسح لو كان بمعنى الغسل لسقط استدلالهم بما رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ وعسل رجله ، لأن على هذا لا ينكر أن يكون مسحهما فسموا المسح غسلا وفي هذا ما فيه .

فأما استشهاد أبي زيد بقولهم : تمسحت للصلاة ، فالمعنى فيه : أنهم لما أرادوا أن يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم يجوز أن يقولوا تغسلت للصلاة لأن ذلك تشبيه ، بالغسل ، قالوا بدلا من ذلك تمسحت ، لأن المغسول من الأعضاء مسح أيضا فتجاوزوا لذلك تعويلا على أن المراد مفهوم ، وهذا لا يقتضى أن يكونوا جعلوا المسح من أسماء الغسل .

وأما ما قالوا في تحديد طهارة الرجلين فقد ذكر المرتضى في الجواب عنه : أن ذلك لا يدل على الغسل ، وذلك لأن المسح فعل قد أوجبه الشريعة كالغسل فلا ينكر تحديده كتحديد الغسل ، ولو صرح سبحانه وتعالى فقال : وامسحوا أرجلكم واتهوا بالمسح إلى الكعبين لم يكن منكرا . فإن قالوا : إن تحديد اليدين لما اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضى الغسل قلنا : إننا لم نوجب الغسل في اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما ، وليس كذلك في الرجلين ، وإن قالوا : عطف المحدود على المحدود أولى وأشبه بترتيب الكلام . قلنا : هذا لا يصح ؛ لأن الأيدي محدودة وهى معطوفة على الوجوه التى ليست فى الآية محدودة ، فإذا جاز عطف الأرجل وهى محدودة ، على الروموس التى ليست بمحدودة ، وهذا أشبه بما ذكرتموه ؛ لأن الآية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه ، وعطف عضو محدود مغسول عليه ؛ ثم استؤنف ذكر عضو مسح غير محدود ، فيجب أن يكون أرجل مسحوة محدودة معطوفة على الروموس دون غيره . ليتقابل الجملتان فى عطف مغسول محدود على مغسول غير محدود ، وعطف مسح محدود على مسح غير محدود .

وأما من قال : إنه عطف على الجوار ، فقد ذكرنا عن الزجاج أنه لم يجوز ذلك في القرآن ، ومن أجاز ذلك في الكلام فإنما يجوز مع فقد حرف العطف ، وكل ما استشهد به على الإعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حائل بين هذا وذاك . وأيضاً فإن المجاورة إنما وردت في كلامهم عند ارتفاع اللبس والأمن من الاشتباه ، فإن أحداً لا يشتبه عليه أن خرباً لا يكون من صفة الضب ، ولفظة مزمل لا يكون من صفة البجاد ، وليس كذلك الأرجل فإنها يجوز أن تكون مسوحة كالرموس . وأيضاً فإن المحققين من النحويين نفوا أن يكون الإعراب بالمجاورة جائزاً في كلام العرب ، وقالوا في جحر ضب خرب : إنهم أرادوا خرب جحره ، فحذفوا المضاف الذي هو جحر وأقيم المضاف إليه وهو الضمير المجرور مقامه وإذا ارتفع الضمير استكن في خرب . وكذلك القول في كبير أناس في بجاد مزمل ، فتقديره مزمل كبيره ، فبطل الإعراب بالمجاورة جملة ، وهذا واضح لمن تدبره .

وأما من جملة مثل قول الشاعر: علفتها تبنا وماء بارداً ، كأنه قدر في الآية واغسلوا أرجلكم ، فقوله أبعد من الجميع ؛ لأن مثل ذلك لو جاز في كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده في سائر الكلام، فإنما يجوز إذا استحال حمله على ظاهر، فأما إذا كان الكلام مستقيماً ومعناه ظاهراً فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد؟.

وأما ما قاله أبو علي في القراءة بالنصب على أنه معطوف على الأيدي ، فقد أجاب عنه المرتضى بأن قال : جعل التأخير في الكلام للقريب أولى من جملة للبعيد ، فنصب الأرجل عطفاً على الموضع أولى من عطفها على الأيدي والوجوه ، على أن الجملة الأولى المأمور فيها بالغسل قد انقضت وبطل حكمها باستئناف الجملة الثانية ، ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الأولى أن تعطف على ما فيها، فإن ذلك يجرى مجرى قولهم ضربت زيداً وعمراً واکرمت خالدأ وبكراً، فإن رد بكر إلى خالد في الإكرام هو الوجه في الكلام لايسوغ الذي سواه ، ولا يجوز رده إلى الضرب الذي قد انقطع حكمه ، ولو جاز ذلك

أيضاً لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا تتنافيان .

فأما ما روى في الحديث أنه قال : ويل للعراقيب من النار ، وغير ذلك من الأخبار التي رووها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه توسأ وغسل رجله ، فالكلام في ذلك أنه لا يجوز أن يرجع عن ظاهر القرآن المعلوم بظاهر الأخبار الذي لا يوجب علماً وإنما يقتضى الظن ، على أن هذه الأخبار معارضة بأخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت في كتبهم ، ونقلت عن شيوخهم ، مثل ما روى عن أوس بن أبي أوس أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوسأ ومسح على نعليه ثم قام فصلى . وعن حذيفة قال : أتى رسول الله سباطة قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوسأ ومسح على قدميه ، وذكره أبو عبيدة في غريب الحديث ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره .

وقوله : ويل للعراقيب من النار ، فقد روى فيه أن قوماً من أجلاف الأعراب كانوا يبولون وهم قيام ، فيتشرشر البول على أعقابهم وأرجلهم فلا يغسلونها ، ويدخلون المسجد للصلاة ، وكان ذلك سبباً لهذا الوعيد .  
وأما الكعبان فقد اختلف في معناهما ، فعند الإمامية هما العظمان النابتان في ظهر القدم عند معقد الشراك ، ووافقهم في ذلك محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ، وإن كان بوجوب غسل الرجلين إلى هذا الموضع . وقال جمهور المفسرين والفقهاء : الكعبان هما عظام الساقين ، قالوا : ولو كان كما قاله لقال سبحانه : وأرجلكم إلى الكعباب ولم يقل إلى الكعبين ؛ لأن على ذلك القول يكون في كل رجل كعبان ( ١ ) .

### نكاح الكتائيات :

ولما كان مذهب الطبرسي عدم جواز نكاح أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فإنما نجده يتأثر بهذا المذهب فيفسر كلام الله على مقتضاه ، فنجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٢٢١ ) من سورة البقرة ( ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ولأمة مؤمنة خير من مشركة . . . الآية ) يقول بعدما تكلم



عن اللغة والإعراب وسبب النزول ( لما تقدم ذكر المخالطة بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال : ( ولا تنكحوا المشركات ) ، أى لا تزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن أى يصدقن بالله ، وهى عامة عندنا فى تحريم مناهجة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم . وليست بمنسوخة ولا منحصوة ، فاختلفوا فيه ، فقال بعضهم : لا يقع اسم المشركات على أهل الكتاب ، وقد فصل الله بينهما فقال : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين<sup>(١)</sup> » و « ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين<sup>(٢)</sup> » ، وعطف أحدهما على الآخر ، فلا نسخ فى الآية ولا تخصيص . وقال بعضهم : الآية متناولة لجميع الكفار ، والشرك يطلق على الكل ، ومن جحد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنكر معجزته وأضافه إلى غير الله ، وهذا هو الشرك بعينه ؛ لأن المعجزة شهادة من الله له بالنبوة . ثم اختلف هؤلاء : فمنهم من قال : إن الآية منسوخة فى الكتاب بالآية التى فى المائدة ( . . . ) والمحصلات من الذين أتوا الكتاب (٣) . عن ابن عباس والحسن ومجاهد - ومنهم من قال : إنها منحصوة بغير الكتابيات . . عن قتادة وسعيد بن جبير - ومنهم من قال : إنها على ظاهرها فى تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت أو مشركة . . عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا ، وسيأتى بيان آية المائدة فى موضعها إن شاء الله ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ، معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة ( ولو أعجبتكم ) معناه ولو أعجبتكم بما لها أو حسبها أو جمالها ، فظاهر هذا يدل على أنه يجوز نكاح الأمة المؤمنة فى وجود الطول ، فأما قول تعالى ( ومن لم يستطع منكم طولا . . الآية<sup>(٤)</sup> ) فإنما هى على التنزيه دون التحريم ( ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ) معناه : ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا ، وهذا يؤيد قول من يقول

(٢) فى الآية (١٠٥) من سورة البقرة .

(١) أول سورة البينة

(٤) فى الآية (٢٥) من سورة النساء .

(٣) فى الآية (٥) من سورة المائدة

لأن قوله ( ولا تتكفروا المشركات ) يتناول جميع الكافرات ، وقوله ( ولعبد مؤمن خير من مشرك ) أى عبد ، صدق مسلم خير من حر مشرك ولو أعجبكم ماله أو حاله أو جماله . . . اهـ ) (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٥) من سورة المائدة ( اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . . . الآية ) . نراه يقول ما نصه ( . . . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ) وهم اليهود والنصارى ، واختلف فى معناه : ف قيل هن العفاف حرائر كن أو إماء ، حريات كن ذميات . . . عن مجاهد والحسن والشعبي وغيرهم - وقيل : هن الحرائر أو ذميات كن أو حريات - وقال أصحابنا : لا يجوز عقد نكاح الدوام على الكتابية ؛ لقوله تعالى ( ولا تتكفروا المشركات حتى يؤمن ) وبقوله ( ولا تمسكوا بعصم الكوافر ) (٢) وأولوا هذه الآية بأن المراد بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، اللاتي أسلمن منهن . والمراد بالمحصنات من المؤمنات ، اللاتي كن فى الأصل مؤمنات بأن ولدن على الإسلام ، وذلك أن قوما كانوا يتخرجون من العقد على من أسلمت عن كفر ، فبين سبحانه أنه لا حرج فى ذلك ؛ ولهذا أفردهن بالذكر ، حكى ذلك أبو القاسم البلخى . قالوا : ويجوز أن يكون مخصوصاً أيضاً بنكاح المتعة وملك اليمين ، فإن عندنا يجوز وطؤهن بكلا الوجهين ، على أنه قد روى أبو الجارود عن أبى جعفر أنه منسوخ بقوله ( ولا تتكفروا المشركات حتى يؤمن ) وبقوله ( ولا تمسكوا بعصم الكوافر . . . ) اهـ (٣)

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٠) من سورة الممتحنة ( . . . ولا تمسكوا بعصم الكوافر . . . ) قال مانصه ( أى لا تمسكوا بنكاح الكافرات ، وأصل

(٢) فى الآية (١٠) من سورة الممتحنة

(١) ج ١ ص ١٢٤

(٣) ج ١ ص ٣١٣

العصمة المنع ، وسمى النكاح عصمة ، لأن المنكوحه تكون في حبال الزوج وعصمته ، وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية ، وعلى كل حال ، الآية عامة في الكوافر ، وليس لأحد أن يخص الآية بعبادة الوثن لزوجها بسببهن ، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بالسبب . . . (١)

الغنائم :

ولما كانت الإمامية الإنا عشرية لهم في الغنائم نظام خاص يخالفون به من عداهم فيجبون الخمس لمستحققيه في مطلق الغنيمه ، فهو غير مختص عندهم بغنائم الحرب بل يشمل أنواعا سبعة هي : غنائم الحرب ، وغنائم الفوص ، والكنز الذي يعثر عليه ، والمعدن الذي يستنبط من الأرض ، وأرباح المكاسب ، والحلال المختلط بالحرام ، والأرض المنتقلة من المسلم إلى الذي . وليس الخمس الهاشمي الذي يرون وجوبه فيما عدا الغنائم الحربية من الصدقات كما يتوهم البعض ، ولكنهم يعتبرونه حقاً امتيازياً لآل محمد الذين حرمت عليهم الصدقات نظير ما تمتاز به الأسر المالكة اليوم من التمتع بمخصصات خاصة ، وقد تضافر الحديث عن الأئمة بأن الخمس حق سبطاني بإرادة ملكية ، هي إرادة ملك الكائنات لمستحققيه الذين ذكرهم القرآن (٢) .

لما كان هذا فإننا نجد الطبرسي ينزل ماورد في الغنائم من الآيات على مذهبه ، ولهذا عندما فسر قوله تعالى في الآية (٤١) من سورة الأنفال ، واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية ، يقول متأثراً بمذهبه . . . . . اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على أقوال .

أحدها : مذهب إليه أصحابنا ، وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم ، فسهم لله ، وسهم للرسول ، وهذان السهمان مع سهم ذى القربى للإمام القائم مقام الرسول ، وسهم لتمامي آل محمد ، وسهم لمساكينهم ، وسهم لأبناء سبيلهم ، لا يشركهم في ذلك غيرهم ، لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها

أوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس ، وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين ، ومحمد بن علي الباقر . وروى أيضاً عن أبي العالية والربيع أنه يقسم على سنة أسهم إلا أنهما قالوا : سهم الله للكعبة ، والباقي لمن ذكره الله . وهذا القسم بما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه .

الثاني . أن الخمس يقسم على خمسة أسهم ، وأن سهم الله والرسول واحد ، ويصرف هذا السهم إلى الكراع والسلاح ، وهو المروى عن ابن عباس ، وإبراهيم ، وقتادة ، وعطاء .

الثالث : أن يقسم على أربعة أسهم : سهم لذى القربى . . . لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم ، والأسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي .

الرابع : أنه يقسم على ثلاثة أسهم ، لأن سهم الرسول قد سقط بوفاة ، لأن الأنبياء لا تورث فيما يزعمون ، وسهم ذوى القربى قد سقط ، لأن أبا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذى القربى ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة عليهما . . وهو مذهب أبي حنيفة وأهل العراق - ومنهم من قال : لو أعطى فقراء ذوى القربى سهماً والآخرين ثلاثة أسهم جاز ، ولو جعل ذوى القربى أسوة بالفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز - واختلف في ذى القربى : فقيل : هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب ، لأن هاشم لم يعقب إلا منه . . عن ابن عباس ومجاهد ، وإليه ذهب أصحابنا - وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف ، وبنو عبد المطلب ابن عبد مناف . . . وهو مذهب الشافعي ، وروى ذلك عن جبير بن معظم عن النبي صلى الله عليه وسلم - وقال أصحابنا : إن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب ، وأرباح التجارات ، وفي الكنوز والمعادن ، والغوص ، وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ، ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية ، فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة . . . اهـ<sup>(١)</sup> .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٧) من سورة الحشر ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ... الآية ) يقول مانصه ( ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ) أى من أموال كفار أهل القرى ( فله ) يأمركم فيه بما أحب ( وللرسول ) بتملك الله إياه ( ولذو القربى ) يعنى أهل بيت رسول الله وقرابته ، وهم بنو هاشم ( واليتامى والمساكين وابن السبيل ) منهم ، لأن التقدير ولذو قرباه ، ويتامى أهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم . وروى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين قال : قلت قوله ( ولذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ) قال : هم أقرباؤنا ومساكيننا وأبناء سبيلنا . وقال جميع الفقهاء : هم يتامى الناس عامة ، وكذلك المساكين وأبناء السبيل . وقد روى أيضاً ذلك عنهم . وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر أنه قال : كان أبي يقول : لنا سهم رسول الله وسهم ذوى القربى ، ونحن شركاء الناس فيما بقى . والظاهر يقتضى أن ذلك لهم ، سواء كانوا أغنياء أو فقراء ... وهو مذهب الشافعى - وقيل : لأن مال الفقى للفقراء من قرابة رسول الله وهم بنو هاشم وبنو المطلب . وروى عن الصادق أنه قال : نحن قوم فرض الله طاعتنا ، ولنا الأنفال ، ولنا صفو المسال . . يعنى ما كان يصطفى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من فراه الدواب ، وحسان الجوارى والدرة الثمينة والشئ الذى لا نظير له (١) اه

### ميراث الأنبياء :

والطبرسى يقول كغيره من علماء مذهبه بأن الأنبياء عليهم السلام يورثون كما يورث سائر الناس ، ولهذا نراه يتأثر بمذهبه هذا ، فيحمل عليه كلام الله ، فنلا عند ما فسر قوله تعالى في الآيتين ( ٥ ، ٦ ) من سورة مريم ( ولإني خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ) يقول مانصه ( . . اختلف فى معناه ، فقيل : معناه يرثنى مالى ويرث من آل يعقوب النبوة . . عن أبي صالح - وقيل معناه

يرث نبوتى ونبوة آل يعقوب .. عن الحسن ومجاهد . واستدل أصحابنا بالآية على أن الأنبياء يورثون المال ، وأن المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة ، بأن قالوا : إن لفظ الميراث فى اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ، ولا يستعمل فى غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة . وأيضاً فإن زكريا قال فى دعائه ( واجعله رب رخصياً ) أى اجعل يارب ذلك المولى الذى يرثنى رخصياً عندك بمنزلة لأمرى ، ومتى حملنا الإرث على النبوة لم يكن لذلك معنى ، وكان لغواً عيباً ، ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد . اللهم ابعث لنا نبياً ، واجعله عاقلاً رخصياً فى أخلاقه ، لأنه إذا كان نبياً فقد دخل الرضا وما هو أعظم من الرضا فى النبوة ، ويقوى ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بنى عمه بعده بقوله ( وإنى خفت المولى من ورأى ) وإنما يطلب وارثاً لأجل خوفه ، ولا يلىق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم ، لأنه كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل النبوة ، وأن يورث علمه وحكمته من ليس لها بأهل ، ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره فى الناس ، فكيف يخاف من الأمر الذى هو الغرض من بعثته . فإن قيل : إن هذا يرجع عليكم فى وريثة المال ، لأن فى ذلك إضافة الضن والبخل إليه ، إليه ، قلنا : معاذ الله أن يستوى الأمران ، فإن المال قد يروق المؤمن والكافر ، والصالح والطالح ، ولا يمنع أن يأسى على بنى عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغى ، بل فى ذلك غاية الحكمة ، فإن تقوية الفساد وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة فى الدين ، فمن عد ذلك بخلاً وضناً فهو غير منصف . وقوله : وخفت المولى من ورأى . يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم وأفعالهم ومعان فيهم لا من أعيانهم ، كما أن من خاف الله تعالى فإنما خاف عقابه ، فالمراد به : خفت تضييع المولى مالى وإنفاقهم إياه فى معصية الله (١) اه .

وعندما فسر قوله تعالى فى الآية (١٦) من سورة النمل ( . . . وورث سليمان

داود) نجده يقول مانصه : في هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتورث غيرهم . . . وهو قول الحسن - وقيل معناه أنه ورت عليه ونبوته وملكه دون سائر أولاده . ومعنى الميراث هنا أنه قام مقامه في ذلك ، فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنة اسم الإرث . . . عن الجبائي ، وهذا خلاف الظاهر ، والصحيح عند أهل البيت هو الأول . . . (٢) هـ .

### الإجماع :

ولما كان الطبري كعلماء مذهبه لا يعتبرون حججة الإجماع مهما كان نوعه إلا إذا كان كاشفاً عن رأى الإمام أو كان الإمام داخلاً في جملة المجمعين (٢) ، فإذا نراه يرد الأدلة القرآنية التي استدلت بها الجمهور على حججة الإجماع ويناقشهم في فهم هذه الآيات .

فمثلاً عندما فسر قوله تعالى في الآية (٥٤) من سورة النساء . . . فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) نراه يرد استدلال الجمهور بهذه الآية على حججة الإجماع فيقول مانصه ( . . . واستدل بعضهم بقوله د فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ، على أن إجماع الأمة حجة بأن قالوا : إنما أوجب الله الرد إلى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع ، فدل على أنه إذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ، ولا يكون كذلك إلا والإجماع حجة . وهذا الاستدلال إنما يصح لو فرض أن في الأمة معصوماً حافظاً للشرع ، فأما إذا لم يفرض ذلك فلا يصح ، لأن تعليق الحكم بشرط أو صفة لا يدل على أن ما عداه بخلافه عند أكثر العلماء . فكيف اعتمدوا عليه هنا . على أن الأمة لا تجمع على شيء إلا عن كتاب أو سنة . وكيف يقال إنها إذا أجمعت على شيء لا يجب عليها الرد إلى الكتاب والسنة وقد ردت إليهما ؟ . (٢) هـ .

(٢) تعريف الشيعة ص ١٦ .

(١) ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) ج ١ ص ٢٧٠ .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١١٥) من سورة النساء (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى... الآية) يقول مانصه (.. وقد استدلت بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة، لأنه توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاققة الرسول. والصحيح أنه لا يدل على ذلك، لأن ظاهر الآية يقتضي إيجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهراً وباطناً، لأن من أظهر الإيمان لا يوصف بأنه مؤمن إلا مجازاً، فكيف يحمل ذلك على إيجاب متابعة من أظهر الإيمان، وليس كل من أظهر الإيمان مؤمناً، ومتى حملوا الآية على بعض الأمة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وسلم. على أن ظاهر الآية يقتضي أن الوعيد إنما يتناول من جمع بين مشاققة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، فمن أين لهم أن من يفعل أحدهما يتناوله الوعيد؟ ونحن إنما علمنا أن الوعيد إنما يتناول بمشاققة الرسول بانفرادها بدليل غير الآية، فيجب أن يستندوا تناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين إلى دليل آخر (١) اهـ.

تأثير الطبرسي بمذهب المعتزلة في تفسيره.

هذا، وإن عقيدة الطبرسي كعقيدة غيره من الشيعة لها كثير الارتباط بمبادئ المعتزلة في علم الكلام، ولهذا نراه في تفسيره كثيراً ما يوافق المعتزلة في بعض آرائهم الكلامية، ويرتضى مذهبهم، ويدافع عنه، ويحاول أن يهدم مآعدها. وأحياناً نراه لا يرتضى ما يقوله المعتزلة ولا يسلمه لهم بل يقف موقف المنازع لهم. والمعاض لأدلتهم.

الهدى والضلال:

ففي الآيات التي لها تعلق بهداية العبد وضلاله، نراه يوافق المعتزلة في عقيدتهم، ويدافع عنها، ويهدم مآعدها.



فثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً . . . الآية ) يقول مانصه ( . . . قد ذكر في تأويل الآية وجوه :

أحدها : أن معناه من يرد الله أن يهديه إلى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره للإسلام في الدنيا ؛ بأن يثبت عزمه عليه ، ويقوى دواعيه على التمسك به ، ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة . وإنما يفعل ذلك لطفاً له ومناً عليه وثواباً على اهتدائه بهدى الله وقبوله إياه ، ونظيره قوله سبحانه : والذين اهتدوا زادهم هدى<sup>(١)</sup> ، ويزيد الله الذين اهتدوا هدى<sup>(٢)</sup> . ومن يرد أن يضله ، عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً ، عقوبة له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان وسالماً إياه القدرة عليه ، بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الإيمان ، فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً له إلى تركه . والدليل على أن شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله تعالى : ألم نشرح لك صدرك . . . الآيات<sup>(٣)</sup> ، ومعلوم أن وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرسالة وكلفها ، وكذلك ما قرن به من شرح الصدر . والدليل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب قوله : والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم ، ومعلوم أن الهداية بعد القتل لا تكون إلا إلى الثواب ؛ فليس بعد الموت تكليف ، وقد وردت الرواية الصحيحة : أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر : ما هو ؟ فقال : نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له صدره وينفسح ، قالوا ؛ فهل لذلك من أمانة يعرف بها ؟ قال : نعم . . . الإجابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت .

(١) في الآية (١٧) من سورة محمد عليه السلام .

(٢) الآية (٧٦) من سورة مريم

(٣) أول سورة الانشراح

وثانيها : أن معنى الآية : : فمن يرد الله أن يثبتته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرنا جزاء له على إيمانه واهتدائه ، وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة كما قلنا في قوله « اهدنا الصراط المستقيم » ، ومن يرد أن يضله ، أى يخذله ويخلى بينه وبين ما يريد لاختياره الكفر وتركه الإيمان « يجعل صدره ضيقا حرجا » ، بأن يمنعه الألفاظ التي ينشرح بها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره . فإن قيل : إنا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ، ونراه طيب القلب على كفره ، فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه ؟ قلنا : إنه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقا ولم يقل في كل حال ، ومعلوم من حاله في أحوال كثيرة أنه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه ، وعند ما يجازى الله المؤمنين على استعمال الأدلة الموصلة إلى الإيمان ، وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر .

وثالثها : أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة ، لأن من حقها أن تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد أن يضله « عن تلك الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه « يجعل صدره ضيقا حرجا » ، لمكان فقد تلك الزيادة ؛ لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضاده ، ويكون الفائدة في ذلك الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر . . . وهذا التأويل قريب مما تقدم . وقد روى عن ابن عباس أنه قال : إنما سمي الله قلب الكافر حرجا ، لأنه لا يصل الخير إلى قلبه ، وفي رواية أخرى : لاتصل الحكمة إلى قلبه . ولا يجوز أن يكون المراد بالإضلال في الآية الدعاء إلى الضلال ، ولا الأمر به ، ولا الإيجاب عليه ؛ لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يأمر بالضلال ولا يدعو إليه ، فكيف يجبر عليه ، والدعاء إليه أهون من الإيجاب عليه . وقد ذم الله تعالى فرعون والسامري على إضلالهما عن دين الهدى في قوله : « وأضل فرعون قومه وما هدى <sup>(١)</sup> » ، وقوله ( فأضلهم السامري <sup>(٢)</sup> ) ولا خلاف في أن إضلالهما

(١) الآية (٧٩) من سورة طه (٢) الآية رقم (٨٥) من سورة طه

إضلال أمر وإجبار ودعاء ، وقد ذمهما الله تعالى عليه مطلقا ، فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره ، اه (١) .

### رؤية الله :

كذلك يقول الطبرسي بما يقول به المعتزلة من عدم جواز رؤية الله ووقوعها في الآخرة ، ولهذا نراه يفسر قوله تعالى في الآيتين (٢٢ ، ٢٣) من سورة القيامة وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ، بما يتفق ومذهبه فقول  
« إلى ربها ناظرة ، اختلف فيه على على وجهين :

أحدهما : أن معناه نظرة العين .

والثاني : أنه الانتظار . واختلف من حمله على نظر العين على قولين :

أحدهما : أن المراد إلى ثواب ربها ناظرة ، أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالا بعد حال ، فيزداد بذلك سرورها . وذكر الوجوه والمراد به أصحاب الوجوه . . . روى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم . . . لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، كما في قوله تعالى : « وجاء ربك (٢) » ، أمر ربك . وقوله : « وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٣) » ، أي إلى إطاعة العزيز الغفار وتوحيده وقوله : « إن الذين يؤذون الله (٤) » ، أي أولياء الله .

والآخر : أن النظر بمعنى الرؤية ، والمعنى تنظر إلى الله معاينة ، روى ذلك عن الكلبي ومقاتل وعطاء وغيرهم . . . وهذا لا يجوز ، لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدة واللحاظ ، والله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين ، كما يجمل سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع ، وأيضا فإن الرؤية بالحاسة لا تتم

(١) ج ١ ص ٤٠١ (٢) الآية رقم (٢٢) من سورة الفجر  
(٣) في الآية (٤٢) من سورة غافر (٤) في الآية (٥٧) من سورة الأحزاب .

إلا بالمقابلة والتوجه ، والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق . وأيضاً فإن رؤية الحاسة لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئى ، والله منزه عن اتصال الشعاع به . على أن النظر لا يفيد الرؤية فى اللغة ، فإنه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤية . كما أنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت إلى الهلال فلم أراه ، فلو أفاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطاً متناقضاً ، وقولهم ما زلت أنظر إليه حتى رأيت ، والشئ لا يجعل غاية لنفسه ، فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيت ، ولأننا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ، ولأنعله رأياً بالضرورة ، بدلالة أناسأله هل رأيت أم لا ؟ .

وأما من حمل النظر فى الآية على الانتظار فإنهم اختلفوا فى معناه على أقوال : أحدها أن المعنى منتظرة لثواب ربها .. روى ذلك عن مجاهد ، والحسن وسعيد بن جبیر ، والضحاك .. وهو المروى عن على . ومن اعترض على هذا بأن قال : إن النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى إلى ، فلا يقال انتظرت إليه ، وإنما يقال انتظرت له ، فالجواب عنه على وجوه :

منها : أنه قد جاء فى الشعر بمعنى الانتظار ومعنى إلى ، كما فى البيت الذى سبق ذكره ( ... ناظرات = إلى الرحمن (١) ) وكقول جميل بن معمر :  
وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعماً (٢)  
وقول الآخر :

إلى إليك لما وعدت لناظر      نظر الفقير إلى الغنى المومر

---

(١) وذلك حيث فسر النظر لغة فقال ( ... والنظر تليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلباً لرؤيته . ويكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عز شأنه ( وإنى مرسله إليهم بهدية فناظرة ) أى منتظرة ، وقال الشاعر :

وجوه يوم بدر ناظرات      إلى الرحمن تنظر الفلاحا

ثم يستعمل فى الفكر فيقال : نظرت فى هذه المسألة أى تفكرت : ومنه المناظرة : وتكون بمعنى المقابلة ، يقال : دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل ( ج ٢ ص ٥٥٢ )  
(٢) وفى رواية جدتنى نعماً ، أى : جدت على :

ونظائره كثيرة :

ومنها أن تحمل إلى في قوله « إلى ربها ناظرة » ، على أنها اسم ، فهو واحد الآلاء التي هي النعم ، فإن في واحدها أربع لغات : إلا وألا مثل معى وقفا وألى وإلى مثل جدى وحسى ، وسقط التنوين بالإضافة . وقال الأعشى :

أيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

وليس لأحد أن يقول : إن هذا من أقوال المتأخرين وقد سبقهم الإجماع ، فإننا لانسلم ذلك ؛ لما ذكرناه من أن عليا ومجاهدا والحسن وغيرهم قالوا : المراد بذلك تنتظر الثواب .

ومنها : أن لفظ النظر يجوز أن يعدى بإلى في الانتظار على المعنى ، كما أن الرؤية عدت بإلى في قوله تعالى « ألم تر إلى ربك كيف مد الظل (١) » ، فأجرى الكلام على المعنى ، ولا يقال رأيت إلى فلان . ومن إجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق :

ولقد عجبت إلى هوازن أن أصبحت منى تلوذ بيطن أم جرير  
فعدى عجت بإلى لأن المعنى نظرت .

وثانيها : أن معناه مؤملة لتجديد الكرامة ، كما يقال عيني ممدودة إلى الله تعالى وإلى فلان ، وأنا شاخص الطرف إلى فلان . . ولما كانت العيون بعض أجزاء الوجوه أضيف الفعل الذى يقع بالعين إليها . . عن أبي مسلم .

وثالثها : أن المعنى أنهم قطعوا آمالهم وأطماعهم عن كل شيء سوى الله ، ورجوه دون غيره ، فكفى سبحانه عن الطمع بالنظر ، ألا ترى أن الرعبة تتوقع نظر السلطان وتطمع في أفضاله عليها وإسعافه في حوائجها ، فنظر الناس مختلف : فناظر إلى السلطان ، وناظر إلى تجارة ، وناظر إلى زراعة ، وناظر إلى ربه يؤمله . . وهذه الأقوال متقاربة في المعنى ، وعلى هذا فإن هذا الانتظار متى يكون ؟ فقيل : إنه بعد الاستقرار في الجنة ، وقيل : إنه قبل استقرار الخلق في الجنة والنار ، فكل فريق ينتظر ماهو له أهل . . وهذا اختيار القاضى عبد الجبار - وذكر جمهور

(١) في الآية (٤٥) من سورة الفرقان .

أهل العدل أن النظر يجوز أن يحمل على المعنيين جميعاً ، ولا مانع لنا من حمله على الوجهين ، فكأنه سبحانه أراد أنهم ينظرون إلى الثواب المعد لهم في الحال من أنواع النعيم ، وينتظرون أمثالها حالاً بعد حال لئتم لهم ما يستحقون من الإجلال . ويسأل على هذا فيقال : إذا كان بمعنى النظر بالعين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما ؟ والجواب : أن عند أكثر المتكلمين في أصول الفقه يجوز أن يراد بلفظ واحد إذا لا تنافي بينهما . . . وهو اختيار المرتضى قدس الله روحه ، ولم يجوز ذلك أبو هاشم إلا إذا تكلم به مرتين : مرة يريد النظر ، ومرة يريد الانتظار . وأما قولهم : المنتظر لا يكون نعيمة خالصاً فكيف يوصف أهل الجنة بالانتظار ؟ فالجواب عنه : أن من ينتظر شيئاً لا يحتاج إليه في الحال وهو واثق بوصوله إليه عند حاجته فإنه لا يهتم بذلك ولا ينقص سروره به ، بل ذلك زائد في نعيمة ، وإنما يلحق الهم المنتظر إذا كان يحتاج إلى ما ينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرة وهو غير واثق بالوصول إليه . وقد قيل في إضافة النظر إلى الوجوه : إن النعم والسرور وإنما يظهر أن في الوجوه ، فبين الله سبحانه أن المؤمن إذا ورد يوم القيامة تهلل وجهه ، وأن الكافر يخاف مغبة أفعاله القبيحة فيكلح وجهه ... (١) (١) هـ .

### السحر :

والطبرسي ينكر حقيقة السحر ولا يقول به ، ويخالف جمهور أهل السنة في ذلك ، ويرد أدلتهم ، وينكر حديث البخاري في سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا نراه في آخر تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٠٢) من سورة البقرة « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ... الآية ) يقول ما نصه ( ... ) واختلف في ماهية السحر على أقوال :

فقيل : إنه ضرب من التخيل وصنعة لطيفة من من الصنائع ، وقد أمر الله تعالى بالتعود منه وجل التحرز منه بكتابه وقاية منه ، وأنزل فيه سورة الفلق . . . وهو قول الشيخ المفيد أبي عبد الله من أصحابنا .

وقيل : إنه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها ، تخيل إلى المسحور لها حقيقة . . . .

وقيل : إنه يمكن الساحر أن يقلب الإنسان حماراً ويقبله من صورة إلى صورة ، وينشئ الحيوان على وجه الإختراع . وهو لا يجوز ، ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ، ولا يأمن من أن تكون معجزات الأنبياء من هذا النوع ، ولو أن الساحر والمعزم قدرا على نفع أو ضرر ، وعلمنا الغيب لقدرا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلدان بقتل الملوك من غير أن يناههم مكروه وضرر ، فلما رأيناهم أسوأ الناس حالا وأكثرهم مكيدة واحتيالا . علمنا أنهم لا يقدرّون على شيء من ذلك . فأما ما روى من الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر فكان يرى أنه فعل ما لم يفعل أو أنه لم يفعل ما فعله فأخبار مفتعلة لا يلتفت إليها ، وقد قال الله حكاية عن الكفار إن تتبعون إلا رجلا مسحورا<sup>(١)</sup> ، فلو كان السحر عمل فيه لسكان الكفار صادقين في مقالهم ، حاشيا النبي من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله ؛ فإنه حجة الله على خلقه وصفوته على بريته . . . . اهـ (٢) .

#### الشفاعة :

هذا ولا يلتزم الطبرسي القول بكل معتقدات المعتزلة ، بل نراه يخالفهم في كثير من الأحيان ، ويرد عليهم معتقداتهم ، ويجادلهم فيها جدا لا عنيفا قويا .

فذهب الطبرسي في الشفاعة - مثلا - يخالف مذهب المعتزلة ، ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤٨) من سورة البقرة ( واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ) يقول مانصه ( . . . ولا يقبل منها شفاعة ) قال المفسرون : حكم هذه الآية مختص باليهود ، لأنهم قالوا : نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا ، فأياسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ، ويدل

(١) في الآية (٨) من سورة الفرقان (٢) ١ ص ٧٥

على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي شفاعة عقبولة وإن اختلفوا في كيفيةها فعندنا هي مختصة بدفع المضار وإسقاط العقاب عن مستحقه من مذنب المؤمنين .  
وقالت المعتزلة : هي في زيادة المنافع للطيبين والتائبين دون العاصين .  
وهي ثابتة عندنا للنبي ، ولأصحابه المنتخبين ، وللائمه من أهل بيته الطاهرين ، ولصالحى المؤمنين ، وينجى بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين ، ويؤيده الخبر الذى تلقته الأمة بالقبول وهو قوله : ( ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ) وما جاء فى روايات أصحابنا رضى الله عنهم مرفوعاً إلى النبى أنه قال ( إنى أشفع يوم القيامة فأشفع ، ويشفع على فىشفع ، ويشفع أهل بيتى فىشفعون ، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع فى أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار ) ، وقوله مخبراً عن الكفار عند حسراتهم على الفاتت لهم بما حصل لأهل الإيمان من الشفاعة ( فما لنا من شافعين ه ولا صديق حميم (١) اه (٢) .

### حقيقة الإيمان :

وهو أيضاً يخالف المعتزلة فى حقيقة الإيمان ، فلذلك لما عرض لتفسير قوله تعالى فى الآية (٣) من سورة البقرة ( .. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ) قال مانصه : ( .. وقالت المعتزلة بأجمعها : الإيمان هو فعل الطاعة ، ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض والنوافل . ومنهم من اعتبر الفرائض لحسب . واعتبروا الاجتناب من الكبائر كلها ، وقد روى العام والخاص عن على بن موسى الرضى : أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان وقد روى ذلك على لفظ آخر منه أيضاً : الإيمان قول مقول ، وعمل معمول ، وعرفان بالعقول ، واتباع الرسول .

( وأقول أنا ) : أصل الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله . وكل عارف بشىء فهو مصدق به ، يدل عليه هذه الآية ، فإنه تعالى لما ذكر الإيمان علقه بالغيب ، ليعلم أنه تصديق للمخبر فيما أخبر به من الغيب على

(١) الآيتان ( ١٠٠ ، ١٠١ ) من سورة الشعراء (٢) ج ١ ص ٤٥



معرفة وثقة ، ثم أفردته بالذكر عن سائر الطاعات البدنية والمالية وعطفها عليه فقال : ( وبقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ) والشئ لا يعطف على نفسه وإنما يعطف على غيره ، ويدل عليه أيضا أنه تعالى حيث ذكر الإيمان أضافه إلى القلب فقال « وقلبه مطمئن بالإيمان (١) » ، وقال « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان (٢) » ، وقال النبي صل الله عليه وسلم : الإيمان سر - وأشار إلى صدره - والإسلام علانية ( وقد يسمى الإقرار إيمانا كما يسمى تصديقا إلا أنه متى صدر عن شك أو جهل كان إيمانا لفظيا لا حقيقيا ، وقد تسمى أعمال الجوارح أيضا إيمانا استعارة وتلويحا كما يسمى تصديقا كذلك ، فيقال : فلان تصدق أفعاله مقاله ، ولا خير في قول لا يصدقه الفعل . والفعل ليس بتصديق حقيقى باتفاق أهل اللغة ، وإنما استعير هذا الاسم على الوجه الذى ذكرناه . فقد آل الأمر مع تسليم صحة الخبر وقبوله إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما تقتضيه اللغة ، ولا يطلق لفظه إلا على ذلك ، إلا أنه يستعمل فى الإقرار باللسان والعمل بالأركان مجازا واتساعا ، وبالله التوفيق ... (٣) اهـ .

### روايته للأحاديث الموضوعية :

هذا ، ولا يفوتنا أن نقول : إن الطبرسى رحمه الله لم يكن صادقا فى وصفه لكتابه هذا بأنه محجة للمحدث ، ذلك لأننا تتبعناه فوجدناه غير موفق فيما يروى من الأحاديث فى تفسيره ، فقد أكثر من ذكر الموضوعات ، خصوصا ما وضعه الشيعة ونسبوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى أهل البيت مما يشهد لمعتقداتهم ويدل على تشيعهم . وإذا نحن تتبعنا ما يرويه من الأحاديث فى فضائل السور لوجدناه قد وقع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من الاعتراض بما جاء من الأحاديث فى فضائل السور مستندا إلى أبى وغيره ، ومرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى أحاديث ، موضوعة باتفاق أهل العلم .

(١) فى الآية (١٠٦) من سورة النحل

(٢) فى الآية (٢٢) من سورة المجادلة . (٣) ج ١ ص ١٧

كذلك لو تتبعنا هذا التفسير لوجدنا صاحبه يروى في تفسيره من الأحاديث ما يشهد لمذهبه أو يتصل به ، وهى أخبار نقرؤها ولانكاد نرى عليها صبغة الصدق ورواء الحق .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٧) من سورة الرعد (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) نضد أنه يذكر من الروايات ما هو موضوع على السنة الشيعية ، ثم يمر عليها بدون تعقيب منه ، ما يدل على أنه يصدقها ويقول بها . فهو بعد أن ذكر أقوالا أربعة فى معنى هذه الآية نقل عن ابن عباس أنه قال : لما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا المنذر وعلى الهادى من بعدى ، يا على . . بك يهتدى المهتدون ) . ونقل بسنده إلى أبى بردة الأسلمى أنه قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهور وعنده على بن أبى طالب ، فأخذ رسول الله بيد على بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال : إنما أنت منذر ، ثم ردها إلى صدره ، ثم قال : ولكل قوم هاد ، ثم قال : إنك منارة الأنام ، وغاية الهدى ، وأمير القرى وأشهد على ذلك أنك كذلك (١) ، اه .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٢٣) من سورة الشورى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى) نجده يذكر أقوالا ثلاثة فى معنى هذه الآية :

أحدها : لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجرا إلا التوادم والتحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح .

وثانيها : أن معناه : إلا أن تودونى فى قرابتي منكم وتحفظونى لها .

وثالثها : إلا أن تودوا قرابتي وتحفظونى فيهم ... وهنا يسوق من الروايات عن أهل البيت وغيرهم ما يصرح بأن الذين أمر الله بمودتهم : على وفاطمة وولدهما ، ويروى فيما يروى هذا الحديث الغريب الذى نقله من كتاب (شواهد

التنزيل لقواعد التفضيل) مرفوعاً إلى أبي أمامة الباهلي . . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخلقنا أنا وعلى من شجرة واحدة ، فأنا أصلها ، وعلى فرعها ، وفاطمة لقاحها . والحسن والحسين ثمارها ، وأشياعنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجاً ، ومن زاغ عنها هوى ، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ، ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخريه في النار ، ثم تلا : قل لا أسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى ، (١) هـ .

### موقفه من الإسرائيليات .

وكثيراً ما يروى الطبرسي في تفسيره الروايات الإسرائيلية معزوة إلى قائلها ونلاحظ عليه أنه يذكرها بدون أن يعقب عليها . . اللهم إلا إذا كانت مما يتنافى مع العقيدة ، فإنه ينبه على كذب الرواية ، ويبين ما فيها من مجافاتها للحق وبعدها عن الصواب ، فمثلاً عند قوله تعالى في الآية (٢١) وما بعدها من سورة (ص) : وهل آتاك نبأ الخصم إذا تسوروا المحراب \* إذا دخلوا على داود ... (الآيات) نجده يقول : واختلف في استغفار داود من أى شيء كان ، فقيل : إنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود ، كما أخبر سبحانه عن إبراهيم بقوله : والذى أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٢) . . وأما قوله ( فغفرنا له ذلك ) فالمعنى أنا قبلناه منه وأثبتناه ، فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله ( يخادعون الله وهو خادعهم ) (٣) وقوله ( الله يستهزئ بهم ) (٤) فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في حوايه : غفرنا . وهذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم . ومن جوز على الأنبياء الصغائر قال : إن استغفاره كان لذنوب صغير وقع منه ، ثم إنهم اختلفوا في ذلك على وجوه :

(٢) الآية (٨٢) من سورة الشعراء .

(١) ج ٢ ص ٣٨٧-٣٨٩

(٣) في الآية (١٤٢) من سورة النساء . (٤) في الآية (١٥) من سورة البقرة .

أحدها : أن أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه ، فبلغ داود جمالها فخطبها أيضا فزوجها منه ، فقدموه على أوريا ، فعوتب داود على الدنيا .. عن الجبائي .

وثانيها : أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته ، فعوتب على ذلك بنزول الملكين .  
وثالثها : أنه كان في شريعته أن الرجل إذا مات وخلف امرأته فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن الزوج بها ، فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج ، فلما قتل أوريا خطب داود امرأته ومنعت هيبه داود وجلالته أولياؤه أن يخطبوها فعوتب على ذلك .

ورابعها : أن داود كان متشاغلا بالعبادة فأناه رجل وامرأة متحاكين فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك مباح ، فالت نفسه إليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه ، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب .  
وخامسها : أنه عرتب على عجلته في الحكم قبل التثبت ، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها ويحكم عليه قبل ذلك ، وإنما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولها عليه في غير وقت العادة .

وأما ذكر في القصة أن داود كان كثير الصلاة فقال : يارب فضلت على إبراهيم فاتخذته خليلا ، وفضلت على موسى فكلمته تكليما . فقال ياد داود : إنا أبتليناهم بما لم نتلك بمثله فإن شئت ابتليت ، فقال : نعم يارب فابتلني ، فبينما هو في محرابه ذات يوم وقعت حمامة ، فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب ، فذهب ليأخذها فاطلع من الكوة فإذا امرأة أوريا بن حيان تغتسل فهوأها وهم يتزوجها ، فبعث بأوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه أمام التابوت الذي فيه السكينة ففعل ذلك وقتل ، فلما انقضت عدتها تزوجها وبني بها فولد له منها سليمان ، فبينما هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه

رجلان ففزع منهما ، فقالا : لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض ، إلى قوله :  
«وقليل ما عم» فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبه داود على أنهما  
ملكان بعثهما الله إليه في صورة خصمين لييكثاه على خطيئته فتاب وبكى حتى  
نبت الزرع من كثرة دموعه ، فمما لا شبهه في فسادة : فإن ذلك مما يقدر  
في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله تعالى الذين هم أمناؤه على وحيه  
وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن  
الاستماع إليه والقبول منه؟ جل أنبياء الله عن ذلك . وقد روى عن أمير المؤمنين  
أنه قال : لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جللته حدين  
حداً للنبوة وحداً للإسلام . (١) .

#### التفسير الرمزي :

والطبرسي مع أنه في كتابه هذا يفسر القرآن تفسيراً يتمشى مع الظاهر  
المتبادر إلى الذهن إلا أنا نلاحظ عليه أحياناً أنه يذكر المعاني الباطنية ،  
أو بعبارة أخرى يذكر التفسير الرمزي الذي يقول به الشيعة ، وهو وإن كان  
ناقلاً لهذه الأقوال إلا أنه يرتضيها ولا يرد عليها ، كثيراً ما يؤيدها بأدلة  
من عنده .

مثال ذلك أنه عندما فسر قوله تعالى في الآية ( ٣٥ ) من سورة النور  
( الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . . . الآية ) نجده  
يقول بعد كلام طويل ( واختلف في هذا المشبه والمشبه به على أقوال . . .  
ثم ذكر هذه الأقوال ، فكان من جملة ما ذكره هذه الروايات التي لا تعدو أن تكون  
من وضع الشيعة ، وهي ما روى عن الرضا أنه قال ( نحن المشكاة فيها المصباح  
محمد صلى الله عليه وسلم يهدي الله لو لا يتنا من أحب ) . وما نقله من كتاب  
التوحيد لأبي جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن  
أبي جعفر الباقر في قوله ( كمشكاة فيها مصباح ) قال : نور العلم في صدر النبي

المصباح ( في زجاجة ) الزجاجية صدر علي ، صار علم النبي إلى صدر علي ، علم النبي عليا ( يوقد من شجرة مباركة ) نور العلم ( لاشرقية ولا غربية ) لايهودية ولا نصرانية ( يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار ) قال : يكاد العالم من آل محمد يتكلم بالعلم قبل أن يسأل ( نور علي نور ) أي إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ذلك من النبي آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة . فمؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في أرضه ، وحججه على خلقه ، لا تخل الأرض في كل عصر من واحد منهم ، ويدل عليه قول أبي طالب :

أنت الأمير محمد قمر أغر مسود  
لمسودين أطاهر كرموا وطاب المولد  
أنت السعيد من السعداء د تكنتك الأسعد  
من لدن آدم لم يزل فينا وصي مرشد  
ولقد عرفتك صادقاً والقول لا يتفند  
مازلت تنطق بالصدق وأنت طفل أمرد

تحقيق هذه الجملة يقتضى أن الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحه التقي والرضوان وعتره الهدى والإيمان ، شجرة أصلها النبوة ، وفرعها الإمامة ، وأغصانها التنزيل ، وأوراقها التأويل ، وخدمها جبريل وميكائيل (١) . اهـ .

اعتداله في تشييعه :

والطبرسي معتدل في تشييعه غير مغال فيه كغيره من متطرفي الإمامية الأثني عشرية ، ولقد قرأنا في تفسيره فلم نلمس عليه تعصباً كبيراً ، ولم نأخذ عليه أنه كفر أخداً من الصحابة أو طعن فيهم بما يذهب بعد التهم ودينهم . كما أنه لم يغال في شأن علي بما يجعله في مرتبة الإله أو مصاف الأنبياء وإن كان يقول بالعصمة . ولقد وجدناه يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

حديثاً في شأن من والى علياً ومن عاداه ، وهو يصرف النظر عن درجته من الصحة يدل على أن الرجل وقف موقفاً وسطاً أو فوق الوسط إلى حد ما من حبه لعلي رضي الله عنه ، هذا الحديث هو ما رواه في الوجه الرابع من الوجوه التي قيلت في سبب نزول قوله تعالى في الآية (٥٧) من سورة الزخرف ( لما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدرون ) حيث قال ( . . . و رابعها : مارواه سادة أهل البيت عن علي عليهم أفضل الصلوات أنه قال : جئت إلى رسول الله يوماً فوجته في ملاماً من قريش فنظر إلى ثم قال : يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى ابن مريم أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا ، وأبغضه قوم وأفرطوا في بغضه فهلكوا ، واقتصد فيه قوم فنجوا ، فعظم ذلك عليهم فضحكوا وقالوا : يشبهه بالأنبياء والرسل فنزلت الآية . . . ) اهـ (١) .

وكل ما لاحظناه عليه من تعصبه أنه يدافع بكل قوة عن أصول مذهبه وعقائد أصحابه ، كما أنه إذا روى أقوال المفسرين في آية من الآيات ونقل أقوال المفسرين من أهل مذهبه فيها نجدته يرتضى قول علماء مذهبه ويؤيده بما يظهر له من الدليل .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٨) من سورة النساء ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . . . الآية ) يقول ( قيل في المعنى بهذه الآية أقوال . . . ثم يذكر الأقوال ، ويذكر ما رواه أصحابه عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق من أنهما قالوا ( أمر الله كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده ) ثم قال مؤيداً لهذا القول ( ويعضده أنه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاية الأمر . وروى عنهم أنهم قالوا : آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم قال الله ( إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ) وقال ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . . الآية ) اهـ (٢) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٩) من سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . . الآية) نجده بعد أن يذكر ما جاء عن بعض السلف من أن المراد بأولى الأمر الأمراء ، وما جاء عن بعضهم من أن المراد بهم العلماء يقول (وأما أصحابنا فإنهم رويوا عن الباقر والصادق أن أولى الأمر هم الأئمة من آل محمد ، أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ، ولا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الإطلاق إلا من ثبت عصمته ، وعلم أن باطنه كظاهره ، وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح ، وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم ، جل الله أن بطاعة من يعصيه ، أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل ؛ لأنه محال أن يطاع المختلفون ، كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه . وما يدل على ذلك أيضاً أن الله لم يقرن طاعة أولى الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته ، إلا وأن أولى الأمر فوق الخلق جميعاً ، كما أن الرسل فوق أولى الأمر وفوق سائر الخلق ، وهذه صفة أئمة الهدى من آل محمد الذين ثبتت إمامتهم وعصمتهم ، وانفقت الأمة على علو رتبهم وعدالتهم . . . (١) هـ .

وبعد . . . أفلا ترى معنى أن هذا التفسير يجمع بين حسن الترتيب ، وجمال التهذيب ، ودقة التعليل ، وقوة الحجج ؟ أظن أنك معنى في هذا ، وأظن أنك معنى أيضاً في أن الطبرسي وإن دافع عن عقده وناقح عنها لم يغفل غيره ولم يبلغ به الأمر إلى الدرجة التي كان عليها المولى الكازراني وأمثاله من غلاة الإمامية الاثني عشرية .



## ٤ - الصافي في تفسير القرآن الكريم

لملا محسن الكاشي

التعريف بصاحب هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود ، المعروف بملا محسن وبالفيض الكاشي ، وأحد غلاة الإمامية الاثني عشرية . قال صاحب روضات الجنات في ترجمته ماملخصه ( وأمره في الفضل والفهم والنبالة في الفروع والأصول ، والإحاطة بمراتب المعقول والمنقول ، وكثرة التأليف والتصنيف ، مع جودة التعبير والترصيف ، أشهر من أن يخفى في هذه الطائفة على أحد إلى منتهى الأبد . وعمره كما استفيد لنا من تتبع تصانيفه الوافرة تجاوز حدود الثمانين . ووفاته بعد الألف من الهجرة الطاهرة بنيف يلحق تمام التسعين . وأبوه مرتضى المذكور أيضاً كان من العلماء ، وكذا أخوه محمد المعروف بنور الدين ، وكذا أخوه الآخر المشهور بالمولى عبد الغفور ، وبالجملة ، فقد كان بيته الجليل المرتفع قدره إلى ذروة الأفلاك ، من كبار بيوتات العلم والعمل والفضل والإدراك . وأسا نفس الرجل فقد بلغ فضله إلى حيث لم يعرف بين هذه الطائفة مثله ، وخصوصاً في مراتب المعرفة والأخلاق ، وتطبيق الظواهر بالبوطن بحسن المذاق ، وجودة الإشراف ، وكان يشبه مشروبه مشرب أبي حامد الغزالي ، وقد نسب إليه الشيخ علي المشهدي العاملي في ذيل رسالته في تحريم الغناء وغيرها ، كثيراً من الأقاويل الفاسدة ، والآراء الباطلة العاطلة ، التي تفوح منها رائحة الكفر والمضارة بضروريات هذا الدين المتين ، والمضادة لما هو من قطعيات علم هذا الشرع المتين ، ولو أردنا تأويل جملة منها بمحامل وجيهة صحيحة لما أمكنتنا ذلك بالنسبة إلى ما تدل عليه ألفاظه الظاهرة بل الصريحة . . . من منافيات أصول هذه الشريعة وفروع مذهب الشيعة . مثل قوله بوحدة الوجود ، وبعدم خلود الكفار في عذاب النار ،

وعدم نجاة اهل الاجتهاد وإن كانوا من جملة أجلائنا الكبار ، وفي قوله بعدم منجسية المنتجس لغيره مثل النجس . . . وبالجملة فقد كان رحمه الله دائماً في طرف النقيض من الشيخ على المذكور . . . ومن جملة من كان ينكر عليه أيضاً كثيراً من علماء زمانه الفاضل المحدث المولى محمد طاهر القمي صاحب كتاب حجة الإسلام وغيره ، وإن قيل إنه رجع في أواخر عمره عن اعتقاده السوء في حقه ، فخرج من قم المباركة إلى بلدة كاشان للاعتراف عنده بالخلاف ، والاعتذار لديه بحسن الإنصاف ، ماشياً على قدميه إلى أن وصل إلى باب داره . فنادى : يا محسن قد أتاك المسوء ، فخرج إليه مولانا المحسن وجعلاً يتصافحان ويتعانقان ويستحل كل منهما من صاحبه ثم رحل من فوره إلى بلده وقال : لم أرد من هذه الحركة إلا هضم النفس وتدارك الذنب وطلب رضوان الله العزيز الوهاب . ويقال أيضاً : إن بعض من اعتقد في حقه الباطل رجع عنه بعد وفاته لما رآه في المنام على هيئة حسنة يأمره بالرجوع إلى بعض ما كتبه في أواخر عمره وهو في مكان كذا وكذا ، فلما استيقظ وطلبه وجدته كما نسبه ، وكان فيه تبرئة نفسه من جميع ما ينسب إليه من أقوال الضلال . . . وقد ذكره صاحب أمل الآمل فقال : المولى الجليل ، محمد بن مرتضى ، المدعى بمحسن الكاشي ، كان فاضلاً عالماً ، حكماً متكلماً ، محدثاً فقيهاً ، شاعراً أديباً ، أحسن التصنيف ، من المعاصرين ، وله كتب : منها كتاب الوافي في جمع الكتب الأربعة مع شرح أحاديثها المشككة ، وهو حسن إلا أن فيه ميلاً إلى بعض طريقة الصوفية ، وكذا جملة من كتبه ، وكتاب سفينة النجاة في طريقة العمل . وتفاسير ثلاثة كبير وصغير ومتوسط ، وكتاب عين اليقين ، وكتاب علم اليقين ، وكتاب حق اليقين . . . وقال صاحب لؤلؤة البحرين ( وهذا الشيخ كان فاضلاً ، محدثاً ، إخبارياً ، صلباً ، كثير الطعن على المجتهدين ، ولا سيما في رسالة سفينة النجاة ، حتى إنه يفهم منها نسبة جملة من العلماء إلى الكفر فضلاً عن الفسق ، مثل إيراد الآية يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين<sup>(١)</sup> ) وهو تفريط وغلو بحت ، مع أن له أدلة من المقالات التي جرى

فيها على مذهب الصوفية والفلاسفة مما يكاد يوجب الكفر والعياذ بالله ، مثل ما يدل في كلامه على القول بوحدة الوجود ، وقد وقفت له على رسالة قبيحة صريحة في القول بذلك ، قد جرى فيها على عقائد ابن عربي الزنديق ، وأكثر فيها من النقل عنه وإن عبر عنه ببعض العارفين . ثم قال : وقد تلتذ في الحديث على السيد ماجد البحراني ، وفي الحكمة والأصول على صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي ، كان صهره على ابنته ؛ ولذا ترى أن كتبه في الأصول كلها على قواعد الصوفية والفلاسفة ولاشتهار مذهب التصوف في بلاد العجم وميلهم إليه ، بل وغلوهم فيه صارت إليه المرتبة العليا في زمانه ، والغاية القصوى في أوائه ، وفاق عند الناس جملة أقرانه . حتى جاء شيخنا المجلسي فسمى غاية السعي في سد تلك الشقاشق الفاعرة ، وإطفاء نائرة تلك البدع البائرة . وله تصانيف كثيرة أفرد لها فهرسا على حدة ونحن ننقل عنه ملخصا : كتاب الصافي في تفسير القرآن يقرب من سبعين ألف بيت فرغ من تأليفه في سنة ١٠٧٥ هـ خمس وسبعين بعد الألف من الهجرة . وكتاب الأصفى . . . منتخب منه . . . أحد وعشرين ألف بيت تقريبا . ثم عدد كتبه التي ألفها وهي كثيرة . وحكى السيد السعيد السيد نعمه الله الجزائري النسرتي قال : كان أستاذنا المحقق المولى محمد محسن الكاشاني صاحب مؤلفات وفيرة مما يقرب من مائتي كتاب ورسالة ، وكان نشوه في بلدة قم ، فسمع بقدوم السيد الأجل المحقق الإمام الهمام السيد ماجد البحراني الصادق إلى شيراز ، فأراد الارتحال إليه لأخذ العلوم منه ، فتردد والده في الرخصة إليه ، ثم بنوا الرخصة وعدمها على الإستخارة ، فلما فتح القرآن جاءت الآية . . . فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين . . . الآية (١) ، ثم بعدة تفاهل بالديوان المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين فجاءت الآيات هكذا .

تغرب عن الأوطان في طلب العلا      وسافر ففي الأسفار خمس فوائد  
تفرج هم ، واكتساب معيشة      وعلم ، وآداب ، وصحة ماجد

هذه ترجمة المؤلف وفيها ما يشهد للرجل بعلو كعبه بين أصحابه في العلم ، كما أن الأقوال التي قيلت عن عقيدته تكاد تكون مجمعة على أنها عقيدة زائفة فاسدة ، وإن كان صاحب روضات الجنات يحاول تبرئته من هذه التهمة ويقول إنها فرية بلا مرية ... أما أنا فلم ألاحظ عليه في تفسيره أثراً للقول بوحدة الوجود ، ولا ما يشهد بأنه يرى عدم خلود الكفار في عذاب النار . ولم أر على تفسيره ذلك اللون الصوفي الفلسفي ، ولعل الكتاب من أواخر مؤلفاته وبعد رجوعه عما نسب إليه واتهم به (١) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

الصافي في تفسير القرآن الكريم ، كتات فسر فيه صاحبه القرآن الكريم على وفق مبادئ الإمامية الاثني عشرية . وهو تفسير وسط يقع في جزئين كبيرين ومتناول لشرح الآيات القرآنية شرحاً مختصراً جداً ولا يطيل إلا إذا وجد في الآية ما يمكن أن يأخذ منه شاهداً على مبدأ من مبادئه ، أو دليلاً على عقيدة من عقائده ، أو دفعاً يدفع به رأياً من آراء مخالفيه . كذلك يطيل عند ما يعرض لشرح قصة من قصص القرآن ، أو غزوة من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . والكتاب يعتمد أولاً وقبل كل شيء على ما ورد من التفسير عن الأئمة وعلماء أهل البيت ، شأنه في هذا شأن كل كتب التفسير عند الإمامية الاثني عشرية ، الذين يعتقدون أن أهل البيت هم أدرى الناس بأسرار القرآن وأعلمهم بمعانيه . والكتاب في جملته يدل على مقدار تعصب صاحبه لمذهبه وغلوه في تشييعه ، فهو يجادل ويدافع عن مبادئ حزبه ، ويطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرميهم بالنفاق والكفر ... إلى غير ذلك مما استقف عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى هذا وقد قدم ملا محسن الكاشي لتفسيره باثنتي عشرة مقدمة ، أرى أنه لاداعي لذكرها جميعاً ، ولكن حسبى وحسب القارىء أن أذكر أهم الآراء التي يقول بها المؤلف ويشرحها لنا في

هذه المقدمات . ثم أذكر طريقته التي سار عليها في تفسيره كما أوضحها هو ، ثم أعرض على القارىء بعد ذلك بعض مواقف المؤلف في تفسيره ؛ ومنها يتبين جليا قيمة هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه ، ومسلكه الذي سلكه في شرحه لكتاب الله تعالى بما يتفق مع مذهبه ويتمشى مع عقيدته ، ولإليك أهم هذه الآراء التي قالها المؤلف :

آل البيت هم تراجمة القرآن ؛ لأنهم جمعوا عليه كله دون من عداهم :

يرى المؤلف أن آل البيت هم تراجمة القرآن دون من عداهم ، فهم الذين جمعوا علم القرآن كله وأحاطوا بمعانيه وأسراره ، ووقفوا على رموزه وإشاراتِه ؛ ذلك لأن القرآن نزل في بيتهم - بيت النبوة - ورب البيت أدري بما فيه ، وهو في هذه العقيدة لا يشذ وحده بل ذلك هو رأى هذه الطائفة كلها لافرق بين معتدل ومتطرف .

يرى المؤلف هذا الرأى ويصرح به في مقدمة تفسيره فيقول ( . . . ) وإن العترة تراجمة القرآن فن الكشاف عن وجوه عرايس أسراه ودقائقه وهم خوطبوا به ؟ ومن لتبيان مشكلاته ولديه مجمع بيان معضلاته ومنع بحر حقائقه وهم أبو حسنه ؟ ومن يشرح آيات الله ويدير تفسيرها بالرموز والصراح إلا من شرح الله صدره بنوره ومثله بالمشكاة والمصباح ؟ ومن عسى يبلغ علمهم بمعالم التنزيل والتأويل ، وفي بيوتهم كان ينزل جبريل ؟ . . . وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع ، فعنهم يؤخذ ومنهم يسمع . إذا أهل البيت بما في البيت أدري ، والمحاطبون بما خوطبوا به أوعى ، فأين نذهب عن بابهم وإلى من نصير ؟؟ ( . . . ) (١) .

ثم يعرض صاحبنا بعد ذلك فيؤيد قوله هذا بأحاديث يرويها عن أهل البيت كلها - فيما نقد وكما يظهر من أسلوبها - من وضع الشيعة وأخلاقهم ، فمن ذلك ما نقله عن الكافي بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي قال : سمعت أمير المؤمنين

عليه السلام يقول . . . وساق الحديث إلى أن قال : ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أقر أنها وأملاها على فآكتبها بخطي ، وعلني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، ودعا الله أن يعلني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ، ولا علما أملاها على فآكتبته منذ دعا لي بما دعا ، وما ترك شيئا علمه الله من حلال وحرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون من طاعة أو معصية إلا علمنيته وحفظته فلم أنس منه حرفا واحدا ، ثم وضع يده صدرى ودعا الله أن يملأ قلبي علما وفهماً وحكمة ونورا ، فقلت : يا رسول الله . . . يابى أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء لم آكتبه . . . أو تتخوف على النسيان فيما بعد ؟ . فقال : لست أتخوف عليك نسيانا ولا جهلا قال : ورواه العياشي في تفسيره والصدوق في إكمال الدين . بتفاوت يسير في ألفاظه ، وزيد في آخره . وقد أحبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك ، فقلت : يا رسول الله . . . ومن شركائي من بعدى ؟ قال الذين قرنهم الله بنفسه وبني ، فقال : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فقلت : ومن هم ؟ قال الأوصياء مني إلى أن يردوا على الحوض كلهم هادين مهتدين لا يضرهم من خذلهم : هم مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه ، بهم تنصر أمتي وبهم نمطر ، وبهم يدفع عنهم البلاء ، وبهم يستجاب دعاؤهم . فقلت : يا رسول الله . . . سمهم لي . . . فقال : ابني هذا . . . ووضع يده على رأس الحسن ، ثم ابني هذا . . . ووضع يده على رأس الحسين ، ثم ابن له يقال له : علي وسيولد في حيانك فأقرته مني السلام ، ثم تكلمة اثني عشر من من ولد محمد . فقلت له : بأبي وأمي أنت فسمهم لي ، فسأهم رجلا رجلا ، فقال : منهم والله يا أخا بني هلال مهدي أمة محمد ، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ، والله إنني لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم (١) (هـ) .

ومنها ما نقله عن الكافي بإسناده إلى زيد الشحام .. قال : دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال : يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون . فقال أبو جعفر عليه السلام : بعلم تفسيره أم بجهل ؟ قال لا .. بل بعلم ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك . قال قتادة : سل . قال : أخبرني عن قول الله تعالى في سبأ : « وقد رنا فيها السير سiroا فيها ليالى وأياما آمنين (١) » ، فقال قتادة : من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله . فقال أبو جعفر عليه السلام : نشدك بالله يا قتادة هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه ؟ قال قتادة : اللهم نعم . فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة ... إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكك ، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكك ، ويحك يا قتادة .. ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفاً بحقنا ، يهوانا قلبه ، كما قال الله تعالى « فاجعل أفتدة من الناس تهوى إليهم ، (٢) » ولم يعين البيت فقيل إليه . نحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التي من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا ، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة . قال قتادة : لا جرم والله لا أفسرها إلا هكذا ، فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة ... إنما يعرف القرآن من خوطب به (٣) اه .

من يجوز له أن يفسر القرآن برأيه :

ولكن هل معنى ذلك أن ملاحسن يرى أن فهم معاني القرآن ومعرفة أسراره أصبح أمراً مقصوراً على أهل البيت وحدهم فيكون بذلك قد حجر

(١) في الآية (١٨) من سورة سبأ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) في الآية (٣٧) من سورة إبراهيم .

واسعاً وجحد فضل من عداهم من العلماء ؟ أو يرى أن القرآن في فهمة قدر مشترك بين العلماء جميعاً لافرق بين أهل البيت وغيرهم ؟ . الحق أن صاحبنا يرى أن في معاني القرآن لأرباب الفهم متسعاً بالغا ومجالاً رحباً ، ولكن من هم أولوا الفهم الذين يجوز لهم أن يعملوا عقولهم في فهم معاني القرآن واستنباط أحكامه ؟ . نرى المؤلف يحدد لنا أولى الفهم بحدود ، ويقيدهم بقيود لها صلة قوية بمذهبه الشيعي ، وذلك حيث يقول ( . . . فالصواب أن يقال : إن من أخلص الانقياد لله ولرسوله ولأهل البيت عليهم السلام ، وأخذ علمه منهم ، وتبع آثارهم ، واطلع على جملة من أسرارهم ، بحيث حصل له الرسوخ في العلم ، والطمأنينة في المعرفة ، وانفتح عيننا قلبه ، وهجم به العلم على حقائق الأمور ، وباشر روح اليقين ، واستلان ما استوعره المترفون ، وأنس بما استوحش منه الجاهلون ، وصحب الدنيا يبدن روحه معلقة بالمحل الأعلى ، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه ، ويستنبط منه نبذاً من عجائبه ، ليس ذلك من كرم الله بغريب ، ولا من جوده بعجيب ، فليست السعادة وقفاً على قوم دون آخرين ، وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم ، كما قالوا : سلبان منا أهل البيت ، فن هذه صفة فلا يبعد دخوله في الراسخين في العلم ، العالمين بالتأويل (١) ٥١ .

المؤلف يرى أن تفسيره للقرآن بما جاء عن أهل البيت هو التفسير المثالي  
ويطعن في بقية الصحابة وفي تفسيرهم .

ولما كان المؤلف رحمه الله - قد جعل جل اعتماده في تفسيره ، بل كاه ، على ما وصل إليه من التفسير عن آل البيت ؛ لاعتقاده أنهم أدري به من غيرهم ، فإننا نراه يرى - مع شيء من التواضع التقليدي - أن تفسيره هو التفسير المثالي الذي يجب أن يحتذى ، كأنراه لا يعترف بتفسير غيره عن تقدم عصره بل ويبالغ في عدم الاعتراف فيطعن على من عدا أهل البيت من الصحابة



ويرميهم بالتفادق وغيره ، ولا ير تضى ماجاء عنهم من تفسير ، كأن عقول الصحابة جميعاً قد عقلت وضلت إلا عقول أهل البيت ومن والا هم . . .

يقرر المؤلف هذا بكل صراحة وجراءة مع حملة ظالمة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حيث يقول ( . . . هذا يا إخواني ما سألتوني من تفسير القرآن ، بما وصل إلينا من أنهتنا المعصومين من البيان ، أتبتكم به مع قلة البضاعة ، وقصور يدي عن هذه الصناعة ، على قدر مقدور ، فإن المأمور معذور ، والميسور لا يترك بالمعسور ، ولا سيما أنى كنت أراه أمراً مهماً ؛ وبدونة أوى الخطب مدلهما ، فإن المفسرين وإن أكثروا القول فى معانى القرآن ، إلا أنه لم يأت أحد منهم فيه بسطان ؛ وذلك لأن فى القرآن ناسخاً ومنسوخاً ، ومحكما ومتشابهاً ، وخاصاً وعاماً ، ومبيناً ومبهما ، ومقطوعاً وموصولاً ، وفرائض وأحكاماً ، وسنناً وآداباً ، وحلالاً وحراماً ، وعزيمة ورخصة ، وظاهرأ وباطناً ، وحدأ ومطلقاً . ولا يعلم تمييز ذلك كله إلا من نزل فى بيته ، وذلك هو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته ، فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه ، ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : من فسر القرآن برأية فأصاب الحق فقد أخطأ ، وقد جاءت عن أهل البيت صلوات الله عليهم فى تفسير القرآن وتأويله أخبار كثيرة ، إلا أنها خرجت متفرقة عن أسئلة السائلين ، وعلى أقدار أفهام المخاطبين ، وبموجب إرشادهم إلى مناهج الذين ، وبقيت بعد خبايا فى زوايا ، خوفاً من الأعداء وثقمة من البعداء ، ولعله بما برز وظهر لم يصل إلينا الأ أكثر ؛ لأن رواته كانوا فى محنة من التقية ، وشدة من الخطر ، وذلك أنه لما جرى فى الصحابة ماجرى ، وضل بهم عامة الورى . أعرض الناس عن الثقلين (١) ، وتاهوا فى بيداء ضلالاتهم عن النجدين إلا شردمة من المؤمنين فكث العامة بذلك سنين ، وعمهوا فى غمرتهم حتى حين فآل الحال إلى أن نبد الكتاب حملته ، وتناساه حفظته ، فكان الكتاب

(١) أراد بالثقلين كتاب الله والعترة كما أفصح عن ذلك فى أول المقدمة ص ٢ .

أهله في الناس وليسوا في الناس ، ومعهم وليسوا معهم ، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا . وكان العلم مكتوما ، وأهله ظالوما ، لاسبيل لهم بإبرازه إلا بتعميته وإلغازه ، ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين ولا ناصيين ، لم يدروا ما صنعوا بالقرآن ، وعمن أخذوا التفسير والبيان . فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنهم من العلماء ، فكانوا يفسرون لهم بالآراء ، ويروون تفسيره عن محسبونه من كبارهم ؛ مثل أبي هريرة وأنس وابن عمر ونظرائهم ، وكانوا يعدون أمير المؤمنين من جملتهم ، ويجعلونه كواحد من الناس ، وكان خير من يستندون إليه بعده ابن مسعود وابن عباس ، ممن ليس على قوله كثير تعويل ، ولاله إلى لباب الحق سبيل ، وكان هؤلاء الكبراء ربما يتقلونه من تلقاء أنفسهم غير خائفين من ماله ، وربما يسندونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ومن الآخذين عنهم من لم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم ، لما تقرر عندهم من أن الصحابة كلهم عدول ولم يكن لأحد منهم عن الحق عدول ، ولم يعلموا أن أكثرهم كانوا يظنون النفاق ، ويحترثون على الله ويفترون على رسول الله صلى الله عليه وسلم في عزة وشقاق ، وهكذا كان حال الناس قرنا بعد قرن ، فكان لهم في كل قرن رؤساء ضلالة ، عنهم يأخذون ، وإليهم يرجعون ، وهم بأرائهم يحييون ، أو إلى كبارهم يستندون ، وربما يروون عن بعض أئمة الحق عليهم السلام في جملة ما يروون عن رجالهم ، وليكن محسبونه من أمثالهم ، فتباهم ولأدب الرواية ، إذ مارعوها حق الرعاية ، نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب ، ونسوا الله رب الأرباب ، وراموا غير باب الله أبوابا ، واتخذوا من دون الله أربابا ، وفيهم أهل بيت نبهم ، وهم أزمه الحق ، وسنة الصدق ، وشجرة النبوة ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الوحى ، وعيبة العلم ، ومنار الهدى ، والحجج على أهل الدنيا ، خزائن أسرار الوحى والتنزيل ، ومعادن جواهر العلم والتأويل ، والأمناء على الحقائق ، والخلفاء على الخلائق . أولو الأمر الذين أمروا بطاعتهم ، وأهل الذكر الذين أمروا بمسألتهم ، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والراستخون في العلم الذين عندهم

القرآن كله تأويلا وتفسيرا ، ومع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون ، إنا لله وإنا إليه راجعون . ولما أصبح الأمر كذلك وبقى العلم سخريا هنالك صار الناس كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب يمامهم فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم وحملوه على أهوائهم في تفاسيرهم وكلامهم والتفاسير التي صنفها العامة من هذا القبيل ، فكيف يصح عليها التعويل وكذلك التي صنفها متأخروا أصحابنا فإنها أيضا مستندة إلى رؤساء العامة وشذما نقل فيه حديث عن أهل العصمة عليهم السلام ، وذلك لأنهم إنما نسجوا على متوالهم ، راقصروا في الأكثر على أقوالهم ، مع أن أكثر ما تكلم به هؤلاء وهؤلاء - فإنما تكلموا في النحو ، والصرف ، والاشتقاق ، واللغة ، والقراءة ، وأمثالها - مما يدور على القشور دون اللباب ، فأين هم والمقصود من الكتاب؟ وإنما ورد على طائفة منهم ما قويت فيه منته ، وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته ، ومنهم من أدخل في التفسير ما لا يليق به ، فبسط الكلام في فروع الفقه وأصوله ، وطول القول في اختلاف الفقهاء ، أو صرف همته فيه إلى المسائل الكلامية وذكر ما فيها من الآراء وأما ما وصل إلينا مما ألفه قدماءنا من أهل الحديث فغير تام ، لأنه إما غير منته إلى آخر القرآن ؛ وإما غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان ، مع أن منه ما لم يثبت صحته عن المعصوم ، لضعف روايته أو جهالة حالهم ، ونسكاره بعض مقالمهم . . . . . إلى أن قال : وبالحرى أن يسمى هذا التفسير بالصافي ، لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمخير والمتنافي . . . (١) اه

### جل القرآن نازل في شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم :

ويعتقد صاحبنا أن معظم القرآن إنما نزل في شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم ، فما كان من آية مدح فهي في آل البيت وأشياهم ، وما كان من آية ذم أو وعيد أو تهديد فهي في مخالفهم ، ثم يقوى رأيه هذا ويستدل له بما يرويه عن علماء أهل البيت من روايات واردة في هذا المعنى ، فمن ذلك ما نقله

عن الكافي وتفسير العياشي بالإسناد إلى أبي جعفر عليه السلام قال : « نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في أعدائنا ، وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ، وزاد العياشي « ولنا كرائم القرآن ، ... ثم مضى بعد ذكره لهذه الرواية وأما لها فقال : « وقد وردت أخبار جمعة عن أهل البيت عليهم السلام ، في تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم ، حتى إن جماعة من أصحابنا صنفوا كتباً في تأويل القرآن على هذا النحو ، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام في تأويل آية آية إما بهم أو بشيعتهم ، أو بعدوهم ، على ترتيب القرآن . وقد رأيت منها كتاباً يقرب من عشرين ألف بيت .. ثم قال : وذلك مثل لما رواه الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى « نزل به الروح الأمين \* على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين (١) » قال هي الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام . وفي تفسير العياشي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا أبا محمد ... إذا سمعت الله ذكر قوماً من هذه الأمة بخير فتحن هم ، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء من مضى فهم عدونا وفيه عن عمير بن حنظلة عن أبي عبد الله عليه السلام : سأله عن قوله تعالى : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (٢) » قال : فلما رأني أتبع هذا وأشباهه من الكتاب قال : حسك ... كل شيء في الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو في الأئمة عنوا به (٣) ١ هـ رأى المصنف في تحريف القرآن وتبديله :

يدين ملاحسن بأن علياً رضى الله عنه هو أول من جمع القرآن ، وأن القرآن الذي جمعه هو القرآن الكامل الذي لم يتطرق إليه تحريف ولا تبديل ، ويروى لنا أحاديث عن آل البيت كاستند له في رأيه هذا ، فمن ذلك : ما نقله عن القمي في تفسيره بإسنادة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : إن النبي

(١) الآيات ( ١٩٣ ؛ ١٩٤ ؛ ١٩٥ ) من سورة الشعراء :

(٢) في الآية (٤٣) من سورة الرعد

(٣) ج ١ ص ٦ - ٧

صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام . يا علي . . . إن القرآن خلف فراشي في المصحف والحريير والقراطيس ، فخذوه واجمعوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراة ، فانطلق عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال : لا أرتدى حتى أجمعه . قال : كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى يجمعه ) .

ومنها ما رواه القمي باسناده عن سالم بن سلمة قال : قرأ رجل على أبي عبد الله - وأنا أستمع - حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال أبو عبد الله : كيف عن هذه القراءة . اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم ، فإذا قام اقرأ كتاب الله تعالى على حدة : وأخرج المصحف الذي كتبه على عليه السلام إلى الناس حين فرغ منه وكتبه ، فقال لهم : هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد جمعته بين اللوحين . فقالوا : هو ذاعندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً ، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لقراءته .

ومن ذلك ما روى عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه : أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع على عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم ؛ لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر وقال : يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه على عليه السلام وانصرف ، ثم حضر زيد بن ثابت - وكان قارئاً للقرآن - فقال له عمر : إن علياً جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد أردنا أن نؤلف لنا القرآن وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار ، فأجابه زيد إلى ذلك ، ثم قال : فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتكم وأظهر على القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما علمتم ؟ ثم قال عمر : فما الحيلة ؟ قال زيد : أنتم أعلم بالحيلة ، فقال عمر : ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه ، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك . . . فلما استخلف عمر سأل علياً عليه السلام

أن يدفع إليه القرآن فيحرقه فيما بينهم فقال: يا أبا الحسن . إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتى نجمع عليه ، فقال علي عليه السلام : هيهات ليس إلى ذلك سبيل ، إنما جئت به لأبي بكر لتقوم به الحجة عليكم ولاتقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا : ما جئتنا به . إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي ، فقال عمر : فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ قال علي عليه السلام : نعم . إذا قام القائم من ولدي فيظهره ويحمل الناس عليه فتجزي السنة به (١) اه .

ولكننا نجد صاحبنا بعد ماساق هذه الرويات وكثيراً غيرها يقف منها موقف المستشكل فيقول د ويرد على هذا كله إشكال . وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيء من القرآن ، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرّفاً ومغيراً ، أو يكون على خلاف ما أنزل الله ، فلم يبق لنا في القرآن حجة أصلاً ، فننتهي فائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك . وأيضاً قال الله عز وجل وإنا له لكتاب عزيز \* لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٢) ، وقال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (٣) فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير ؟ . وأيضاً قد استفاض عن النبي والأئمة صلوات الله عليهم حديث عرض الخبر المروي على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له ، وفساده بمخالفته (٤) ، فإذا كان القرآن الذي بأيدينا محرّفاً فما فائدة العرض ؟ مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له ، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله ) ،

وهنا يجيب ملا محسن على إشكاله هذا بجوابين :  
أولهما : أن هذه الأخبار إن صحت فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود

(١) ج ١ ص ١٠-١١ .

(٢) في الآيتين (٤١ ؛ ٤٢) من سورة فصلت .

(٣) الآية (٥) من سورة الحجر

(٤) هذا الحديث المشار إليه موضوع بإجماع أهل العلم :

كثير إخلال ، كحذف اسم علي وآل محمد ، وحذف أسماء المنافقين ؛ فإن انتفاء التعبير باق لعموم اللفظ .

وثانئهما : أن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن ، فيكون التبديل من حيث المعنى ، أى حرفوه وغيروه في تفسيره وتأويله ، بأن حملوه على خلاف ما يراد منه (١) اه .

ثم ذكر بعد هذا أقوال من تقدمه من شيوخه وعلماء مذهبه وهم ما بين مجيز للتحريف والنقصان وما نفع لذلك ، ولكل أدلته وحجته ، ولا نطيل بذكرها ومن أرادها فليرجع إليها في المقدمة السادسة (ص ١٤ و ١٥) .  
طريقة المؤلف في تفسيره .

بين المؤلف في المقدمة الثانية عشرة من مقدمات تفسيره طريقته واصطلاحاته التي جرى عليها في كتابه فقال دكل ما يحتاج من الآيات إلى بيان وتفسير لفهم المقصود من معانيه . أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه ، أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقف عليه فهمه وتعاطيه ، أو إلى تعرف نسخ أو تخصيص أو صفة أخرى فيه ، وبالجمل ما يزيد على شرح اللفظ والمفهوم مما يفتقر إلى السماع عن المعصوم ، فإن وجدنا شاهداً من محكمات القرآن يدل عليه أتينا به فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، وقد أمرنا من جهة أئمة الحق عليهم السلام أن نرد متشابهات القرآن إلى محكماته ، وإلا فإن ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت عليهم السلام في السكتب المعتيرة من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم أوردناه ، وإلا أوردنا ما روينا عنهم عليهم السلام من طرق العامة . . . . . نظائره في الأحكام ما روى عن الصادق :

إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما يروى عنا ، فانظروا إلى ما رووه عن علي عليه السلام فاعملوا به . . . رواه الشيخ الطوسي في العدة . وما لم نظفر

فيه بحديث عنهم عليهم السلام أوردنا ما وصل إلينا من غيرهم من علماء التفسير إذا وافق القرآن وفخواه ، وأشبه حديثهم في معناه ، فإن لم نعلم عليه من جهة الاستناد ، اعتمدنا عليه من جهة الموافقة والشبه والساد ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فوافق كتاب الله فخذوه ، وقال الصادق ، ما جاءك في رواية من راو فاجر يوافق القرآن فخذ به ، وما جاءك في رواية من راو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به ، وقال الكاظم ، إذا جاءك الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب الله وعلى أحاديثنا . فإن أشبههما فهو حق ، وإن لم يشبههما فهو باطل ، وما ورد فيه أخبار كثيرة فإن لم يكن فيها كثير اختلاف اقتصرنا منها على ما اشتمل على مجامعها ، وتركنا سائرهما بما في معناه روما للاختصار ، وصونا عن الإكثار ، وربما أشرنا إلى تعددها وتكثرها إذا أهدنا الاعتماد .

وإن كانت مختلفات نقلنا أصحها وأحسنها وأعمها فائدة ، ثم أشرنا إلى موضع الاختلاف ما استطعنا . وما لا يحتاج إلا إلى شرح اللفظ والمفهوم ، والنكات المتعلقة لعلم الرسوم ، مما لا يفتقر إلى السماع من المعصوم ، أوردنا فيه ما ذكره المفسرون الظاهريون ، من كان تفسيره أحسن ، وبيانه أوجز وأتقن ، كائنا من كان . . . ثم ذكر أنه اقتبس من تفسير الحسن العسكري وغيره ، وذكر اصطلاحاته في العزو إلى الكتب التي استقى منها ، وفي نسبة الأقوال إلى قائلها ولا نطيل بذكرها (١) .

هذه هي أهم الآراء التي يقول بها ملاحسن ، والتي استخلصناها من مقدماته التي قدم بها تفسيره . وهذه هي طريقته التي سار عليها في كتابه الذي نحن بصده . والكتاب - كما أشرنا آنفاً - مذهبي إلى حد التطرف والغلو ؛ فهو لا يكاد يمر بآية من القرآن إلا ويحاول صاحبه أن يأخذ منها شاهداً لمذهبه أو دفعاً لمذهب مخالفه . . . ولقد قرأت في هذا الكتاب ، فلمست فيه روح التحيز



المزرى ، والتعصب الممقوت . ولأجل أن يكون القارىء على بينة من الأمر أسوق إليه نماذج من نواح شتى وفي موضوعات مختلفة ليلس كما لمست مقدار هذا التعصب الذى يريد صاحبه من ورائه أن يحجب نور الحق ويطمس معاله .

### القرآن وأهل البيت :

فتلا ، نجد كثيرا من آيات القرآن لها معان خاصة ، ولا صلة لها بأهل البيت ، ولا بما لهم من مناقب وشمائل ، وليكننا نجد صاحبنا يتأثر بمذهبه الشيعى ، فيحاول أن يلوى هذه الآيات إلى معان لاصلة لها باللفظ . . معان تحمل في طياتها طابع التعصب المذهبي بصورة مكشوفة مفضوحة .

فتلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٤) من سورة البقرة ، وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . . الآية ، يقول مانصه ، وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبينا وأهل بيته المعصومين ، وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتياهم الأذى في جنب الله ، فكان السجود لهم تعظيما وإكراما ، والله سبحانه عبودية ، ولآدم طاعة . قال على بن الحسين : حدثني أبى ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا عباد الله . . آدم لما رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره ، رأى النور ولم يتبين الأشباح ، فقال : يارب ما هذه الأنوار ؟ فقال الله عز وجل : أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشى إلى ظهرك ؛ ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح ، فقال آدم : يارب . . لو بينتها لى ، فقال الله عز وجل : أنظر يا آدم إلى ذروة العرش ، فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم إلى ذروة العرش ، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التى فى ظهره ، كما ينطبع وجه الإنسان فى المرأة الصافية ، فرأى أشباحنا فقال : ماهذه الأشباح يارب . قال الله : يا آدم . . هذه أشباح أفضل خلقتى وبرياتى ، هذا محمد ، وأنا الحميد المحمود فى فعلى ، شققت له اسما من اسمى . وهذا على ، وأنا العالى ، شققت له اسما من اسمى . وهذه فاطمة ، وأنا فاطر

( ١١ - التفسير والمفسرون ٢ )

السموات والأرض ، فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي ، وفاطم أوليائي  
عما يعيرهم ويشينهم ، فشقت لها اسما من اسمي . وهذا الحسن ، وهذا الحسين ،  
وأنا المحسن المجمل ، شقت اسميهما من اسمي . هؤلاء خيار خليقتي ، وكرام  
بريتي ، بهم آخذ ، وبهم أعطي ، وبهم أعاقب ، وبهم أئيب ، فتوسل بهم إلى  
يا آدم ، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلى شفعاك ؛ فإن آليت على نفسي قسما  
حقا لا أخيب بهم أملا ، ولا أرد بهم سائلا ؛ فلذلك حين زلت به الخطيئة  
دعا الله عز وجل بهم ، فتاب عليه وغفر له (١) . هـ .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآيات ( ١ ، ٢ ، ٣ ) من سورة البلد  
( لا أقسم بهذا البلد \* وأنت حل بهذا البلد \* ووالد وما ولد ) يقول مانصه  
( في الجمع عن الصادق . يعني آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء  
وأتباعهم . . . (٢) . هـ .

فأنت ترى من كل هذا أن المؤلف يجد في إخضاع آيات القرآن لمذهبه ،  
وتنزيلها على وفق هواه وعقيدته ، وهذا خروج بكتاب الله عن معانيه  
الظاهرة المرادة منه ! ! !

#### طعن المؤلف على الصحابة :

كذلك نجد ملا محسن في تفسيره هذا ، يطعن على أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ،  
 وغيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرميهم بما لا يليق بمؤمن  
فضلا عن صحابي جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذل في سبيل  
نصرته دمه وماله ، كما يطعن في بني أمية ويرميهم بكل نقيصة ، وهو في حملته هذه  
مدفوع بدافع الخصومة المذهبية والنزعة الشيعية .

#### طعنه على عثمان رضي الله عنه :

فتلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين ( ٨٤ ، ٨٥ ) من سورة البقرة

« وإذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأتم تشهدون \* ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن أتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ، نجده يفسر الآية تفسيراً مختصراً مقبولاً ، ثم يروى عن القمى « أنها نزلت في أبي ذر - رحمة الله عليه - وفيما فعل به عثمان بن عفان وكان سبب ذلك : أنه لما أمر عثمان بنى أبي ذر - رحمة الله عليه - إلى الربذة ، دخل عليه أبو ذر وكان عليلاً وهو متكئ على عصاه ، وبين يدي عثمان مائة ألف درهم أتته من بعض النواحي ، واصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسمها فيهم ، فقال أبو ذر لعثمان : ما هذا المال ؟ فقال : حمل إلينا من بعض الأعمال مائة ألف درهم أريد أن أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيي... قال أبو ذر : يا عثمان . . . أيما أكثر ؟ مائة ألف درهم أم أربعة دنانير ؟ قال عثمان : بل مائة ألف درهم ، فقال : أما تذكر إذ أنا وأنت دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله عشاء فوجدناه كثيراً حزينا فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام ، فلما أصبحنا أتينا فرأيناه ضاحكاً مستبشراً ، فقلت له : بأبي أنت وأمي . . . دخلنا عليك البارحة فرأيناك كثيراً حزينا ، وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً ، فقال : نعم . . . قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها ، وخفت أن يدركني الموت وهي عندي ، وقد قسمتها اليوم فاسترحمت . فنظر عثمان إلى كعب الأجير فقال له : يا أبا إسحق . . . ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة . . . هل يجب عليه فيها بعد ذلك شيء ؟ فقال : لا ولو اتخذنا ابنة من ذهب ولينة من فضة ما وجب عليه شيء ، ورفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب ، فقال : يا بن اليهودية المشركة ، ما أنت والنظر في أحكام المسلمين ؟ قول الله عز وجل أصدق من قولك حيث قال : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله

فبشرهم بعذاب أليم \* (إلى قوله) .. فذوقوا ما كنتم تكذبون (١) .. قال عثمان :  
يا أبا ذر .. إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ، ولولا صحبتك لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم لقتلتك ، فقال : كذبت يا عثمان .. ويحك .. أخبرني حبيبي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك .. أما  
عقلي فقد بقي منه ما أذكرني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قاله فيك وفي قومك ، قال : وما سمعت من رسول الله في وفي قومي؟ قال : سمعته  
يقول — وهو قوله صلى الله عليه وسلم — إذا بلغ إلى أبي العاص ثلاثون رجلاً  
صيروا مال الله دولا ، وكتاب الله دغلا ، وعباد الله خولا ، والصالحين حربا ،  
والفاسقين حزبا قال عثمان : يا معشر أصحاب محمد . هل سمع أحد منكم هذا الحديث  
من رسول الله ؟ قالوا : لا ما سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال  
عثمان : ادعوا عليا .. فجاء أمير المؤمنين فقال له عثمان : يا أبا الحسن اسمع ما يقول  
هذا الشيخ الكذاب ، فقال أمير المؤمنين : يا عثمان . لا نقل كذا ، فإني سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على  
ذئب طهجة أصدق من أبي ذر . قال أصحاب رسول الله : صدق على سمعنا هذا  
من رسول الله ، فعند ذلك بكى أبو ذر وقال : ويلكم .. كلكم قد مد عنقه إلى  
هذا المال ، ظننتم أني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نظر إليهم  
فقال : من خيركم ؟ فقالوا أنت تقول إنك خيرنا ، قال : نعم .. خلقت حبيبي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعيره ، وأنتم قد أحدثتم أحداثا كثيرة ،  
والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني ، فقال عثمان : يا أبا ذر .. أسألك بحق  
رسول الله إلا ما أخبرتني عما أنا سائلك عنه . فقال أبو ذر : والله لو لم تسألني  
بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأخبرتكم ، فقال : أي البلاد أحب إليك  
أن تكون فيها ؟ فقال : مكة حرم الله وحرم رسوله ، أعبد الله فيها حتى يأتيني  
الموت ، فقال : لا ولا كرامة لك ، قال المدينة حرم رسول الله ، فقال : لا ولا كرامة  
لك ، قال : فسكت أبو ذر . فقال : وأي البلاد أبغض إليك أن تكون بها ؟ قال :

(١) في الآيتين (٣٤ ، ٣٥) من سورة التوبة .

الربذة التي كنت بها على غير دين الإسلام ، فقال عثمان : سر إليها ، فقال أبو ذر : قد سألتني فصدقتك ، وأنا أسألك فاصدقني ، قال : نعم ، قال : أخبرني لو أنك بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسروني وقالوا لا نفديه إلا بثلك ما تملك .. ؟ قال : كنت أفديك ، قال : فإن قالوا : لا نفديه إلا بكل ما تملك ، قال : كنت أفديك ، فقال أبو ذر : الله أكبر .. قال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً : يا أبا ذر كيف أنت إذا قيل لك أي البلاد أحب إليك أن تكون فيها ؟ فتقول مكة حرم الله وحرم رسوله .. أعبد الله فيها حتى يأتيني الموت ، فيقال : لا ولا كرامة لك ، فتقول المدينة حرم رسول الله ، فيقال : لا ولا كرامة لك ، ثم يقال لك فأى البلاد أبغض إليك أن تكون فيها ؟ . فتقول : الربذة التي كنت بها على غير دين الإسلام ، فيقال لك : سر إليها ، فقلت : وإن هذا السكان يارسول الله ؟ فقال : والذي نفسى بيده إنه لسكان ، فقلت : يارسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأضرب به قدما قدما ؟ قال : لا .. اسمع واسكت ولو لعبد حبشى ، وقد أنزل الله فيك وفي عثمان خصمك آية ، فقلت : وما هي يارسول الله ؟ فقال : قول الله ... وتلا الآية ( ١ )

### طعنه على أبي بكر :

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٤٠ ) من سورة التوبة ( ... ثانياً اثنتين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ... الآية ) نجده لا يعترف بهذه المنقبة لأبي بكر ، رضى الله عنه ، بل ويحاول بكل جهوده أن يأخذ منها مغزاً وطعناً على أبي بكر ، وذلك حيث يقول ما نصه : .. ( إذ يقول لصاحبه ) وهو أبو بكر ( لا تحزن ) لا تخفف ( إن الله معنا ) بالعصمة والمعونة . في الكافي عن الباقر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول لأبي بكر في الغار : اسكن فإن الله معنا ، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن ، فلما رأى رسول الله حاله قال له : تريد أن أريك أصحابي من الأسارى في مجالسهم

يتحدثون؟ وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على وجهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون، وإلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر (فأنزل الله سكينته) أمنت التي تسكن إليها القلوب (عليه) في الكافي عن الرضا: أنه قرأها (على رسوله) قيل له: هكذا؟ قال: هكذا نقرؤها، وهكذا تنزلها. والعياشي عنه: لأنهم يحتجون علينا بقوله تعالى: «ثاني اثنين إذ هما في الغار، وما لهم في ذلك من حجة»، فوالله لقد قال الله: «فأنزل الله سكينته على رسوله وما ذكره فيها يخبر، قيل: هكذا تقرءونها؟ قال هكذا قرأتها...» (١) طعنه على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة:

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة التحريم: «يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك...» الآيات إلى قوله فلما نبأها به قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم الخبير، نراه ينقل عن القمي في سبب نزول هذه الآية: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض بيوت نساته، وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه، وكانت ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها، فتناول رسول الله مارية، فعملت حفصة بذلك فغضبت، وأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله.. في يومي؟ وفي داري وعلى فراشي؟ فاستجى رسول الله منها فقال: كسفى فقد حرمت مارية على نفسى، ولا أطؤها بعد هذا أبداً، وأنا أفضى إليك سرأ إن أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فقالت: نعم... ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلى الخلافة بعدى، ثم بعده أبوك، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: نبأني العليم الخبير، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أتق بقولها فاسأل أنت حفصة: جاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة، فأنكرت ذلك وقالت: ما قلت لها من

ذلك شيئاً ، فقال لها عمر : إن هذا حق فأخبرينا حتى نتقدم فيه ، فقالت :  
نعم . . قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا أربعة على أن يسموا  
رسول الله ، فنزل جبريل على رسول الله بهذه السورة ، قال ( وأظهره الله عليه )  
يعنى أظهره الله على ما أخبرت به وما هموا به من قتله ( عرف بعضه ) أخبرها  
وقال : لم أخبرت بما أخبرتكم ؟ ( وأعرض عن بعض ) قال : لم يخبرهم  
بما يعلم بما هموا به من قتله (١) اه .

صرفه لآيات العتاب عن ظاهرها :

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة عبس ( عبس وتولى )  
أن جاءه الأعمى ... ( الآيات ) إلى آخر القصة ، نجده يصرف الآيات عن  
ظاهرها المتعارف بين المفسرين جميعاً ، ويجعل العتاب موجهاً إلى عثمان رضي  
الله عنه ، أو إلى رجل آخر من بني أمية . والذي حمله على ذلك هو ما يراه  
من أن مثل هذا العتاب لا يليق أن يكون موجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
أو إلى أحد من الأئمة المعصومين ، كما أن سبب العتاب لا يليق أن يصدر منهم ،  
أما توجه العتاب إلى عثمان وصدور سببه منه فهذا أمر جائز وواقع في نظره ؛  
لأن عثمان ليس له من العصمة ما للأئمة فلماذا تراه يروى عن القمى أنها نزلت  
في عثمان وابن أم مكتوم ، وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، وكان أعمى ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده  
أصحابه وعثمان عنده ، فقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان فعبس  
عثمان وجهه وتولى عنه ، فأنزل الله ( عبس وتولى ) أن جاءه الأعمى ) ونقل  
عن مجمع البيان أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي فجاء ابن أم مكتوم ،  
فلما رآه تقدزمنه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه ، فحكى الله ذلك  
وأنكره عليه . . ثم قال : أقول : د وأما ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات في  
النبي صلى الله عليه وسلم دون عثمان فيأباد سياق مثل هذه المعاتبات الغير

اللائقة بمنصبه ، وكذا ما ذكره بعدها إلى آخر السورة كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام ، ويمكن أن يكون من مختلفات أهل النفاق خذلهم الله (١) اه  
دفاع المؤلف عن أصول مذهبه :

كذلك نجد المؤلف ينظر إلى القرآن من خلال عقيدته ، ونراه ينتصر لمذهبه ويتعصب له ، ويؤيد أصوله بكل ما يستطيع من الأدلة ، ويدفع الشبه عنها ، ويرد على الخصوم بما يستطيع من أوجه الرد ؛ فلهذا نجده إذا مر بآية من آيات القرآن التي يستطيع أن يستند إليها ويعتمد عليها في نظره ، أخذ في تأويلها على وفق مذهبه وهواه ، وإن كان في ذلك خروج عن ظاهر النظم القرآني

### ولاية علي :

فثلا عند تفسيره لقوله ، تعالى في الآية (٥٥) من سورة المائدة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، نراه يستند إلى هذه الآية استناداً قوياً في أن علياً رضى الله عنه هو وصي النبي صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده ، فيقول مانصه ، في الكافي عن الصادق في تفسير هذه الآية : أولى بكم : أى أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا - يعنى علياً وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة - ثم وصفهم الله فقال « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، وكان أمير المؤمنين في صلاة الظهر - وقد صلى ركعتين - وهو راكع ، عليه حلة قيمتها ألف دينار ، وكان النبي أعطاه إياها ، وكان النجاشي أهداها له ، فجاء سائل فقال : السلام عليك يا أولى الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم ... تصدق على مسكين ، فطرح الحالة إليه ، وأوماً بيده إليه أن أحملها ، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية ، وصير نعمة أولاده بنعمته ، فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله ، فيتصدقون وهم راكعون . والسائل الذي سأل أمير المؤمنين من الملائكة ، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون



من الملائكة . وعنه عن أبيه عن جده في قوله عز وجل « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها »<sup>(١)</sup> ، قال : لما نزلت « إنما وليكم الله . . . الآية » اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة فقال بعضهم : إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها ، وإن آمنّا فإن هذا ذل حين يسلط علينا على بن أبي طالب ، فقالوا قد علمنا أن محمداً صادق فيما يقول ، ولكننا نتولاه ولا نطيعه علماً فيما أمرنا ، قال : فنزلت هذه الآية « يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، يعنى ولاية على » وأكثرهم الكافرون ، بالولاية وعنه أنه سئل : الأوصياء طاعتهم مفروضة ؟ . قال : نعم هم الذين قال الله « أطيعوا الله الرسول وأولى الأمر منكم ، وهم الذين قال الله « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . . الآية » ، وروى المؤلف غير ذلك من الروايات ، وكلها يدور حول هذا الشأن . . ثم ادعى لإجماع الأمة على أنه لم يوثق الزكاة يومئذ أحد منهم وهو راع غير رجل واحد هو على . . ثم علل عدم ذكره باسمه في الكتاب بأنه لو ذكر باسمه في الكتاب لآسقط مع ما أسقط . . . ثم وفق بين الروايات القائلة بأنه تصدق بحلته وبين الروايات القائلة بأنه تصدق بخاتمة فقال : « لعله تصدق مرة في ركوعه بالحلة ، ومرة بالخاتم . . . والآية نزلت بعد الثانية . وقوله تعالى « ويوثون » ، إشعار بذلك ؛ لتضمنه التكرار والتجدد ، كما أن فيه إشعاراً بفعل أولاده أيضاً ) اهـ<sup>(٢)</sup> .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦٧) من سورة المائدة ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته . . الآية ) نراه يحمل التبليغ المأمور به عليه السلام على تبليغه للناس لإمامة على وولايته . . . ويروى هنا قصة طويلة جداً . . ويروى خطبة النبي لأصحابه عند غدير خم ، وهي خطبة طويلة كذلك ، وفي هذه الخطبة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً سبب نزول الآية « وأنا مبين لكم سبب هذه الآية : إن جبريل هبط إلى مراراً

ثلاثة ، يأمرني عن السلام ربى وهو السلام : أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخى ، ووصي وخليفتى ، والإمام من بعدى ، الذى محله منى محل هرون من موسى ، إلا أنه لا نبى بعدى وهو وليكم بعد الله ورسوله ، وقد أنزل الله على بذلك آية من كتابه ، وإنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، وعلى بن أبي طالب أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع ، يريد الله عز وجل فى كل حال ، وسألت جبريل أن يستغفرلى عن تبليغ ذلك إليكم أيها الناس ، لعلى بقلة المتقين ، وكثرة المنافقين ، وإدغال الآثمين ، وحيل المستهزئين بالإسلام ، الذين وصفهم الله فى كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، ويحسبوننا هيناً وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لى غير مرة حتى سمونى أذناً ، وزعموا أنى كذلك لكثرة ملازمته إياى وإقبالى عليه ، حتى أنزل الله عز وجل فى ذلك ، ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم . . (الآية ١) ولو شئت أن أسميهم بأسمائهم لسميت ، وأن أومى إليهم لأعيانهم لأومات ، وأن أدل عليهم لدلت ، ولكنى - والله - فى أمورهم قد تكرمت ، وكل ذلك لا يرضى الله منى إلا أن أبلغ ما أنزل لى . . ثم تلا : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك فى على وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس . . (٢) الخ (١٥٠هـ .

### أولو الأمر الذين يجب طاعتهم :

ومثلاً عند قوله تعالى فى (٥٩) من سورة النساء ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . الآية ) نراه يحمل هذه الآية على وفق مذهبه ، فيقتصر أولى الأمر على الأئمة من أهل البيت خاصة ، أما من عداهم فليسوا أولى الأمر ، وليس يجب على أحد أن يقوم بطاعتهم ، ولهذا يقول عند تفسيره هذه الآية مانصه : فى الكافى والعياشى عن الباقر : إيانا عنى خاصة . .

أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا . وفي الكافي عن الصادق : أنه سئل عن الأوصياء ... طاعتهم مفترضة ؟ قال : نعم ، هم الذين قال الله : أطيعوا الله الآية وقال الله : إنما وليكم الله .. الآية وفيه والعباشي عنه في هذه الآية قال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين ، فقال : إن الناس يقولون فالله لم يسم علياً وأهل بيته في كتابه ؟ فقال : فقولوا لهم : نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك لهم ، ونزلت ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ) ونزلت في علي والحسن والحسين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وقال : أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فإني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطاني ذلك . وقال : لا تعلموهم ، فإنهم أعلم منكم ، وقال : إنهم لم يخرجوكم من باب هدى ولم يدخلوكم في باب ضلالة ، فلو سكنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين من أهل بيته لادعاهآ آل فلان وآل فلان ، ولكن الله أنزل في كتابه تصديقا لنبيه ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فكان علي والحسن والحسين وفاطمة ، فأدخلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الكساء في بيت أم سلمة ثم قال اللهم إن لكل نبي أهلاً وثقلاً ، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي ، فقالت أم سلمة : أأنت من أهلك ؟ فقال : إنك إلى خير ، ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلي ... الحديث وزاد العباشي آل عباس ، وآل عقيل ، قبل قوله وآل فلان . عن الصادق أنه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام التي إذا أخذ بها زكى العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق في الأموال الزكاة ، والولاية التي أمر الله بها ، ولاية آل محمد ، فإن رسول الله قال : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ... قال الله تعالى : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فكان علي ، ثم صار من بعده الحسن ، ثم بعده الحسين ، ثم من بعده علي بن الحسين ، ثم من بعده محمد بن علي ، ثم هكذا يكون الأمر .. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ... الحديث . وفي المعاني عن سليم بن قيس الهلالي عن

أمير المؤمنين أنه سأله : ما أدنى ما يكون ، به الرجل ضالاً ، فقال : أن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته ، وجعله حجته في أرضه ، وشاهده على خلقه . . قال : فن هم يا أمير المؤمنين ، قال : الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، قال فقبلت رأسه وقلت : أوضحت لي ، وفرجت عني ، وأذهبت كل شيء كان في قلبي . وفي الإكمال عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : لما نزلت هذه الآية قلت : يا رسول الله . . عرفنا الله ورسوله ، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ، فقال : هم خلفائي يا جابر وائمة المسلمين من بعدي ، أولهم علي ابن أبي طالب ، ثم الحسن ، ثم الحسين . ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر . . وستدرکه يا جابر ، فإذا لقيته فأقرته مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى . ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم سمعي محمد ، وكنيته حجة الله في أرضه ، وبقيته في عبادته ، ابن الحسن بن علي ، ذلك الذي يفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها ؛ ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يشبت فيها علي القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان . قال جابر : فقلت : يا رسول الله . . فهل لشيعة الانتفاع به في غيبته ، فقال : أي . . والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره ، وينتفعون بولايته ، كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلجلها سحب . يا جابر . . هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله . . . والأخبار في هذا المعنى في الكتب المتداولة المعتمدة لا تحصى كثرة . وفي التوحيد عن أمير المؤمنين : اعرفوا الله بالله ، والرسول بالرسول وأولى الأمر بالمعروف والعدل والإحسان . وفي العلل عنه ، لا طاعة لمن عصى الله . وإما الطاعة لله والرسوله ولولاة الأمر : إنما أمر الله بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية ، وإنما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرن بمعصية (١) .

### الإمام يوصى لمن بعده :

ولما كان مذهب المؤلف أن كل إمام يوصى بالإمامة لمن بعده ، وليس ذلك لأحد من المسلمين غيره ، فإننا نجده يتأثر بهذه العقيدة ويفسر قوله تعالى في الآية (٥٨) من سورة النساء « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها . . . الآية » على وفق هذه العقيدة فيقول ( في الكافي وغيره في عدة روايات : إن الخطاب إلى الأئمة . . أمر كلا منهم أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده ويوصى إليه ، ثم هي جارية في سائر الأمانات . وفيه وفي العياشي عن الباقر . إيانا عن أن يؤدي الإمام الأول إلى الذي بعده العلم والكتب والسلاح . . . الخ )<sup>(١)</sup>

### استدلاله على الرجعة .

ولما كان المؤلف يدين بالرجعة فإننا نجده يستدل على جوازها بقوله تعالى في الآيتين (٥٦،٥٥) من سورة البقرة « وإذا قلتم يا موسى لن تومن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون \* ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ، وذلك حيث يقول ( . . . أقول ، قيد البعث بالموت لأنه قد يكون عن إغماء ونوم ، وفيه دلالة واضحة على جواز الرجعة التي قال بها أصحابنا نقلا عن أئمتهم ، واحتج بهذه الآية أمير المؤمنين علي ابن السكواء حين أنكرها كما رواه عنه الإصبع بن نباته ، والقمي ، هذا دليل على الرجعة في أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فإنه قال ، لم يكن في بني إسرائيل شيء إلا وفي أمته مثله - يعني دليلا على وقوعها ) ا هـ<sup>(٢)</sup>

### الإيمان بالرجعة وقيام القائم من الإيمان بالغيب ،

ولكون المؤلف يعتقد بالرجعة ويرى ضرورة الإيمان بها لكل مؤمن ، فإننا نراه يعد الإيمان بها من ضمن الإيمان بالغيب الذي مدح الله به عباده المتقين وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين ( ٢ ، ٣ ) من سورة البقرة « . . هدى للمتقين \* الذين يؤمنون بالغيب . . . » ( الذين يؤمنون بالغيب )

بما غاب عن حواسهم من توحيد الله ، ونبوة الأنبياء ، وقيام القائم ، والرجعة ، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وسائر الأمور التي يلزمهم الإيمان بها بما لا يعرف بالمشاهدة وإنما يعرف بدلائل نصبها الله عز وجل (١) ١٥ هـ

### التقية :

ولما كان ملا محسن يقول بالتقية ، ويراها ضروره من ضروريات قيام مذهب ووصون أصحابه من الاضطهاد ، فإننا نراه يفيض فيها عندما تكلم عن قوله تعالى في الآية (٢٨) من سورة آل عمران « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة .. الآية ، فيقول ( إلا أن تتقوا منهم تقاة ) إلا أن تخافوا من جهنم خوفاً وأمرأ يجب أن يخاف منه ، وقرىء ( تقية ) منع عن موالاتهم ظاهراً وباطناً في الأوقات كلها إلا وقت الخفاة ، فإن إظهار الموالات حينئذ جائز بالخالفة كما قيل ، كن وسطاً وامش جانبا ..... ثم قال « وفي العياشي عن الصادق قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، لا إيمان لمن لا تقية له ، ويقول ، قال الله ( إلا أن تتقوا منهم تقاة ) . وفي الكافي عنه قال ، التقية ترس الله بينه وبين خلقه . وعن الباقر قال : التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم ، وقد أحل الله له . والأخبار في ذلك مما لا يحصى (٢) ١٥ هـ .

### تأثره في تفسيره بالفروع الفقهية للإمامية ،

ولما كان المؤلف كغيره من علماء مذهب له في بعض المسائل الاجتهادية الفقهية رأى يخالف آراء مجتهدي المذاهب الأخرى ، فإننا نراه ينتصر لمذهبه ويعمل على تأييده بما يظهر له من آيات القرآن ... والمتسع لتفسيره لآيات الأحكام يجد أثر هذا كله ظاهراً جلياً ، فهو يحاول محاولة جديدة أن يأخذ رأيه من النص القرآني أو يدفع رأياً مخالفاً بما يظهر له منه ، وإليك بعض المثل لتعرف مقدار تأثير هذا التفسير بمذهب صاحبة الفقهى ،

## المتعة .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٤) من سورة النساء ، فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن . . . نراه يتأثر بما يراه من حل نكاح المتعة فيحمل الآية على هذا ويجعلها دليلا على صحة مذهبه وذلك حيث يقول مانصه ، فما استمتعتم به منهن فأتوهن ، مهورهن ، سمي أجرا لأنه في مقابلة الاستمتاع ( فريضة ) مصدر مؤكد . في الكافي عن الصادق ، إنما أنزلت ( فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فأتوهن أجورهن فريضة ) والعياشي عن الباقر . أنه كان يراها كذلك ، وروته العامة أيضا عن جماعة من الصحابة ، ولا جناح عليكم فيما تراضيتهم به من بعد الفريضة ، من زيادة في المهر أو الأجل ، أو نقصان فيهما ، أو غير ذلك مما لا يخالف الشرع . في الكافي مقطوعا والعياشي عن الباقر ، لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما ، تقول ، استحلتك بأجل آخر يرضى منها ، ولا تحل لغيرك حتى تنقضي عدتها ، وعدتها حيضتان ، إن الله كان عليما ، بالمصالح ، فيها شرع من الأحكام . في الكافي عن الصادق ، المتعة نزل بها القرآن ، وجرت بها السنة من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن الباقر كان علي يقول ، لولا ما سبقني به ابن الخطاب ما زني إلا شفى بالفاء — يعني إلا قليل — أراد أنه لولا ما سبقني به عمر من نهيه عن المتعة وتمكن نهيه من قلوب الناس ، لندبت الناس عليها ، ورجبتهم فيها ، فاستغوا بها عن الزنى ، فما زنى منهم إلا قليل ، وكان نهيه عنها تارة بقوله ، متعتان كاتتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محرهما ومعاقب عليهما ، متعة الحج ، ومتعة النساء . وأخرى بقوله ، ثلاث كن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا محرمن ومعاقب عليهن ، متعة الحج ومتعة النساء وحى على خير العمل في الأذان . وفيه جاء عبد الله بن عمر الليثي إلى أبي جعفر فقال له ، ما تقول في متعة النساء ، فقال : أحلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه ، فهي حلال إلى يوم القيامة ، فقال : يا أبا جعفر . . . مثلك يقول هذا وقد حرما عمر ونهى عنها ، فقال ، وإن كان فعل ، قال ، فإني أعيدك بالله من ذلك أن تحل

شيئا حرمه عمر ، فقال له : فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم ألا عنك أن القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الباطل ما قال صاحبك ، وقال : فأقبل عبد الله بن عمر فقال : أيسرك أن نساءك ، وبناتك ، وأخوانك ، وبنات عمك ، يفعلن ذلك ، فأعرض عنه أبو جعفر حين ذكر نساءه وبنات عمه . وفيه : سأل أبو حنيفة أبا جعفر محمد ابن النعمان صاحب الطلاق فقال : يا أبا جعفر : ما تقول في المتعة ؟ أتزعم أنها حلال ؟ قال : نعم . قال : فما يمنعك أن تأمر نساءك ليستمتعن ويكسبن عليك فقال أبو جعفر : ليست كل الصناعات ين غب فيها وإن كانت حلالا ، وللناس أقدار ومراتب يرفعون أقدارهم ، ولكن ما تقول يا أبا حنيفة في النبيذ أتزعم أنه حلال قال : نعم ؛ قال : فما يمنعك أن تقعد نساءك في الحوائت نباذات فيكسبن عليك فقال أبو حنيفة : واحدة بواحدة ، وسهمك أنفذ ، ثم قال : يا أبا جعفر . إن الآية التي في سأل سائل تنطق بتحريم المتعة (١) والرواية عن النبي قد جاءت بنسخها ، فقال أبو جعفر : يا أبا حنيفة .. إن سورة سأل سائل مكية وآية المتعة مدنية ، وروايتك شاذة ردية ، فقال أبو حنيفة : وآية الميراث أيضا تنطق بنسخ المتعة ، فقال أبو جعفر : قد ثبت النكاح بغير ميراث ، فقال أبو حنيفة من أين قلت ذلك ؟ فقال أبو جعفر : لو أن رجلا من المسلمين تزوج بامرأة من أهل الكتاب ثم توفي عنها . ما تقول فيها قال . لا ترث منه ، فقال . قد ثبت النكاح بغير ميراث .. ثم افترقا . وعن الصادق أنه سأل أبو حنيفة عن المتعة فقال . عن أي المتعتين تسأل فقال . سألتك عن متعة الحج فأنبتني عن متعة النساء أحق هي ؟ فقال : سبحان الله .. أما تقر أكتاب الله ، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ، فقال أبو حنيفة . والله لكانها آية لم أقرأها قط . وفي الفقه عنه . ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا ( أقول ) الكفرة . الرجعة ، وهي إشارة إلى ما ثبت عندهم من رجوعهم إلى الدنيا مع جماعة من شيعتهم في

(١) يريد قوله تعالى في الآيتين ( ٢٩ ، ٣٠ ) والذين هم لفروجهم حافظون إلا على

أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين .



زمن القائم لينصروه ، وقد مضت الإشارة إليه فيما سلف ، ويأتي أخبار آخر فيها إن شاء الله . ( ١ ) هـ

### نكاح الكتابيات :

وملا محسن . لا يميل إلى حرمة نكاح الكتابيات من اليهود والنصارى ، بل نراه يذكر لنا في تفسيره للآيات التي تتصل بهذا الموضوع أقوال العلماء ، ويفض في سرده لأقوال المجيزين منهم ، ويعقب على أقوال المجيزين بما يدل على أنه مؤيد لعدم الحرمة ، ومرتبض لقول من يقول بالحل ؛ ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٢٢١ ) من سورة البقرة « ولا تنكحوا المشركات . . . . الآية » ، يقول ما نصه : ( « ولا تنكحوا المشركات ، لا تزوجوا الكافرات » حتى يؤمن ، « ولائمة ، مملوكة ، مؤمنة خير من مشركة ، حرة « ولو أعجبتمكم ، المشركة بجمالها أو مالها أو حسبها « ولا تنكحوا المشركين ، لا تزوجوا منهم المؤمنات « حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن ، مملوك ، خير من مشرك ، حر « ولو أعجبكم ، جماله أو ماله أو حاله « أولئك ، إشارة إلى المشركين والمشركات « يدعون إلى النار ، إلى الكفر المؤدى إلى النار ، فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا « والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة ، إلى فعل ما يوجب الجنة والمغفرة من الإيمان والطاعة « بإذنه بأمره ، وتوفيقه « ويبين آياته ، وأمره ونواهيته ، للناس لعلمهم يتذكرون « ويتعظون . القمى : هي منسوخة بقوله تعالى في الآية ( ٥ ) من سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات ، إلى قوله « والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتهم من أجورهن ، قال : ففسخ هذه الآية « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، وترك قوله ( « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » ) على حاله لم يفسخ ؛ لأنه لا يحل للمسلم أن ينكح المشرك ، ويحل له أن يتزوج المشركة من اليهود والنصارى ، وكذلك قال النعمان في كتابه ، « كلاهما عدو قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات ، من منسوخ النصف من الآيات ، ويأتي تمام الخبر فيه في سورة المائدة إن شاء الله تعالى ( ٢ ) هـ

( ٢ ) ج ١ ص ٧٣ .

( ١ ) ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

وعندما تكلم عن قوله تعالى في الآية (٥) من سورة المائدة : اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . . . الآية ، يقول مانصه : . . . والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، في الفقيه عن الصادق : هن العفاف . والعياشى عن الكاظم أنه سئل ما معنى إحصانهن ؟ قال : هن العفاف من نساءهم . وفي الكافي ، والجمع ، والعياشى ، عن الباقر : أنها منسوخة بقوله : ولا تمسكوا بعصم الكوافر ، وزاد في الجمع وبقوله ( ولا تنكحوا المشركات ) . القمى . أحل الله نكاح أهل الكتاب بعد تحريمه في قوله في سورة البقرة : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، قال : وإنما يحل نكاح أهل الكتاب الذين يؤدون الجزية ، وغيرهم لم تحل من أكلتهم ( أقول ) يؤيد هذا ، الحديث النبوى إن سورة المائدة آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها . وفي الكافي عن الحسن بن الجهم قال : قال لى أبو الحسن الرضا : يا أبا محمد ما تقول في رجل يتزوج نصرانية على مسلمة ؟ قلت . جعلت فداك . وما قولى بين يديك ؟ قال لتقولن . . فإن ذلك تعلم به قولى . قلت : لا يجوز تزوج نصرانية على مسلمة ولا على غير مسلمة ، قال : ولم ؟ قلت : لقوله تعالى : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، قال : فأتقول في هذه الآية والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ؟ قلت : فقوله : ولا تنكحوا المشركات ، نسخت هذه الآية ، فتسم ثم سكت . وفيه وفي الفقيه عن الصادق في الرجل المؤمن يتزوج النصرانية واليهودية قال : إذا أصاب المسلمة فاذا يصنع باليهودية والنصرانية ؟ فقيل : يكون له فيها الهوى ، فقال : إن فعل فيمنعها من شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، واعلم أن عليه في دينه غضاضة . وعن الباقر : لا ينبغي للمسلم أن يتزوج يهودية ولا نصرانية وهو يجد مسلمة حرة أو أمة . وعنه : إنما يحل منهم نكاح البله . وفي الفقيه عنه أنه سئل عن الرجل المسلم يتزوج المجوسية قال : لا . . ولكن إن كانت له أمة مجوسية فلا بأس أن يطأها ويعزل عنها ولا يطلب ولدها ، وفي رواية : لا يتزوج الرجل اليهودية ولا النصرانية على المسلمة ، ويتزوج المسلمة على اليهودية والنصرانية

وفي التهذيب عن الصادق : لا بأس أن يتمتع الرجل باليهودية والنصرانية وعنده حرة . وفيه في جواز التمتع بهما وبالمجوسية أحبار آخر ( ١٠٠ ) هـ (١) .

وفي سورة الممتحنة عند قوله تعالى في الآية ( ١٠ ) د ولا تمسكوا بعصم الكوافر ، قال ما نصه : د ولا تمسكوا بعصم الكوافر ، بما يعتم به الكافرات من عقد ونسب . . جمع عصمة ، والمراد نهي المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات . القمى عن الباقر في هذه الآية قال : يقول : من كانت عنده امرأة كافرة — يعني على غير ملة الإسلام — وهو على ملة الإسلام فليعرض عليها الإسلام ، فإن قبلت فهي امرأته ، وإلا فهي بريئة منه ، فهي الله أن يمسك بعصمتها . وفي الكافي عنه قال : لا ينبغي نكاح أهل الكتاب ، قيل : وأين تحريمه ؟ قال قوله د ولا تمسكوا بعصم الكوافر ، ( أقول ) قد مضى في سورة المائدة ما يخالف ذلك ( ٢ ) هـ .

### فرض الرجلين في الوضوء وحكم المسح على الخفين :

ويرى صاحبنا أن فرض الرجلين في الوضوء مسحها لا غسلها ، كما يرى عدم جواز المسح على الخفين ، ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة د يا أيها الذين آمنوا إلى قتم إلى الصلاة فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين . الآية ، نراه يقول بوجوب وصول الماء إلى بشرة سائر الأعضاء كما هو مقتضى الأمر بالغسل والمسح ، وعليه فلا يجزئ المسح على القطنسوة ولا على الخفين ، ثم يروى ما جاء في التهذيب عن الباقر من أن عمر جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على فقال : ما تقولون في المسح على الخفين ، فقام المغيرة بن شعبة فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على الخفين فقال على : قبل المائدة أو بعد المائدة ؟ قال : لا أدري ، فقال على : سبق الكتاب الخفين ؛ إنما نزلت المائدة قبل أن يقبض بشهرين أو ثلاثة . وهنا يعقب ملا محسن على هذه الرواية فيقول : ( أقول ) المغيرة بن شعبة هذا هو أحد رؤساء المنافقين من

أصحاب العقبة والسقيفة لعنهم الله . . ثم يقول : وفي الفقيه روت عائشة عن النبي أنه قال : أشد الناس حسرة يوم القيامة من رأى وضوءه على جلد غيره . وروى عنها أنها قالت : لأن أ مسح على ظهر عير بالفلاة أحب إلى من أن أ مسح على خفي . ولم يعرف للنبي خف إلا خف أهداه النجاشي وكان موضع ظهر القدمين منه مشقوقا ، ف مسح النبي صلى الله عليه وسلم على رجله وعليه خفاه ، فقال الناس : إنه مسح على خفيه ، على أن الحديث في ذلك غير صحيح الإسناد . اه كلام الفقيه ( ١ ) .

وبعد هذا انتقل المؤلف إلى الكلام على فرض الرجلين في الوضوء ، فقال بعد ما بين أولا أن قراءة نصب الأرجل مردودة عندهم : ( . . . ثم دلالة الآية على مسح الرجلين دون غسلهما أظهر من الشمس في رابعة النهار ، وخصوصاً على قراءة الجر ، ولذلك اعترف بها جمع كثير من القائلين بالغسل ، وفي التهذيب عن الباقر أنه سئل عن قول الله عز وجل : فامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، على الخفض هي أم على النصب ؟ قال : بل هي على الخفض ، ثم قال : ( أقول ) وعلى تقدير القراءة على النصب أيضا تدل على المسح ، لأنها تكون حينئذ معطوفة على محل الرءوس ، كما تقول : مررت بزيد وعمراً ؛ إذ عطفهما على الوجوه خارج عن قانون الفصاحة ، بل عن أسلوب العربية . . ثم روى من الأخبار عن أهل البيت ما يشهد لمذهبه . . ( ٢ ) اه .

### الغنائم :

وهو يرى في الغنائم ما يراه غيره من علماء مذهبه من أن الخمس يقسم إلى ستة سهام : سهم لله . ومهم للرسول ، ومهم للإمام ، ومهم ليتامى آل الرسول ، ومهم لمساكينهم ، ومهم لأبناء سيدهم . ومهم لله ومهم الرسول يرثهما الإمام ، فيكون للإمام ثلاثة أسهم من ستة . . ثم يعلل اختصاص الإمام من الخمس بالأسهم الثلاثة ، بأن الله تعالى قد أوزم الإمام بما أوزم به النبي

(١) ج ١ ص ١٥٤

(٢) ج ١ ص ١٥٥

من تربية الأمة ، ومؤمن المسلمين وقضاء ديونهم ، وحملهم في الحج والجهاد ، وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما أنزل عليه والنبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم ، فلما جعله الله أباً للمؤمنين لزمه ما يلزم الوالد للولد ، فقال عند ذلك : من ترك ما لا فلورثته ، ومن توك ديناً أو ضياعاً فعلى وإلى ، فلزم الإمام ما لزم الرسول . فلذلك صار له من الخمس ثلاثة أسهم .

والمؤلف يرى أن الله تعالى عرض يتامى آل البيت ومساكينهم وأبناء سيبلهم بما خصوا به من هذه السهام عن الصدقات التي حرمت عليهم ومنعوا من أخذها لكونها أوساخ الناس ، ويروى في ذلك أخباراً كثيرة عن علماء آل البيت (١) .

وعندما فسر المؤلف قوله تعالى في الآية (٧) من سورة الحشر ، ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى . . الآية ، نقل من الكافي عن أمير المؤمنين أنه قال : ( نحن والله الذين عنى الله بنى القري الذين قرنهم الله بنفسه ونيبه فقال : ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين ، منا خاصة ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة . . أكرم الله نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس (٢) ) اهـ .

### الاستنباط :

ويرى ملا محسن أن الاستنباط لا يجوز لأحد من الأمة إلا للأئمة ؛ لأنهم هم المعصومون عن الخطأ ، أما من عداهم فليس له هذه العصمة ؛ ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٨٣) من سورة النساء ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستبطنونه منهم . . الآية ، يقول ما نصه : وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف ، مما يوجب الأمن والخوف ، أذاعوا به ، فشوه . قيل : كان قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله

صلى الله عليه وسلم أو أخبرهم الرسول بما أوحى إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوه ، وكانت إذاعتهم مفسدة ، ولو ردوه ، ردوا بذلك الأمر إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلهم الذين يستنبطونه منهم ، قيل : أى يستخرجون تدييره بتجاربههم وأنظارهم . فى الجوامع عن الباقر : هم الأئمة المعصومون . والعايشى عن الرضا : يعنى آل محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يستنبطون من القرآن ، ويعرفون الحلال والحرام ، وهم حجة الله على خلقه . وفى الإكمال عن الباقر : من وضع ولاية الله وأهل استنباط علم الله فى غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياء فقد خانف أمر الله عز وجل ، وجعل الجهال ولاية أمر الله ، والمتكلمة فى غير هدى زعموا أنهم أهل استنباط علم الله فكذبوا على الله وزاغوا عن وصية الله وطاعته ، فلم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك وتعالى ، فضلوا وأضلوا أتباعهم ، فلا تكون لهم يوم القيامة حجة (١) . اه .

### موقف المؤلف من مسائل علم الكلام :

والمؤلف كثيره من الشيعة متأثر إلى حد ما بتعاليم المعتزلة وآرائهم الكلامية ، فهو يوافقهم فى بعض المسائل ، ويخالفهم فى بعض آخر منها . ولنا لنلاحظ هذا التأثر فى تفسيره للآيات التى لها ارتباط بالمسائل الكلامية ، وإليك بعض المثل التى وافق فيها المعتزلة ، وبعض المثل التى خالفهم فيها :

### أفعال العباد :

يرى صاحبنا أن العبد يخلق أفعال نفسه ويوافق برأيه هذا رأى المعتزلة القائلين بخلق العباد أفعال أنفسهم . ولهذا نراه يتأثر بهذه العقيدة فى تفسيره . فثلا عند ما فسر قوله تعالى فى الآية (١٢٣) من سورة الأنعام ، وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها . . الآية ، نراه يفر من نسبة هذا الجعل إلى الله تعالى فيقول : ( . . . والمعنى خليئناهم وشأنهم ليكروا ولم نكفهم عن المكر . . . ) (٢) . اه .

### رؤية الله :

كذلك يوافق ملاحسن المعتزلة في أن رؤية الله تعالى غير جائزة ولا واقعة ، ولهذا نراه يتأول آيات الرؤية كما تأولها المعتزلة .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين ( ٢٢ ، ٢٣ ) من سورة القيامة « وجوه يومئذ ناضرة = إلى ربها ناظرة » ، يقول ما نصه ( وجوه يومئذ ناضرة ) القمى : أى مشرقة ( إلى ربها ناظرة ) قال : ينظرون إلى وجه الله أى إلى رحمته ونعمته ، وفى العيون عن الرضا قال : يعنى مشرقة تنتظر ثواب ربها . وفى التوحيد والاحتجاج عن أمير المؤمنين فى حديث قال : ينتهى أولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون منه فتبيض وجوههم لأشراقا ، فيذهب عنهم كل قذى ووعث ، ثم يؤمرون بدخول الجنة ، فن هذا المقام ينظرون إلى ربهم ، قال : فذلك قوله تعالى « إلى ربها ناظرة » ، وإنما نعنى بالنظر إليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى . وزاد فى الاحتجاج : والناظرة فى بعض اللغة هى المنتظرة ألم تسمع إلى قوله « فناظرة بم يرجع المرسلون<sup>(١)</sup> » ، أى منتظرة<sup>(٢)</sup> ) اه .

### الشفاعة .

ويخالف المؤلف المعتزلة فى القول بالشفاعة فهو يرى أنها جائزة وواقعة يوم القيامة ، وأن أهل البيت يشفعون للعصاة من شيعتهم ، ولهذا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية ( ٤٨ ) من سورة البقرة « واتفقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل . . الآية » ، نراه ينقل من تفسيره الإمام عن الصادق أنه قال : ( هذا يوم الموت فإن الشفاعة والقداء لا يعنى عنه ، فأما اأقيامة فإننا وأهلنا نجزى عن شيعتنا كل جزاء ، ليسكونن على الأعراف بين الجنة والنار محمد ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ،

(١) فى الآية (٣٥) من سورة النمل

(٢) ٢٦ ص ٢٤١

والطيون من آلهم ، فترى بعض شيعتنا في تلك العرصات ، فمن كان منهم مقصراً وفي بعض شذائدها فنبت عليهم خيار شيعتنا كسلمان والمقداد وأبي ذر ، وعمار ، ونظرائهم في العصر الذي يليهم ، ثم في كل عصر إلى يوم القيامة ، فينقضون عليهم كالبزاة والصقور ، ويتناولونهم كما تتناول البزاة والصقور صيدها ، فيزفونهم إلى الجنة زفا ، وإنا لنبعت على آخرين من محبينا خيار شيعتنا كالحمام فيلتقطونهم من العرصات كما يلتقط الطير الحب وينقلونهم إلى الجنان بحضرتنا ، وسيؤتى بالواحد من مقصرى شيعتنا في أعماله بعد أن حاز الولاية والتقية وحقوق إخوانه ويوقف بإزائه مائة أو أكثر من ذلك إلى مائة ألف من النَّصَّاب (١) فيقال له : هؤلاء فداؤك من النار ، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار ، وذلك ما قال الله عز وجل في الآية (٣) من سورة الحجر « ربما يود الذين كفروا ، يعنى بالولاية ( لو كانوا مسلمين ) في الدنيا ، منقادين للأئمة ، ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم (٢) » .

### السحر :

كذلك يخالف المؤلف المعتزلة في القول بالسحر ؛ فهو يعترف بحقيقته ولا ينكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر ، ولهذا نراه عند تفسيره لسورة الفلق يقول ما نصه ( . . . ومن شر النفاثات في العقد ) ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللواتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها ، والنفث : النفخ مع ريق . . . . . ثم ذكر الحديث الذي فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر بفعل لبيد بن الأعصم اه (٢) .

---

(١) النصاب جمع ناصب والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم الأول والثاني يعنى أبا بكر وعمر - على عليّ ، أو يعتقد إمامة الأول والثاني . اه من الوشيعة



### روايته للأحاديث الموضوعة :

ثم لا يفوتنا أن ننبه على أن هذه الأحاديث التي يرويها المؤلف في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن أهل البيت كشاهد لصحة ما يقول ، هي في الغالب مكذوبة موضوعة لا أصل لها ، وقد مر بك الكثير من هذه الروايات ، وهي فاطقة على نفسها بالوضع ، فلست في حاجة إلى بيان وضعها بميزان نقد الرواة ، إذ نحن في غنى عن هذا بعد ما حمل الحديث تكذيب نفسه بنفسه في ثنايا ألفاظه ومعانيه . والمصنف بعد هذا لا يفوته أن يذكر في نهاية تفسير كل سورة من الروايات عن أهل البيت ما يشهد لفضل هذه السورة ، وما أعد الله لقارئها من الأجر والثواب ، وفي اعتقادي أن هذه الروايات لاتعدو أن تكون مكذوبة كالروايات المنسوبة إلى أبي وابن عباس في فضائل السور ، وليس بغريب أن يذكر صاحبنا مثل هذه الروايات المكذوبة في تفسيره بعد ما سود كتابه من أوله إلى آخره بالأحاديث الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته عليهم رضوان الله .

## ٥ - تفسير القرآن

للسيد عبد الله العلوي

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو السيد عبد الله بن محمد رضا ، العلوي ، الحسيني ، الشهير بشبر . ولد بأرض النجف سنة ١١٨٨ هـ ثمان وثمانين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية . . . ثم ارتحل مع والده إلى الكاظمية ومكث بها إلى أن مات سنة ١٢٤٢ هـ اثنتين وأربعين ومائتين بعد الألف من الهجرة . كان في نظر أصحابه من أعيان الشيعة وفضلائهم ، فقيها ، محدثا ، مفسرا متبحرا ، جامعا لعلوم كثيرة ، آية في الأخلاق . تلقى العلم على والده ، وعلى الإمام الكبير السيد محسن الأعرجي . وقد تلمذ عليه خلق كثير ، لأنهم كانوا يعتبرونه علما من أعلام الشيعة ، وشخصية علمية بارزة لها مكانها ومقدارها . ولقد عكف مدة حياته العلمية على التأليف والتصنيف حتى أخرج للناس مع سنة الذي لم يتجاوز الأربع والخمسين سنة كتباً كثيرة ومصنفات عديدة نذكر منها (١) الدرر المنثورة في المواعظ الماثورة عن الله تعالى والنبي والأئمة الطاهرين عليهم السلام والحكام (٢) رسالة في حجية خبر الواحد (٣) أعمال السنة . كتاب على نمط زاد المعاد للمجلسي (٤) رسالة في حجية العقل والحسن والقبح العقليين (٥) مصباح الظلام في شرح مفاتيح شرائع الإسلام (٦) قصص الأنبياء (٧) البرهان المبين في فتح أبواب علوم الأئمة المعصومين (٨) كتاب شرح نهج البلاغة (٩) صفوة التفاسير في ستين ألف بيت (١٠) الجوهر الثمين في تفسير القرآن المبين . . . في مجلدين في ثلاثين ألف بيت (١١) التفسير الوجيز مجلد واحد في ثمانية عشر ألف بيت . ولعل هذا التفسير هو الذي في أيدينا . وهناك مؤلفات أخرى كثيرة مذكورة في ترجمته لا نطيل بذكرها (١٢) .

(١) انظر ترجمته في روضات الجنات ص ٣٧٤ ، وترجمته الموجودة بأول الكتاب

لتلميذة السيد محمد معصوم .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير يجرى على مذهب الإمامية الاثني عشرية ، من حمل ألفاظ القرآن الكريم على معان تنفق وأصول المذهب وتعاليمه ، مع شيء من التعصب والغلو في التنويه بشأن أهل البيت والخط من قدر الصحابة الذين يعتبرهم غير موالين لعلي وذريته . والكتاب مختصر في ألفاظه ، موجز في عباراته ، مع تضمنه للمعاني الكثيرة الدقيقة ، فهو أشبه مايكون بتفسير الجلالين من جهة إفادة المعاني الكثيره ، والنكات الخفية الدقيقة ، بعبارة سهلة موجزة .

ولقد حرص المؤلف فيه على أن يكون جل اعتماده على ما ورد من التفسير عن أهل البيت ، وإن كان لا يعزو كل قول إلى قائله في الغالب ، كما حرص على أن ينصر مذهبه ويدافع عنه سواء في ذلك ما يتعلق بأصول المذهب أو بفروعه ، وهو بعد ذلك يشرح الآيات التي لها صلة بمسائل علم الكلام شرحا يتفق أحيانا كثيرة مع مذهب المعتزلة ، وأحيانا مع مذهب أهل السنة . وذلك راجع إلى أنه يأخذ بمذهب المعتزلة في بعض المسائل ، وبمذهب أهل السنة في بعض آخر منها ، شأن الكثير الغالب من علماء الإمامية الاثني عشرية . ثم لا يفوت المؤلف في تفسيره هذا أن يشير إلى بعض مشكلات القرآن التي ترد على ظاهر النظم الكريم . ثم يجيب عنها . كما لا يفوته أن يكشف لنا عن كثير من النكات اللفظية والبيانية والمعنوية ، مع الخوض أحيانا في المعاني اللغوية والمسائل النحوية ، كل هذا - كما قلت - في أسلوب تمتع لا يمل قارئه من تعقيد ولا يسأم من طول :

ولقد وصف المؤلف تفسيره هذا ، وبين مسلكه فيه فقال في مقدمته :

( هذه كلمات شريفة ، وتحقيقات منيفة ، وبيانات شافية ، وإشارات وافية ، تتعلق ببعض مشكلات الآيات القرآنية ، وغرائب الفقرات الفرقانية ، وتحرى غالبا ماورد عن خزان أسرار الوحي والتنزيل ، ومعادن جواهر العلم والتأويل ، الذين نزل في بيوتهم جبرائيل ، بأوجز إشارة ، وألطف عبارة ،

وفما يتعلق بالألفاظ والأغراض والنكات البيانية تفسير وجيز ، فإنه أظف التفسير بياناً وأحسنها تبياناً مع جازة اللفظ وكثرة المعنى (١) اهـ .  
هذا ، وقد أتم المؤلف تفسيره هذا - كما قال في خاتمته - في جمادى الأولى سنة ١٢٣٩ هـ تسع وثلاثين ومائتين بعد الألف من الهجرة . والكتاب مطبوع في مجلد واحد كبير الحجم ، وموجود بدار الكتب المصرية ، وإليك بعض ما يكشف عن منهج هذا التفسير .

### تعصب المؤلف لأصول مذهبه وأثر ذلك في تفسيره :

هذا ، وإن المؤلف بحكم عقيدته وهواه يتأثر في تفسيره بتعاليم الإمامية الآثني عشرية وأصول مذهبهم ، فلا يكاد يمر بآية يلح منها حجة لمذهبه أو دفعا لمذهب مخالفه إلا فسرها كما يجب ويهوى .

### الإمامة :

فتلا نراه يتأثر بعقيدته في الإمامة عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٥٥ ) من سورة المائدة : إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، فيذكر أنها ( نزلت في علي عليه السلام حين سأل سائل وهو راكع في صلاته فأوما إليه بخنصره فأخذ خاتمه منها ) ويدعى إطباق أكثر المفسرين على ذلك واستفاضة الروايات فيه من الجانبين - جانب الموافقين وجانب المخالمين - ثم يقول بعد ذلك ( وتدل - يعني الآية - على إمامته دون من سواه ؛ للحصر وعدم اتصاف غيره بهذه الصفات ، وعبر عنه بصيغة الجمع تعظيماً ، أو لدخول أولاده الطاهرين ) اهـ (٢)  
ووعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٦٧ ) من سورة المائدة أيضاً : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته . . . الآية ، يروى عن أهل البيت وابن عباس وجابر : ( أن الله أوحى إلى نبيه أن يستخلف

(١) ص ٢

(٢) ص ٢٦٤

علياً ، فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه فنزلت ، فأخذ بيده فقال  
ألسنت أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : بلى . . قال : من كنت مولاه فعلى مولاه )  
١ هـ (١) .

### كل إمام يوصى لمن بعده :

ويدين المؤلف بأن أمر الإمامة ليس موكولاً لأحد من الناس ، بل كل  
إمام يوصى لمن بعده ، ولهذا نراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٨٥ ) من  
سورة النساء « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ... الآية » ، يعترف  
بأن الأمر يعم كل مكلف وكل أمانة . . ثم يقول ( وعنهم عليهم السلام أنه  
أمر لكل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر لمن بعده ) (٢) ١ هـ .

وفي سورة الأحزاب عند قوله تعالى في الآية (٣٦) « وما كان لمؤمن ولا  
مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . . . الآية » ،  
يقول ( وفيه رد على من جعل الإمامة بالاختيار ) (٣) ١ هـ .

وجود الأئمة في كل زمان وعصمتهم ، ووجوب الرجوع إليهم عند

### الاختلاف دون غيرهم :

ولما كان المؤلف يرى أنه لا يخلو كل زمان من إمام ، وأن الأئمة لهم من  
الله العصمة كالأنبياء وليس هذا غيرهم ، فإنه يوجب الرجوع إليهم عند الاختلاف  
وعدم وجود نص من الكتاب أو السنة ، أما من عداهم من الناس فلا يصح  
الرجوع إليه بحال من الأحوال ، لأن غير المعصوم لا يرجع إليه ، ولا يؤخذ  
برأيه في مسائل الخلاف :

يقول المؤلف هذا ويدين به فنجدته يتأثر به في تفسيره ، فمثلاً عند تفسيره  
لقوله تعالى في الآية (٥٩) من سورة النساء « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله  
وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . . الآية » يقول ( دل على وجود أولى

الأمر في كل زمان ، بحيث يجب طاعتهم لعلمهم وفضلهم ، وعصمتهم ، ولا ينطبق إلا على مذهب الإمامية . . . . وعندهم عليهم السلام : إيانا عنى خاصة . . . أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا . . . فإن تنازعتم ، أيها المأمورون في شيء ، من أمور الدين ، فردوه ، فراجعوا فيه ، إلى الله ، إلى محكم كتابه ، وإلى الرسول ، بالأخذ بسنته ، والمراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه ، فإنها رد إليه . . . . وقرئ ، فإن خفتهم تنازعاً في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى أولى الأمر منكم . . . . ) اهـ (١)

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٨٢ ) من سورة النساء أيضاً ، وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم . . . . يقول ( ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم ، هم آل محمد عليهم السلام ، لعلمه الذين يستنبطون منهم ، يستخرجون تدبيره بأفكارهم وهم آل محمد عليهم السلام . . . ) (٢) اهـ .

### الرجعة :

والمؤلف يدين بالرجعة ويتأثر بها فمثلاً في تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة البقرة « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، نجده يفسر الغيب ( بما غاب عن حواسهم من معرفة الصانع ، وصفاته ، والنبوة ، وقيام القائم ، والرجعة ، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ) اهـ .

ومثلاً في تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٥٦ ) من سورة البقرة أيضاً ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ، يقول ( . . . . وفيه حجة على صحة البعث والرجعة ) اهـ

### التقية :

ولتأثر المؤلف بعقيدته في التقية نجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٢٨ ) من سورة آل عمران « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون

(٢) ص ٢١٠ - ٢١١

(٤) ص ٢٥

(١) ص ٢٠٤

(٣) ص ٧

المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة . . . الآية ، يقول ( . . . رخص لهم إظهار موالاتهم إذا خافوهم مع إبطان عداوتهم وهي التقية التي تدين بها الإمامية ، ودلت عليها الأخبار المتواترة وقوله : «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان» (١) .

### تحريف القرآن :

كذلك نجد شبراً يعتقد بأن القرآن بدل وحرف ، ولما اصطدم بقوله تعالى في الآية ( ٩ ) من سورة الحجر « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ، نجده يتفادى هذا الاصطدام بالتأويل فيقول ( « وإنا له لحافظون ، عند أهل الذكر واحداً بعد واحد إلى القائم ، أو في اللوح . . . وقيل الضمير للنبي » ) (٢)

### آيات العتاب :

والمؤلف يكبر عليه معانبة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على أمر من الأمور ، فيحاول بكل ما يستطيع أن يحول العتاب إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم فنلا عتاب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في شأن ابن أم مكتوم يشق على شبر أن يكون مقصوداً به النبي ، فنراه يقتصر على ما روى عن أهل البيت من أن آيات العتاب ( نزلت في رجل من بني أمية ، كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه ) (٣) .

### طعن على الصحابة :

وإنا لنلاحظ على المؤلف أنه يطعن على الصحابة ويرميهم بالكفر أو ما يقرب منه ، ويجردهم من كل فضل نسب إليهم في القرآن تنقيصاً لهم ، وخطأً من قدرهم .

فنلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٤٠ ) من سورة التوبة . . . ثاني

اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها... الآية ، نجده يعرض عن تعيين هذا الذي صحب النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته. وهو أبو بكر: ثم يصرح أو يلمح بما ينقص من قدره ، أو يذهب بفضله المنسوب إليه والمنوه به في القرآن الكريم فيقول : « ثانی اثنين ، حال أى معه واحد لا غير ، إذ هما في الغار ، نقب في ثور ، وهو جبل بقرب مكة ، إذ ، بدل ثان ، يقول لصاحبه ، ولا مدح فيه إذ قد يصحب المؤمن الكافر كما قال ، قال له صاحبه وهو يحاوره (١) ، لا تحزن ، فإنه خاف على نفسه وقبض واضطرب حتى كاد أن يدل عليه ، فنهاه عن ذلك ، إن الله معنا ، عالم بنا ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم... إلى قوله... إلا هو معهم (٢) ، أى عالم بهم ، فأنزل الله سكينته ، طمأنينته ، عليه ، على الرسول... وفي إقراة صلى الله عليه وسلم ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى ، وجعل الماء لصاحبه ينفيه كونها للرسول قبل وبعد... الخ (٣)

### تعصبه لآل البيت :

ولقد مر بنا عند قراءتنا في هذا التفسير ، الكثير مما يدل على تعصب المؤلف لآل البيت تعصبا عمقوتا مرذولا ، فتارة نجدة يصرف اللفظ العام إلى على رضى الله عنه ، كما فعل في الآية (٤) من سورة التحريم عند قوله تعالى... فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، فإنه صرف لفظ صالح المؤمنين عن عمومهم وادعى أنه خاص بأمر المؤمنين على عليه السلام ، كما ادعى رواية العامة والخاصة لذلك (٥) اه .

كما نجده يحاول أن يأخذ من القرآن ما يدل على أن آل البيت كانوا معروفين لدى الأمم السابقة وأنبيائهم يتوسلون إلى الله ، فيكشف عنهم الغمة ، ويزحزح عنهم الكربة .

(١) في الآية (٣٧) من سورة الكهف (٢) في الآية (٧) من سورة المجادلة

(٤) ص ١١٣٥

(٢) ص ٤١٧ - ٤١٨



فثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٤) وما بعدها من سورة البقرة  
« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم... إلى آخر القصة ، نجده يدعى أن السجود  
لآدم إنما كان ( لما في صلبه من نور محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته )  
ويدعى أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ليتوب عليه هي ( التوسل في دعائه  
بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين (١) ) .

ومثل هذا التعصب كثير في مواضع من هذا التفسير .

علم القرآن كله عند آل البيت :

والمؤلف يدعى - كغيره من الإمامية الإثني عشرية - أن علم القرآن  
كله عند أهل البيت دون غيرهم ، وإنا لنجد أثر هذا واضحا في تفسيره لقوله  
تعالى في الآية ( ٧ ) من سورة آل عمران «... وما يعلم تأويله إلا الله  
والراسخون في العلم... الآية ، وذلك حيث يقول ( «... وما يعلم تأويله ،  
تأويل القرآن كله الذي يجب أن يحمل عليه «إلا الله والراسخون في العلم ،  
الناصبون فيه ومن لا يختلف في علمه... عن الصادق عليه السلام : نحن  
الراسخون في العلم ، ونحن نعلم تأويله . ومن وقف من الجمهور على الله ؛ فسر  
المتشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه كوقت قيام الساعة ونحوه ) (٢) ٥١ .

تأثر المؤلف في تفسيره بفروع الإمامية الفقهية :

ثم إن المؤلف يجرى في تفسيره آيات الأحكام على وفق ما يأخذ به ويميل  
إليه من اجتهادات فقهاء الإمامية .

نكاح المتعة :

فثلا نجده يتأثر برأيه الذي يقول بجواز نكاح المتعة وعدم نسخه .  
فهراه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٤) من سورة النساء «... وأحل  
لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسالحين فما استمتعتم به  
منهن فاتوهن أجورهن... الآية ، يقول ( «... والمرادبة نكاح المتعة بإجماع

أهل البيت ، ويدل عليه قراءة أبي وابن عباس وابن مسعود ، فما استمتعتم به  
منهن إلى أجل مسمى ، . فآتوهن أجورهن ، مهورهن ، فريضة ، من الله  
، ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة ، من استئناف عقد آخر  
بعد انقضاء المدة بزيادة في الأجر والمدة ( ١ ) هـ .

### فرض الرجلين في الوضوء :

ولما كان المؤلف يرى أن فرض الرجلين في الوضوء هو المسح لا الغسل ،  
فأنا نراه يشير إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة  
« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق  
وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين . . . الآية ، فيقول ( د وأرجلكم  
إلى الكعبين ، بالجر كما عن حمزة وابن كثير وأبي عمرو . . . ونصبه الباقر عطفاً  
على رءوسكم محلاً ) ( ٢ ) هـ .

### الغنائم :

كذلك يقول المؤلف بما يقول به علماء مذهبه في تفسير خمس الغنائم ،  
ويجرب على مذهبه في تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤١) من سورة الأنفال  
« واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة . . الآية ، فيقول : ( د فإن لله خمسة  
خبر محذوف ، أو مبتدأ ، أى فالحكم أو فواجب أن لله خمسة ، وللرسول  
ولذى القربى ، الإمام ، واليتامى ، يتامى الرسول ، والمساكين ، منهم ، وابن  
السييل ، منهم ) ( ٣ ) هـ .

وفي تفسيره لقوله تعالى في الآية (٧) من سورة الحشر « ما أفاء الله على  
رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن  
السييل . . الآية ، يقول مثل ما قاله في الآية السابقة وينبه على أنه مر في  
الأنفال نحوه ( ٤ ) هـ .

### ميراث الأنبياء :

ونجد شعراً يقول بأن الأنبياء يورثون المال كسائر الناس ، ولهذا عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين ( ٥ ، ٦ ) من سورة مريم « وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتى عاقراً فهب لي من لدنك ولياً » يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً ) ، يقول مانصه : ( « وإني خفت الموالي ، الذين يلون في النسب ، وهم بنو عمه » من ورائي ، بعد موتي أن يرثوا مالي فيصرفوه فيما لا ينبغي ، إذ كانوا أشراراً ، وكانت امرأتى عاقراً لا تلد ، فهب لي من لدنك ولياً ، ابناً يرثني ويرث من آل يعقوب ، . . . الخ ) (١) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٦) من سورة النمل « وورث سليمان داود ... الآية » يقول مانصه ( وورث سليمان داود ماله رهلكه ، وقيل : نبوته وعلمه ، بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وهم تسعة عشر ، والأول مروى ) (٢) ٥١ .

### نكاح الكفائيات :

ولكن نرى المؤلف في مسألة نكاح الكفائيات يميل إلى القول بالحل وعدم الحرمة ؛ ففي قوله تعالى في الآية ( ٥ ) من سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . . . الآية » ، يقول ( « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، ظاهره حل نكاح كل كتابية ذمية أو حرية ، دائماً ، أو منقطعا ، أو ملكا ، فيخص آية ولا تنكحوا المشركات إن شملت الكتابية . وعن الباقر عليه السلام أنه منسوخ بتلك (٣) اه » وعند قوله تعالى في الآية (١٠) من سورة المتحنة « ولا تمسكوا بهنم الكوافر » ، زاه ير عليها بدون أن يتعرض لهذا الموضوع أصلاً .

تأثره بمذهب المعتزلة في تفسيره :

والمؤلف كغيره من علماء الإمامية الإثني عشرية ينظر إلى بعض المسائل الكلامية نظرة المعتزلة إليها ، ويقول بما يقولون به في كثير من أمور العقائد ، كما يخالف أهل الاعتزال في بعض منها ويقول بما يقول به أهل السنة ، وإننا لنلس أثر ذلك واضحا جليا في تفسيره لكتاب الله تعالى .

حرية الإرادة وخلق الأفعال :

فمثلا نجد المؤلف يوافق المعتزلة في أن العبد حر في إرادته . خالق لأفعاله كلها ، ولهذا نراه كلما اصطدم بآية من الايات التي تدل على أن الله هو الذي يخلق أفعال العباد ، لجأ إلى التاويل الذي يتفق مع عقيدته هذه .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٧) من سورة البقرة . . . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، نراه يفر من نسبة الختم إلى الله تعالى ويقول : ( د ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وسمها بسمة يعرفها من يشاء من ملائكته وأوليائه ، إذا نظروا إليها علموا بأنهم لا يؤمنون ، وعن الرضا عليه السلام : الختم هو الطبع على قلوب الكفار عقوبة على كفرهم ، كما قال تعالى د بل طبع الله عليها بكفرهم (١) ، د وعلى أبصارهم غشاوة ، غطاء . أقول : ويمكن أن يكون تمكيا حكاية لقولهم د قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب (٢) . . أو في الآخرة . والتعبير بالماضي لتحققه ، ويشهد له قوله د ونحشرهم يوم أقيمهم على وجوههم عميا وبكا وصما (٣) ، ا ه (٤) .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٠٨) من سورة الأنعام د كذلك زيننا لكل أمة عملهم . . . الآية ، نراه يفر من نسبة التزيين إلى الله فيقول :

(١) ص الآية (١٥٥) من سورة النساء (٢) في الآية (٥) من سورة فصلت

(٣) في الآية (٩٧) من سورة الاسراء (٤) ص ٨ - ٩

« كذلك زيننا لكل أمة عملهم ، أى لم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم ، أو أمهلنا الشيطان حتى زينهم لهم » (١) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١١٢) من السورة نفسها « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن . . . الآية » ، يتخلص من نسبة الجعل هنا إلى الله تعالى بتأويله بالتخليّة فيقول ( أسند الجعل إليه تعالى لأنه بمعنى التخليّة ، أى لم يمنعهم من العداوة ) (٢) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٢٥) من السورة نفسها « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً . . . الآية » ، نراه يخرج من هذه الورطة بإرادة معنى اللطف والخذلان فيقول : ( « فمن يرد الله أن يهديه ، أى يُلطف به » يشرح صدره للإسلام ، بأن يفسح فيه وينور قلبه ) ( ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ، أى يمنعه الطافه حتى ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الإيمان . . . ) (٣) .

### رؤية الله :

ولقد تأثر المؤلف أيضاً فى تفسيره باعتقاده بعدم رؤية الله وعدم وقوعها ولهذا ما فسر قوله تعالى فى الآية (١٤٣) من سورة الأعراف . . . قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل . . . الآية ) قال مانصه ( « قال رب أرني أنظر إليك ، روى لما كرر سؤال الرؤية أوحى الله إليه ياموسى سلني ما سالوك فلن أوأخذك بجبهلم . . . قال دليّن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني » ، علق على الحال « فلما تجلى ربه للجبل ، أى أظهر له أمره وواقداره أو نوره وعظمته . . . فلما أفاق قال سبحانك ، تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الرؤية وغيرها » ثبت إليك ، من طلب الرؤية ،

أو السؤال بلا إذن ، وأنا أول المؤمنين ، بأنك لا ترى (١) هـ١ .  
وعند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين ( ٢٣، ٢٢ ) من سورة القيامة وجوه  
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة \* ، يقول ( ناظرة إلى رحمته وإنعامه (٢) ) هـ١ .  
غفران الذنوب :

ولما كان المؤلف يخالف المعتزلة في بعض معتقداتهم ، فإننا نراه يفسر الآيات  
التي يستندون إليها في بعض عقائدهم بخلاف تفسيرهم لها ، فعلا يرى المؤلف  
أنه يجوز في حق الله تعالى أن يغفر الذنوب — إلا الشرك — بدون توبة  
من العبد تفضلا منه ورحمة ، وهذا ما لا يقول به المعتزلة ؛ فلهذا نجده يجرى  
على هذه العقيدة في تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤٨) من سورة النساء : إن الله  
لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، فيقول : ( إن الله لا يغفر  
أن يشرك ) أى الشرك ( به ) بدون توبة للاجماع على غفر أنها بها ( ويغفر  
مادون ذلك ) ما سواه من الذنوب بدون توبة ( لمن يشاء ) تفضلا . ومقتضاه  
الوقوف بين الخوف والرجاء (٣) هـ١ .

وهكذا نجد هذا الكتاب يجمع بين الاختصار وسهولة العبارة مع كثير من  
التعصب للمذهب الشيعي ، والدفاع عن أصوله وفروعه .

## ٦- بيان السعادة في مقامات العبادة

لسلطان محمد الخراساني

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو سلطان محمد بن حيدر الجنايذي الخراساني أحد  
متطري الإمامية الإثني عشرية في القرن الرابع عشر الهجري (١).  
قيمة هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعطينا هذا التفسير لونا آخر من ألوان التفسير عند الإمامية الإثني عشرية،  
وذلك لأن كل ما تقدم لنا من كتبهم في التفسير يكاد يكون متفقا على لون  
واحد، وهو نقل ما جاء في التفسير عن الأئمة وآل البيت، وما كان من تفاوت  
بينها فهو لا يعدو أن يكون تفاوتاً بمقدار ما بين مؤلفيها من اعتدال في التشيع  
أو غلو فيه، وبمقدار ما بينهم من تفاوت في القدرة على تأييد مذهبهم وتدعيم  
أصوله بالأدلة والبراهين .

أما هذا الكتاب الذي نحن بصدده فقد سلك مؤلفه فيه مسلكاً غير هذا  
المسلك، فما جعل له لونا مخالفاً للون تلك الكتب السابقة؛ ذلك أن المؤلف  
وإن كان يعتقد كغيره من علماء مذهبه أن علم القرآن كله عند الأئمة، إلا أنه  
لم يعتمد في تفسيره على هذه الناحية كل الاعتماد، بل نراه يمزج بها التفسير  
الصوفي الذي يقوم على الرموز والإشارات، كما يخلط بالتفسير كثيراً من  
البحوث الفلسفية الدقيقة. والذي يقرأ هذا الكتاب ويتتبع ما فيه من الشطحات  
الصوفية العميقة في إدراكها، الغريبة في لفظها وأسلوبها، لا يسعه إلا أن  
يحكم على الكتاب بأنه مغلق في إدراك معانيه، عسير في فهم مراده ومراميه .  
وأنا إذا أحكم على الكتاب هذا الحكم لا أكون مغالياً ولا متجنياً فيما حكمت،

---

(١) لم تقف له على ترجمة أكثر من هذا .

فكثيراً ما قرأت فيه العبارة المرة بعد المرة ، ولا أخرج منها إلا بالمعنى القاصر المبتور ، بعد أن يرتد إلى البصر خاسئاً وهو حسير ، ويرجع الذهن عاجزاً عن الفهم وهو كليل . . . وربما أكون وإهما في هذا الحكم ؛ لقصور معرفتي باصطلاحات القوم ، وعدم وقوفي على أصول مذهبهم ومرامى رموزهم التي يرمزون بها . . . ولو تيسر لي ذلك لجاز أن يكون لي حكم على هذا التفسير مغاير لهذا الحكم ، ورأى فيه مخالف لهذا الرأي . .

والذي نلاحظه في هذا التفسير بعد ذلك : أنه يدافع عن أصول مذهبه ويبتل في دفاعه ، مع تعصب كبير ، وتطرف بالغ إلى درجة الغلو والعناد . أما فروع المذهب ومسائله الاجتهادية الفقهية ، فيمر عليها مرأ سريعاً بدون تفصيل للأدلة وبيان لوجه النظر ، كما نلاحظ فيه أنه لا يقتصر على النقل من تفاسير الشيعة بل ينقل من تفاسير أهل السنة أيضاً كالبيضاوى وغيره ، وكثيراً ما ينقل بعض العبارات الفارسية لبعض العلماء كشاهد على ما يقول .

وبالجملة ، فالكتاب يكاد في جملته تفسيراً جارياً على النمط الذي يجرى عليه الصوفية في تفاسيرهم ، ويظهر أن مؤلفه كان يقصد هذا اللون الصوفي في تفسيره أولاً وبالذات ؛ يدلنا على ذلك هذه العبارة التي نقطفها من مقدمة تفسيره وهي قوله : ( . . . . ) وقد كنت نشيطاً منذ أوان اكتسابي للعلوم وعنفوان شبابي بمطالعة كتب التفاسير والأخبار ومدارستها ، ووقفتي الله تعالى لذلك ، وقد كان يظهر لي بعض الأحيان من إشارات الكتب وتلويحات الأخبار لطائف ما كنت أجدها في كتاب ولا أسمعها من خطاب ، فأرادت أن أثبتها في ربيقات ، وأجعلها نحو تفسير للكتاب ، لتسكون تذكرة لي ولإخواني المؤمنين ، وتنبها لنفسي وجملة الغافلين ، راجياً من الله أن يجعلها لي ذخيرة ليوم الدين ، ولسان صدق في الآخرين وهو جدير بأن يسمى ( بيان السعادة في مقامات العبادة . . ) اه (١) .

فأنت ترى أن المؤلف يقرر هذه العبارة أن تفسيره هذا عبارة عن مجموعة



تلك الإشارات والتلويحات التي فتح الله بها عليه ولم يسبق لإيها فلو أنا جعلناه ضمن تفسير الصوفية لما كنا بعيدين عن وجهة الحق والصواب ، ولكننا آثرنا أن نجعله ضمن تفاسير الإمامية الإثني عشرية ؛ لما فيه من اللون المذهبي والأثر الشيعي البالغ حد التطرف والغلو حتى في ناحيته الصوفية والفلسفية . والكتاب مطبوع في جزأين ، وموجود بدار الكتب المصرية ، آخره ما يدل على أن مؤلفه فرغ منه سنة ١٣١١ هـ .

وأرى قبل كل شيء أن أسوق للقارئ الكريم أهم الآراء التي بقول بها المصنف ويجهر بها في مقدمة تفسيره ، ثم أعرض بعد هذا لتوضيح مسلكه الذي سلكه في هذا التفسير بما أذكره ضمن النماذج المختلفة . وإليك أهم هذه الآراء :

#### الإمامية الاثنا عشرية والمهدى المنتظر :

يدين صاحبنا بأن علياً أول العترة ، ووارث علم محمد صلى الله عليه وسلم ، وبعده الأحد عشر من ولده ، وأن الحادى عشر منهم غائب قائم منتظر لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج ويملا الأرض قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وجوراً ، وأن هؤلاء الاثني عشر أئمة وشفعاؤه يوم القيامة ... (١) اهـ

#### القرآن والعترة :

ويعتقد المؤلف أن القرآن دليل العترة ، وأن العترة مبینون للقرآن ، ويقول : إن القرآن إمام صامت ، والعترة إمام ناطق ، كما يقول : إن محبة العالم من العترة وتعظيمه ، والنظر إليه ، والجلوس عنده ، واستماع قوله وسماعه ، والتدبر في أفعاله وأحواله وأخلاقه ، والتفكير في شئونه والتسليم له ولتشافهات ما منه ، وتخليّة بيت القلب لنزوله بملكوته فيه ، بملاحظة أنه حبل الله الممدود إلى الناس من غير عنادته من أعظم العبادات . كذلك تعظيم القرآن ، والنظر في سطورهِ ،

واستماع كلماته وسماها ، والتدبر في عباراته ، والتفكير في إشاراته ولطائفه ،  
وتخليّة بيت القلب لتجلى حقائقه ، واتباع أحكامه وتسليم متشابهاته من أعظم  
العبادات إذا كان بلحاظ كونه حبلاً ممدوداً من الله (١) .

### علم القرآن جميعه عند محمد والأوصياء :

ويعتقد المؤلف أن علم القرآن جميعه عند النبي صلى الله عليه وسلم والأئمة ،  
أما من عداهم فعلهم بمعاني القرآن قاصر لا يبلغ المبلغ الذي خص به النبي  
والأئمة ، وذلك في نظره راجع إلى تفاوت المقامات التي يتفاوت العلم بتفاوتها .  
ونظرية تفاوت المقامات التي يتفاوت من أجلها العلم بمعاني القرآن . نظرية  
فلسفية صوفية شيعية ، وإليك نص عبارة المؤلف في الفصل العاشر من مقدمة  
كتابه لتكون على بصيرة بها :

يقول المؤلف ما نصه : ( الفصل العاشر أن علم القرآن بتمام مراتبه منحصر  
في محمد صلى الله عليه وسلم وأوصيائه الأثني عشر وليس لغيرهم إلا بقدر مقامه ،  
قد مضى أن بطون القرآن وحقائقه كثيرة متعددة ، وأن بطنه الأعلى وحقائقه  
العليا هو محمدية محمد ، وعلوية علي ، وهو مقام المشيئة التي هي فوق الإمكان ،  
وكل نبي ووصي كان لا يتجاوز مقامه الإمكان سوى محمد صلى الله عليه وسلم  
وأوصيائه ، ومن ولم يبلغ إلى مقام المشيئة لا يعلم ما فيه ما ولا يتبين من ذلك  
المقام شيئاً ، لأن المفسر لا يتجاوز في تفسيره حد نفسه ، فكل من علم من  
القرآن شيئاً أو فسر منه شيئاً وإن بلغ من المقامات لا يكون عليه وتفسيره  
بالنسبة إلى علم القرآن إلا كقطرة من بحر محيط ؛ فإن حقيقة القرآن التي هي  
حقيقة محمد وعلي هي مقام الإطلاق الذي لانهاية له ، والممكن وإن كان أشرف  
الممكنات الذي هو العقل الكلي يكون محدوداً ، ولا يتصور النسبة بين المحدود  
وغير المتناهي الغير محدود ، فعلم كل عالم ومفسر القرآن بالنسبة إلى علم القرآن  
كقطرة إلى البحار . ولما كان مقام محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وأولاده

المعصومين مقام المشيئة كان علم القرآن كله عندهم ، وكان على من عنده علم الكتاب كما في الآية بإضافة العلم إلى الكتاب المفيد للاستغراق . وكان أصف هو الذي عنده علم من الكتاب . وكان إبراهيم ابتلاه ربه بكلمات معدودة لا بجملة الكلمات ، مع أنه كان أكمل الأنبياء بعد نبينا . وكان محمد صلى الله عليه وسلم يؤمن بالله و كلماته جميعا في قوله تعالى : فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته (١) ، فإن الكلمات جمع مضاف مفيد للاستغراق ، وليس المراد به الإيمان الإجمالي وإلا لشاركه غيره فيه ، بل الإيمان التفصيلي ، والإيمان التفصيلي لا يكون إلا بإدراك المؤمن به شهوداً وعياناً (٢) هـ

### تحريف القرآن وتبديله :

والمؤلف يذكر لنا رأيه بوضوح في تحريف القرآن وتبديله فيقول ما نصه :  
( اعلم أنه قد استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار بوقوع الزيادة والنقيصة والتحريف والتغيير فيه بحيث لا يكاد يقع شك في صدور بعضها منهم وتأويل الجميع بأن الزيادة والنقيصة والتغيير إنما هي في مدركاتهم من القرآن لا في لفظ القرآن كلفة ، ولا يليق بالكاملين في مخاطباتهم العامة ؛ لأن الكامل يخاطب بما فيه حظ العوام والخواص ، وصرف اللفظ عن ظاهره من غير صارف ، وما توهموا صارفاً من كونه مجموعاً عندهم في زمن النبي ، وكانوا يحفظونه ويدرسونه ، وكانت الأصحاب مهتمين بحفظه عن التغيير والتبديل ، حتى ضبطوا قراءات القراء و كفيات قراءاتهم .

فالجواب عنه : أن كونه مجموعاً غير مسلم : فإن القرآن نزل في مدة رسالته إلى آخر عمره نجوماً ، وقد استفاضت الأخبار بنزول بعض السور وبعض الآيات في العام الآخر ، وما ورد من أنهم جمعوه بعد رحلته ، وأن علياً جالساً في بيته مشغولاً بجمع القرآن ، أكثر من أن يمكن إنكاره . وكونهم يحفظونه ويدرسونه

(١) في الآية (١٥٨) من سور الاعراف .

(٢) ج ١ ص ١٠

مسلم ، لكن كان الحفظ والدرس فيما كان بأيديهم ، واهتمام الأصحاب بحفظه وحفظ قراءات القراء وكيفية قراءاتهم كان بعد جمعه وترتيبه ، وكما كانت الدواعي متوفرة في حفظه ، كذلك كانت متوفرة من المنافقين في تغييره . وأما ما قيل : إنه لم يبق لنا حينئذ اعتماد عليه ، والحال أنا مأمورون بالاعتقاد عليه ، واتباع أحكامه ، والتدبر في آياته ، وامتنال أوامره ونواهيه . وإقامة حدوده ، وعرض الأخبار عليه ، لا يعتمد عليه صرف مثل هذه الأخبار الكثيرة الدالة على التغيير والتحريف عن ظواهرها ؛ لأن الاعتماد على هذا المكتوب ووجوب اتباعه ، وامتنال أوامره ونواهيه ، وإقامة حدوده وأحكامه ، إنما هي للأخبار الكثيرة الدالة على ما ذكر ، للقطع بأن ما بين الدفتين هو الكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من غير نقيصة وزيادة وتحريف فيه . ويستفاد من هذه الأخبار : أن الزيادة والنقيصة والتغيير إن وقعت في القرآن لم تكن مخللة بمقصود الباقي منه . بل نقول : كان المقصود الأهم من الكتاب الدلالة على العترة والتوسل بهم ، وفي الباقي منه حجتهم أهل البيت ، وبعد التوسل بأهل البيت إن أمروا باتباعه كان حجة قطعية لنا ولو كان مغيراً تغييراً مخللاً بمقصوده ، وإن لم تتوسل بهم أو لم يأمروا باتباعه ، وكان التوسل به ، واتباع أحكامه . واستنباط أوامره ونواهيه ، وحدوده ، وأحكامه ، من قبل أنفسنا كان من قبيل التفسير بالرأى الذي منعوا منه ، ولو لم يكن مغيراً (١) إه

### نزول القرآن في شأن الأئمة وأشياعهم وأعدائهم :

ويرى المؤلف أن القرآن نزل بتامه في الأئمة الإثني عشر بوجه ، ونزل فيهم وفي أعدائهم بوجه ونزل أثلاثاً : ثلث فيهم وفي أعدائهم . وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام . . . بوجه . أو ثلث فيهم وفي أحبائهم ، وثلث في أعدائهم ، وثلث سنة ومثل . . . بوجه . ونزل أرباعاً : ربع فيهم ، وربع في عدوهم ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام . . . بوجه . . . ويرى أن

كل هذا قد أشعرت به الأخبار الواردة عن أهل البيت ، ويوجه ذلك فيقول (لما كان جميع الشرائع الإلهية والكتب السماوية لتصحيح الطريق الإنسانية ، وتوجيه الخلق إلى الولاية ، وكان أصل المتحققين بالطريق الإنسانية والولاية والمتحقق بالولاية المطلقه محمداً صلى الله عليه وسلم وعلياً وأولادهما ، صح أن يقال : جملة الشرائع الإلهية وجميع الكتب السماوية نزلت فيهم وفي توجيه الخلق إليهم ، وهو أيضاً وصف وتبجيل لهم . ولما كان كثير من آيات القرآن نزلت فيهم تصريحاً أو تعريضاً أو تورية ، وما كان في أعدائهم لم يكن المقصود منه إلا الاعتبار بمخالفهم والانزجار عن مخالفتهم ليكون سبباً للتوجه إليهم ولمعرفة قدرهم وعظمة شأنهم ، وكان سائر آيات الأمر والنهي والقصص والأخبار لتؤكد السير على الطريق الإنسانية إلى الولاية ، صح أن يقال : جميع القرآن نزل فيهم ولما كان القرآن مفصلاً يكون بعض آياته فيهم وفي محبتهم ، وبعضها في أعدائهم ومخالفهم ، وبعضها سنناً وأمثالا ، وبعضها فرائض وأحكاما ، صح أن يقال : نزل القرآن فيهم وفي أعدائهم ، أو نزل أثلاثاً أو أرباعاً والآية الدالة على أخبار الأخيار والأشرار الماضين ، كلها تعريض بالأئمة وأخيار هذه الأمة وأشرارهم ، مع قطع النظر عن رجوعها إليهم وإلى أعدائهم بسبب كونهم أصلاً في الخير وكون أعدائهم أصلاً في الشر . بل نقول : كل آية ذكر فيها خير كان المراد بها أخيار الأمة ، وكل آية ذكر فيها شر كان المراد بها أشرار الأمة ؛ لكون الآية فيهم أو تعريضاً بهم ، أو لكونهم وكون أعدائهم أصلاً في الخير والشر) (١) ٥١ .

هذه أهم آراء المصنف التي يراها في القرآن وتفسيره ومفسريه . وإليك بعض النماذج التي توضح لك الطريقة التي جرى عليها المصنف في تفسيره ، ومقدار تأثيره بنزعه الصوفية ، وهو الشيعي .

من التفسير الصوفي :

قلنا : إن هذا التفسير يغلب عليه الطابع الصوفي لكثرة ما فيه من التأويلات .

الإشارية ، والشطحات الصوفية ، والمواجيد التي نقرؤها للدولف في تفسيره  
للآيات القرآنية ، وإليك بعض المثل لتعرف مقدار طغيان هذه الناحية على باقي  
النواحي في هذا التفسير .

فمثلا عندما تكلم عن قوله تعالى في الآية ( ٧٥ ) من سورة النساء  
، وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان  
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك  
وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً ، يقول عند تفسيره لقوله تعالى ربنا أخرجنا  
من هذه القرية . . . الآية ، ( إن كان النزول في ضعفاء قلة فلا اختصاص لها بهم  
كما في الخبر ، فالقرية مكة وكل قرية لا يجد الشيعة فيها وليا من الإمام ومشايخهم ،  
وكل قرية وقع بها الأئمّه بين منافق الأمة ، وقرية النفس الحيوانية التي  
لا يجد الجنود الإنسانية فيها ولياً ويطلبون الخروج منها إلى قرية الصدر ومدينة  
القلب ، ويسألون الحضور عند إمامهم أو مشايخهم في بيت القلب خالياً عن  
مزاحمة الأغيار بقولهم ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك  
نصيراً ، تكرار اجعل ، لأن مقام التضرع والابتهاال يناسبه التطويل والإلحاح  
في السؤال ، ولأن المسئول ليس شخصاً واحداً ، ولو كان واحداً لم يكن مسئولاً  
من جهة واحدة ، بل المسئول محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ، أو المسئول محمد  
من جهة هدايته ومن جهة نصرته ، أو على كذلك ) .

( وقد بقي بين الصوفية أن يكون التعلم والتلقين بتعاقد نفسين متوافقتين ،  
يسمى أحد الشخصين هادياً والآخر دليلاً ، والشيخ الهادى له الهداية وتولى  
أمور السالك فيما ينفعه ويجذبه ، والشيخ الدليل ينصره لمداغة الأعداء ،  
ويخرجه عن الجهل والردى بدلالة طريق التوسل إلى شيخ الهدى ، وفي الآية  
إشارة إلى أن السالك ينبغي له أن يطلب دائماً حضوره عند شيخه بحسب  
مقام نورانيته ومقام صدره ، وهو معنى انتظار ظهور الشيخ في عالم الصغير ،  
وأما ظهور الشيخ بحسب بشريته على بشرية السالك ، فلا يصدق عليه أنه من  
لدن الله ، وإذا ظهر الشيخ بحسب النورانية كان ولياً من لدن الله ونصيراً من لدنه<sup>(١)</sup> ) اهـ

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٨٧) من سورة المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، يقول ( . . . اعلم أن الإنسان ذو مراتب عديدة بعضها فوق بعض إلى ما لا نهاية له ، والتكاليف الإلهية الواردة عليه ليست لمرتبة خاصة منه بل - كما عرفت سابقاً - للفاهيم الواردة في التكاليف مصاديق متعددة بتعدد مراتب الإنسان ، بعضها فوق بعض ، فكل ماورد في الشريعة المطهرة من الألفاظ فهى مقصودة من حيث مفاهيمها العامة باعتبار جميع مصاديقها بحيث لا يشذ عنها مصداق من المصاديق ، فالإنسان بحسب مرتبته النباتية له محلات إلهية ، وبحسب مرتبته الحيوانية أخرى ، وبحسب الصدر أخرى ، وبحسب القلب أخرى ، وبحسب الروح أخرى ، والتحریم الإلهي في كل مرتبة بحسبه ، وكذا تحریم الإنسان على نفسه . فالمحلات بحسب مرتبته الحيوانية والنباتية : ما أباح الله له من المأكل ، والمشروب ، والملبوس ، والمركوب ، والمنسكوح والمسكن ، والمنظور . وبحسب الصدر : ما أباح الله له من الأفعال الإرادية ، والأعمال الشرعية ، والتدبيرات المعادية والمعاشية ، والأخلاق الجميلة ، والمكاشفات الصورية . وبحسب القلب : ما أباح الله له من الأعمال القلبية ، والواردات الإلهية ، والعلوم اللدنية ، والمشاهدات المعنوية السكينة . . . وهكذا في سائر المراتب . والطيبات من ذلك في كل مرتبة : ما تستلذه المدارك المختصة بتلك المرتبة ، ومطلق المباح في كل مرتبة طيب بالنسبة إلى مباح المرتبة الدانية منه ، وأن الله تعالى يجب أن يؤخذ برخصه كما يجب أن يؤخذ بعزائمهم ، ولا يجب الشره والاعتداء في رخصه بحيث يؤدي إلى الانتقال إلى ما هو حرام محظور بأصل الشرع ، أو بحيث يؤدي إلى صيرورة المباح حراماً بفرض التجاوز عن حد الترخيص بالإكثار فيه ، كما يجب الامتناع عن رخصه ، فعنى الآية : « يا أيها الذين آمنوا لا تمتنعوا من الرخص ، ولا تحرموا بقسم وشبهة ، ولا بكسل ونحوه ، على أنفسكم ما تستلذه المدارك بحسب كل مرتبة وقوة مما أباحه الله لكم ؛ لأن الله يجب أن يرى عبده مستلذاً بما أباحه له ، كما يجب

أن يراه مستلذاً بعباداته ومناجاته، ولا تمتنعوا بالاكتفاء بمستلذات المرتبة الدانية عن مستلذات المرتبة العالية، فإنه يجب أن يرى عبده مصراً على طلب مستلذات المرتبة العالية، كما يجب أن يراه في هذه الحالة معرضاً عن مباحات المرتبة الدانية، مكتفياً بضرورياتها وراجحاتها. ولا تعتدوا عما أباح الله إلى ما حظره، وفي المباح إلى حد الحظر. والآية إشارة إلى التوسط بين التفريط والإفراط في كل الأمور من الأفعال والطاعات والأخلاق والعقائد والسير إلى الله، فإن المطلوب من السائر إلى الله يكون واقعاً بين إفراط الجذب وتفريط السلوك ...)

ثم بعد ذلك فسر قوله تعالى «وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون»، بما يشبه التفسير السابق... ثم بعد ذلك ذكر أن الآية نزلت في علي وبلال وعثمان بن مظعون، فأما علي فحلف أن لا ينام بالليل، وأما بلال فحلف أن لا يضر بالنهار أبداً، وأما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينسكح أبداً، فلما علم بذلك رسول الله خرج على الناس ونادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوام يجرمون على أنفسهم الطيبات؟ إنى أنام الليل وأنسكح وأفطر بالنهار، فمن رغب عن سنتي فليس مني، فقام هؤلاء فقالوا: يا رسول الله... فقد حلفنا على ذلك، فأنزل الله آيات الحلف... ثم استشكل المؤلف على هذه الرواية إشكالين أولهما: أن مثال هذه المعاتبات ونسبة التحريم والاعتداء والتقوى ولغو الإيمان غير مناسبة لمقام علي. وثانيهما: أن علياً إما كان عالماً بأن تحريم الحلال إن كان بالاستبداد والرأى كان من البدع والضلال، وإن كان بالنذر وشبهه كما دل عليه الخبر، كان مرجوحاً غير مرضى لله تعالى، ومع ذلك حرمه على نفسه، أو كان جاهلاً بذلك، وكلا الوجهين غير لائق بمقامه... ثم أجاب عن هذين الإشكالين بجواب كله من قبيل النظرات الصوفية فقال (والجواب الجلي لطالبي الآخرة والسالكين إلى الله، الذين بايعوا علياً بالولاية، وتابعوه بقدم صدق، واستشبهوا نفعاته حال سلوكه أن يقال: إن السالك إلى الله يتم



سلوكه باستجماعه بين نشأتى الجذب والسلوك ، بمعنى توسطة بين تفريط السلوك  
الصرف ، وإفراط الجذب الصرف ، فإنه إن كان فى نشأة السلوك فقد جمد طبعه  
ببرودة السلوك حتى يقف عن السير ، وإن كان فى نشأة الجذب فقط ، فى بجرارة  
الجذب عن أفعاله وصفاته وذاته ، بحيث لا يبقى منه أثر ولا خبر ، وهو وإن  
كان فى روح وراحة ، لكنه ناقص كمال النقص من حيث أن المطلوب منه  
حضوره بالعودة لى ربه مع جنوده ، وخدمه : وأتباعه ، وحشمه ، وهو طرح  
الكل ، وتسارع بوحدته ، فالسالك إلى الله تكمله مربوط بأن يكون فى الجذب  
والسلوك منكسرا برودة سلوكه بجرارة حذبه ، فالجذب والسلوك كالليل والنهار  
وكالصيف والشتاء ، من حيث أنهما يريان المواليد بتضادهما ، فهما — مع  
كونهما متنازعين — متآلفان متوافقان .

إذا علمت ذلك ، فاعلم أن السالك إذا وقع فى نشأة الجذب ، وشرب من  
شراب الشوق الزنجبيلى ، سكر وطرب ووجد ، بحيث لا يبقى فى نظره سوى  
الخدمة للمحجوب ، وكل مارآة منافياً للخدمة رآه ثقلاً ووبالوعلى نفسه ومكروها  
لمولاه ، فيصلم فى طرحه ، ويعزم على ترك الاشتغال به ، وهو من كمال الطاعة  
لا أنه ترك الطاعة كما يظن ، فلا ضير أن يكون أمير المؤمنين حال سلوكه وقع  
فى تلك النشأة ، وحرم على نفسه كل ما يشغله عن الخدمة ؛ لسكالم الاهتمام  
بالطاعة ، ولما لم يكن تحصيل الكمال التام إلا بالجمع بين النشأتين ، أسقاه محمد  
صلى الله عليه وسلم من شراب السلوك ، لأنه كان مكملًا مريبًا له ولغيره ، ولذا  
قالوا : لأن يكون للسالك شيخ وإلا فيوشك أن يقع فى الورطات المهلكة ،  
ولا منقصة فى أمثال هذه المعاتبات على الأحباب ، بل فيها من اللطف والترغيب  
فى الخدمة ما لا يخفى ، وعلى كان عالماً بأن الكمال لا يحصل إلا بالنشأتين ، لكنه  
يرى حين الجذب أن كل ما يشغله عن الخدمة فهو مكروه المحجوب ، ومرجوح  
عنده ، لخلف على ترك المرجوح . أو يقال : إن عليا لما كان شريكاً للرسول  
صلى الله عليه وسلم فى تسكيم السلاك لقوله . « أنت منى بمنزلة هارون من  
موسى ، وكان له شأن الدلالة ، ولمحمد شأن الإرشاد ، والمرشد بنشأته النبوية  
( ١٤ - التفسير والمفسرون ٢ )

شأنه تكميل السالك بحسب نشأة السلوك ، وإن كان بنشأته الولوية وشأن الإرشاد شأنه التكميل بحسب الجذب ، والدليل بنشأته الولوية شأنه التكميل بحسب نشأة الجذب ، وإن كان بنشأته النبوية وشأن الدلالة شأنه التكميل بحسب السلوك فالدليل بولايته يقرب السالك إلى الحضور ، ويعلمه آداب الحضور ، وطريق العبودية من عدم الالتفات إلى ماسوى المعبود ، وطرح جميع العوائق من طريقه ، والمرشد بنبوته يبعده عن الحضور ، ويقربه إلى السلوك ، ويرغبه فيه ، فهما في فعلهما كالنشأتين : متضادان متوافقان ، فأمر المؤمنين لما رأى بلالا وعثمان مستعدين لنشأة الجذب ؛ رغبهما إلى تلك النشأة بطرح المستلذات وترك المألوفات ، وشاركهما في ذلك ليستكمل بذلك شوقهما ويتم جذبهما ، ولما مضى مدة ورأى الرسول أن عودهما إلى السلوك أوفق وأنفع لهما ، ردهما إلى نشأة السلوك ، وعاتبهما بالطف عتاب ، ولا يرد نقص على أمير المؤمنين . ولما قالوا بعد عتابه : قد حلفنا . . . نزل : لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ، (١) وهو الذى يؤتى به للتأكيد فى الكلام كما هو عادة العوام . . . الخ (٢) ،

فأنت ترى من هذين المثالين السابقين ، أن المؤلف يفيض فى الناحية الصوفية فى تفسيره للآيات ، كما أنه لم يخل تفسيره الصوفى من التشيع لعل وذريته بل ومن اتخذه مخرجا يخرج به من الإشكالات التى ترد عليه .  
من التفسير الفلسفى :

كذلك نجد المؤلف فى كثير من الأحيان يخلط البحوث الفلسفية بتفسيره للآيات القرآنية ، فثلا فى أول سورة الإسراء نراه يحقق أن المعراج كان بجسدة وروحه عليه السلام ، ويرد على الفلاسفة الذين ينكرون ذلك ، ويقدم لوجه هذا بمقدمة كلها نظريات فلسفية مخلوطة ببعض خرافات منسوبة إلى الإمام على رضى الله عنه ، وذلك حيث يقول :

(١) فى الآية (٢٢٥) من سورة البقرة ، وفى الآية (٨٩) من سورة المائدة .

(٢) ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥١ .

( العالم ليس منحصراً في هذا العالم المحسوس المعبر عنه بعالم الطبع بسماواته وأرضيه ، بل فوّه البرزخ ، وهو عالم بين عالم الطبع وعالم المثال ، وله الحكومه على عالم الطبع والتصرف فيه أى تصرف شاء ، من الإحياء ، والإماتة ، وإيجاد المعدوم ، وإعدام الموجود ، وستر المحسوس ، وإظهار غير المحسوس بصورة المحسوس . ومنه طى الأرض ، والسير على الماء والهواء ، والدخول فى النار سالماً ، وقلب الماهيات . ومنه طى الزمان ، كما ورد فى الأخبار أنه قال المعصوم لمنافق : اخسأفصار كلبا . وقال لآخر : أنت امرأة بين الرجال فصار امرأة وأنكر آخر قلب الماهيات عند المعصوم ، فسار إلى نهر ليغتسل فدخل الماء وارتمس (١) فخرج ورأى نفسه امرأة على ساحل بحر قرب قرية منكورة ، فدخلت القرية وتزوجت وعاشت مدة وولدت لها أولاد . . . ثم خرجت لتغتسل فى البحر فدخلت الماء وارتمست فخرجت على ساحل النهر المعهود وهو رجل وإذا بثيابه موضوعة كما وضعها . فلبسها ودخل بيته وأهله غير شاعرين بنبيته لقصر الزمان وأمثال ذلك رويت عن التابعين لهم على الصدق ، وهذا من قبيل بسط الزمان إن كان وقوعه فى عالم الملك ، كما نقل أن امرأة وقع لها ذلك فأخبرت وأنكرها جماعة فأتيت بأولادها بعد ذلك من بلدة بعيدة ، مع أنه لم يمض فى بلدها قدر ساعة ، أو من قبيل البسط فى الدهر من غير تصرف فى الزمان إن كان وقوعه فى الملكوت . وفوق البرزخ عالم المثال ، وله التصرف فى البرزخ والطبع . وفوقه عالم النفوس الكليات المعبر عنها بالمديرات أمراً . وفوقه الأرواح المعبر عنها بالصافات صفاً ؛ ويعبر عنها فى لسان الإشرافيين بأرباب الأنواع وأرباب الطلسمات . وفوقها العقول المعبر عنها بالمقربين . وفوقها الكرمى . وفوقه العرش ، وهو سرير الملك المتعال ، وهما بين الوجوب والإمكان لا واجبان ولا يمكنان ، بل فوق الإمكان وتحت الوجوب . وكل من تلك العوالم له الإحاطة والتصرف والحكومة على جميع ما دونه ،

(١) ارتمس من الارتماس وهو الانتماس .

فإذا غلب واحد من تلك العوالم على ما دونه صار مادونه بحكمة ، وذهب عنه حكم نفسه .

ثم اعلم أن الإنسان مختصر من تلك العوالم ، وله مراتب بإزاء تلك العوالم ، وكل مرتبة عالية لها الحكومة على مادونها من غير فرق ، كما نشاهده من حكومة النفس على البدن والقوى ، لكن تلك المراتب في أكثر الناس بالقوة ، وما بالفعل من النفس المجردة التي هي بإزاء عالم النفوس ضعيفة غاية الضعف ، بحيث لا يمكنها التصرف في بدننا زائداً على ما جعله الله في جبلتها ، فكيف بغير بدننا ؟ فإذا صار بعض تلك المراتب بالفعل كما في أكثر الأنبياء والأولياء ، أو جميعها كما في خاتم الأنبياء وصاحبى الولاية الكلية ، كان لهم التصرف في أبدانهم بأى نحو شاءوا ، وفي سائر أجزاء العالم ، كما روى عن الأنبياء والأولياء من طي المكان والزمان ، والسير على الماء والهواء ، ودخول النار ، وإحياء الموتى ، وإماتة الأحياء ، وقلب الماهيات ، وغير ذلك مما لا ينكر تمامها لكثرتها ، وتواتر الأخبار بمجموعها وإن كان أحادها غير متواترة . وأما التصرف في البدن الطبيعي بحيث يخرج عن حكم الإمكان ويدخله في عالم العرش الذى هو فوق الإمكان وفوق عالم العقول والملائكة المقربين ، كما روى أن جبريل تخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم في المعراج ، وقال : لو دنوت أمثلة لا احترقت ، مع أنه من عالم العقول المقربين ، فهو من خواص خاتم الكل في الرسالة والنبوة والولاية ، وهو من خواص نبينا صلى الله عليه وسلم لا يشاركه فيه غيره لانبى مرسل ولا خاتم الأولياء . ولذلك جعلوا المعراج الجسماني بالكيفية المخصوصة من خواصه صلى الله عليه وسلم . ولما كان المعراج بتلك الكيفية أمراً لا يتصور أمر فوقه من الممكن ، وكان لا يتيسر إلا إذا غلب العالم الذى فوق الإمكان على البدن الطبيعي ، ولا تتيسر تلك الغلبة بسهولة ولكل أحد وفي كل زمان ، قالوا : إن المعراج للنبي صلى الله عليه وسلم كان مرتين ؛ مع أنه نسب إلى بعض العرفاء أنه قال : إنى أعرج كل ليلة سبعين مرة ، والمعراج بالروح أمر يقع لكثير من الرياضيين ، بل ورد أن الصلاة معراج المؤمن .

إذا تقرر ذلك نقول : إنه عرج بيدنه الطبيعي وعليه عبادة ونملاة إلى بيت المقدس ، ومنه إلى السموات ، ومنها إلى الملكوت ، ومنها إلى الجبروت ، ومنها إلى العرش الذي هو فوق الإمكان ، وفي هذا السير تخلف جبريل عنه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان من عالم الإمكان ، ولم يكن له طريق إلى ما فوق الإمكان ؛ لأن الملائكة كل له مقام معلوم لا يتجاوزه ، بخلاف الإنسان . ولم يكن منه ذلك المعراج إلا مرتين كما في الأخبار ، ولا يلزم منه خرق السماوات ؛ لارتفاع حكم الملك عن بدنه بغلبة الملكوت - ولا استغراب في عروج البدن الطبيعي إلى الملكوت والجبروت - ولسقوط حكم الملك بل حل الإمكان عنه مع بقاء عينه ، ولا غرو في كثرة وقائعه في المعراج ؛ فإنه من بسط الدهر مع قصر الزمان كما قال : « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »<sup>(١)</sup> ، وقال أيضاً : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »<sup>(٢)</sup> ، فقدر ساعة من الدهر بإزاء ساعة من الزمان تكون كألف ساعة من الزمان أو خمسين ألف ساعة<sup>(٣)</sup> . . . (هـ) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢١) من سورة الحجر : « وما ننزله إلا بقدر معلوم » ، يقول ما نصه : ( اعلم أنه قد يطلق الشيء ويراد به ما يساوق الموجود ، فيشمل الحق الأول تعالى شأنه . وقد يطلق ويراد به المشيء وجوده ، فلا يشمل الحق الأول ، ولا حضره الأسماء ولا حضرة الفعل الذي هو مبدأ إضافاته ، ويشمل الممكنات كلها من حضرة العقول المعبر عنها بالأفلام العالية والملائكة المقربين ، وحضرة الأرواح المعبر عنها بأرباب الأنواع والصفات صفاً ، وحضرة النفوس الكلية المعبر عنها بالأرواح الكلية المحفوظة والمدبرات أمراً ، وحضرة النفوس الجزئية المعبر عنها بالوواح المحو والإثبات وبالعالم المثال باعتبارين ، ويشمل موجودات عالم الطبع تماماً ، وكل ما في تلك الحضرات له حقيقة في حضرة الأسماء ، وحقيقة في حضرة الفعل والإضافة الإلهية الإشرافية .

(١) في الآية (٤٧) من سورة الحج .

(٢) في الآية (٤) من سورة المعارج .

(٣) ج ١ ص ٤١٩ .

وكل ما في حضرة الفعل له حقيقة أيضا في حضرة الأسماء ، وكل ما في حضرة الأرواح له حقيقة في حضرة الأقلام ، وحقيقة في حضرة الفعل ، وحقيقة في حضرة الأسماء ، وهكذا حضرة النفوس الكلية وما فيها ، وحضرة النفوس الجزئية وما فيها ، وعالم الطبع وما فيه ، وبعبارة أخرى : كل دان له صورة بالاستقلال في العالی ، وصورة بالاستقلال في عالی العالی ، وصورة بتبع العالی في عالی العالی ، فلكل شيء من الممكنات حقائق في حضرة الأسماء استقلالا وتبعاً ، وهكذا في حضرة الفعل ، وهكذا في حضرة الأقلام إلى عالم المثال ، وكل تلك الحضرات من حيث أنها عوالم مجردة عن المادة وأغشيتها ، تسمى عند الله ، ولدن الله ، بحضورها في محضه ، ولما كانت تلك الحقائق محفوظة عن التغير والتبدل كالأشياء النفيسة المخزونة المحفوظة ، سماها تعالى بالخزائن ، فكل ما في عالم الملك له حقيقة في عالم المثال ، ينزله - تعالى شأنه - من عالم المثال إلى عالم الملك بقدر استعداد المادة لقبوله وحين استعدادها ، وهكذا من النفوس الكلية إلى عالم المثال ، وهكذا الأمر في العالی والأعلى إلى حضرة الأسماء . ولما كان موجودات عالم الملك متجددة بالتحديد الذاتي : بمعنى ؛ أنها كل آن فانية عن ذواتها ، وموجودة بموجدتها كما حقق في محله ، فما من شيء مما في عالم الملك إلا ويفنى آناً فأناً ، وينزله تعالى من خزائنه آناً فأناً ، فلذلك قال : وما ننزله إلا بقدر معلوم (١) ، ٥١ .

### آل البيت والامم السابقة :

وبما نلاحظه على المؤلف أنه يذكر لنا من الاخبار ما يدل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم وآل بيته كانوا معروفين عند الامم السابقة ، وكان لهم اشياع وأتباع يوالونهم ، ويتوسلون بهم ، وينالهم الخير والبركة بسبب حبهم . وهذه الرويات لا نعتقد إلا أنها من قبيل الخرافات التي تسلطت على عقول أولئك القوم ، ومن هذه الروايات — مثلاً — ما ذكره المؤلف في قصة

قتيل بنى إسرائيل المذكورة في قوله تعالى في الآية (٦٧) وما بعدها من سورة البقرة «وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة . . . الآيات، إلى آخر القصة من أن موسى جمع أمائل القبيلة التي وجد القتيل فيها، وأرزمهم أن يحلف خمسون منهم بالله القوي الشديد إله بنى إسرائيل بفضل محمد وآله الطيبين على البرايا أجمعين ماقتلناه ولا علمنا له قاتلاً» (١).

وبعد ذلك بقليل يذكر أنهم طلبوا هذه البقرة المذكورة بأوصافها في القرآن فلم يجدوها إلا عند شاب من بنى إسرائيل أراه الله في منامه محمداً وعلياً وطيبى ذريتهما فقالا: إنك كنت لنا محباً مفضلاً، ونحن نريد أن نسوق إليك بعض جزائك في الدنيا، فإذا راموا شراء بقرة ترك فلا تبعها إلا بأمر أمك، فإن الله يلقنها ما يغنيك وعقبك، وجاء القوم يطلبون بقرة، فقالوا: بكم تبيع بقرة تلك هذه؟ قال: بدينارين، والخيار لأمي قالوا: رضينا بدينار، فسأها، فقالت: بأربعة، فأخبرهم، فقالوا: نعطيك دينارين، فأخبر أمه، فقالت: ثمانية . . . فإزواوا يطلبون على النصف بما تقول أمه، ويرجع إلى أمه فتضعف الثمن حتى بلغ ثمنها مائة مسك ثور أكبر ما يكون دنانير، فأوجب لهم البيع فذبحوها وما كادوا يفعلون . . . (٢) هـ.

وبعد ذلك بقليل يقول: (وفي تفسير الإمام أن أصحاب البقرة ضجوا إلى موسى وقالوا: افتقرت القبيلة، وانسلخنا بلجاجنا عن قليلنا وكثيرنا، فأرشدنا موسى إلى التوسل بنبينا صلى الله عليه وسلم، فأوحى الله إليه: ليذهب رؤسهم إلى حربة بنى فلان ويكشفوا عن موضع كذا ويستخرجوا ما هناك، فإنه عشرة آلاف ألف دينار، وليردوا على كل من دفع من ثمن هذه البقرة ما دفع، لتعود أحوالهم على ما كانت، ثم ليتقاسموا بعد ذلك ما يفضل وهو خمسة آلاف ألف دينار على قدر ما دفع كل واحد منهم، لتضاعف أموالهم جزاء على توصلهم بمحمد وآله، واعتقادهم لتفضيلهم» (٣) هـ:

(٢) ج ١ ص ٥٨ .

(١) ج ١ ص ٥٧ .

(٣) ج ١ ص ٥٨ .

كما يروى أنهم توسلوا إلى الله تعالى بالنبي محمد وآله عند ضربهم للقتيل ببعض البقرة ، لأجل أن يحييه لهم فاستجاب . وأن القتل بعد حياته توسل إلى الله بمحمد وآله أن يبقيه في الدنيا متمتعا بابنة عمه ، ويجزى عنه أعداءه ، ويرزقه رزقا كثيرا طيبا ، فوهب له سبعين سنة زيادة على السنين التي عاشها قبل ذلك ، وعاش في الدنيا صحيحة حواسه ، قوية شهواته ، متمتعا بحلال الدنيا ، وعاش معها لم يفارقها ولم تفارقه ، وماتا جميعا معا ، وصارا إلى الجنة وكانا فيها زوجين ناعمين (١) ٥٨ .

### قصص القرآن :

ولما لنجد المؤلف يقرر في غير موضع من كتابه : أن القصص القرآني وما ورد في شروحه من الروايات على اختلافها وتضاربها ، ليس المقصود منه ظاهره الذي يقبدر إلى الذهن ، بل هي من قبيل الرموزات التي رمزوا بها لأشياء يعلمونها ويريدونها ، كما يقرر أن من يريد حملها على الظاهر فلا بد وأن يتحير فيها ، وليس يمكن له أن يصل إلى حقيقتها ، والمقصود منها بمجرد قوته البشرية : فعند ما تكلم على قصة آدم في أول البقرة وجدناه يقول : ( ولما كان قصة آدم وخلقته ، وأمر الملائكة بسجده ، وإبائه إبليس عن السجود ، وهبوطه من الجنة ، وبكائه في فراق الجنة وفراق حواء ، وخلقته حواء من ضلع الجنب الأيسر ، وغروره بقول الشيطان وحواء ، وكثرة نسله ، وحمل حواء في كل بطن ذكرًا وأثى ، وتزويج كل بطن لذكر البطن الآخر من رموزات الأوائل ، وقد كثر ذكره في كتب السلف خصوصا كتب اليهود وتواريخهم ، وردت أخبارنا مختلفة في هذا الباب اختلافا كثيرا ، رموزا بها إلى ما رمزه ، ومن أراد أن يحملها على ظاهرها تحير فيها ، ومن رام أن يدرك المقصود بقوته البشرية والمدارك الشيطانية منها طرد عنها ، ولم يدرك منها إلا خلاف مدلولها ) (٢) ٥٨ .

(١) ج ١ ص ٥٨

(٢) ج ١ ص ٤٢



وبعد أن يقرر المؤلف هذا نراه يكشف لنا عن تلك الأمور الرموز لها في القصة ، لا بقوته البشرية ؛ فإنها عاجزة عن إدراكها كما يقول ، بل بقوته الروحية التي تستلهم المعارف من الله ، وذلك حيث يقول في أثناء تفسيره للقصة نفسها : ( اعلم أن قصة خلق آدم وحواء من الطين ومن ضلعه الأيسر ، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ، وإبلاء إبليس عن السجدة ، وإسكان آدم وحواء الجنة ، ونهبهما عن أكل شجرة من أشجارها ، ووسوسة إبليس لهما ، وأكلهما من الشجرة المنهية ، وهبوطهما ، من الرموزات المذكورة في كتب الأمم السالفة وتواريخهم كما ذكرنا سابقاً فالمراد بآدم في العالم الصغير : اللطيفة العاقلة الآدمية ، الخليفة على الملائكة الأرضيين ، وعلى الجنة والشياطين المطرودين عن وجه أرض النفس والطبع ، المسجودة للملائكة ، المخلقة من الطين ، الساكنة في جنة النفس الإنسانية ، وهي أعلا من مقام النفس الحيوانية ، المخلوق من ضلع جنبها الأيسر الذي يلي النفس الحيوانية زوجها المسماة بحواء ، لسكودورة لونها بقربها من النفس الحيوانية . والمراد بالشجرة المنهية : مرتبة النفس الإنسانية التي هي جامعة لمقام الحيوانية والمرتبة الآدمية . والمراد بالحية وإختفاء إبليس بين لحيها : القوة الواهمة ؛ فإنها لكونها مظهر للإبليس ، تسمى بإبليس في العالم الصغير ، ووسوسته تزيدها مالا حقيقة له للجنب الأيسر من آدم المعبر عنه بحواء . وهبوط آدم وحواء عبارة عن تنزيلهما إلى مقام الحيوانية . وهبوط الحية وذريتهما : عبارة عن تنزيلهما عن مقام التبعية لآدم ؛ فإن إبليس لما كان الواهمة أحد مظاهره كان رفعها رفعته ، وشرافها باستخدام آدم لها شرافته ، وهبوط الواهمة كان هبوطاً له ، وإذا أريد بالشجرة : النفس الإنسانية ارتفع الاختلاف من الأخبار ؛ فإن النفس الإنسانية شجرة لها أنواع الثمار والحبوب ، وأصناف الأوصاف والحاصل ؛ لأن الحبوب والثمار وإن لم تكن وجوداتها العينية الدائية الموجودة فيها لكن الشكل بحقائقها موجودة فيها ، فتعين تلك الشجرة بشيء من الحبوب والثمار ، والعلوم والأصناف بيان لبعض شئونها . روى في تفسير الإمام : أنها شجرة علم محمد وآل محمد الذين آثرهم الله تعالى دون سائر خلقه ، فقال الله تعالى : ولا تقر باهذه الشجرة . . شجرة العلم ؛

فإنها لمحمد وآله دون غيرهم ، ولا يتناول منها بأمر الله إلا هم ، ومنها ما كان يتناوله النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين بعد إطعامهم المسكين ، واليتيم ، والأسير ، حتى لم يحسوا بمجموع ، ولا عطش ولا تعب ، ولا نصب وهي شجرة تميزت من بين سائر الأشجار بأن كلا منها إنما يحمل نوعاً من الثمار ، وكانت هذه الشجرة وجنسها تحمل البر ، والعنب ، والتين ، والعناب ، وسائر أنواع الثمار والفواكه والأطعمة ، فلذلك اختلف الحاكون .. فقال بعضهم برة ، وقال آخرون : هي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله ألهم علم الأولين والآخرين من غير تعلم ، ومن تناول بغير إذن الله خاب مراده وعصى ربه . ( أقول ) آخر الحديث يدل على ما قالته الصوفية من أن السالك ما لم يتم سلوكه ، ولم ينته إلى مقام الفناء ، ولم يرجع إلى الصحو بعد المحو بإذن الله ، لم يجز له الاشتغال بالكثيرات ومقتضيات النفس زائداً على قدر الضرورة . وشجرة علم محمد وآل محمد إشارة إلى مقام النفس الجامع لسكالات الكثرة والواحدة (١) هـ .

وفي سورة البقرة أيضاً عندما تكلم عن قصة هاروت وماروت يقول : ( اعلم أن أكثر قصص سليمان كان من مرموزات الأوائل ، وأخذها المتأخرون بطريق الأسماء ، وأخذوا منها ظاهرها الذي لا يليق بشأن الأنبياء ، وورد عن المعصومين تقرير ما أخذوه أسماراً نظراً إلى مرمزها الأقدمون ، وأمثال هذه ورد عنهم تكذيبها نظراً إلى ظاهر ما أخذها العوام ، وتصديقها نظراً إلى مرمزوا إليه ... (٢) هـ .

وفي أول سورة النساء عند قوله تعالى : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ... الآية يقول : ( لما كان تلك الحكاية وأمثالها من مرموزات الأوائل من الأنبياء والأولياء والحكام التابعين لهم ، وحملها العوام من الناس على ظاهرها ، اختلفت الأخبار في تصديقها وتقريرها وتكذيبها وتوهينها فإن في كيفية خلقه آدم وتناسلها وتناكحها وتناكح أولادها ،

وكذا في قصة هاروت وماروت . وقصة داود ، وغير ذلك ، اختلافا كثيرا في الأخبار ، واضطرابا بشديدا ، بحيث يورث التحير والاضطراب لمن لا خبرة له ، حتى يكاد يخرج من الدين ، ولكن الراسخين في العلم يعلمون أن كلا من معادن النبوة ومحال الوحي صدر ، ولا اختلاف فيها ولا اضطراب ، جعلنا الله منهم ، والله ولي التوفيق (١) ه .

وفي سورة (ص) عند قوله تعالى ، ولقد فتنا سليمان . . . الآيات من (٣٤) إلى تمام القصة ، يقول بعد ما ذكر قصة الفتنة : ( وأمثال هذه ، وأمثال روايات سلب ملك سليمان ، وجلس الشيطان على كرسيه ، وكون ملكه منوطا بخاتم ، ليس إلا من الرموز التي رمزها الأقدمون ، ثم أخذها العامة بصورها الظاهرة ، ومفاهيمها العامة ، ونسبوا إلى الأنبياء ما لا يليق أن ينسب إلى مؤمن ، فكيف بكامل أو نبي ؟ ) (٢) ه .

### الإمامة :

والمؤلف يقرر في تفسيره إمامة علي رضي الله عنه ، وخلافته للنبي صلى الله عليه وسلم بدون فصل ، فثلا في تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة المائدة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، نجده يؤكد أن الآية نازلة في حق علي رضي الله عنه ، وأن المراد من الولاية ولاية التصرف لا ولاية المعاشرة ، ويرد علي من يخالف ذلك بما يظهر له من الدليل ، كما يبين السر الذي من أجله ذكر علي بوصفه دون اسمه . وذلك حيث يقول : ( قد ورد من طريق العامة والخاصة أن الولاية نازلة في علي حين تصدق في المسجد في ركوع الصلاة بخاتمة أو بجلته التي كان قيمتها ألف دينار . ومفسر العامة لا ينكرون الأخبار في كونها نازلة في أمير المؤمنين وقد نقلوا بطرق عديدة من روايتهم أنها نزلت في علي ، ومع ذلك يقولون في تفسيرها : إن الآية نزلت بعد النهي عن اتخاذ أهل الكتاب أولياء ،

ولاشك أن المراد بالأولياء هناك أولياء المعاشرة ، بقرينة المقابلة ، وبقرينة جمع المؤمنين ، ولو كان المراد أمير المؤمنين وبالولاية ولاية التصرف لصرح باسمه ، أو لقال : والذي آمن بالإفراد ، وهم غافلون عن أنه لو صرح باسمه ، أو أفرد المؤمن — مع الاتفاق في أنها نازلة في أمير المؤمنين — لأسقطوه تمويها على عابدى عجلهم ، فنقول : نسبة الولاية أولا إلى الله ، ثم إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وآله ، ثم إلى الذين آمنوا ، تدل على أن المراد بالولاية ولاية التصرف التي في قوله تعالى « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » (١) لأن ولاية الله ليست ولاية المعاشرة ولا ولاية الرسول ؛ بقرينة العطف ، وبما هو معلوم من الخارج ، فكذلك ولاية الذين آمنوا بقرينة العطف ، وبقرينة عدم تكرار الولى ، فإن المراد أن الولاية ههنا أمر واحد مترتب في الظهور ، فإن ولاية الرسول ليست شيئا سوى ولاية الله ، وولاية الله تتحقق بولاية الرسول ، فهكذا ولاية الذين آمنوا ، فإنها ولاية الرسول صلى الله عليه وآله تظهر في ولاية الذين آمنوا على ما قاله الشيعة ، ولو كان المراد ولاية المعاشرة كان أولياؤكم بلعظ الجمع أولى ، وتقييد الذين آمنوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في حال الركوع يدل على أنها ليست ولاية المعاشرة ، وإلا لكان جملة المؤمنين فيها سواء ، وليس كل المؤمنين متصفين بالصفات المذكورة ، على أنه لا خلاف معتدا في أنها نزلت في على وصورة الأوصاف خاصة به ، وقوله : « الذين يقيمون الصلاة ، بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر لهم ، يعنى حالهم استمرار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في حال الخضوع لله ، لافى حال بهجة النفس ، لأنهم « يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » (٢) بخلاف الفاعل من قبل النفس فإن شأنه الإرتضاء بفعله ، وتوقع المدح من الغير على فعله ؛ لأن كل حزب من أحزاب النفس بما لديهم فرحون ، ويحبون أن يحمدا على ما لم يفعلوا ، فضلا عما فعلوا . واستمرار الصفات بحسب المعنى : لعلى وأولاده المعصرمين بشهادة أعدائهم ، وبحسب الصورة :

---

(١) الآية (٦) من سورة الاحزاب (٢) في الآية (٦٠) من سورة المؤمنون

ما كان أحد مصداقها إلا على نقلها عن طريق العامة والخاصة . ووقع صدور الزكاة في الركوع من كل الأئمة كما ورد عن طريق الخاصة . وفي نسبة الولاية إلى الله دون المخاطب والإتيان بأداة الحصر دلالة تامة على أن المراد بها ولاية التصرف ، فإنها ثابتة لله ذاتا ولرسوله ولخلفاء رسوله باعتبار كونهما مظهرين لله ، وليس لأحد شركة فيها ، وليس المراد بها ولاية المعاشرة التي تكون بالمواضعة والاتخاذ ، وإلا لم يكن للحصر وجه ، وكان اقتضاء المقابلة أن يقول : بل أتم أولياء الله الخ ، أو بل اتخذوا الله ورسوله والمؤمنين أولياء ، ولأن المراد بها ولاية التصرف التي كانت بالذات لله قال في عكسه : ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، إشعاراً بأن الولاية السابقة هي ولاية التصرف وليست لغير الله إلا قبولها ، ومن قبلها منهم باستعداده لظهورها فيه صار مرتبطاً بالله وخلفائه ، ومن صار مرتبطاً بالله صار من حزب الله ، ومن صار من حزب الله كان غالباً ، فإن حزب الله هم الغالبون ، ولو كان المراد بها المعاشرة لكان الأولى أن يقول : ومن يتخذ الله ، أو ومن صار ولياً لله . والحاصل : أن في لفظ الآية دلالات واضحة على أن المراد بالولاية ولاية التصرف ، وأنها بعد الرسول ليست لجملة المؤمنين ، بل لمن اتصف بصفات خاصة كأنما من كان ، متعدد أو منفرداً ، سواء قلنا نزات في علي أو لم نقل ، لكن باتفاق الفريقين لم توجد الأوصاف لإليه ، ونزلت الآية في حقه ، والمراد بالذين آمنوا ههنا ، هم الموصوفون في الآية السابقة ، لما تقرر عندهم أن المعرفة إذا تكررت كانت عين الأولى (١) .

وفي سورة المائدة أيضاً عند قوله تعالى في الآية (٦٧) « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . الآية ، نجده يدعى - كثيره من الإمامية - أن القراءة الصحيحة كانت « بلغ ما أنزل إليك من ربك في علي ، ويحمل التبليغ المأمور به النبي على ذلك فحسب ، ويمنع إرادة العموم ، ويقم الأدلة

على ذلك ردا على من يدعى العموم ، وغرضه من ذلك كله إثبات إمامه على رضى الله عنه بنص القرآن الكريم (١) هـ .

الرجعة :

والمؤلف يتأثر بعقيدة الرجعة ، فلماذا نراه عند مافسر قوله تعالى فى الآية ( ٥٦ ) من سورة البقرة . . . ثم بعنناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ، يستدل بهذا البعث على جواز الرجعة فيقول : ( وهذه الآية تدل على جواز الرجعة كما ورد الإخبار عنها وصارت كالضرورة فى هذه الأمة . وقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بها على ابن الكواء فى إنكاره الرجعة ) هـ .

تحريف القرآن :

ولما كان المؤلف ممن يقولون بوقوع التحريف والتبديل فى القرآن ، فإننا نجد عند ما يصطدم بقوله تعالى فى الآية ( ٩ ) من سورة الحجر « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، يحاول أن يتخلص من هذا النص الذى يجبهه فيقول : ( ولا يتانى حفظه تعالى للذكر بحسب حقيقة التحريف فى صورة تدوينه ، فإن التحريف إن وقع وقع فى الصورة الماثلة له كما قال : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله » ، وكما قال : « يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » ، هـ ) .

(١) ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٧ وراجع ما كتبه على قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) ج ١ ص ٥٤ .

(٣) فى الآية (٨٩) من سورة البقرة .

(٤) فى الآية (٨٧) من سورة آل عمران : وفى الأصل تحريف وحذف وخلط

بين الآيتين .

(٥) ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

موقف المؤلف من الصحابة :

لم نلاحظ على المؤلف في تفسيره هذا ما يدل صراحة على أنه يكفر أحداً من الصحابة ، كما لاحظنا على ملاحظنا على ملاحظنا في تفسيره ، غاية الأمر أننا نأخذ عليه أنه أحياناً يقف من الآيات التي وردت في شأن بعض الصحابة وما لهم من الفضل موقفاً يراد منه سلب هذا الفضل عنهم أو تقليل أهميته ، وأحياناً ينسب إلى بعض الصحابة ما يكاد يكون تصريحاً منه بفسقهم أو كفرهم .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٤٤) من سورة آل عمران ... ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ، نراه يصرف لفظ الشاكرين عن عمومهم ويريد منه خصوص علي ونفر معه فيقول : ( والمراد بالشاكرين ههنا : علي ونفر يسير بقوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انهزم المسلمون ) وهنا يروي رواية عليها دليل الوضع وسمته فيقول :

( روى عن الصادق : أنه لما انهزم المسلمون يوم أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف إليها بوجهه وهو يقول : أنا محمد رسول الله ؛ لم أقتل ولم أمت ، فالتفت إليه فلان وفلان فقالا : الآن يسخر بنا أيضا وقد هزمنا ، وبقي معه علي وأبو دجاجة رحمه الله ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أبا دجاجة انصرف وأنت في حل من بيعتك ، فأما علي فهو أنا ، وأنا هو . فتجول وجلس بين يدي النبي وبكى وقال : لا والله ، ورفع رأسه إلى السماء وقال : لا والله ، لاجعلت نفسي في حل من بيعتك ، إني بايعتك فإلى من أنصرف يا رسول الله ؟ إلى زوجة تموت ؟ أو ولد يموت ؟ أو دار تخرب ومال يفتى وأجل قد اقترب ؟ فرق له النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يقاتل حتى قتل ، فجاء به علي إلى النبي فقال يا رسول الله .. أوفيت ببيعتي ؟ فقال : نعم ، وقال له النبي خيرا . وكان الناس يحملون على النبي صلى الله عليه وسلم الميمنة فيكشفهم علي ، فإذا كشفهم أقبلت الميسرة إلى النبي فلم يزل كذلك حتى تقطع سيفه بثلاث قطع ، فجاء إلى النبي فطرحه بين يديه وقال : سيفي قد تقطع ، فيومئذ أعطاه النبي ذا الفقار ، ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم اختلاج ساقيه

من كثرة القتال ، رفع رأسه إلى السماء وهو يبكي وقال : يارب وعدتني أن تظهر رينك وإن شئت لم يعيك ، فأقبل على إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله . أسمع دويًا شديدًا ، وأسمع : أقدم يا حيزوم ، وما أمم أضرب أحداً إلا سقط ميتا قبل أن أضربه ، فقال : هذا جبريل وميكائيل وإسرافيل والملائكة ، ثم جاء جبريل فوقف إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمداً . . . إن هذه لهى المواساة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن عليا منى وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكم . . الخ الحديث . ونزل د وسنجزى الشاكرين ، (١) ٥١ .

ومثلاً نجد أن المؤلف عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (١٤) وما بعدها إلى آخر سورة الليل ، فأندرتكم ناراً تلتظى \* لا يصلها إلا الأشقى \* الذى كذب وتولى \* وسيجنبها الأتقى \* الذى يؤتى ماله يتزكى \* وما لأحد عنده من نعمة تجزى \* إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى \* وسوف يرضى ، يصعب عليه أن يعترف اعترافاً جازماً بأن الأتقى مراد به الصديق رضى الله عنه كما يقول المفسرون من أهل السنة ، كما نراه حريصاً على أن يكون على هو أولى الناس بهذا الشرف ، وهذا التنويه الإلهى ، فلماذا نراه يقول مانصه : (إن كانت الآيات نزلت فى رجل خاص فالمعنى عام ، والأصل فيمن أعطى واتقى : على ، وفيمن بخل واستغنى هو الثانى : وقيل المراد بمن أعطى : أبو بكر حيث اشترى بلالا فى جماعة من المشركين وكانوا يؤذون فأعتقه ، والمراد بالأشقى : أبو جهل وأمية ابن خلف (٢) ٥١ .

وفى سورة النور عند قوله تعالى فى الآية (١١) د إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم . . . الآية ، يقول : (قد نقل فى تفاسير الخاصة والعامة أن الآيات نزلت فى عائشة) ، ثم روى السبب المعروف لنا . . ثم يقول : (ونقل عن الخاصة أنها نزلت فى مارية القبطية وما رمتها به عائشة . روى عن الباقر أنه قال :



لما هلك إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حزناً شديداً ، فقالت له عائشة : ما الذى يحزنك عليه ؟ فإهو إلا ابن جريج ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وأمره بقتله ، فذهب على ومعه السيف ، وكان جريج القبطى فى حائط ، فضرب على باب البستان ، فأقبل إليه جريج ليفتح له الباب ، فلما رأى علياً عرف فى وجهه الغضب ، فأدبر راجعاً ولم يفتح باب البستان ، فوثب على على الحائط ، ونزل إلى البستان واتبعه ، وولى جريج مدبراً ، فلما خشى أن يرهقه صعده فى نخلة وصعد على فى أثره ، فلما دنى منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته ، فإذا ليس له ما للرجال ، ولاله ما للنساء ، فانصرف على إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إذا بعثتني فى أمر أكون فيه كالمسمار المحمى فى الوبر أمضى على ذلك أم أتثبت ؟ قال : لا بل تتثبت ، قال : والذى بعثك بالحق ما له ما للرجال وماله ما للنساء ، فقال : الحمد لله الذى صرف عنا سوء أهل البيت (١) اه .

وفى سورة التحريم عند تفسيره لقوله تعالى فى أولها : «يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك . . . الآيات ، إلى آخر القصة . نراه يذكر سبب نزولها فيقول : ( قال القمى وغيره : سبب نزول الآيات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيت عائشة أو فى بيت حفصة ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية ، فعلمت حفصة بذلك فغضبت ، وأقبلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله فى يومى ؟ وفى درأى ؟ وعلى فراشى ؟ فاستجى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كفى ، فقد حرمت مارية على نفسى ، وأنا أفضى إليك سر إن أنت أخبرت به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقالت : نعم . . . ما هو ؟ فقال : إن أبا بكر يلى الخلافة بعدى ، ثم بعده أبوك ، فقالت : من أنباك هذا ؟ قال . نبأنى العليم الخبير ، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك ، وأخبرت عائشة أبا بكر : فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له : إن عائشة أخبرتنى بشيء عن حفصة ولا أتق بقولها ، فاسأل

أنت حفصة ، فجاه عمر إلى حفصة فقال : ما هذا الذي أخبرت عنك عائشة ؟  
فأنكرت ذلك وقالت : ما قلت لها من ذلك شيئاً ، فقال لها عمر : إن هذا حق  
فأخبرينا حتى نتقدم فيه ، فقالت : نعم .. قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فاجتمعوا أربعة على أن يسموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل جبريل  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه السورة وأظهره الله عليه ، يعنى أظهره  
الله على ما أخبرت به وما هموا من قتله و د عرف بعضه ، أى خبرها وقال :  
لم أخبرت بما أخبرتك ؟ و أعرض عن بعض ، يعنى لم يخبرهم بما يعلمه بما هموا  
به من قتله ) اه (١)

### عتاب النبي صلى الله عليه وسلم :

ويرى المؤلف - كغيره من الشيعة - أن ماورد من الآيات مشتتة على  
عتاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أو على التهديد والوعيد للنبي صلى الله عليه وسلم  
على فرض وقوع المعصية منه إنما هو من قبيل ( إياك أعنى واسمعى يا جارة )  
والذى دفعه إلى ذلك ، هو ارتفاعه بمقام النبوة عن أن يوجه إليه عتاب من  
الله ، أو لوم وتهديد على فرض صدور المعصية .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين ( ٧٤ ؛ ٧٥ ) من سورة الإسراء  
« ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا \* إذا لأذناك ضعف  
الحياة و ضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ، . نجاه يقول : ( . . وقد ورد  
فى الأخبار أن هذه الآية من قبيل إياك أعنى واسمعى يا جارة وورد أنها من فرية  
الملحدين ، ولو كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم من غير كونه عن طريق إياك  
أعنى واسمعى يا جارة ، ولم تكن فرية لم يكن فيها ازدراء به صلى الله عليه وسلم  
بل يكون صدر الآية ازدراء بالملحدين ، لإشعاره بأنهم بالغوا فى فتنته ، يعنى  
أنهم ما أهملوا شيئا مما يفتن به ، ولو كان المفتون غيرك ولم يكن التشيت

من الله لفتن ، وذيلها بيان امتنانه عليه بأن ثبته في مثل هذا المقام (١) ٥١ .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٨) مر سورة الكهف د واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه . . الآية ) يقول مانصه : ( وهذا على إياك أعني راسمى يا جارة ) (٢) ٥١ .

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة عبس د عبس وتولى \* أن جاءه الأعمى . . . الآيات إلى قوله د فأنت عنه تلهي ، يقول مانصه : ( وقد استبعد بعض العلماء كون الآيات في رسول الله ، لبعده مقامه عن العبوس والتولى عن الأعمى ، وعلو مرتبته عن أن يصير معانبا بمثل هذا العتاب . ( أقول ) لو كانت الآيات فيه والعتاب له لم يكن فيه نقص لشأنه ، ولم يكن منافيا لما قاله تعالى في حقه من قوله : ( وإنك لعلى خلق عظيم (٣) ) فإن إقباله وإدباره ، وعبوسه ، واستبشاره ، كان لله ، فإن عبوسه إن كان لمنع الأعمى عن نشر دين الله ، وإسماع كلماته لأعداء الله وأعداء دينه وتقريبهم إلى دينه ، لم يكن فيه نقص فيه وفي خلقه . وأما أمثال العتاب له صلى الله عليه وسلم فإنها تدل على تفخيمه والاعتداد به ، فإن كلها كانت بإياك أعني واسمى يا جارة ، فالخطاب والعتاب يكون لغيره لا له ، وكذا نسبة الله زرية عيب العبوس والقول له يكون مترجما إلى غيره في الحقيقة ) ٥١ .

### الناحية الفقهية في هذا التفسير :

أما الناحية الفقهية في هذا التفسير : فإنها تظهر فيه بمظهر التأثر بما لفقهاء الشيعة من الاجتهادات التي يخالفون فيها من عداهم ، غير أن المؤلف يطوى الكلام طيا ، فلا يتعرض لتفصيل المسائل الجزئية ، ولا يشغل نفسه بكثرة

الأدلة والبراهين ، ولا بالدفاع عن مذهبه ورد مذهب مخالفه ، كما يفعل  
الطبرسى مثلا :

### نكاح الكتابيات :

فمثلا عندما فسر قوله تعالى في الآية (٥) من سورة المائدة ( والمحصات  
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ... الآية ) يقول مانصه : ( قد اختلفت  
الأخبار والأقوال في نكاح النساء من أهل الكتاب ، وكذا في أن هذه الآية  
منسوخة بآية حرمة نكاح المشركات ، وحرمة الأخذ بعصم الكوافر ، أو  
ناسخة ، وكذا في الدوام والتمتع بهن . وقول النبي صلى الله عليه وآله : إن  
سورة المائدة آخر القرآن نزولا ، فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، ينفي كونها  
منسوخة ) (١) ص ٥١ .

### المتعة :

وعند ما فسر قوله تعالى في الآية (٢٤ من سورة النساء ) « فما استمتعتم به  
منهن فاتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة »  
فجده يقول : ( وفي لفظ الاستمتاع ، وذكر الأجور ، وذكر الأجل - على  
قراءة إلى أجل - دلالة واضحة على تحليل المتعة .. ( ولا جناح عليكم فيما  
تراضيتن به ) من إعطاء الزيادة على الفريضة أو إسقاطن شيئا من الفريضة  
( من بعد الفريضة ) وفيه إشعار بكون الأجر من أركان عقد التمتع كما عليه  
من قال به . وعن الباقر : لا بأس بأن تزيدا وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما  
بينكما ، تقول : استحلتك بأجر آخر برضى منها ولا تحمل لغيرك حتى تنقضى  
عنتها ... وعنتها حيضتان ( إن الله كان عليما حكيمًا ) فحلل المتعة عن علم ،  
ولغايات منوطة بالمصالح والحكم ) (٢) ص ٥١ .

### فرض الرجلين في الوضوء :

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة ( يا أيها الذين  
آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا

برهوسكم وأرجلكم إلى الكيعين ... الآية ، يقول : ( « وأرجلكم ، بالحر عطف على رهوسكم ، وبالنصب على محل رهوسكم ، وعطفه على وجوهكم مع جواز العطف على رهوسكم في غاية البعد ، غاية الأمر أنها في هذا العطف محتملة مجملة كسائر أجزاء الآية محتاجة إلى البيان ، ولم يكن رأينا مبينا للقرآن لا استلزامه الترجيح بلا مرجح ، بل المبين : من نص الله ورسوله عليه ، لامن نصبه لبيانه . فإن نصب شخص لإنساني لبيان القرآن وخلافة الرحمن ليس بأقل من نصب الأصنام لعبادة الأنام ، أو العجل المصنوع للعوام ، وتفصيل الموضوع وكيفيته قد وصل إلينا مفصلاً مبيناً عن أمتنا المعصومين من الله ورسوله ، وقد فصله الفقهاء رضوان الله عليهم ، فلا حاجة إلى التفصيل ههنا ) اهـ (١) .

### ميراث الأنبياء :

والمؤلف يقول كغيره من علماء مذهبه بأن الأنبياء يورثون كما يورث سائر الناس ، ولكننا نلاحظ عليه أنه لم يقف من الآيات التي استدلت بها علماء مذهبه على أن الأنبياء يورثون المآل موقفاً فيه تلك المغالاة وهذا التطرف كالذي وقفه الطبرسي منها ، بل نجده عندما فسر قوله تعالى في الآية ( هـ ) من سورة مريم ( وإني خفت الموالي من ورائي ... ) يقول ( وإني خفت الموالي ) في الإرث الصوري من التصنيع والنزاع والخلاف ، أو في الإرث المعنوي من الاختلاف وتصنيع العباد ، وهذا إشعار بأن دعاه خال من مداخلة الهوى مقدمة للإجابة (٢) هذا هو كل ما قاله في هذه الناحية من الآية فأنت ترى أنه لم يقطع أن الآية في الإرث الصوري دون المعنوي ، بل جوز صدقها على كل منهما ، ولم يدافع عن مذهبه هذا الدفاع العنيف الذي كان من الطبرسي عندما أراد أن يقصر الإرث في الآية على الإرث الصوري .

ونجده عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٦) من سورة النمل وورث سليمان داود ... الآية ) يقرر أن الميراث هو ميراث ما ينبغي أن يرثه منه من الرسالة والعلم والملك والسلطنة ، ثم يقول : ( ولذلك حذف المفعول الثاني ) (٣)

(٣) ج ١ ص ٩٨

(٢) ج ٢ ص ٢

(١) ج ١ ص ٢٣٣

يقول هذا أيضا ولا يحاول أن يخرج الآية عن ظاهرها وسياقها كما حاول غيره .

### الغنائم :

ويرى المؤلف كغيره من علماء مذهبه أن الغنائم لا تختص بما أخذ من الكفار بطريق القهر والغلبة ، بل تعم ذلك وكل ما استفاده الإنسان من أى وجه كان ، كما يرى أن الخمس يقسم بين ذوى القربى وهو الإمام ، ويتامى آل البيت ، ومساكينهم ، وأبناء سبيلهم ، وذلك تمويض لهم من الله عن الصدقات التى هى أوساخ الناس .

يرى المؤلف هذا كله ويقرره فى تفسيره باختصار فيقول عند قوله تعالى فى الآية ( ٤١ ) من سورة الأنفال د واعدوا إنما اغنمتم من شيء فإن الله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين .. الآية ، ما نصه : ( د واعدوا إنما غنمتم من شيء ، اسم الغنيمة قد غلب على ما كان يؤخذ من الكفار بالقهر والغلبة حين القتال ، وإلا فهى اسم لكل ما استفاد الإنسان من أى وجه كان وأى شيء كان ، فعن الصادق هى والله الإفادة يوما بيوم د فإن الله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد فسر ذوى القربى بالإمام من آل محمد ؛ فإنه ذو القربى حقيقة ، وفسر الثلاثة الأخيرة بمن كان من قرابات الرسول ، جعل ذلك لهم بدلا عن الزكاة التى هى أوساخ الناس تشريفا لهم ) اه (١)

وفى سورة الحشر عند قوله تعالى فى الآية (٧) د ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم .. الآية ، يقول : (د ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى ، أى ذى قربى الرسول صلى الله عليه وسلم ، واليتامى والمساكين وابن السبيل من قرابات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد خصص فى الأخبار كل ذلك بأقرباء الرسول صلى الله عليه وسلم اه (٢) .

موقف المؤلف في تفسيره من المسائل الكلامية :

وإننا لنجد المؤلف يتأثر بمذهب المعتزلة في بعض المسائل الكلامية فيوافقهم عليها في تفسيره ، ويخالقهم في بعض آخر منها فيقول بما يقول به أهل السنة ، فن المسائل التي يوافق فيها المعتزلة مثلا :

رؤية الله :

فهو ينسكرك جوازها ووقوعها ، ويجرى تفسيره لآيات الرؤية على هذه العقيدة .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة البقرة : « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، نجده يقول مانصه : ( وورد أنه سئل الرضا كيف يجوز أن يكون كلميم الله موسى بن عمران لإعلم أن الله لا يجوز عليه الرؤية حتى يسأل هذا السؤال ؟ فقال إن كلميم الله علم أن الله منزه عن أن يرى بالابصار ، ولكنه لما كلمه وقربه نجيا رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله كلمه وقربه وناجاه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعته وكان القوم سبعمئة ألف ، فاختار منهم سبعين ألفا ، ثم اختار منهم سبعة آلاف ، ثم اختار منهم سبعمئة ، ثم اختار منهم سبعين رجلا لمليقات ربه ، فخرجهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل ، وصعد موسى إلى الطور وسأل ربه أن يكلمه ويسمعه كلامه ، وكله الله وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام — لا أن الله أحدثه في الشجرة ، ثم جعله منبعثا منها -- حتى سمعوه من جميع الوجوه ، فقالوا : لن نؤمن بأن هذا الذي سمعناه كلام الله حتى نرى الله جهرة ، فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا ، بعث الله عليهم صاعقة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، فاتوا ، فقال موسى : ما أقول لبني إسرائيل إذ أراجعت إليهم وقالوا إنك ذهبت بهم فقتلتهم ؛ لأنك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاة الله إياك ، فأحياهم وبعثهم . فقالوا : إنك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك فتخبرنا كيف هو ونعرفه حق معرفته ، فقال موسى : يا قوم . . إن الله لا يرى بالابصار ولا كيفية له ، وإنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه ،

فقالوا: لن تؤمن لك حتى تسأله ، فقال موسى : يارب إنك قد سمعت مقالة  
بني إسرائيل ، وأنت أعلم بصلاحهم ، فأوحى الله إليه : يا موسى سلني ما سألوك  
فلن آخذك بجهلهم ، فعند ذلك قال موسى : رب أرني أنظر إليك (١) ، قال  
: لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه ، وهو يهوى فسوف تراني  
فلما تجلى ربه للجبل ، بأية : جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك  
تبت إليك ، يقول : رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ، وأنا أول المؤمنين ،  
منهم بأنك لا ترى (٢) ، هـ .

وفي سورة القيامة عند قوله تعالى في الآيتين (٢٢ ، ٢٣) : وجوه  
يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ، يقول : ( إلى ربها ناظرة ، أي إلى ربها المضاف  
لظهور الولاية وصاحبها في ذلك اليوم ، أو إلى ربها المطلق لظهور آثاره ، أي  
إلى آثاره ناظرة ، أو منتظرة إلى ثواب ربها . روى عن أمير المؤمنين في حديث  
: ينتهي أولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان فيعقلون  
فيه ويشربون منه فتبيض وجوههم إشراقا ، فيذهب كل قذى ووعث ، ثم  
يؤمرون بدخول الجنة ، فن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم قال :  
فذلك قوله تعالى : إلى ربها ناظرة ، وإنما يعني بالنظر إليه ، النظر إلى ثوابه  
تبارك وتعالى . وفي الخبر : والناظرة في بعض اللغة هي المنتظرة ، ألم تسمع  
إلى قوله : فناظرة بم يرجع المرسلون ، ... أي منتظرة (٣) ، هـ

ومن المسائل التي يخالف فيها المعتزلة :

### السحر :

فهو يقول به ويعترف بحقيقته ويوضح لنا عند تفسيره لقوله تعالى  
في الآية (١٠٢) من سورة البقرة : واتبعوا ما تتلو الشاطين على ملك سليمان  
وما كفر سليمان ولكن الشاطين كفروا يعلمون الناس السحر . . . الآية ،

(١) هي وما بعدها في الآية (١٤٣) من سورة الأعراف .

(٢) ج ٢ ص ٢٩٤

(٣) ج ١ ص ٥٤ :



حقيقة السحر وكيفية تأثيره في المسحور وذلك حيث يقول ( . . . ) والسحر اسم لقول أو فعل أو نقش في صفحة يؤثر في عالم الطبع تأثيراً خارجاً عن الأسباب والمعتمد ، وذلك التأثير يكون بسبب مزج القوى الروحانية مع القوى الطبيعية ، أو بتسخير القوى الروحانية بحيث تتصرف على إرادة المسخر الساحر ، وهذا أمر واقع في نفس الأمر ليس محض تخييل كما قيل . . . وتحقيقه أن يقال : إن عالم الطبع واقع بين الملكوت السفلى والملكوت العلوى كما مر ، وأن لأهل العالمين تصرفاً بإذن الله عالم الطبع بأنفسهم ، أو بأسباب من قبل النفوس البشرية ، وأن النفوس البشرية إذا تجردت من علائقها ، وصفت من كدورتها بالرياضات الشرعية أو غير الشرعية ، وناسبت المجرّدات العلوية أو السفلية ، تؤثر بالأسباب أو بغير الأسباب في أهل العالمين بتسخيرها لإياهم ، وجذبها لهم إلى عالمها ، وتوجيههم في مراداتها شرعية كانت أو غير شرعية . وإذا كان التأثير كان من أهل العالم السفلى تسمى أسبابه سحراً ، وقد يسمى ذلك التأثير والأثر الحاصل به سحراً ، وإذا كان من أهل العالم العلوى يسمى ذلك التأثير والأثر الحاصل به معجزة وكرامة ، وقد تقوى في الجهة السفلية أو العلوية فتؤثر بنفسها من دون حاجة إلى التأثير في الأرواح ، ويسمى ذلك التأثير والأثر أيضاً سحراً ومعجزة . فالسحر هو السبب المؤثر في الأرواح الخبيثة الذي خفي سببته ، أو تأثير تلك الأرواح وآثارها في عالم الطبع بحيث خفي مدركها ، ثم أطلق على كل علم وبيان دقيق قلماً يدرك مدركه ، ويطلق على العالم بذلك العلم اسم الساحر ، ومنه « يا أيها الساحر ادع لنا ربك ، على وجه . . . فيستعمل على هذا في المدح والذم ) اه (١) .

وفي الآية (٤) من سورة الفلق نجد اعترافاً أيضاً بالسحر ويروى أن الرسول سحر بيد لبيد بن الأعصم وذلك حيث يقول : ( ومن شر النفاثات في العقد ، أي من شر النفوس اللاتي يعقدن على الشعور والخيوط ، وينفثن

فيها ، ويسحرن الناس بها . أو النساء اللآتي يفعلن ذلك ... ثم ساق حديث  
سحر الرسول صلى الله عليه وسلم ( . اه (١) .

وهناك مسائل أخرى يوافق فيها المعتزلة ، ومسائل أخرى يخالفهم فيها  
ويوافق أهل السنة ، ولا أطيل بذكرها بعد أن ذكرت نموذجاً من كل طائفة ،  
ومن أراد الرجوع إليها فليرجع إلى تفسيره للآيات التي تتعلق بهذه المسائل .  
هذا .. ولا يفوتنا أن ننبه على أن المؤلف كثيراً ما يهتم في بعض المواضع  
بالمسائل النحوية ، فتراه يذكر الأعراب التي في الآية ، كما يهتم في بعض  
النواحي بالقراءات وإن كان يعتمد في كثير من الأحيان ما نسب إلى أهل  
البيت من قراءات لا أصل لها ، كما نراه يذكر بعض النكات التي ترجع إلى  
نظم القرآن وأسلوبه ...

وبالجملة ، فهذا التفسير يكشف لنا عن مقدار تعصب صاحبه لمذهبه ،  
وتأثيره بعقيدته الشيعية ، ونزعه الصوفية الفلسفية في فهمه لكتاب الله تعالى ...  
والكتاب مطبوع في جزأين كبيرين ، وموجود بدار الكتب المصرية .

## الإمامية الإسماعيلية (الباطنية)

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

كلمة إجمالية عن الإسماعيلية وعقائدهم وأغراضهم :

قلنا : إن الإسماعيلية من الشيعة الإمامية تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وقلنا : إنهم يلقبون بالباطنية أيضا لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره ، أو لقولهم بالإمام الباطن المستور .

والحق أن هذه الطائفة لا يمكن أن تكون داخلية في عداد طوائف المسلمين . وإنما هي في الأصل جماعة من المجوس رأوا شوكة الإسلام قوية لا تقهر ، وأبصروا عزة المسلمين فتية لا تغلب ولا تكسر ، فاشتعلت بين جوانحهم نار الحقد على الإسلام والمسلمين ، ورأوا أنه لا سبيل لهم إلى الغلب على المسلمين بقوة الحديد والنار ، ولا طاقة لهم بالوقوف أمام جيشهم الزاخر الجرار ، فسلكوا طريق الاحتيال الذي يوصلهم إلى مآربهم وأهوائهم ؛ ليطفئوا نور الله بأفواههم ، وخفي على هؤلاء الملاحدة أن الله متم نوره ولو كره الكافرون .

مؤسسو هذه الطائفة :

ظهرت بوادر هذه الفتنة ، ونبتت نواة هذه الطائفة : زمن المأمون ، وبهد جماعة جمع بينهم سجن العراق ، هم : عبد الله بن ميمون القداح ، وكان مولى جعفر بن محمد الصادق . ومحمد بن الحسين المعروف بذيذان ، وجماعة كانوا يدعون ( الجهار بجة<sup>(١)</sup> ) .

اجتمع هؤلاء نفر ، فوضعوا مذهب الباطنية وأسسوا تواعده ، فلما

---

(١) أي العلماء الأربعة .

خلصوا من السجن ظهرت دعوتهم ، ثم استفحل أمرها ، واستطار خطرها إلى كثير من بلاد المسلمين . وما زالت لها بقية إلى يومنا هذا بين كثير من يدعون الإسلام (١) .

### احتياهم على الوصول إلى أغراضهم :

رأى المؤسسون لمبادئ الباطنية أنه لا طاقة لهم بالوقوف في وجه المسلمين صراحة وجهارا ، فاحتلوا - كما قلنا - على الوصول إلى مآربهم بشتى الحيل ، فاندسوا بين المسلمين باسم الحذب على الإسلام ، وتلفعوا بالثبشيع والموالاتة لأهل البيت ، وتظاهروا بالورع الكاذب ، وجعلوا ذلك كله ستارا لما يريدون أن يبذروه بين المسلمين من بذور الفساد والاضطراب في العقيدة والسياسة .

ومن المحزن أن يدعى هؤلاء الملاحدة: الاتناء إلى أهل بيت النبوة ، ويصلون أنسابهم بأنسابهم عن طريق آباء وأئمة مستورين ، فيلقى هذا الإدعاء رواجاً وقبولاً من أناس ضعفاء أعمار ، غرهم التباكي على آل البيت والتحنن عليهم ، فتحركت أحقاد دفينه ، وثار تفتن دامية بين المسلمين كان لها أثرها وخطرها . أسس هؤلاء الباطنية الجمعيات السرية لنشر مذهبهم وهدم مذهب المسلمين ، ورسموا لهذا المذهب خطة دبروها بنوع من المكر والخديعة ، فجعلوا هدفهم الأول : الاحتيال على الطعام بتأويل الشرائع إلى ما يعود إلى قواعدهم من الإباحة والإلحاد ، وتدرجوا في وصولهم إلى غرضهم هذا بجعلهم الدعوة على مراتب وهي ما يأتي :

### مراتب الدعوة عند الباطنية :

أولاً - الذوق : وهو تفرس حال المدعو ، هل هو قابل للدعوة أولاً ؟ ولذلك منعوا من إلقاء البذر في السبخة . أى دعوى من ليس قابلاً لها ، ومنعوا التكلم في بيت فيه سراج .. أى في موضع فيه فقيه أو متعلم .

ثانياً - التأنيس : باستمالة كل أحد من المدعويين بما يميل إليه بهواه وطبعه ،

(١) انظر الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ والتبصير في الدين ص ٨٣ .

من زهد ، وخلاعة ، وغيرهما . فإن كان يميل إلى زهد زينه في عينه وقبح نقيضه ، وإن كان يميل إلى الخلاعة زينها وقبح نقيضها ، ومن رآه الداعي ما تلا إلى أبي بكر وعمر مدحهما عنده وقال : لهما حظ في تأويل الشريعة ، ولهذا استصحب النبي أبا بكر إلى الغار ، ثم إلى المدينة ، وأفضى إليه في الغار تأويل الشريعة ..... وهكذا حتى يحصل له الأنس به

ثالثا -- التشكيك في أصول الدين وأركان الشريعة : كأن يقول المدعو : مامعنى الحروف المقطعة في أوائل السور ؟ ولم تقضى الحائض الصوم دون الصلاة ؟ ولم يجب الغسل من المنى دون البول ؟ ولم اختلفت الصلوات في عدد ركعاتها فكان بعضها ركعتين ، وبعضها ثلاثا ، وبعضها أربعاً ؟ ..... وحيث يشككون بمثل هذا فلا يجيئون ليتعلق قلب من يشككونه بالرجوع إليهم والأخذ عنهم .

رابعا - الرابط : وهو أمران : أحدهما : أخذ الميثاق على الشخص بأن لا يفشى لهم سرا ، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا<sup>(١)</sup> » ، وقوله : « ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا<sup>(٢)</sup> » ، وثانيهما : حوالة على الإمام في حل ما أشكل عليه من الأمور التي أقيمت إليه ، فإنها لا تعلم إلا من قبل الإمام .

خامسا - التدليس : وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا ليزداد الإقبال على مذهبهم .

سادسا - التأسيس : وهو تهديد مقدمات يراعون فيها حال المدعو لتقع تعاليمهم منه موقع القبول من نفسه .

سابعا - الخلع : وهو الظمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية .

(٢) في الآية (٩١) من سورة النحل .

(١) الآية (٧) من سورة الأحزاب .

ثامنا - السلخ: وهو سلخ المدعو من العقائد الإسلامية ، ثم بعد ذلك  
ياخذون في تأويل الشريعة على ما تشاء أهواؤهم (١) .

فأنت ترى أن الباطنية توسلوا بكل هذه الحيل إلى تشكيك المسلمين في  
عقائدهم ، وكانهم رأوا أن القرآن مادام موجودا بين المسلمين ومحفوظا  
عندهم يرجعون إليه في أمور الدين، ويهتدون بهديه كلما نزلت بهم نازلة ، فليس  
من السهل صرف الناس عنه إلا بواسطة تأويله ، وصرف ألفاظه وآياته عن  
مدلولاتها الظاهرة ، فأخذوا يجدون في تأويل نصوص القرآن كما يحبون .  
وعلى أي وجه يروونه هدماً لتعاليم الإسلام ، الذي أصبح قدى في أعينهم .  
وشجى في حلوقهم !! .

وحرصا منهم على أن تكون دعواهم في تأويل القرآن مقبولة لدى من  
يستخفونه .. قالوا : ( إن الأئمة هم الذين أودعهم الله سره المسكنون ، ودينه  
الخزون ، وكشف لهم بواطن هذه الظواهر ، وأسرار هذه الأمثلة ، وإن الرشد  
والنجاة من الضلال بالرجوع إلى القرآن وأهل البيت ؛ ولذلك قال عليه  
السلام - لما قيل : ومن أين يعرف الحق بعدك ؟ - ألم أترك فيكم القرآن  
وعترتي ؟ ، .. وأراد به أعقابه ، فهم الذين يطلعون على معاني القرآن (٢) ) .  
ولكن احتميل الباطنية بتأويل القرآن على هدم الشريعة لم يلق رواجاً عند  
عقلاء المسلمين ، ولم يجد غباوة في عقول علمائهم الذين نصبوا أنفسهم لحماية  
القرآن من أباطيل المضللين ... وكيف يمكن أن يجد رواجاً عند هؤلاء  
أرغباوة من أولئك وقد علموا وتيقنوا بأن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى  
ظواهرها بغير اعتصام فيه ينقل عن صاحب الشريعة ، ومن غير ضرورة تدعو  
إليه من دليل العقل ، اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ، وسقط به منفعة كلام  
الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق

(١) راجع المواقف ج ٨ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ ، والفرق بين الفرق ص ٢٨٢  
وما بعدها .

(٢) فضائح الباطنية ص ٦ .

به ، والباطن لا يضبط له . بل تتعارض فيه الخواطر ، ويمكن تنزيله على وجوه شتى .

### إنتاج الباطنية في تفسير القرآن الكريم :

ومع أن هؤلاء الباطنية قد اتخذوا من تأويل القرآن بابا للوصول إلى أغراضهم ، فإننا لم نقف لهم على كتب مستقلة في تفسير كتاب الله تعالى ، ولم نسمع أن واحدا منهم كتب تفسيراً جامعاً للقرآن كله ، سورة سورة ، وآية آية ، ولعل السر في ذلك : أنهم لم يستطيعوا أن يتمشوا بعقائدهم مع القرآن آية آية ، ولو أنهم حاولوا ذلك لاصطدموا بعقبات وصعاب لا يستطيعون تذليلها ، ولا يقدرّون على التخلص منها :

وكل الذي وجدناه لهم في تفسير القرآن أو تأويله على الأصح : إنما هو نصوص متفرقة في بطون الكتب ، تعطينا إلى حد ما صورة واضحة ، وفكرة جلية عن موقف هؤلاء القوم من القرآن الكريم ، ومبلغ تهجمهم على القول فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير .

وأرى أن أقسم موقف الباطنية من القرآن الكريم إلى قسمين اثنين :

الأول : موقف الباطنية المتقدمين من القرآن الكريم :

والثاني : موقف الباطنية المتأخرين منه أيضا :

وزيد بالمتقدمين : الذين أسسوا مذهب الباطنية ومن قاربهم في الزمن ، وبالمتأخرين : الباطنية والبهائية . وسنوضح عند الكلام عن الباطنية والبهائية السبب الذي من أجله عددناهم من قبيل الباطنية .

## موقف متقدمى الباطنية

من تفسير القرآن الكريم

علمت أن الغرض الأول الذى تقوم عليه دعوة الباطنية وتتركز فيه : هو العمل على هدم الشرائع عموماً ، وشريعة الإسلام على الخصوص ؟ فكان لزاماً عليهم وقد قاموا بحاربون الإسلام - أن يعملوا معاول الهدم فى ركن الإسلام المبين ، وهو القرآن الكريم ، وقد عجموا معاولهم كلها فلم يجدوا معولاً أصلب ولا أقوى على تنفيذ غرضهم من معول التأويل والميل بالآيات القرآنية إلى غير ما أراد الله .

كتب عبيد الله بن الحسن القيروانى إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنائى رسالة طويلة جاء فيها ( . . . . . وإنى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والإنجيل ، وتدعوهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور ، وإبطال الملائكة فى السماء ، وإبطال الجن فى الأرض ، وأوصيك أن تدعوهم إلى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير ، فإن ذلك عون لك على القول بقدم العالم ) (١) اهـ .

رأى هذا الزعيم الباطنى أن التشكيك فى القرآن خير معوان لهم على تركيز عقائدهم ، ورأى رأيه أهل الباطن جميعاً فقالوا : ( للقرآن ظاهر وباطن ، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر ، والمتمسك بظاهره معذب بالشقشقة فى الكتاب ، وباطنه مؤد إلى ترك العمل بظاهره ، وتمسكوا فى ذلك بقوله تعالى فى الآية ( ١٣ ) من سورة الحديد « ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » (٢) .

(١) الفرق بين الفرق ص ١٨٠ ، وبمثل وهذه العبارة يستدل أبو منصور البغدادى

(٢) المواضع ج ٨ ص ٣٨٨ .

على أنهم دهريون



فانظر إليهم كيف وضعوا هذه القاعدة لفهم نصوص القرآن الكريم ، ثم اعجب ماشاء الله لك أن تعجب من استدلالهم بهذه الآية الكريمة على قاعدتهم التي قعدوها ؛؟ والست أدري ماصلة هذه الآية بتلك القاعدة والآية واردة في شأن من شئون الآخرة ينساق إلى فهمه كل من يمر بالآية بدون كلفه ولا عناء .

من تأويلات الباطنية القدامى :

على هذه القاعدة السابقة جرى القوم في شرحهم لكتاب الله تعالى ، فكان من تأويلاتهم ما يأتي :

( الوضوء ) عبارة عن موالاته الإمام : و ( التيمم ) هو الأخذ من المأذون عند عيبة الإمام الذي هو الحجّة : و ( الصلاة ) عبارة عن الناطق الذي هو الرسول يدلل قوله تعالى في الآية (٤٥) من سورة العنكبوت « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، و ( الغسل ) تجديد العهد بمن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصد ، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى ( الاحتلام ) و ( الزكاة ) عبارة عن تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين . و ( السكبة ) النبي . و ( الباب ) علي . و ( الصفا ) هو النبي : و ( المروة ) علي . و ( الميقات ) الإيناس . و ( التلبية ) إجابته الدعوة . و ( الطواف بالبيت سبعا ) موالاته الأئمة السبعة . و ( الجنة ) راحة الأبدان من التكليف . و ( النار ) مشقتها بزاولة التكليف<sup>(١)</sup> . وتأولوا أنهار الجنة فقالوا ( أنهار من لبن ) أى معادن العلم ... اللبن العلم الباطن ، يرتفع به أهلها ، ويتغذون به تغذياً تدوم به حياتهم اللطيفة ؛ فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم ، كما أن حياة الجسم الكشيف بارتضاع اللبن من ندى الأم . ( وأنهار من خمر ) هو العلم الظاهر . ( وأنهار من عسل مصفى ) هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة<sup>(٢)</sup> .

كذلك تحد الباطنية يرفضون المعجزات ، ولا يعترفون بها للرسول ،

(١) المواضع ج ٨ ص ٣٦٠ :

(٢) فضائح الباطنية للنزالي ص ١٣ :

وينكرون نزول ملائكة من السماء بالوحي من الله ، بل وزادوا على ذلك فأنكروا أن يكون في السماء ملك وفي الأرض شيطان ، وأنكروا آدم والدجال ، ويأجوج وماجوج ، ولكنهم وجدوا أنفسهم أمام آيات من القرآن تكذب دعواهم هذه ، فتخلصوا منها بمبدتهم الذي ساروا عليه في تفسيرهم وهو إنكار الظاهر والأخذ بالباطن ، وأولوا هذه الآيات بما يتفق ومذهبهم ، فتأولوا ( الملائكة ) على دعائهم الذين يدعون إلى بدعتهم . وتأولوا ( الشياطين ) على مخالفهم . وتأولوا كل ما جاء في القرآن من معجزات الأنبياء عليهم السلام ، فقالوا : ( الطوفان ) معناه طوفان العلم . . . أغرق به المتمسكون بالسنة . و ( السفينة ) حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته . و ( نار إبراهيم ) عبارة عن غضب نمرود عليه لا النار الحقيقية . و ( ذبح إسحق ) معناه أخذ العهد عليه . و ( عصا موسى ) حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه لا الخشب ( وانفلاق البحر ) افتراق علم موسى فيهم عن أقسام . و ( البحر ) هو العلم و ( النجم الذي أظلم ) معناه الإمام الذي نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم . و ( الجراد والقمل والضفادع ) هي سوالات موسى والتزاماته التي سلطت عليهم . ( والمن والسلوى ) علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى . و ( تسيح الجبال ) معناه معناه تسيح رجال شداد في الدين راستخين في اليقين . و ( الجن الذين ملكهم سليمان بن داود ) باطنية ذلك الزمان . و ( الشياطين ) هم الظاهرية الذين كلفوا بالأعمال الشاقة . و ( عيسى ) له أب من حيث الظاهر ، وإنما أراد بالآب المنفى : الإمام ، إذ لم يكن له إمام ، بل استفاد العلم من الله بغير واسطة ، وزعموا — لعنهم الله — أن أباه يوسف النجار . و ( كلامه في المهد ) اطلاعه في مهد القالب قبل التخلص منه على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلاص من القالب . و ( إحياء الموتى من عيسى ) معناه الإحياء ب حياة العلم عن موت الجهل بالباطن . و ( إيراؤه الأعمى ) عن عمى الضلالة . و ( الأبرص ) عن برص الكفر يبصيرة الحق المبين . و ( إبليس و آدم ) عبارة عن أبي بكر وعلي ، إذ أمر أبو بكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى وأستكبر . و ( الدجال ) أبو بكر ،

وكان أعورا، إذ لم يصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن و(بأجوج وماجوج) هم أهل الظاهر<sup>(١)</sup>.

بل بالغوا فقالوا : (إن الأنبياء قوم أحبوا الزعامة ، فساسوا العامة بالنواميس والحيل ، طلبا للزعامة بدعوى النبوة والإمامة)<sup>(٢)</sup>.

هذا .. وإن مما زعمته الباطنية : أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله تعالى في الآية (٩٩) من سورة الحجر : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » وحملوا اليقين على معرفة التأويل .

كذلك استحل الباطنية نكاح البنات والأخوات وجميع المحارم ، بحجة أن الأخ أحق بأخته ، والأب أولى بابنته ... وهكذا : ولست أدري على أى وجه تأولوا آية النساء التي حرمت ذلك ، ومنعته منعاً باتاً .

ويقول القيرواني في رسالته التي أرسلها إلى سليمان بن الحسن :  
(.....) وينبغي أن تحيط علماً بمخاريق الأنبياء ومناقضاتهم في أقوالهم ، كعيسى ابن مريم ، قال لليهود : لا أرفع شريعة موسى ؛ ثم رفعها بتحريم الأحد بدلا من السبت ، وأباح العمل في السبت ، وأبدل قبله موسى بخلاف جهتها .. وبذلك قتلته اليهود لما اختلفت كلمته ، ولا تكن كصاحب الأمة المنكوسة حين سألوه عن الروح فقال : « الروح من أمر ربى<sup>(٣)</sup> » ، لما لم يحضره جواب المسألة ، ولا تكن كموسى في دعواه التي لم يكن عليها برهان سوى المخرفة بحسن الحيلة والشعوذة ، ولما لم يجد المحق في زمانه عنده برهاناً قال له . « لئن اتخذت إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين<sup>(٤)</sup> » ، وقال لقومه : « أنا ربكم الأعلى<sup>(٥)</sup> » ، لأنه كان صاحب الزمان في وقته ... ) .

(١) فضائح الباطنية ص ١٣

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٧٩

(٣) في الآية (٨٥) من سورة الإسراء

(٤) الآية (٢٩) من سورة الشعراء

(٥) في الآية (٢٤) من سورة النازعات

ثم قال في آخر هذه الرسالة : ( ..... وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ، ثم يكون له أخت أو بنت حسناء وليس له زوجة في حسنها ، فيحرمها على نفسه وينكحها من أجنبي ، ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحق بأخته ، وبنته من الأجنبي ، ما وجه ذلك إلا أن صاحبهم حرم عليهم الطيبات وخوفهم بغائب لا يعقل ، وهو الإله الذى يزعمونه ، وأخبرهم بكون ما لا يرونه أبداً من البعث من القبور ، والحساب ، والجنة ، والنار ، حتى استعبدتم بذلك عاجلاً وجعلهم له في حياته ، ولذريته بعد وفاته خولاً ، واستباح بذلك أموالهم بقوله « لا أسألكم عليه أجر إلا المودة في القربى » (١) ، فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها ؟ وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج ) .

ثم قال لسليمان بن الحسن في هذه الرسالة : ( ..... وأنت وإخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، وفي هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع أصحاب النواميس ، فهنيئاً لكم ما نلتم من الراحة عن أمرهم اه (٢) ) .

ومن جملة تأويلاتهم الباطلة التى يتوصلون بها إلى هوانهم النفسى ، ومأربهم الشخصى ، أنهم بعد أن يلقوا على المدعو ما يشككونه به ، وتتطلع إلى معرفته من جهتهم نفسه ، يقولون له : لا نظره إلا بتقديم خير عليه ، فيطلبون مائة وتسعة عشر درهماً من السبيكة الخالصة . ويقولون : هذا تأويل قوله تعالى : « وأقرضوا الله قرصاً حسناً » (٣) ، فالحاء والسين والنون والآلاف إذا جمع عددها بحساب الجمل يكون مبلغه مائة وتسعة عشر (٤) .

(١) فى الآية (٣٧) من سورة الشورى :

(٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨١ - ٢٨٢

(٣) فى الآية (٢٠) من سورة المزمل

(٤) التبصير فى الدين ص ٨٧

ومن ذا الذى قال إن القرآن يخضع فى تفسيره وفهم معانيه إلى حساب الجمل؟ .. اللهم إن هذا لا يصدر إلا عن مخرف أو زنديق يريد أن يضل الناس ويحتال على سلب أموالهم بدعوى يدعيها على كتاب الله ..

كذلك نجد الباطنية يحرصون على نفي وجود الإله الحق ، والنبي المرسل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليتوصلوا بذلك إلى رفع التكالييف ، فتراهم يقولون للمتبدىء : ( إن الله خلق الناس واختار منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيستحسن المتبدىء هذا الكلام ، ثم يقول له : أتدرى من محمد؟ فيقول نعم ... محمد رسول الله ، خرج من مكة ، وادعى النبوة ، وأظهر الرسالة ، وعرض المعجزة . فيقول له : ليس هذا الذى تقول إلا كقول هؤلاء الخمير — يعنون به المؤمنين من أهل الإسلام — إنما محمد أنت ، فيستعبد السامع ويقول : لست أنا محمداً ، فيقول له : الله تعالى وصفه فى هذا القرآن فقال : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم<sup>(١)</sup> ، وهؤلاء الخمير يقولون : من مكة ... فيقول له الغر الخمر : على أى معنى تقول أنا محمد؟ فيقول ، خلقك وصورك خلقة محمد ، فالرأس بمنزلة الميم ، واليدان بمنزلة الحاء ، والسرة بمنزلة الميم ، والرجلان بمنزلة الدال ، وكذلك أنت على أيضا ، عينك هى العين ، والألف اللام هى ، والنم الياء<sup>(٢)</sup> .

وبهذا يوهمه أنه هو محمد الذى جاء ذكره فى القرآن ، أما ما يدعى من وجود رسول اسمه محمد ، فهذا ظاهره غير مراد ،

ولأجل أن يوهمه أيضا بأنه لا إله موجود على الحقيقة ، وما جاء فى القرآن من ذلك فظواهر غير مرادة ، نجده يقول للمتبدىء : إن المراد بإثبات الذات يرجع إلى نفسك ، ويؤولون عليه قوله تعالى . فليعبدوا رب هذا البيت<sup>(٣)</sup> ، . ويقولون : الرب هو الروح والبيت هو البدن .

(١) الآية (١٢٨) من سورة التوبة (٢) التبصير فى الدين ص ٨٧—٨٨ .

(٣) الآية (٣) من سورة قريش .

ولقد وصل الغلو ببعض الباطنية إلى ادعاء ألوهية محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق ، وأنه هو الذى كلم موسى بقوله : إني أنا ربك فاخلع نعليك (١) ، وفي هذا يروى لنا البغدادي صاحب الفرق بين الفرق قصة رجل دخل في دعوة الباطنية ، ثم وقفه الله لتركها والرجوع لرشده . . يحكى هذا الرجل قصته للبغدادي فيقول : ( إنهم لما وثقوا بإيمانه قالوا له : إن المسمين بالأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكل من ادعى النبوة : كانوا أصحاب نواه ميس ومخاريق ، أحبوا الزعامة على العامة ، فخدعوهم بنيرانجات ، واستعبدهم بشرائعهم — قال الحماكي للبغدادي . . ثم ناقض الذى كشف لى هذا السر بأن قال : ينبغي أن تعلم أن محمد بن إسماعيل بن جعفر هو الذى نادى موسى بن عمران من الشجرة فقال له : إني أنا ربك فاخلع نعليك ، ثم قال : فقلت : سخنت عينك : تدعوني إلى الكفر برب قديم خالق للعالم ، ثم تدعوني مع ذلك إلى الإقرار برؤية إنسان مخلوق ، وتزعم أنه كان قبل ولادته إلهامرسلا لموسى ؟ فإن كان موسى عندك كاذبا ، فالذى زعمت أنه أرسله أكذب ، فقال : إنك لا تفلح أبدا ، وندم على إفشاء أسرارهِ إلى وتبت من بدعتهم (٢) . اه .

فانظر إليهم — لعنهم الله — كيف يصرفون القرآن عن أن يكون الله هو المتكلم به . ويدعون أنه كلام لإلههم المزعوم محمد بن إسماعيل . . أليس هذا غلوا في الإلحاد ؟ وإغراقا في الكفر والعناد ؟ .

وبين أيدينا كتاب أسرار الباطنية ، وهو يكشف لنا عن نواياهم ، ويفضح أسرارهم وخباياهم . وهو لمحمد بن مالك العماني أحد علماء القرن الخامس الهجري ، ولا أريد أن أطيل على القارىء بذكر ما فيه من مخازى القوم . . ولكن أكتفي بذكر نبذة من الكتاب . ضمنها المصنف ما شهد به بنفسه من ضلالهم وإضلالهم ، وذلك حين أندس بينهم متظاهرا بدخوله في زميرتهم ، ليقف بنفسه على ما بلغه

(١) في الآية (١٢) من سورة طه (٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٨ .

عنهم من أباطيل وأضاليل ، وإنما اخترت هذه النبهة بالذات : لأنها تعطينا  
فكرة واضحة عن مقدار تلاعب الباطنية بكتاب الله تحت ستار التأويل ، وعن  
ملغ استهزائهم بعقول العامة الذين وقعوا فيما نصبوه لهم من الأحابيل !! . . .  
مقالة محمد بن مالك اليماني في الباطنية :

يقول محمد بن مالك اليماني : ( أول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين  
وأوضحه ، أن له - يريد على بن محمد الصليحي زعيم باطنية العين في وقته -  
نوياً يسميهم الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين ، تشبيهاً لهم بكلاب  
الصيد ؛ لأنهم ينصبون للناس الحباطل ، ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن  
كل عاقل ، ويلبسون على كل جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل ، ويحضونه  
على شرائع الإسلام ، من الصلاة والزكاة والصيام ، كالذي ينثر الحب للطير  
ليقع في شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمعنون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون  
أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم محرقة ، وأقوال مزخرفة ،  
ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، فإذا  
رأوا منه الانهماك والركون والقبول والإعجاب بجميع ما يعلبونه ، والانقياد  
بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : أكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ولا تقنع بما قنع  
به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه ، واعرف مثله وبمثوله ، واعرف  
معاني الصلاة والطهارة ، وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بالرموز والإشارة ،  
دون التصريح في ذلك والعبارة ، فإنما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة ،  
لممثولات محجوبة ، فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ،  
فإن العمل بغير علم لا ينتفع به صاحبه . فيقول : عم أسأل ؟ فيقول : قال الله تعالى  
« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » (١) ، فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك  
الصلاة ، من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضاً فالصلاة  
والزكاة لها باطن لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان ،  
والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر إلا وله باطن ، يدل على ذلك :

(١) في الآية (٤٣) من سورة البقرة وفي مواضع أخرى من القرآن .

«وذروا ظاهر الإثم وباطنه»<sup>(١)</sup> ، و «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن»<sup>(٢)</sup> ، ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن؟ فالظاهر ما تساوى به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس به عن العلم به ، فلا يعرفه إلا القليل ، من ذلك قوله «وما آمن معه إلا قليل»<sup>(٣)</sup> ، وقوله «وقليل ما هم»<sup>(٤)</sup> ، وقوله «وقليل من عبادى الشكور»<sup>(٥)</sup> ، فالأقل من الأكثر الذين لا عقول لهم .  
 و ( الصلاة ) و ( الزكاة ) سبعة<sup>(٦)</sup> أحرف دليل على محمد وعلى صلى الله عليهما ؛ لأنهما سبعة أحرف ، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلى ، فمن تولاهما فقد أقام الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقع هذا من ذلك المخدوع بموقع الاتفاق والموافقة ؛ لأن مذهب الراحة والإباحة يريجهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله ، فإذا قبل منهم ذلك المغرور هذا قالوا له : قرب قربانا يكون لك سلماً ونجوى ، ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك هذا الإصر ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيقول ذلك الداعى : يا مولانا . . . إن عيدك فلانا قد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة وضع عنه هذا الإصر ، وهذا نجواه اثنا عشر ديناراً ، فيقول : أشهدوا أنى قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له : « ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم »<sup>(٧)</sup> فعند ذلك يقبل إليه أهل هذه الدعوة ويهنتونه ويقولون : الحمد لله الذى وضع عنك « وزرك الذى أنقض ظهرك »<sup>(٨)</sup> . . .

(١) فى الآية (١٢٠) من سورة الأنعام .

(٢) فى الآية (٣٣) من سورة الأعراف .

(٣) فى الآية (٤٠) من سورة هود

(٤) فى الآية (٢٤) من سورة ص

(٥) فى الآية (١٣) من سورة سبأ

(٦) لعله عدما سبعة بحذف إحدى الألفين لتكرارها فى الكلمتين .

(٧) فى الآيات (١٥٧) من سورة الأعراف

(٨) فى الآية (٣) من سورة الإنشراح



ثم يقول له ذلك الداعى -- الملعون -- بعد مدة : قد عرفت الصلاة وهى أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله إلى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم أسأل ؟ فيقول له : سل عن الخمر والميسر الذين نهى الله تعالى عنهما أبا بكر وعمر لمخالفتهما على على ، وأخذها بالخلافة دونه ، فأما ما يعمل من العنب والزبيب والخنطة وغير ذلك فليس بحرام ؛ لأنه مما أنبتت الأرض ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق »<sup>(١)</sup> ، إلى آخر الآية . ويتلو عليه : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا »<sup>(٢)</sup> ، إلى آخر الآية ، والصوم : السكتان ، فيتلو عليه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه »<sup>(٣)</sup> ، يريد سكتان الأئمة فى وقت استتارهم خوفاً من الظالمين ، ويتلو عليه : « إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسياً »<sup>(٤)</sup> ، فلو كان عنى بالصيام ترك الطعام لقال : فلن أطعم اليوم شيئاً ، فدل على أن الصيام الصموت ، فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغياناً وكفراً ، وينهمك إلى قول ذلك الداعى الملعون : لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء . . ثم يقول له : ادفع التجوى تكن لك سلماً ووسيلة حتى نسال مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثنى عشر ديناراً ، فيمضى به إليه فيقول : يامولانا عبدك فلان . قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأج له الأكل فى رمضان ، فيقول له : قد وثقت وأمنت على سرائرنا ؟ فيقول له : نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك ، ثم يقيم بعد ذلك مدة ، فيأنيه ذلك الداعى الملعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هى ، ومعنى الجنابة ما هى فى التأويل ، فيقول له : فسرى ذلك ، فيقول له : اعلم أن معنى الطهارة طهارة القلب . وأن المؤمن طاهر بذاته ، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره ، وأن الجنابة هى موالاته الأضداد أضداد الأنبياء والأئمة ، فأما المنى فلبس بنجس ؛ منه خلق الله الأنبياء ،

(١) فى الآية (٣٢) من سورة الأعراف .

(٢) فى الآية (٩٣) من سورة المائدة .

(٣) فى الآية (١٨٥) من سورة البقرة .

(٤) فى الآية (٢٦) من سورة مريم .

والأولياء، وأهل طاعته ، وكيف يكون نجساً وهو مبدأ خلق الإنسان ، وعليه يكون أساس البنيان ؟ فلو كان التطهير منه من أمر الدين لسكان الغسل من الغائط والبول أوجب ؛ لأنهما نجسان، وإنما معنى وإن كنتم جنباً فاطهروا، (١) معناه : وإن كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذى هو حياة الأرواح ، كالماء الذى هو حياة الأبدان ، قال تعالى : وجعلنا من الماء كل شيء حى (٢) ، وقوله : فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق (٣) ، فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعى أن يدفع اثني عشر ديناراً ، ويقول : يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة وهذا قربانه إليك ، فيقول : اشهدوا أنى قد حللت له تراك الغسل من الجنابة ، ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعى الملعون : قد عرفت أربع درجات ، وبق عليك الخامسة ، فاكشف عنها ؛ فإنها منتهى أمرك وغاية سعادتك ، ويتلو عليه د فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (٤) ، فيقول له : ألهمنى إياها ودلنى عليها ، فيتلو عليه ولقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (٥) ، ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة فى الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لى ذلك ؟ فيتلو عليه : وإن لنا للآخرة والأولى (٦) ، ويتلو عليه ( قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ) (٧) والزينة ههنا : ما خفى على الناس من أسرار النساء التى لا يطلع عليها إلا المخصوصون

(١) فى الآية (٦) من سورة المائدة

(٢) فى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء

(٣) الآيتان ( ٥ ، ٦ ) من سورة الطارق

(٤) فى الآية (١٧) من سورة السجدة

(٥) الآية (٢٢) من سورة ق .

(٦) الآية (١٣) من سورة الليل

(٧) فى الآية (٣٢) . من سورة الأعراف

بذلك ، وذلك قوله « ولا يبيدين زيتهن إلا لبعولتهن »<sup>(١)</sup> ، والزينة مستورة غير مشهورة ، ثم يتلو عليه « وحوور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون »<sup>(٢)</sup> ، فن لم ينل الجنة في الدنيا لم ينلها في الآخرة ؛ لأن الجنة مخصوص بها ذوو الأبواب ، وأهل العقول دون الجهال ؛ لأن المستحسن من الأشياء ما خفى ؛ ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة ، وسميت الجن جنا لاختفائهم عن الناس ، والجنة المقبرة لأنها تستمر فيها ، والترس الجن لأنه يستتر به ، فالجنة هاهنا : ما استتر عن هذا الخلق المنكوس الذين لا علم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكاً ، ويقول لذلك الداعى الملعون . تلطاف في حالى ، وبلغنى إلى ما شوقتنى إليه ، فيقول : ادفع النجوى اثني عشر ديناراً تكون لك قرباناً وسلاماً ، فيمضى به فيقول : يا مولانا . . . إن عبدك فلانا قد صحت سريرته ، وصفت خبرته وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الأحكام ، وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقت وأمنت ، فيقول : يا مولانا قد وثقت وأمنت وخبرته فوجدته على الحق صابراً ، ولأنعمك شاكرأ ، فيقول : علمنا صعب مستصعب لا يحمله إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو عبد امتحن الله قلبه بالإيمان ، فإذا صح عندك حاله فاذهب به إلى زوجتك فاجمع بينه وبينها ، فيقول : سمعنا وطاعة لله ولمولانا ، فيمضى به إلى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى إذا كان الصباح قرع عليهما الباب وقال : قوما قبل أن يعلم نبأنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكر ذلك المخدوع ويدعوه ، فيقول له : ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا ، فإذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد إلا بات مع زوجته كما فعل ذلك الداعى الملعون ، ثم يقول له : لا بد لك أن تشهد هذا المشهد الأعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثني عشر ديناراً ويصل به ويقول : يا مولانا . . . إن عبدك فلانا يريد أن يشهد المشهد الأعظم ، وهذا قربانه ، حتى إذا جن الليل ، ودارت الكواكب وحيت الرءوس ، وطابت النفوس ، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة

(١) في الآية (٣١) من سورة النور .

(٢) الآيتان (٢٢ ، ٢٣) من سورة الواقعة .

حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفئوا السراج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ، ثم يأمر المقتدى زوجته أن تفعل كفعل الداعى الملعون وجميع المسيحيين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له ، فيقول له : ليس هذا من فضلى ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه على ما أطلق من وثاقكم ، ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آساركم ، ووضع عنكم أنقالكم ، وأحل لكم بعض الذى حرم عليكم جبالكم . وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم (١) .

قال محمد بن مالك - رحمه الله تعالى - هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم ، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى على شهيد بجميع ما ذكرته مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد على بجميع ما ذكرته عالم به ، ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين ، والملائكة ، والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم ، وأعد له جهنم وساءت مصيرا ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته إلى حول الشيطان وقوته . . . . . (٢) اهـ .

وبعد . . . ألسنت ترى معنى أن تأويلهم للقرآن تأويل فاسد لا يقوم على أساس ولا يستند إلى برهان ، وإنما هي أوهام وأباطيل ، غرروا بها ضعاف العقول ليسلخوهم من الدين ، وليدخلوهم في زمرة الملحدين وحزب الشياطين ؟ أعتقد ذلك ، وأظن أن سؤالا يدور بخلد القارىء هو : كيف نجزم بنسبة هذه التأويلات كلها إلى الباطنية مع وجود التناقض والاختلاف بين بعض المعانى التى نقلت عنهم للفظ الواحد ؟ أليس هذا دليلا على عدم صحة كل ما ينسب إليهم ؟ . . . والحق أن السؤال وارد ، ولكنه مدفوع بما ذكره الغزالي من أن سر هذا الاضطراب راجع إلى أنهم كانوا لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد ، بل غرضهم الاستتباع والاحتتيال ، فلذلك تختلف كلماتهم ، ويتفاوت نقل المذهب عنهم (٣) .

(١) الآية (٣٥) من سورة فصلت . (٢) كشف أسرار الباطنية ص ١١-١٦ .

(٣) فضأح الباطنية ص ٨ .

## موقف متأخرى الباطنية من تفسير القرآن الكريم

تمهيد : في بيان انتشار الباطنية في البلاد الآن وتعدد ألقابهم :

قلنا إن الباطنية يعرفون بأسماء عدة ، وقلنا إنه لا تزال منهم بقية إلى يومنا هذا في كثير من بلاد المسلمين ، والآن أزيدك على ما تقدم أن الباطنية يوجدون بالهند ، ويعرفون بالبهرة أو الإسماعيلية ، وزعيمهم أغا خان الزعيم الإسماعيلي المعروف . ويوجدون في بلاد الأكراد ويعرفون ( بالعلوية ) حيث يقولون : على هو الله . ويوجدون في تركيا ويعرفون ( بالسكداشية ) وفي مصر جماعة من السكداشية من أصل الباني يقيمون في الجبل المعروف بالمغاوري<sup>(١)</sup> . ويوجدون في بلاد العجم ويعرفون ( بالبائية ) . ويوجدون في فلسطين ويعرفون ( بالبائية ) ومنهم جماعات في بلاد متفرقة<sup>(٢)</sup> ، وتوجد بالهند فرقة أخرى من الباطنية هي القاديانية ، وهي أحدث فرقة عهداً ، وأقربها ظهوراً .

هذه الفرق التي تنتشر بين المسلمين إلى اليوم لا بد أن يكون لكل منها رأى في التأويل الباطني للقرآن الكريم ، يتفق مع مبدئها ومشرها .

ولا بد أن يكون لعلمائها تأويلات قرآنية يميلون بها نحو مذاهبهم وعقائدهم . غير أننا لم نقف على شيء من ذلك ، اللهم إلا شيئاً يسيراً للبائية والبائية . .

---

(١) لما قامت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ طردت جماعة السكداشية من مصر وذلك لما ظهر من فساد حالهم وسوء فعالهم .

(٢) ومن محاسن ثورة ٢٣ يوليو سنة ٥٢ ، طرد البهائيين من مصر ، والاستيلاء على مركزهم العام ، وتحويله إلى جميعه المحافظه على القرآن الكريم ، وقد تم ذلك في حفل عام سنة ١٩٦١ م .

لهذا قصرنا كلامنا على هذه الطائفة (١) وموقفها من كتاب الله تعالى ، لأن ما وصلنا عنها - وإن قل - فهو يعطينا فكرة ولو إلى حد ما عن موقفها من تفسير القرآن الكريم .

واعتمادنا في كل ما نكتب : على بعض الكتب التي وصلتنا عنهم ، وعلى ما نشر في المجلات العلمية من البحوث التي تدور حولهم ، فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) الباية والبهائية في واقع الأمر طائفة واحدة ، نسبت إلى الباب زعيمها الأول فقيل لها باية ، ثم نسبت إلى البهاء زعيمها الثاني ، فقيل لها بهائية كما هو موضح بمد .

## البابية والبهائية

كلمة إجمالية عن نشأة البابية والبهائية :

### البابية :

نسبة إلى الباب ، وهو لقب ميرزا علي محمد ، الذي ابتدع هذه النحلة ، وإليه تنسب هذه الطائفة ؛ باعتباره المؤسس الأول لها .

### والبهائية :

نسبة إلى بهاء الله ، وهو لقب ميرزا حسين علي ، الزعيم الثاني للبابية ، وإليه تنسب هذه الطائفة ؛ باعتباره المؤسس الثاني لها .

وأصل نشأة هذه الطائفة : أن ميرزا علي محمد ، الملقب بالباب ، والمولود في سنة ١٢٣٥ هجرية ، توفي عنه والده ميرزا محمد رضا قبل فطامه ، فرنى في حجر خاله ميرزا سيد علي ، ونشأ معه في مدينة شيراز بجنوب إيران ، واشتغل معه بالتجارة ، ولما بلغ سنه الخامسة والعشرين ادعى أنه الباب - والباب عند الشيعة معناه نائب المهدي المنتظر - وكان ادعاؤه هذا في سنة ١٢٦٠ هجرية ، وما لبث أن وصلت هذه الدعوة إلى طائفة من الجاهلين فصدقوا بها ، وتتابعوا عليها ، وكان عدد من صدقه في أول الأمر ثمانية عشر رجلا ، فسامهم بكلمة ( حى ) لأن عدد حروفها بحسب الجمل ثمانية عشر ، ثم أمر أتباعه هؤلاء بالانتشار في إيران وبلاد العراق ؛ يبشرون به وبدعوته ، وأوصاهم بكتمان اسمه حتى يظهره هو بنفسه . ولما حج وفرغ من أعمال الحج أعلن دعوته في المجمع الكبير فاشتهر اسمه ، وذاعت دعوته ، فثارت عليه طوائف المسلمين ، وقاموا في سبيل دعوته يحاربونها بكل الوسائل .

وقد عقد بعض الولاة بين العلماء وبين الباب مناظرات أظهرت ما في دعوته من غواية وضلال ، فكفّره بعض العلماء ، ورماه بعض آخر منهم بالجنون ، فاعتقله الوالى في سجن شيراز ، ثم في سجن أصهبان ، ثم في طهران ، ثم في أذربيجان .

وفي عهد السلطان ناصر الدين شاه اشتدت الخصومة بين البايين ومخالفهم ، وقامت بينهم حرب طاحنة كان من نتائجها أن أمر الصدر الأعظم بقتل الباب ، فعلق في ميدان مدينة تبريز ، وقتل رميا بالرصاص ، وذلك في سنة ١٢٦٥ هجرية . وبعد قتله اختلف أتباعه على أنفسهم في شأن من ينوب عنه ، وظهرت من بعض أتباعه دعاوى مختلفة ، من قبيل النبوة ، والوصاية ، والولاية . وأمثالها . وظلوا على هذا الأمر إلى أن حاول بعضهم اغتيال ناصر الدين شاه سنة ١٢٦٨ هجرية انتقاما لزعيمهم الباب ، ولما خاب سعيهم وفشلوا في هذه المؤامرة ، أخذت الحكومة تضطهد زعماء البايين ، وتسوقهم إلى التحقيق ، فقتل من قتل ، ونفى من نفى ، وكان من بين زعمائهم في هذا الوقت - وقت الاضطهاد - ميرزا حسين علي الملقب فيما بعد بـ ( بهاء الله ) .

### ( بهاء الله )

ولد بهاء الله سنة ١٢٣٣ هجرية . وكان ابنه ميرزا عباس من كبار وزراء الدولة في وقته ، فلما قام الباب واشتهر أمره صدقه بهاء الله ، فاشتد به أذى البايين وكثرت جماعتهم ، ولما حدثت حادثة سنة ١٢٦٨ هجرية ، وهي محاولة اغتيال ناصر الدين شاه ، قبض على بهاء الله وسجن نحو أربعة أشهر ، ثم أفرج عنه وأبعد إلى العراق ، فدخل بغداد سنة ١٢٦٩ هجرية ، ومكث بها اثني عشر عاما ، يدعو الناس إلى نفسه ، ويزعم أنه هو الموعود به الذي أخبر عنه الباب ، وكان يشير إليه بلفظ ( من يظهره الله ) وهناك تجمع حوله بعض أتباعه الذين لحقوا به من البايين ، وتسموا حينئذ بالبهايين ، ووقعت بينهم وبين شيعة العراق فتنة كادت تفضي إلى قيام حرب أهلية بين الفريقين ، فقررت الحكومة العثمانية في ذلك الوقت إرسال بهاء الله إلى الآستانة ، فأرسل إليها ومكث بها نحو من أربعة أشهر ، ثم نفى إلى أدرنة<sup>(١)</sup> ومكث بها نحو من خمس سنوات ، ثم نفى

(١) وقع بين أتباع البهاء وأتباع أخيه يحيى الملقب بصيح أزل - وكان ممن رفض دعوى أخيه . وأتباعه يمرقون بالأزلية - فتنة في أدرنة ، فأمرت الحكومة العثمانية بإبعاد الفريقين من أدرنة فنفت البهاء وأتباعه إلى عكا ، ونفت يحيى وأتباعه إلى قبرص .



منها إلى عكة من بلاد الشام سنة ١٢٨٥ هجرية، وبقى بها إلى أن مات سنة ١٣٠٩ هجرية ، فتولى رئاسة الطائفة ابنه عباس المولود سنة ١٨٤٤ م والمتوفى سنة ١٩٢١ م والملقب ، ( عبد البهاء ) فأخذ يدعو إلى هذا المذهب ، ويتصرف فيه كيف يشاء ، فلم يرض هذا الصنيع أتباع البهاء فانشقوا عليه ، والتف فريق منهم حول أخيه الميرزا علي ، وألفوا كتباً في الطعن على عبد البهاء يتهمون فيه بالمروق من دين البهاء . (١)

### الصلة بين عقائد البائية وعقائد الباطنية القدامى :

بالرغم من أن هذه الفرقة لم تظهر إلا قريبا ، فإننا نجد لها ليست بالفرقة الحديثة في عقائدها وتعاليمها ، بل هي في الحقيقة ونفس الأمر وليدة من ولائد الباطنية ، تغذت من ديانات قديمة ، وآراء فلسفية ، وزعات سياسية . ثم درجت تحذو حذو الباطنية الأول ، وترسم خطاهم في كل شيء ، وتهذى في كتاب الله ، فتأولته بمثل ما تأولوه : لتصرف عنه قلوبا تعلقت به ونفوسا اطمانت إليه .

والذي يقرأ تاريخ الباطنية الأول ، ويطلع على ما في كتبهم من خرافات وأباطيل ، ثم يقرأ تاريخ البائية والبهائية ، ويطلع على ما في كتبهم من خرافات وأباطيل ، لا يسعه إلا أن يحكم بأن روح الباطنية حلت في جسم ميرزا علي ، وميرزا حسين علي ، فخرجت للناس أخيراً باسم البائية والبهائية .

تقوم دعوة قدماء الباطنية على إبطال الشريعة الإسلامية ، وينفذون إلى عقول العامة بإظهارهم الحب والتشيع ، بل والاتساق إلى آل البيت ، ثم يصلون إلى أهوائهم وآراءهم بصرفهم القرآن إلى معان باطنية لا يقبلها العقل ، ولا تمت إلى الدين بسبب ، وعلى هذا الأساس قامت دعوة البائية والبهائية ، وبمثل هذه الوسيلة وصلوا إلى أغراضهم وأهوائهم ، وإليك ما يوضح ذلك :

(١) لخصنا هذا البحث التاريخي من مقال لأبي الفضائل الإيراني منشور بمجلة المتكطف الجزء التاسع ، السنة العشرين . ومن مقال السيد محمد الخضر حسين منشور بمجلة نور الاسلام ( مجلة الأزهر فيما بعد ) المدد الخامس من السنة الأولى .  
(١٧ - تفسير والمفسرون )

أولاً : في الباطنية من يدعى النبوة لنفسه أو يدعيها لغيره ، وميرزا علي الملقب بالباب يدعى أنه رسول للناس من قبل الله تعالى ، وله كتاب اسمه (البيان) ادعى أنه منزل عليه من عند الله تعالى . وقد جاء في رسالة بعث بها الباب إلى العلامة الآلوسى صاحب التفسير المعروف ، يدعو فيها إلى الإيمان به ، ( إننى أنا عبد الله ، قد بعثنى بالهدى من عنده ) وسمى في هذه الرسالة مذهبه دين الله فقال : ( ومن لم يدخل في دين الله ، مثله كمثل الذين لم يدخلوا في الإسلام ) (١) . ولا نعلم ماذا أجاب به الآلوسى على هذه الرسالة ، وإن كنا نعلم رأيه في هذه الطائفة عند ما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية ( ٤٠ ) من سورة الأحزاب « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » ، وذلك حيث يقول : ( وقد ظهر في هذا العصر عصاة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية ، لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر معتقدها كل من انتظم في سلك ذوى العقول ، وقد كاد يتمكن عرقهم من العراق لولا همة واليه النجيب الذى وقع على همته وديانته الانفاق ، حيث خذلهم - نصره الله - وشتت شملهم ، وغضب عليهم - رضى الله تعالى عنه - وأفسد عملهم . فجزاه الله تعالى عن الإسلام خيراً ، ودفع عنه في الدارين ضيماً وضيراً (٢) .

وكذلك ادعى زعيمهم الثانى الملقب بيهاء الله : أنه رسول من عند الله ، جاء لتأسيس الإسلام على الأرض ، وبين أيدينا كتاب بهاء الله ، ويطلق عليه اسم (الكتاب) قرأنا فيه فوجدناه يقول :

( لعمر الله إن البهاء ما نطق عن الهوى ، قد أنطقه الذى أنطق الأشياء بذكره وثنائه ، لا إله إلا هو الفرد الواحد المقندر المختار (٣) .

( لعمرى ما أظهرت نفسى ، بل الله أظهرنى كيف أراد ، إنى كنت كأحد من العباد ، وراقداً على المهاد ، مرت على نسائم السبجان ، وعلبنى علم ما كان .

(١) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ٩٨

(٢) روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٩

(٣) الكتاب ص ٧

ليس هذا من عندي بل من لدن عزيز عليم . وأمرني بالنداء بين الأرض والسماء ، بذلك ورد على ما ذرفت به دموع العارفين . ما قرأت ما عند الناس من العلم ، وما دخلت المدارس ، فاسأل المدينة التي كنت فيها لتوقن بأنى لست من الكاذبين<sup>(١)</sup> .

(قل قد أنى المختار ، فى ظل الأنوار ، ليحيى الأكوان ، من نفحات اسمه الرحمن ، ويتحد العالم ، ويجتمعوا على هذه المائدة التى نزلت من السماء<sup>(٢)</sup>) .

ويرى الباب أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية ، فابتدع لاتباعه أحكاما خالف بها ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، فجعل الصوم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها ، وعين لهذه الأيام وقت الاعتدال الربيعى . بحيث يكون عيد الفطر عندهم يوم (النيروز) على الدوام ، وفى كتاب البيان (.....) أيام معدودات . وقد جعلنا النيروز عبداً لكم بعد إكمالها<sup>(٣)</sup> .

كذلك يرى بهاء الله أن شريعته ناسخة للشريعة الإسلامية : ويقرر ذلك فى كتابه فيقول (لو كان القديم هو المختار عنكم ، لما تركتم ما شرع فى الإنجيل؟ بينوا يا قوم .. لعمري ليس لكم اليوم من محيص . إن كان هذا جرى فقد سبقنى فى ذلك محمد رسول الله ، ومن قبله الروح ، ومن قبله الكليم . وإن كان ذنبى إعلاء كلمة الله وإظهار أمره ، فأنا أول المذنبين . لا أبدل هذا الدين بملكوت السموات والأرضين<sup>(٤)</sup>) .

وقرر البهاء أن الدين قسمان . عملى وروحانى ، فالقسم الروحانى وهو مظاهر الألوهية والنبوة ، غير قابل للتبديل . والقسم العملى ، وهو المتعلق بالصور والأشكال الخارجية ، قابل للتغيير . وعلى هذا المبدأ جعل لاتباعه الصلاة تسع ركعات فى اليوم واللييلة ، وجعل قبلتهم فى الصلاة أين يكون هو . ١١ . وفى هذا

(١) المرجع السابق ص ٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

(٣) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ٩٩ .

(٤) كتاب بهاء الله ص ٣٩ .

يقول : ( إذا أرتم الصلاة فولوا وجوهكم شطرى الأقدس<sup>(١)</sup> ) وسوى بين الرجل والمرأة فى الحقوق الشرعية والسياسية ، وقرر عقوبات مالية للزنى والسرقه وغيرهما ، ومنع التبرى ، وحرّم الزواج بأكثر من واحدة ، وقيد لهم الطلاق وصعبه . وحجته فى هذا كله : أن جميع الأديان أضحت لا تصلح لإصلاح العالم . فلا بد من دين جديد يوافق هذا العصر . . عصر التقدم المادى العظيم . وهذا الدين الذى جاء به هو الذى يصلح فى نظره لمسيرة هذا العصر دون غيره<sup>(٢)</sup> .

ثانياً : منع الحسن بن الصباح وغيره من زعماء الباطنية ، العوام من دراسة العلوم ، والخواص من النظر فى الكتب المتقدمة . وفعل الباب مثل ذلك فحرم فى كتابه (البيان) التعليم وقراءة كتب غير كتبه ، فكان من وراء ذلك أن حرق أتباعه القرآن الكريم ، وما فى أيديهم من كتب العلم . . . . ولكن بهاء الله أدرك أن هذا التججير قد يصرف بعض الناس عن دعوته ، فنسخ ذلك التججير ، وذلك حيث يقول فى كتابه المسمى بـ ( الأقدس ) ( قد عفا الله عنكم ما نزل فى البيان من محو الكتب ، وأذنا بكم بأن تقرأوا من العلوم ما ينفعكم<sup>(٣)</sup> ) .

ثالثاً : من الباطنية من يدعى حلول الإله فى بعض الأشخاص ، كالتقراطه الذين يدعون حلول الإله فى إمامهم محمد بن إسماعيل . ونجد مثل هذه الدعوى متجلية فى بعض مقالات البابية ، فهذا بهاء الله يقول فى الكتاب ( لنا مع الله حالات نحن فيها هو ، وهو نحن ، ونحن نحن<sup>(٤)</sup> ) وهذا عباس الملقب بعبدالبهاء يقول : ( وقد أخبرنا بهاء الله بأن مجىء رب الجنود والاب الأزلى ، ومخلص العالم الذى لا بد منه فى آخر الزمان ، كما أنذر جميع الأنبياء ، عبارة عن تجليه فى

(١) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ٩٩

(٢) انظر مقال أبى الفضائل فى المقتطف المدد التاسع من السنة العشرين ، وانظر

المحاضرة التى ألقاها عبد العزيز نصحى عن البهائين بدار جمعية الهداية الاسلاميه .

(٣) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ١٠٠ .

(٤) الكتاب ص ٣٣ .

الهيكل البشرى ، كما تجلى في هيكل عيسى الناصرى ، إلا أن تجليه في هذه المرة أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وغيره من الأنبياء هيثوا الأفتدة والقلوب لاستعداد هذا التجلى الأعظم<sup>(١)</sup> يريد بهذا : أن الله تجلى فيه بأعظم من تجليه في أجسام الأنبياء على ما يزعم . وهذا أبو الفضل الإيراني أحد دعائهم يقول : ( ..... فكل ما توصف به ذات الله ويضاف ويسند إلى الله من العزة ، والعظمة ، والقدرة والعلم ، والحكمة ، والإرادة ، والمشية . وغيرها من الأوصاف ، إنما يرجع بالحقيقة إلى مظاهر أمره ، وهطالع نوره ، ومهابط وحيه ، ومواقع ظهوره<sup>(٢)</sup> ) ومثل هذا كثير في كلام زعمائهم ودعائهم .

رابعاً : يدعى الباطنية رجوع الإمام المعصوم بعد استناره ، ويحصرون مدارك الحق في أقواله . والبهائية يقولون هذا القول ويثبتونه في كتبهم .

يقول بهاء الله في الكتاب ( يسند القائم ظهره إلى الحرم ، ويمد يده المباركة ، فترى بيضاء من غير سوء ، ويقول : هذه يد الله ، ويمين الله ، وعين الله ، وبأمر الله . أنا الذى لا يقع عليه اسم ولا صفة ، ظاهرى لإمامة ، وباطنى غيب لا يدرك<sup>(٣)</sup> ) .

وقد عرفت أن البائية والبهائية يعبرون عن الإمام المعصوم بمن سيظهره الله ، ويزعمون أنه هو الذى يعرف تأويل ما جاءت به الرسل عليهم السلام .

خامساً : من مبادئ قدماء الباطنية التفرد . وعلى هذا المبدأ منعوا التكلم بأرائهم في بيت فيه سراج أى فقيه أو متعلم . والبهائية يسرون على هذا المبدأ وإليك ما ثبت ذلك .

أرسل إلى أبى الفضائل الإيراني بعض إخوانه كتاباً يرجوه فيه أن يرد على مقال كتبه جرجس صال الإنجليزي بإمضاء هاشم الشامى ، والمقال يتضمن

(١) رسائل الإصلاح ج ٢ ص ١٠٠ .

(٢) المرجع نفسه (٣) الكتاب ص ٨٣ .

توجيه الاعتراضات على فصاحة القرآن الكريم ، فاعتذر أبو الفضائل عن ذلك في رسالة أرسل بها إلى صاحبه يقول فيها :

( . . . . . ) إن هناك موانع جمّة ، أعظمها وأشدّها مانع كبير لا يستسهل العاقل تدليل صعوباته ، ولا يتسنى التنبه متن صعوباته ، حيث إن قلوب الذين اكتفوا من الإسلام باسمه ، ومن القرآن برسمه ، تغذت في مدة مديدة ، وأزمنة غير وجيزة بقشور المطالب ، وألفت سفاسف المسائل حتى بعدت عن لباب الكتاب ، وجهلت حقيقة معاني الخطاب ، فلو كشفنا عن حقائق الإشارات ، وأظهرنا المعاني المقصودة من ظواهر العبارات ، فطلعت صور الحقائق المقصورة في قصر الآيات ، وتملكت وجوه المعاني المستورة في خدور الإستعارات ، لندفع تلك الردود والاعتراضات ، ونظهر بطلان تلك الإيرادات والانتقادات ، ثور أولاً أحقاد جهلائنا ، ويرتفع نعيب سفهائنا ، وينادون بالويل والثبور ، ويثيرون الأحقاد الكامنة في الصدور . . . ) ثم يقول لصاحبه في آخر الرسالة ( . . . ) لتعلم حق العلم أني مانسيت ولم أكره صفة من صفاتك ، ولا خلة من خلالها ، ولكن - والحق يقال - إنك نسيت وصية روح الله الواردة في سفر متي « لا تلقوا جواهركم تحت أرجل الخنازير ، حيث تجاهر بجواهر الأسرار ومعالي المعاني ، عند من لا يستحق أن تخاطبه وتلاطفه ، وتجالسه وتؤانسه ، فكيف أنه يكون مستودع الحكمة الإلهية ، والأسرار الربانية ، فتمسك بالحكمة ، وكن على جانب عظيم من الفطنة (١) » .

ويقول في رسالة أرسلها إلى الشيخ فرح الله زكي الكردي أحد أتباعهم في مصر ( . . . . . ) واعلم يا حبيبي أنه سيدخل عليكم كثيرون ، ويتظاهرون بنوايا المتفحص الباحث ، ويظهرون السلم والوفاق ، وهم أهل النفاق وأصل الشقاق ، ومقصودهم معرفة أهل الإيمان ، واضطهاد أصحاب الإيقان ، كما تصرح وتنادى آي الفرقان : منها قوله تعالى : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب

بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . . . إلى آخر الآيات (١) ، فتحكم الآية المباركة أنه لا بد من دخول أهل النفاق على أصحاب الوفاق ، للاستطلاع والاستراق ، فلا يغرنك تحببهم وترفقهم ، ولا يخدعنك ملايقتهم وتملقهم ، فإن التهور والتعجيل يوجب الندم والافتضاح ، والتروى يكفل النجاح والفلاح . ومن الحكم المأثورة ( العجلة من الشيطان ، والتأني من الرحمن (٢) ) .

من كل ما تقدم يظهر لنا بوضوح : أن البابية والبهائية ليسوا أصحاب نخلة جديدة في تعاليمها ومعتقداتها ، وإنما هم قوم من أهل الباطن يريدون الكيد للإسلام باسم الإصلاح الديني ، وسيظهر لك من تأويلاتهم للقرآن - علاوة على ما سبق - أنهم ينهجون نهج الباطنية الأول ، ويترسمون خطاهم في تحريفهم لكتاب الله ، والبحث بآياته ١١ .

---

(١) الآيات ( ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ) من سورة الحديد .

(٢) رسائل أبي الفضائل ص ١٣٨ - ١٣٩

## موقف البائية والبهائية من تفسير القرآن الكريم

لم تحل عقائد البائية والبهائية بينهم وبين الاعتراف بالقرآن الكريم ، ولم يمنعهم موقفهم الشاذ من الرجوع إليه لياخذوا منه الشواهد على دعاوهم الباطلة ، ومذاهبهم الفاسدة ؛ تمويها على العامة ، وتغريرا بعقول الأغمار الجهلة .

### أبو الفضائل الإيراني يعيب تفاسير أهل السنة :

ولم يكن في وجوههم قطرة من الحياة تمنعهم من التنديد بتفاسير علماء أهل السنة وتحقيرها ، فهذا داعيتهم أبو الفضائل الإيراني ، نجده في رسالة أرسلها لصديق له ، يعيب على تفاسير أهل السنة فيقول : ( . . . ولقد يدهش الإنسان ويتحير يا حبيبي من تعاليمهم الباطلة ، وتفاسيرهم المضحكة ، فإن أجبنا الأمريكين الذين تشرفوا بالوفود على الأرض المقدسة في هذه الأيام الأخيرة ، قابلناهم في بيروت ، وسافرنا ، معهم إلى الأرض الفيحاء مدينة حيفا ، أخبرونا بما يتحير منه الأريب ، ويدهش منه اللبيب ، كيف تقدمت كلمة الله في تلك الأقطار البعيدة الشاسعة مع هذه التفاسير الباطلة الضائعة ، من النفوس الجاهلة الخادعة ؟ أليس ذلك من عظيم قدرة الله وشسديد قوته ؟ وسطوع آياته وظهور بيناته . . . ؟ (١) )

يعيب أبو الفضائل تفسير أهل السنة ؛ لأنه يرى في زعمه أنه وأهل نحلته خير من يفهم القرآن ، ويعلم ما فيه من أسرار ورموز ، ويرى أنه ومن شاكلة هم الراسخون في العلم ، الذين يقفون على عجائب القرآن التي لا يدل عليها إلا باطنه ، أما ما يعنى به مفسرو أهل السنة من الظواهر فليس في زعمه من المعاني التي يرمى إليها القرآن ، وفي هذا يقول ما نصه : ( . . . لو كان معاني آيات القرآن ما هو ظاهر يعرفه كل من يعرف اللغة العربية ، ويتلذذ منه كل من له إلمام بالعلوم الأدبية ، كيف يتم هذا القول — يريد قول رسول الله صلى الله عليه



وسلم في شأن القرآن إنه لا تنقضى عجائبه - وكيف يصدق قول الله في الآية (٧) من سورة آل عمران ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، (١) .

إنتاج البايبة والبهائية في التفسير ، ومثل من تأويلاتهم الفاسدة :

ولكن هل وصل إلى أيدينا شيء من كتب هذه الطائفة في تفسير القرآن؟ لم نسمع ولم نقرأ أنهم ألفوا تفسيراً متناولاً للقرآن آية آية ، وإنما قرأنا أن رئيسهم الأول فسر سورة البقرة ، وسورة يوسف ، وسورة الكوثر ، ولكن لم يصل إلى أيدينا شيء من ذلك ، وكل ما وصل إلينا هو نبذ من تفسيره ، وتفسير بعض أشياءه ودعائه ، قرأناها في كتبهم أنفسهم ، وفي الكتب والمقالات التي كتبت عنهم ، وهذه النبذ مع قلتها تصور لنا مقدار تهجمهم على تحريف القرآن الكريم ، والميل بنصومه إلى ما يرضى أهواءهم ، ويشبع أطماعهم . وإليك بعض هذه التأويلات ، لتقف بنفسك على مقدار هذيان القوم ، وتلاعبهم بالقرآن وبالعقول !!

من تأويلات الباب:

فسر الباب سورة يوسف ، فشى فيها على طريقة التأويل الذي لا يقره الشرع ولا يقبله العقل ، ولا يمكن أن يفهمه إلا من يفهم لغة المبرسمين (٢) كما قبل . وإليك بعض ما قاله الباب في تفسيره لسورة يوسف ، لتقف على مقدار هذيانه ، وتلاعبه بالنصوص القرآنية .

عند قوله تعالى في الآية (٤) : إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين ، يقول مانصه : ( وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول ، وثمرة البتول ، حسين بن علي بن أبي طالب مشهوداً . . . إذ قال حسين لأبيه يوماً : إنى رأيت أحد عشر كوكباً

(١) رسائل أبي الفضائل ص ٧٦ .

(٢) البرسام بكسر الباء : علة يصحبها هذيان .

والشمس والقمر رأيتهم بالإجاطة على الحق لله القديم سجداً... وإن الله قد أراد بالشمس فاطمة ، وبالقمر محمداً ، وبالنجوم أئمة الحق في أم الكتاب معروفاً ، فهم الذين سيكون على يوسف بإذن الله سجداً وقياماً<sup>(١)</sup> .

وفي قوله تعالى في الآية (٥) : قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، يقول ما نصه : ( إذ قال على يا بني لا تخبر بما أراك الله من أمرك إخوتك ترجحاً على إلتهم ، وصبر الله العلي ، وهو الله كان عزيزاً حميداً . إن كنت تخبر من أمرك في بعض مما قضى الله عليك ، فيكيدوا لك كيداً ، بأن يقتلوا أنفسهم في محبة الله من دون نفسك الحق شهيداً ، وإن الله لوجهك بدمك محرراً على الأرض بالحق على الحق صديقاً وإن الله قد شاء كما شاء أن يراك مخضباً شعرك من دمك ، ونفسك على الأرض على غير الحق لدى الحق قتيلاً . وجسمك على الأرض عرياناً . وإن الله شاء كما شاء بأن يرى بناتك وحرملك في أيدي الكافرين أسيراً...<sup>(٢)</sup> .

وعند قوله تعالى في الآية (٨) : إذ قالوا ليوסף وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين ، يقول ما نصه : (... إذ قالوا حروف لا إله إلا الله . وإن يوسف أحب إلى أبينا منا بما قد سبق من علم الله حرفاً مستسراً بالسرمقنعا على السرمحتجباً في سطر ، غائباً في سر السرمرفعا عما في الدنيا وأيدي العالمين جميعاً . وإننا نحن عصبة فيما أراد الله في شأن يوسف النبي محمد العربي حول السطر مسطوراً . وإن الله قد فضل أبانا بفضل نفسه وقدر الله سر المستسر من سر أمره بما في أيدي العالمين بالكشف المبين على أهل النار دن سر (الباء) ضلالاً... الخ<sup>(٣)</sup> ) ٥١ .

(١) مفتاح باب الأبواب ص ٣٠٩ .

(٢) مفتاح باب الأبواب ص ٣١٠ .

(٣) مفتاح باب الأبواب ص ٣١٢ .

من تأويلات بهاء الله :

ويرى بهاء الله أن ماورد في القرآن من الصراط ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والسكعة ، والبلد الحرام ، وما إلى ذلك ، كله لا يراد به ظاهره وإنما يراد به الأئمة . وفي هذا يقول في الكتاب : ( قال أبو جعفر الطوسي : قلت لأبي عبد الله : أتم الصراط في كتاب الله ، وأتم الزكاة ، وأتم الحج ؟ قال : يا فلان .. نحن الصراط في كتاب الله عز وجل ، ونحن الزكاة ، ونحن الصيام ، ونحن الحج ، ونحن الشهر الحرام ، ونحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله ، ونحن وجه الله (١) ) .

وفي كتاب بهاء الله والعصر الجديد ، ما يدل على أن البهائيين لا يسترغفون بالبعث ، ولا بالجنة والنار ؛ حيث يفسرون يوم الجزاء ويوم القيامة بمعنى ميرزا حسين الملقب بهاء الله قال في كتاب بهاء الله والعصر الجديد ( وطبقا للتفسير البهائية ، يكون معنى كل مظهر إلهي عبارة عن يوم الجزاء ، إلا أن معنى المظهر الأعظم بهاء الله : هو يوم الجزاء الأعظم للدورة الدنيوية التي نعيش فيها ) وقال : ( ليس يوم القيامة أحد الأيام العادية ، بل هو يوم يتبدى بظهور المظهر ؛ ويبقى ببقاء الدورة العالمية (٢) )

ويقسر البهائية الجنة بالحياة الروحانية ، والنار بالموت الروحاني ، فقد جاء في كتاب بهاء الله والعصر الجديد ( أن الجنة والنار في الكتب المقدسة حقائق مرموزة ) فالجنة ترمز إلى حياة الكمال ، والنار ترمز إلى حياة النقص . ولما كانت الحياة الروحية في نظر البهاء هي الإيمان به ، والموت الروحي هو تكذيب دعوته . فإننا نراه يقرر ذلك فيقول : ( ... منهم من قال : هل الآيات نزلت ؟ قل : أي ورب السموات . قال : أين الجنة والنار ؟ قل : الأولى لقاتي ، والأخرى نفسك يا أيها المشرك المرتاب (٣) ) .

(١) الكتاب ص ٨٣ .

(٢) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ١٠٣

(٣) كتاب بهاء الله ص ٩٧ .

من تأويلات عيد البهاء عباس :

كذلك نجد عبد البهاء ، يتكلم عن النبوة والوحي بما يوافق كلام قدماء الباطنية الذين قلدوا الفلاسفة فيقول : ( الأنبياء مرآيا تنبئ عن الفيض الإلهي ، والتجلى الروحاني . وانطبعت فيها أشعة ساطعه من شمس الحقيقة ، وار تسمت فيها الصور العالية ممثلة لها تجليات أسماء الله الحسنى . ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فهم معادن الرحمة ، ومهابط الوحي ، ومشارك الأنوار ، ومصادر الإرسال . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين (١) .

ونجد قرة العيون إحدى أتباع الباب ، تدعى أنها الصور الذي ينفخ فيه يوم القيامة ، وتقول : ( إن الصور الذي ينتظرون في اليوم الأخير هو أنا (٢) ) وبين أيدينا رسائل أبي الفضائل ، محمد بن رضا الجرفادقاني ، المعروف بفضل الله الإيراني ، أحد دعاة الباطنية المتعصبين ، وكتاب الحجج البهية له أيضا ، وفيهما تفسير لبعض الآيات القرآنية ، بما يتفق ومذهبه الباطل .

فن ذلك مثلا أنه يفسر الروح الأمين الذي ورد في القرآن بأنه الحقيقة المقدسة ، ثم يعرفها فيقول : ( هي غيب في ذاتها ، مجردة بحقيقتها عن الجسم أو الجسائيات ، فلا توصف بأوصاف الماديات ، ولا تذكر بخصائصها ، ولا يطلق عليها الخروج والدخول ، ولا توصف بالتحيز والحلول ، وإنما هي حقيقة تنجلي في مظاهر أمر الله تعالى ، عرشها قلوب الأصفياء ، ومرآة تجليها صدور الأولياء ، وإنما مثل طلوعها وإشراقها في النفوس القدسية كمثل انطباع الشمس في المرايا ، فلا يقال : إن الشمس حلت في المرآة ، ولا إنها دخلت فيها ، بل ولا يقال : إنها عرضت عليها ، بل يقال : إن الشمس تجلت في المرآة ، وظهرت منها وأشرقت ، وانطبعت بها (٣) ) اه ... وهذا بعينه مذهب قدماء الباطنية والفلاسفة .

(١) خطابات ومحدثات عبد البهاء .

(٢) المبادئ البهائية ص ٢١ .

(٣) رسائل أبي الفضائل ص ٣٩ .

ومن ذلك أيضا أنه فسر قوله تعالى في الآيتين (١٤٢، ١٤٣) من سورة الأعراف دووواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة .. الآية ، تفسيراً باطنياً فقال : ( المراد بالليل - كما سمعته مني مرارا - هو عبارة عن أيام غيبة شمس الحقيقة ، واليوم على حسب ما نزل في النوراة المقدس يحسب كل يوم واحد بسنة واحدة ، وكان موسى عليه السلام لما فارق أرض مصر ، وفر من فرعون وملئه إلى مدين ، كان ابن ثلاثين ، وأقام في مدين عشرين سنة يشتغل فيها برعى أغنام شعيب النبي عليه السلام ، وكان في طي هذه المدة التي كانت كالليالي المظلمة ، والدياجي الكالحة من ظلم الفراعنة ، وأوهام الصابئة ، مشتغلا بهذيب أخلاقه ، وتطبيب أعراقه ، وتنقية فؤاده ، والمناجاة مع ربه في وحدته وانفراده ، فلما طاب خلقه ، وتم خلقه ، بعثه الله نبيا لهداية بني إسرائيل ، وإنقاذهم من ذلك الويل . فالمراد بأربعين ليلة هو أربعون سنة . أقام موسى عليه السلام في اثنتان في مصر ومدين ، ولا تنافي كلية واعدنا هذا التفسير ، حيث ظاهرها يقتضي تكلم الرب مع موسى قبل بعثته ، فإن أمثال هذه الكلمة كثيرا ما أطلقت على ما ألقى في الروح ، وألهم في القلب ، حتى على الحيوانات ، كما يدل عليه قوله تعالى : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا (١) » . وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ، ظاهر الآية المباركة يدل على أن موسى عليه السلام أخلف أخاه هرون حينما كان مع الشعب فى البرية ، كما هو مذكور فى التواريخ ، إلا أن التواريخ القديمة مظلمة جدا ، حيث أن المؤرخين اعتمدوا فى هذه المسائل على ما جاء فى التوراة وسائر الكتب العتيقة ، ولكننا أثبتنا فى كتاب الدرر البهية ضعف هذا المستند من حيث العلم ، فيجوز أن يكون هارون مستخلفا عن موسى عليهما السلام ؛ لحفظ الشعب أيام غياب موسى فى مدين ، وقد كان بنو إسرائيل يحافظون على التوحيد من لدن جدهم إبراهيم عليه السلام ، فلما غاب موسى وضع بنو إسرائيل رسم عجل أيبس أحد معبودات المصريين

تزلفا إلى فرعون وقومه ، فكأنهم تجنسوا بالجنسية المصرية ، واعتنقوا الديانة الوثنية ، فلما رجع موسى عليه السلام ورآهم على تلك الحال السيئة والعبادة الباطلة ، أنكر ذلك على هارون ، كما ذكره المؤرخون . إذ لا يعقل أن بنى إسرائيل على ما عرفوا بصلافة الرأى يتركوا ديانتهم الموروثة بسبب تأخير موسى عن الرجوع إليهم عشر ليال . . .

ثم قال تعالى : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ، اعلم — حفظك الله — أن علماءنا — ساحمهم الله — اختلفوا في رؤية الله تعالى وعدم جواز رؤيته ، فالشيعة والمعتزلة أنكروا جواز رؤيته ، حيث تقتضى الجهة والمقابلة ، وهى من مقتضيات الجسد والتحسين والتحدد وأمثال ذلك ، وهو منزه عن تلك الأوصاف . إذ لم يفهموا من لفظه الله سوى الذات . ولا شك أن الذات منزهة عن تلك الصفات . وأهل السنة والجماعة جوزوا رؤية الله تعالى اعتمادا على صريح الآيات ، واستنادا على صريح الأحاديث والروايات ، وكانوا على هذه العقيدة الصالحة إلى أواسط القرون الهجرية ، فزجوها بالعقائد الوهمية ، حيث شاعت فى تلك القرون بينهم المسائل الكلامية ، والمعارف الناقصة العقلية ، فإنهم قالوا : إن رؤية الله تعالى جائزة وواقعة فى القيامة ، إلا أنها ليست من قبيل الإحاطة بالنظر ، فترى ذات الله تعالى من غير مواجهة ، ومقابلة ، وكيفية وإحاطة ، نأرجع إلى الوهم الصريح ، وانكار الرؤية حقيقة . وأهل البهائى المستظلمين تظللال الفرع الكريم المشعب من الدوحة المباركة العليا ، لما عرفوا — على حسب ما يعلمون من القلم الأعلى — أن ذات الله بسبب تجردها وتقديسها الذائقى لا تدرك ، ولا توصف ولا تسمى باسم ، ولا تشارك بإشارة ، ولا تتعين بإرجاع ضمير . والأسماء والأوصاف وكل ما يسند ويضاف إليها راجعة فى الحقيقة إلى مظاهرها ومطالعها . ولذلك سهل عليهم فهم معنى أمثال تلك الألفاظ التى نزلت فى الكتب المقدسة

والصحف المطهرة ؛ من قبيل رؤية الله تعالى ، ولقاء الله وظهور الله ومحىء  
الله وغيرها مما ليس بخاف على أهل التحقيق . . ثم اعلم أيها الحبيب اللبيب  
أن أهل البيان كثيرا ما أطلقوا في عباراتهم لفظ ( جل ) على أكابر الرجال  
استعارة ، سواء كانوا من صناديد الدولة والملك ؛ أو من قروم أهل العلم والفضل  
كما أطلق أمير المؤمنين عليه السلام على مالك بن الحارث النخعي المعروف  
بالأشتر ، لما اشتهر ذكر وفاته ، وأخبر بمماته ، ومقامه عليه السلام معلوم لديك  
في الفصاحة والبراعة ، ورسائله وخطبه مستغنية عن المدح والإطراء بالطلاوة  
والصناعة ، وعبارته هذه مذكورة في نهج البلاغة . وهذه استعارة في غاية المناسبة  
واللطافة حيث أن أكابر الرجال هم بمنزلة الأوتاد ، لاستقرار أرض المعارف  
والديانة ، أو الأمة والدولة ، وكثيراً ما أطلقه داود عليه السلام في مزاميره ،  
وسائر الأنبياء من بني إسرائيل في كتبهم على الرب تعالى ، كما جاء في مزمو  
( ٤٢ ) ( أقول لله صخرتي لماذا نسيتني ) وجاء في مزمو ( ٧١ ) ( كن لي  
صخرة وملجأ أدخله دائماً . أمرت بخلصي لأنك صخرتي وحصني )  
إلى كثير من أمثالها ، فإذا عرفت هذا ، فاعلم أن موسى عليه السلام إنما  
طلب رؤيا الله تعالى بسبب اقتراح الشعب عليه أن يريهم الله ، كما يدل على  
قوله تعالى «أرنا الله جهرة» إلا أن الله تعالى أخبره بأن رؤيته موقوفة  
باستقرار جبال العلم والإيمان في مسكنهم من الإذعان واليقين ولكنهم  
بسبب عدم بلوغهم إلى المقام الثابت الراسخ المكين من العلم والمعرفة واليقين  
فلا بد وأن تندك جبال وجودهم ؛ ويتزعزع بنيان إذعانهم لمعبودهم حين لقائه  
فيتبدل إيمانهم بالكفر ، ويقينهم بالشك ، وإقبالهم بالإعراض ، حيث لم  
تكمل بعد مراتب عرفانهم ، ولم يبلغ إلى الدرجة العليا بنيان إيمانهم ؛ فلم  
يلغوا بعد إلى رتبة استحقاق الرؤية واللقاء ولم يصعدوا إلى درجة الإستقرار  
والبقاء ؛ فلا بد من ظهور الأنبياء ، وقيام الأصفياء ، لترية أشجار الوجودات  
البشرية ، وتكمل معارفهم بالإيمان على ممر الدهور وطى العصور . حتى  
يلغوا إلى درجة التمكن والإستقرار ، حينئذ يتجلى عليهم رب الأرض

والسما ، ويتشرف البالغون منهم إلى درجة المشاهدة واللقاء . فخلاصة تفسير الآية الكريمة : أن موسى عليه السلام قال : رب أرني أنظر إليك ؛ حيث أن الشعب طلبوا منه رؤية الله تعالى فأجابه الله تعالى بأنك إن تراني ، لأن بني إسرائيل لم يبلغوا بعد إلى درجة كمال وجودهم ، ولم يستعدوا للقاء معبودهم ، فانظر إلى جبال الوجودات ، ومقادير استقرار الإيقان ، فإن استقر جبل الوجود في مقام إيمانه وإيقانه حين تجلي المعبود ولم يتزلزل ولم يتزعزع من مقامه حين الشهود ، حينئذ استعد لقاء الله ، واستحق للوقوف بين يدي الله ، والتشرف برؤية الله . ثم تجلي الرب لأحد من تلك الأمة ممن كان من رؤساء الشعب ، ومن جبال الإيمان والإيقان ، فاندك وجوده ، وتضعض إيمانه ، واضطرب إيقانه فانصعق موسى من ذلك الإمتحان ، وعرف مقدار صعوبة مقام الافتتان ، فندم على ماسأل الرؤية للطالبيين ، ورجع في الحين . وقال ( سبحانك إني تبت إليك وأنا أول المؤمنين <sup>(١)</sup> ) .

فانظر إليه كيف أول الأربعين ليلة بأنها أربعين سنة ، وهي التي يعث الأنبياء على رأسها ، وكيف علل التعبير بلفظ ليلة بأن مدة الأربعين سنة كانت مظلمة كالليالي بظلم فرعون وملئه ، وكيف تخلص من منافاة لفظ واعدا للبعث الذي يهذى به . وكيف اتهم التوراة وسائر الكتب العتيقة - بما فيها القرآن طبعاً كما سيأتي بعد - بأنها لا يعول عليها في الروايات التاريخية ، وكيف رمى المعتزلة وأهل السنة بعدم إصابتها المعنى الحقيقي للرؤية الواردة في الآية ، وكيف ادعى أنه ومن على شاكلته من البهائيين هم الذين أصابوا المعنى الحقيقي للآية ، وكيف صرف لفظ الجبل عن معناه المراد إلى معنى لا يفهم من لفظ القرآن وسياق الآية . . . . . ولست في حاجة إلى أن أبين مافي هذا التفسير من خطأ وضلال ، فإن الحق بين وأضح . <sup>(٢)</sup>

وفي كتاب الدرر البهية ، صرح أبو الفضائل بأن قصص القرآن غير واقعة ، وأنها في الحقيقة رموز إلى معان خفية فقال ( لا يمكن للمؤرخ أن يستمد معارفه

(١) رسائل أبي الفضائل ص ٩٦ - ١٠٣

(٢) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ٩٦ .



التاريخية من آيات القرآن (١) وقال : ( إن الأنبياء عليهم السلام تساهلوا مع الأمم في معارفهم التاريخية ، وأقاصيصهم القومية ، ومبادئهم العلمية ؛ فتكلموا بما عندهم ، وستروا الحقائق تحت أستار الإشارات ، وسدلوا عليها ستائر بليغ الاستعارات (٢) .

ولا شك أن هذه دعوى كاذبة يراد بها إدخال الشك في قلوب المؤمنين ، وإيهامهم بأن القرآن لا يعتمد على ظاهره ، وإنما يعتمد على باطنه الذي عندهم علمه دون من عداهم من الناس . وإلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لم ولن يقوم دليل تاريخي أو عقلي على عدم صحة قصة من قصص القرآن ، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، (٣) .

كذلك نجد أبا الفضائل يعرض في كتابه المسمى ( الدرر البهية ) لقوله تعالى في الآية (٣٩) من سورة يونس « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » ، ولقوله تعالى في الآية (٥٣) من سورة الأعراف « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » فيقول :

( ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها اللغوية ، بل المراد المعاني الخفية التي أطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه والكناية ) ... ثم قال بعد هذا : ( قرر الله تنزيل تلك الآيات على السنة الأنبياء وبيان معانيها وكشف الستر عن مقاصدها إلى روح الله حينما ينزل من السماء ) وقال : ( وإنما بعثوا عليهم السلام لسوق الخلق إلى النقطة المقصودة ، واكتفوا منهم بالإيمان الإجمالي حتى يبلغ الكتاب أجله ؛ وينتهي سير الأفتدة إلى رتبة البلوغ فيظهر روح الله الموعود ويكشف لهم الحقائق المكنونة في اليوم المشهود ) وقال : ( وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها إلى معانيها

( ٢٠١ ) رسائل الإصلاح ج ٣ ص ٩٦ .

( ٣ ) الآية (٤٢) من سورة فصلت .

الأصلية المقصودة لا تظهر إلا في اليوم الآخر ، يعني يوم القيامة ، ومجيء مظهر أمر الله وإشراق آفاق الأرض ببهاء وجه الله ) . ثم قال : ( ولذلك جاءت من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان تافهة باردة عقيمة جامدة ، بل مضلة مبعدة محرقة مفسدة (١) ) .

ومعلوم أن لفظ التأويل في الآيتين عبارة عن وقوع المخبر به ولكن يأتي هذا المخرف المنحرف إلا أن يحمل التأويل على تأويل الآيات إلى المعاني الخفية ومجيب بعد هذا أن يتهم الرسل بأنهم لا يعرفون تأويل الآيات ، لأن وظيفتهم البلاغ فحسب ، وأما كشف الستر عن المعاني الخفية فإلى روح الله حين نزوله . وروح الله في نظره ونظر أشياعه : هو البهاء الذي يعبر عنه بالنقطة ، ويدعى أن الرسل أرسلوا السوق الخلق إليه ، ويدعى أيضاً أن ظهوره يكون يوم القيامة ، ولا شك أن هذا تفسير بارد عقيم ، وجامد مضل ، ولكنه لا يريد أن يعترف بهذا ، بل نجده يتعسف فيرمي كل التفاسير من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان بأنها تافهة باردة ، عقيمة جامدة ، مضلة مبعدة ، محرقة مفسدة ، لأن أصحابها خاضوا فيما لا علم لهم به ، والعلم في نظره عند البهاء وحده .

كذلك نجد أبا الفضائل يفسر قوله تعالى في الآية ( ٣١ ) من سورة المدثر : وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ، بما لا يفهمه شرع ، أو يرضى به عقل فيقول : ( إن لفظ الملك واحد الملائكة ، والملائكة في اللغة العربية توافق لفظاً ومعنى ما في اللغة العبرانية ، حيث أنها مأخوذة من الأصل السامي ، الذي اشتقت منه اللغات السريانية ، والعبرانية والعربية ، والآشورية ، والسكلدانية ، وهو يفيد معنى المالكية والاستيلاء على شيء ، فكما أنه أطلق لفظ الملك والملائكة في الكلمات النبوية المحفوظة في الكتب السماوية على النفوس القدسية ، والأئمة الهداة ، لخلعهم ثياب البشرية وتخليقهم بالأخلاق الروحانية الملائكوتية ، فلكوا زمام الهداية ، وصاروا ملوك بمالك

الولاية ، كأنهم أعطوا سلطة مطلقة في سعادة الناس وشقاوتهم ، وهدايتهم وضلالهم ، وهذا هو معنى الولاية المطلقة التي جاءت في الأخبار : ولذا سمي سيد الأبرار وأمير الأبرار ، بقسيم الجنة والنار . كذلك أطلق هذا اللفظ في الكلمات النبوية على رؤساء الأشرار ، وأئمة الضلال ، حيث إنهم قادة الفجار يقودونهم إلى النار ولذا أطلق عليهم لفظ الملائكة ، كما أنه أطلق عليهم لفظ الأئمة في قوله : « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار »<sup>(١)</sup> ، ثم استدل أبو الفضائل بعبارات من الكتب القديمة على جواز إطلاق الملائكة على أئمة الجور والضلال ثم تكلم عن سر تخصيص العدد بتسعة عشر ، فذكر أن الديانات أبواب لدخول الجنة والله ورضوانه ؛ كما أنها أبواب للدخول في جهنم بسخط الله حين تغييرها مثلا . ثم استطرده من هذا إلى أن الباب كما يطلق على الديانات ، يطلق أيضا على الأنبياء وكبار الأولياء ، واستدل على هذا بعبارة نقلها عن الجامعة وردت في شأن الأئمة وهي ( أنتم باب المؤتى والمأخوذ عنه ) قال : وإليه أشير في الآية الكريمة « فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب »<sup>(٢)</sup> ، بعد أن قرر هذا ، ادعى ( أن أبواب الجنة كانت عند ظهور النقطة الأولى تسعة عشر ، وهي ثمانية عشر حروف ( الحى ) والنقطة الفردانية<sup>(٣)</sup> وبهم سعد المخلصون إلى الذروة العليا ، ودخلوا الجنة ... ثم عارض الدجال الرب سبحانه فعين تسعة عشر إنساناً من رؤساء أصحابه ودهاة أحابيه ؛ لإضلال أهل الإيمان ، ومعارضة جمال الرحمن ) ثم قال : ( فالمراد بملائكة النار في الآية المباركة هو هذه الرجال من أصحاب الدجال وأئمة الضلال ) .. ثم ذكر بعد ذلك أن عدد أبواب النار صار في هذا الدور الحميد<sup>(٤)</sup> ، والكون الحميد ثلاثة فقط . وهي أيضا ملائكة الجحيم ، وقادة أصحاب الشمال إلى العذاب الأليم ) .  
واستدل على ذلك بقوله تعالى « انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل

(١) في الآية (٤١) من سورة القصص .

(٢) في الآية (١٣) من سورة الحديد .

(٣) يريد الباب نفسه والثمانية عشر الذين استجابوا له أولاً .

(٤) لعله يريد زمن بهاء الله .

ولا يفنى من اللهب<sup>(١)</sup>، ثم قال: (وفي كل دور وزمان تجد لكلمات الله تعالى مصاديق يعرفها أهل الإيمان، وحمة القرآن، ومخازن الحكمة، ومطالع البيان... اه<sup>(٢)</sup>).

وفي الحجج البهية يقرر أبو الفضائل: أن جميع الديانات السماوية، وغير السماوية واحدة من ناحية الاتفاق على العقائد الأصلية، وإن اختلفت في الأحكام الفرعية، وذلك حيث يقول في تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٣) من سورة الشورى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه...» فانظروا - وفقكم الله - كيف اعتبر في الآية الكريمة ديانات الصابئة والزرذشتية والموسوية، والنصرانية والإسلامية ديناً واحداً، كما اعتبر مؤسسها وشارعها إلهاً واحداً، على اختلافها في الأحكام والحدود والآداب<sup>(٣)</sup> وهذا منه كفر صريح، لأن الآية لا تدل على أكثر من اتحاد جميع الشرائع السماوية في أصول العقائد؛ أما الديانة الصابئية، والديانة الزردشتية فلم يقل أحد أنها من الشرائع الله، حتى يسوى بينها وبين سائر الشرائع السماوية.

كذلك نجد أبا الفضائل يقول بالرجعة، ويريد بها: رجوع الحقيقة المقدسة التي هي الوحي، على معنى أن الوحي بعد انقطاعه بموت محمد صلى الله عليه وسلم يرجع فينزل مرة ثانية على زعيمهم الباب ثم البهاء، ويفسر القيامة: بأنها قيام مظهر الحقيقة المقدسة، والساعة: بساعة طلوعها وإشراقها بعد الغيبة ويقول (وأما الرجعة والقيامة بالمعنى الذي تعتقد وتنتظره الأمم فهي أمر غير معقول؛ إذ هو مخالف للنواميس الطبيعية، ومباين للسنن الإلهية<sup>(٤)</sup>).

ويقول: (إن جميع منازل في الكتب المقدسة من بشارات يوم الله، ويوم

(١) الآيتان (٣٠، ٣١) من سورة المرسلات

(٢) رسائل أبي الفضائل ص ١٠٤ - ١٠٩

(٣) الحجج البهية ص ٢٨

(٤) الحجج البهية ص ٣٠ - ٣١

القيامة ، وظهور الرب ، وورود الساعة وأشراتها ... لا بد أن تكون لتلك الألفاظ مقاصد معقولة، ومفاهيم ممكنة. ومعان غير المعاني الظاهرية، ومدلولات غير المدلولات الأولية) اه (١) .

وكأنى بأبى الفضائل - وقد قال بنبوة الباب والبهاء - نظري في كتاب البيان وكتاب بهاء الله ، فلم يجدهما في رصانة القرآن وفصاحته ، فأراد أن ينزل بالقرآن عن مستواه في البلاغة ، ويسلب عنه إعجازة حتى يكون في درجة البيان والكتاب فقال: (ولا يعرف ولا يمتاز كلام الله عن كلام البشر بفصاحته ، وبلاغته ، ووصف كلماته ، وتسجيع عباراته ، وترصيع جملة ، ولطيف استعاراته ، كما يدعيه قوم (٢) ) كما أعتقد أنه - وقد ادعى نبوة الباب والبهاء - راح يفتش لهما عن معجزة تصدق دعواهما النبوة ، فلم يعثر ولا على جزء معجزة فخره ذلك أن ينكر معجزات الرسل ، ويتأول ماورد في القرآن منها بأنها من قبيل الاستعارات عن الأمور المعقولة ، والحقائق الممكنة ، مما يجوزه العقل السليم ، كما جره إلى القول بأنه لاصلة بين دعوى الرسالة ، وبين القدرة على الإتيان بالحوارق فقال : ( لانسبة بين القدرة على إتيان المعجزات والعجائب ، وبين ادعاء النبوة والرسالة ، فإن الرسالة والنبوة ليست إلا بعث لإنسان من قبل الله تعالى لهداية الخلق ، فما هو ارتباط هذا المعنى بالقدرة على شق البحار ، وجفاف الأنهار ، وإنطاق الأحجار والأشجار مثلا (٣) ) .

ولا يشك عاقل في أن هذا الزنديق يريد من وراء هذا أن يفتح باب شر عظيم ؛ ليدخل منه كل من يدعى النبوة والرسالة ، كما دخل منه أنبياء الباطنية البهائية من قبل .

وكما تناول متعصبو الشيعة الشجرة المباركة ، الشجرة الملعونة، فحملوا الأولى على آل البيت ، والثانية على أعدائهم من بنى أمية ، كذلك تأولها أبو الفضائل ،

(١) الحجج البهية ص ٥٨ (٢) الحجج البهية ص ٣٧ (٣) الحجج البهية ص ٧٠

فقال في شرحه لقوله تعالى في الآية (٣٥) من سورة النور ، الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كآنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ... الآية ، . ( أطلق لفظ شجرة مباركة زيتونة على مظهر أمر الله ، ومطلع شمس حقيقته وذاته . ومشرق أنوار أسمائه وصفاته ، فإن من هذه السدرة المباركة وحدها تتألق وتضيء الأنوار الإلهية ، وتشرف وتلمع أشعة العلم والقوة ، والقدرة الملوكوتية السماوية ، وهذه استعارة في غاية الرقة واللطافة ، وتجوز في نهاية اللطافة والبراعة ، لم يوجد مثلها إلا في الكلمات النبوية ، ولم يسمع شبيها إلا من نجمات طيور القدس في الحدائق القدسية ) ... قال ( وكذلك في الآية د ٦٠٠ ، من سورة بنى اسرائيل ، أطلق لفظ الشجرة الملعونة : استعارة على أعداء الله ، ومحاربي رسول الله ، من السلالة الأموية ، والسلطة العضوضية السفينانية ، حيث قال جل وعلا ، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ... ) اه (١)

هذه نبد من تأويلات البائية للقرآن الكريم ، تعطينا دليلا قويا ، وبرهاننا صادقا على أن المذهب الباطني ، أو البهائي يقوم على أطلال الباطنية ، ويحمل في سريرته القصد إلى هدم شريعة الإسلام بمعول التأويل في آيات القرآن ، ودعوى النبوة والرسالة ، بعد أن ختمها الله برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وإذا كان لنا كلمة بعد ذلك فهي . أن البائية والبهائية وأسلافهم من الباطنية ، لم يكونوا أول من ابتدأ التأويل لنصوص الشريعة على هذه الصورة التي تأتي على بنيان الدين من قواعده ، وإنما هو صنيع قلدوا فيه طائفة من فلاسفة اليهود الذين سبقوهم ، فهذا هو ( فيلون ) الفيلسوف اليهودي المولود ما بين عشرين وثلاثين سنة قبل الميلاد ، نجده ألف كتابا في تأويل التوراة ، ذاهبا إلى أن كثيرا مما فيها رموز إلى أشياء غير ظاهرة ، ويقول الكتابون في تاريخ الفلسفة :

إن هذا التأويل الرمزي كان موجودا ومعروفا عند أدباء اليهود بالإسكندرية قبل زمن ( فيلون ) ويذكرون أمثلة من تأويلهم : أنهم فسروا آدم بالعقل ، والجنة برياسة النفس ، وإبراهيم بالفضيلة الناتجة من العلم ، وإسحق عندهم هو الفضيلة الغريزية ، ويعقوب الفضيلة الحاصلة من التمرين . إلى أمثال هذا من التأويل الذي لا يحوم عليه إلا الجاحدون المرءون ، ولا يقبله منهم إلا قوم هم عن مواقع الحكمة ودلائل الحق غافلون (١)

وبعد أن انتهينا من موقف الباطنية — قديمهم وحديثهم — من القرآن الكريم ، نتكلم عن موقف الزيدية منه فنقول وبالله التوفيق :

## الزيدية

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

تمهيد :

لم يقع بين الزيدية من الشيعة ، وبين جمهور أهل السنة خلاف كبير مثل ما وقع من الخلاف بين الإمامية وجمهور أهل السنة ، والذي يقرأ كتب الزيدية يجد أنهم أقرب فرق الشيعة إلى مذهب أهل السنة ، وما كان بين الفريقين من خلاف فهو خلاف لا يكاد يذكر .

يرى الزيدية : أن علياً أفضل من سائر الصحابة ، وأولى بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : إن كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخى خرج للإمامة صحت إمامته ، ووجبت طاعته ، سواء أكان من أولاد الحسن ، أم من أولاد الحسين ، ومع ذلك فهم لا يتبرءون من الشيخين ، ولا يكفرونها ، بل يجوزون إمامتهما ؛ لأنه تجوز عندهم إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، كما أنهم لم يقولوا بما قالت به الإمامية من التقية ، والعصمة للأئمة ، واختفائهم ثم رجوعهم في آخر الزمان . وغير ذلك من خرافات الإمامية ومن على شاكلتهم .

وكل الذي نلاحظه على الزيدية ، أنهم يشترطون الاجتهاد في أئمتهم ؛ ولهذا كثر فيهم الاجتهاد . وأنهم لا يثقون برواية الأحاديث إلا إذا كانت عن طريق أهل البيت . والذي يقرأ كتاب المجموع للزيدية يرى أن كل ما فيه من الأحاديث مروية عن زيد بن علي زين العابدين ، عن آبائه من الأئمة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس فيه بعد ذلك حديث يروى عن صحابي آخر من غير أهل البيت رضئ الله عنهم .

كما نلاحظ على الزيدية أيضاً أنهم تأثروا إلى حد كبير بآراء المعتزلة ومعتقداتهم ، ويرجع السرفى هذا إلى أن إمامهم زيد بن علي ، تتلمذ على واصل ابن عطاء ، كما قلنا ذلك فيما سبق .



إذا فلا نطمع بعد ذلك أن نرى للزيدية أثرًا مميزًا ، وطابعًا خاصًا في التفسير كما رأينا للامامية ؛ لأن التفسير إنما يتأثر بعقيدة مفسره ، ويتخذله طابعًا خاصًا ، واتجاهًا معينًا ، حينما يكون لصاحبه طابع خاص واتجاه معين ، وليست الزيدية - بصرف النظر عن ميولهم الاعتزالية - بمنأى بعيد عن تعاليم أهل السنة ، وعقائدهم ، حتى يكون لهم في التفسير خلاف كبير .

### أهم كتب التفسير عند الزيدية :

وإذا نحن ذهبنا نفقش عن تفاسير الزيدية في المكتبات التي تحت أبصارنا ، وفي متناول أيدينا ، فإننا لانكاد نظفر منها إلا بتفسير الشوكاني المسمى ( فتح القدير ) وهو تفسير متناول للقرآن كله ، وجامع بين الرواية والدراية . وتفسير آخر في شرح آيات الأحكام اسمه ( الثمرات الياقوتية ) لشمس الدين يوسف ابن أحمد : من علماء القرآن التاسع الهجري . هذا هو كل ما عثرنا عليه للزيدية من كتب في التفسير .

ولسكن هل هذا هو كل ما أنتجته هذه الطائفة ؟ أو أن هناك كتبًا أخرى ألفت في التفسير ثم درست ؟ أو ألفت وبقيت إلى اليوم غير أنه لم يكتب لها الذبوع والانتشار ، ولذا لم تصل إلى أيدينا ؟

الحق أني وجهت هذا السؤال إلى نفسي . فرجحت أن تكون هناك كتب كثيرة في التفسير لهذه الطائفة ، منها مدارس ، ومنها ما بقي إلى اليوم مطمورا في بعض المكاتب الخاصة ؛ إذ ليس من المعقول أن لا يكون لطائفة إسلامية قامت من قديم الزمان ، وبقيت محتفظة بتعاليمها ومقوماتها إلى اليوم إلا هذا الأثر الضئيل في التفسير ،

رجحت هذا الرأي ، فذهبت أفتش وأبحث في بعض الكتب التي لها عناية بهذا الشأن ؛ على أعثر على أسماء لبعض كتب في التفسير لبعض من علماء الزيدية ... وأخيراً وجدت في الفهرست لابن النديم : أن مقاتل بن سليمان

- وعده من الزيدية - له من الكتب ، كتاب التفسير الكبير ، وكتاب نواذر التفسير (١) .

ووجدت في الفهرست أيضا: أن أبا جعفر محمد بن منصور المرادى الزيدى ، له كتابان في التفسير ، أحدهما : كتاب التفسير الكبير ، والآخر : كتاب التفسير الصغير (٢) .

وقرأت مقدمة شرح الأزهار من كتب الزيدية في الفقه ، وهى مقدمة تشتمل على تراجم الرجال المذكورة فى شرح الأزهار لأحمد بن عبد الله الجندارى ، فخرجت منها بما بأتى :

١ - تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي ، جمعه بإسناده محمد ابن منصور بن يزيد الكوفى ، أحد أئمة الزيدية ، المتوفى سنة نيف وتسعين ومائتين (٣) .

٢ - تفسير إسماعيل بن علي البستى الزيدى ، المتوفى فى حدود العشرين وأربعمائة ، قال : وهو فى مجلد واحد (٤) .

٣ - التهذيب ، لمحسن بن محمد بن كرامة المعتزلى ثم الزيدى ، المقتول سنة ٤٩٤ هـ أربع وتسعين وأربعمائة . قال : وهذا التفسير مشهور ، ويمتاز من بين التفاسير بالترتبات الأنيق ؛ فإنه يورد الآية كاملة ، ثم يقول القراءة ويذكرها ، ويميز السبع من غيرها ، ثم يقول اللغة ويذكرها ، ثم يقول الإعراب ويذكره ، ثم يقول النظم ويذكره ، ثم يقول المعنى ويذكره ، ويذكر أقوالا متعددة ، وينسب كل قول إلى قائله من المفسرين ، ثم يقول النزول ويذكر سببه ، ثم يقول الأحكام ويستنبط أحكاما كثيرة من الآية (٥) .

(١) الفهرست ص ٢٥٤ .

(٢) الفهرست ص ٢٧٤ .

(٣) مقدمة شرح الأزهار ص ٣٦ .

(٤) ص ٧ من المرجع السابق .

(٥) ص ٣٢ من المرجع السابق .

٤ - تفسير عطية بن محمد النجواني الزيدى ، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ خمس وستين وستمائة . قال : وقد قيل إنه تفسير جليل ، جمع فيه صاحبه علوم الزيدية (١) .

٥ - التيسير فى التفسير ، للحسن بن محمد النحوى الزيدى الصنعانى ، المتوفى سنة ٧٩١ هـ إحدى وتسعين وسبعمائة (٢) .

هذا هو كل ما قرأت عنه من كتب الزيدية فى التفسير . لكن هل بقيت هذه الكتب إلى اليوم ؟ أو ردت بتقادم العهد عليها ؟ سألت نفسى هذا السؤال ، وحاولت أن أقف على جوابه ، وأخيراً انتهزت فرصة وجود الوفد اليمنى فى مصر (٣) - وفيه الكثير من علماء الزيدية الظاهرين - فاتصلت بأحد أعضائه البارزين ، وهو القاضى محمد بن عبد الله العامرى الزيدى ، فسألته عن أهم مؤلفات الزيدية فى التفسير ، وعن الموجود منها إلى اليوم ، فأخبرنى بأن للزيدية كتباً كثيرة فى تفسير القرآن الكريم ، منها ما بقى ، ومنها ما اندثر ، وما بقى منها إلى اليوم لا يزال مخطوطاً ، وموجوداً فى مكانهم ، وذكر لى من تلك المخطوطات الموجودة عندهم ما يأتى :

١ - تفسير ابن الأقطم . . أحد قدماء الزيدية .

٢ - شرح الخمسمائة آية ( تفسير آيات الأحكام ) لحسين بن أحمد النجوى ، من علماء الزيدية فى القرن الثامن الهجرى .

٣ - الثمرات الياصرة ( تفسير آيات الأحكام ) للشيخ شمس الدين يوسف ابن أحمد بن محمد بن عثمان ، من علماء الزيدية فى القرن التاسع الهجرى ،

٤ - منتهى المرام ، شرح آيات الأحكام ، لمحمد بن الحسين بن القاسم ، من علماء الزيدية فى القرن الحادى عشر الهجرى .

(١) ص ٢٣ من المرجع السابق .

(٢) ص ١١ من المرجع السابق .

(٣) كان ذلك فى سنة ١٩٤٥ م

ه - تفسير القاضى بن عبد الرحمن المجاهد ، أحد علماء الزيدية فى القرن الثالث عشر الهجرى .

قال : وهناك كتب أخرى لا يحضر فى اسمها ، ولا اسم مؤلفها ، فسألته عن السر الذى من أجله بقيت هذه الكتب مخطوطة إلى اليوم ؟ وأى شىء يحول بينكم وبين طبعاها ، حتى تصبح متداولة بين أهل العلم ، وعشاق التفسير ؟ فأجابنى بأن السر فى هذا أمران : أحدهما : عدم تقدم فن الطباعة عندهم . وثانيهما : أن كل اعتماد فى التفسير على كتاب الكشاف للزمخشرى ؛ نظراً للصلة التى بين الزيدية والمعتزلة ، مما جعل أهل العلم ينصرفون عن كل ما عداه من كتب التفسير ، ورجاء ورجوت معه أن يهب الله لهذا التراث العلمى فى التفسير من الأسباب ما يجعله متداولاً بين أهل العلم . ورجال التفسير .

وبعد ... فما دامت أيدينا لم تصل إلى شىء من كتب التفسير عند الزيدية سوى كتاب ( فتح القدير ) للشوكانى ، و ( الثمرات الياقوتية ) لشمس الدين يوسف بن أحمد ؛ فإنى سأقتصر على هذين الكتابين فى دراستى وبحثى ، وسأبدأ بتفسير الشوكانى ، وإن كان لا يمثل لنا تفسير الزيدية تمثيلاً وافياً شافياً . وأرجى الكلام عن ( الثمرات الياقوتية ) إلى أن أعرض للكلام عن تفاسير الفقهاء إن شاء الله :

## فتح القدير

للسوكاني

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

ومؤلف هذا التفسير هو العلامة محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني ، ولد في سنة ١١٧٣ هـ ثلاث وسبعين ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية ، في بلدة هجرة شوكان . ونشأ - رحمة الله تعالى - بصنعاء ، وتربى في حجر أبيه على العفاف والطهارة ، وأخذ في طلب العلم والسماع من العلماء الأعلام ، وجد في طلب العلم ، واشتغل كثيراً بمطالعة كتب التاريخ وبجميع الأدب ، وسار على هذه الطريقة ما بين مطالعة وحفظ ، وما بين سماع وتلق ، إلى أن صار إماماً يعول عليه ، ورأساً يرحل إليه ، فبدأ في عصره ، ونادرة لدهره ، وقدوة لغيره ، بجرأ في العلم لا بجرأى ، ومفسراً للقرآن لا بجرأى ، ومحدثاً لا يشق له غبار ، ومجتهداً لا يثبت أحد معه في مضمار .

ولقد خلف رحمه الله كتباً في العلم نافعة وكثيرة ، أهمها : كتاب فتح القدير في التفسير ، وهو الكتاب الذي نحن بصدده الكلام عنه ، وكتاب نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في الحديث ، وكتاب إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات .. رد به على مومى بن ميمون الأندلسى اليهودى ، وغير هذا كثير من مؤلفاته .

تفقه رحمه الله على مذهب الزيدية ، وبرع فيه ، وألف وأفتى ، ثم خلع ربة التقليدى ، وتحلى بمنصب الاجتهاد ، وألف رسالة ( سماها القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد ) ، تأمل عليه من أجلها جماعة من العلماء ، وأرسل إليه أهل جهته سهام اللوم والمقت ، ونارت من أجل ذلك فتنة في صنعاء اليمن بين من هو مقلد ومن هو مجتهد .

وعقيدة الشوكاني عقيدة السلف ، من حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف . وقد ألف رسالة في ذلك سماها ( التحف بذهب السلف ) .

هذا وقد توفي الشوكاني رحمه الله سنة ١٢٥٠ هـ فرحمه الله وأرضاه (١) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعتبر هذا التفسير أصلاً من أصول التفسير ، ومرجعاً مهماً من مراجعه ، لأنه جمع بين التفسير بالدراية ، والتفسير بالرواية ، فأجاد في باب الدراية ، وتوسع في باب الرواية ، وقد ذكر مؤلفه في مقدمته أنه شرع فيه في شهر ربيع الآخر من شهر سنة ثلاث وعشرين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية ، وفرغ منه في شهر رجب سنة تسع وعشرين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل السلام وأزكى التحية . كما ذكر أنه اعتمد في تفسيره هذا على أبي جعفر النحاس ، وابن عطية الدمشقي ، وابن عطية الأندلسي ، والقرطبي ، والزحشرى ، وغيرهم .

طريقة الشوكاني في تفسيره :

وطريقة الشوكاني التي سلكها في تفسيره يكفيننا في بيانها عبارته التي ذكرها في مقدمة هذا التفسير مبينا بها منهجه فيه .

قال رحمه الله : ( ..... ووطنت النفس على سلوك طريقة هي بالقبول عند الفجول حقيقة ، وها أنا أوضح لك منارها ، وأبين لك لإرادها وإصدارها فأقول : إن غالب المفسرين تفرقوا فريقين ، وسلكوا طريقين ، الفريق الأول : اقتصروا في تفاسيرهم على مجرد الرواية ، وفتحوا برفع هذه الراية ، والفريق الآخر : جردوا أنظارهم إلى ما تقتضيه اللغة العربية ، وما تفيده العلوم الآلية ، ولم يرفعوا إلى الرواية رأساً ، وإن جاءوا به لم يصحوا لها أساساً . وكلا

(١) أنظر ترجمة المؤلف في أول فتح القدير ، وفي أول نيل الأوطار .

الفريقين قد أصاب ، وأطال وأطاب ، وإن رفع عماد بيت تصنيفه على بعض الأطناب ، وترك منها ما لا يتم بدونه كمال الانتصاب)..... ثم قال بعد أن دلل على قوله هذا : ( وبهذا يعرف أنه لا بد من الجمع بين الأمرين ، وعدم الاقتصار على مسلك أحد الفريقين ، وهذا هو المقصد الذى وطئت نفسى عليه ، والمسلك الذى عزمت على سلوكه إن شاء الله ، مع تعرضى للترجيح بين التفسير المتعارضة مهما أمكن واتضح لى وجهه ، وأخذى من بيان المعنى العربى والإعرابى والبيانى بأوفر نصيب ، والحرص على إيراد ما ثبت من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو تابعيهم ، أو الأئمة المعتمدين وقد أذكر ما فى إسناده ضعف ؛ إما لأن فى المقام ما يقويه ، أو لما وافقته للمعنى العربى . وقد أذكر الحديث معزوا إلى روايه من غير بيان حال الإسناد ؛ لأنى أجده فى الأصول التى نقلت عنها كذلك ، كما يقع فى تفسير ابن جرير والقرطبى وابن كثير والسيوطى ، وغيرهم ، ويبعد كل البعد أن يعلموا فى الحديث ضعفاً ولا يبينوه ، ولا ينبغى أن يقال فيما أطلقوه : إنهم قد علموا ثبوته . فإن من الجائز أن ينقلوه من دون كشف عن حال الإسناد ، بل هذا هو الذى يغلب به الظن ؛ لأنهم لو كشفوا عنه فثبت عندهم صحته لم يتركوا بيان ذلك ، كما يقع منهم كثيراً التصريح بالصحة أو الحسن ، فن وجد الأصول التى يروون عنها ، ويعزون ما فى تفاسيرهم إليها . فلينظر إلى أسانيدنا موقفاً إن شاء الله .

واعلم أن تفسير السيوطى المسمى بالدر المنثور ، قد اشتمل على غالب ما فى تفاسير السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وتفسير الصحابة ومن بعدهم ، وما فاته إلا القليل النادر . وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو إليه الحاجة منه مما يتعلق بالتفسير ، مع اختصار لما تكرر لفظاً واتحد معنى بقولى : ومثله ونحوه ؛ وضممت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها ، وجدتها فى غيره من تفاسير علماء الرواية ، أو من الفوائد التى لاحت لى ، من تصحيح ، أو تحسين ، أو تضعيف ، أو تعقيب ، أو جمع ، أو ترجيح فهذا التفسير وإن كبر حجمه فقد كثر علمه ، وتوفر من التحقيق قسمه ، وأصاب غرض الحق

سهمه ، واشتمل على ما في كتب التفاسير من بدائع الفوائد ، مع زوائد فرائد ، وقواعد شرائد ، ثم أرجع إلى تفاسير المعتمدين على الدراية ، ثم أنظر في هذا التفسير بعد النظرين ، فعند ذلك يسفر الصبح لذى عينين ، ويتبين لك أن هذا الكتاب هو اللباب ، وعجب العجاب ، وذخيرة الطلاب ، ونهاية مآرب أولى الألباب .. وقد سميته (فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ..... (١) ) اه

عما تقدم يتضح لك جليلة طريقة المؤلف التي سلكها في تفسيره هذا ، وقد رجعت إلى هذا التفسير وقرأت فيه كثيراً . فوجدته يذكر الآيات ، ثم يفسرها تفسيراً معقولاً ومقبولاً ، ثم يذكر بعد الفراغ من ذلك : الروايات التفسيرية الواودة عن السلف ، وهو ينقل كثيراً عن ذكر من أصحاب كتب التفسير . ووجدته يذكر المناسبات بين الآيات ، ويحتكم إلى اللغة كثيراً . ويتفل عن أئمتها كالمبرد وأبي عبيدة والفراء ، كما أنه يتعرض أحياناً للقراءات السبع ، ولا يفوته أن يعرض لمذاهب العلماء الفقهية في كل مناسبة ، ويذكر اختلافاتهم وأدلتهم ، ويدلي بدلوه بين الدلاء ، فيرجح ، ويستظهر ، ويستنبط ، ويعطى نفسه حرية واسعة في الاستنباط ؛ لأنه يرى نفسه مجتهداً لا يقل عن غيره من المجتهدين .

#### نقله للروايات الموضوعية والضعيفة :

غير أني آخذ عليه — كرجل من أهل الحديث — أنه يذكر كثيراً من الروايات الموضوعية ، أو الضعيفة ، ويمر عليها بدون أن ينبه عليها .

فمثلاً نجده عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٥٥ ) من سورة المائدة : إنما وليكم الله ورسوله ..... الآية ، وقوله في الآية ( ٦٧ ) منها : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك . . . الآية ، يذكر من الروايات ما هو موضوع على السنن الشيعة ، ولا ينبه على أنها موضوعية ، مع أنه يقرر عدم صلاحية مثل هذه الروايات للاستدلال على إمامة علي ، ففي الآية الأولى يقول ( . . . ) وهم



راكعون ، جملة حالية من فاعل الفعلين الذين قبله ، والمراد بالركوع : الخشوع والخضوع ، أى يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وهم خاشعون لا يتكبرون وقيل : هو حال من فاعل الزكاة ، والمراد بالركوع هو المعنى المذكور ، أى يضعون الزكاة فى مواضعها غير متكبرين على الفقراء ، ولا مترفعين عليهم ، وقيل المراد بالركوع على المعنى الثانى : ركوع الصلاة . ويدفعه عدم جواز إخراج الزكاة فى تلك الحال (١) . اهـ

ثم نراه يذكر فى ضمن ما يذكر من الروايات عن ابن عباس أنه قال تصدق على بخاتم وهو راع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للسائل : من أعطاك هذا الخاتم ؟ قال : ذلك الراكع ، فأنزل الله فيه : إنما وليكم الله ورسوله ... الآية (٢) ، ثم يمر على هذه الرواية الموضوعية باتفاق أهل العلم ولا ينبه على ما فيها وفى الآية الثانية نجده يروى عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : ( نزلت هذه الآية : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك .. ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم ، فى على بن أبى طالب رضى الله عنه ) ويروى عن ابن مسعود أنه قال : ( كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، أن علياً مولى المؤمنين ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس (٣) ) - ثم يمر على هاتين الروايتين أيضاً بدون أن يتعقبهما بشئ أصلاً .

#### ذمه للتقليد والمقلدين :

كذلك نلاحظ على الشوكافى أنه لا يكاد يمر بآية من القرآن تنعى على المشركين تقليد أبائهم إلا ويطبقها على مقلدى أئمة المذاهب الفقهية ، ويرميهم بأنهم تاركون لكتاب الله ، معرضون عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونحن وإن كنا لا نمنع من الاجتهاد من له قدرة عليه بتحصيله لأسبابه وإمامه بشرطه

(٣) ج ٢ ص ٥٧

(٢) ج ٢ ص ٥٠

(١) ج ٢ ص ٤٨

(١٩ - التفسير والمفسرون ٢)

إلا أنا لا ننكر أن في الناس من ليس أهلا للاجتهاد ، وهؤلاء لا بد لهم من التقليد . ولست في شك من أن الشوكاني مخطئ في حملته على المقلدة ، كما أنه قاس إلى حد كبير حيث يطبق ماورد من الآيات في حق الكفرة على مقلدى الأئمة وأتباعهم . وإليك بعض ماقاله في تفسيره :

فتلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٢٨) من سورة الأعراف : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ، قال : مانصه : ( ... وإن في هذه الآية الشريفة لأعظم زاجر ، وأبلغ واعظ للمقلدة ، الذى يتبعون آباءهم في المذاهب المخالفة للحق ، فإن ذلك من الاقتداء بأهل الكفر لا بأهل الحق ، فإنهم القائلون : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون<sup>(١)</sup> ، والقائلون « وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها<sup>(٢)</sup> ، والمقلدون لا اغتراره بكونه وجد أباه على ذلك المذهب ، مع اعتقاده بأنه الذى أمر الله به ، وأنه الحق لم يبق عليه ، وهذه الخصلة هى التى بقى بها اليهودى على اليهودية ، والنصرانى على النصرانية ، والمبتدع على بدعته ، فما أبقاهم على هذه الضلالات إلا كونهم وجدوا آباءهم فى اليهودية أو النصرانية أو البدعة . وأحسنوا الظن بهم ، بأن ما هم عليه هو الحق الذى أمر الله به ، ولم ينظروا لأنفسهم ، ولا طلبوا الحق كما يجب ، ولا بحثوا عن دين الله كما ينبغي ، وهذا هو التقليد البحت والقصور الخالص ، فيأمن نشأ على مذهب من هذه المذاهب الإسلامية ، أنا لك الذئير المبالغ فى التحذير من أن تقول هذه المقالة ، وتستمر على الضلالة ، فقد اختلط الشر بالخير ، والصحيح بالسقيم ، وفسد الرأى بصحيح الرواية ، ولم يبعث الله إلى هذه الأمة إلا رسولا واحدا أمرهم باقتباعه ، ونهى عن مخالفته فقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا<sup>(٣)</sup> ، ولو كان محض رأى أئمة المذاهب وأتباعهم حجة على العباد ،

- 
- (١) فى الآية (٢٣) من سورة الزخرف .
  - (٢) فى الآية (٢٨) من سورة الأعراف .
  - (٣) فى الآية (٧) من سورة الحشر .

لكان لهذه الأمة رسل كثيرون متعددون بعدد أهل الرأى ، المكلفين للناس بما لم يكلفهم الله به . وإن من أعجب الغفلة ، وأعظم الذهول عن الحق ، اختيار المقلدة لآراء الرجال ، مع وجود كتاب الله ووجود سنة رسوله ، ووجود من يأخذونهما عنه ، ووجود آلة الفهم لديهم ، وملكة العقل عندهم (١) اه .

وفي سورة التوبة عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣١) «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون» ، يقول مانصه : ( . . . وفى هذه الآية ما يزرع من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله ، وإيثار ما يقوله الأسلاف على ما فى الكتاب العزيز ، والسنة المطهرة ؛ فإن طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ، ويستن بسنته من علماء هذه الأمة ، مع مخالفتها لما جاءت به النصوص ، وقامت به حجج الله وبراهينه ، ونطقت به كتبه وأنبيأؤه ، هو كاتخاذ اليهود والنصارى الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله . للقطع بأنهم لم يعبدوهم ، بل أطاعوهم ، وحرموا ما حرموا . وحلوا ما حللوا وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الأمة ، وهو أشبه به من شبه البيضة بالبيضة ، والتمر بالتمر ، والماء بالماء . فإعباد الله ، وإتباع محمد بن عبد الله : ما بالكم تركتم الكتاب والسنة جانبا ، وعمدتم إلى رجال هم مثلكم فى تعبد الله لهم بهما ، وطلبه منهم للعمل بما دلا عليه وأفاده ؟ فعلمتم بما جاءوا به من الآراء التى لم تعتمد بعهد الحق ، ولم تعضد بعرض الدين ، ونصوص الكتاب والسنة تنادى بأبلغ نداء ، وتصوت بأعلى صوت بما يخالف ذلك ويبيانه ، فأعتموهما آذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وأفهاما مريضة ، وعقولا مهیضة ، وأذهانا كليلة ، وخواطر عليلة ، وأنشدتم بلسان الحال :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد  
فدعوا - أرشدكم الله وإياى - كتباً كتبها لكم الأموات من أسلافكم ،  
واستبدلوا بها كتاب الله خالقهم وخالقكم ، ومتعبدهم ومتعبدكم ، ومعبودهم

ومعبودكم ، واستبدلوا بأقوال من تدعونهم بأئمتكم وما جاءوكم به من الرأى ،  
بأقوال إمامكم وإمامهم ، وقدوتكم وقدوتهم ، وهو الإمام الأول محمد بن عبد الله  
صلى الله عليه وسلم .

دعواكل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمنخاطر

اللهم هادى الضال ، مرشد التائه ، موضح السبيل .. اهدنا إلى الحق ،  
وأرشدنا إلى الصواب ، وأوضح لنا منهج الهداية<sup>(١)</sup> ( ٥١ ) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآيات ( ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ) من سورة الأنبياء  
« إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا  
لها عابدين » قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ، نجده يذم المقلدة ،  
وأئمة المذاهب بما لا يليق أن يصدر من عالم في حق عالم آخر ربما كان أفضل  
منه عند الله ، وذلك حيث يقول : ( ... وهكذا يجب هؤلاء المقلدة من أهل  
هذه الملة الإسلامية ، فإن العالم بالكتاب والسنة إذا أنكر عليهم العمل بمحض  
الرأى المدفوع بالدليل .. قالوا : هذا قد قال به إمامنا الذى وجدنا آباءنا له  
مقلدين ، وبرأيه آخذين . وجوابهم هو ما أجاب به الخليل ههنا « قال لقد كنتم  
أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ، أى فى خسران واضح لا يخفى على أحد ، ولا يلتبس  
على ذى عقل ؛ فإن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام التى لاتضر ولا تنفع ، ولا  
تسمع ولا تبصر ، وليس بعد هذا الضلال ضلال ، ولا يساوى هذا الخسران  
خسران . وهؤلاء المقلدة من أهل الإسلام استبدلوا بكتاب الله ، وبسنة رسوله  
كتاباً قد دونت فيه اجتهادات عالم من علماء الإسلام ، زعم أنه لم يقف على  
دليل يخالفها ، إما لقصور منه ، أو لتقصير فى البحث ، فوجد ذلك الدليل من  
وجده ، وأبرزه واضح المنار ، كأنه علم فى رأسه نار ، وقال : هذا كتاب الله ،  
أو هذه سنة رسول الله ، وأنشدهم :

دعواكل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمنخاطر

فقالوا كما قال الأول :

وما أنا إلا من غزية إن غرت غويت وإن ترشد غزية أرشد  
وقد أحسن من قال :

يأبى الفتى إلا اتباع الهوى ومنهج الحق له واضح (١) اه .

حياة الشهداء :

هذا . . . وإن الشوكاني ليقرر في تفسيره هذا : أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، حياة حقيقية لاجازية ، وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٦٩) من سورة آل عمران ، ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، ( . . . . . ) وقد اختلف أهل العلم في الشهداء المذكورين في هذه الآية من هم ؟ . فقيل : شهداء أحد . وقيل : في شهداء بدر . وقيل : في شهداء بئر معونة . . . وعلى فرض أنها نزلت في سبب خاص فالإعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . . ومعنى الآية عند الجمهور : أنهم أحياء حياة محققة . ثم اختلفوا : فمنهم من قال : إنها ترد إليهم أرواحهم في قبورهم فيتنعمون . وقال مجاهد : يرزقون من ثمر الجنة ، أى يجدون ربحها وليسوا فيها . وذهب من عدا الجمهور إلى أنها حياة مجازية ، والمعنى : أنهم في حكم الله مستحقون للنعم في الجنة والصحيح الأول ، ولا موجب للمصير إلى المجاز ، وقد وردت السنة المطهرة بأن أرواحهم في أجواف طيور خضر ، وأنهم في الجنة يرزقون ويأكلون ويتمتعون (٢) .

التوسل :

ولكنه مع هذه الموافقة للجمهور ، نراه يقف من مسألة التوسل بالأنبياء ، والأولياء موقف المعارضة ، ويفيض في الإنكار على من يفعل ذلك في سورة

(١) ج ٣ ص ٣٩٨ .

(٢) ج ١ ص ٣٦٥ .

يونس عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤١) «قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله...» يقول مانصه: «... وفي هذا أعظم واعظ، وأبلغ زاجر لمن صار دينه وهجيره المناداة لرسول الله صلى الله عليه، وسلم، والاستغاثة به عند نزول النوازل التي لا يقدر على دفعها إلا الله سبحانه، وكذلك من صار يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يقدر على تحصيله إلا الله سبحانه، فإن هذا مقام رب العالمين، الذي خلق الأنبياء والصالحين وجميع مخلوقين، ورزقهم وأحيامهم ويميتهم، فكيف يطلب من نبي من الأنبياء، أو ملك من الملائكة، أو صالح من الصالحين، ما هو عاجز عنه غير قادر عليه ويترك الطلب لرب الأرباب، القادر على كل شيء. الخالق الرازق، المعطي المانع، وحسبك بما في هذه الآية موعظة، فإن هذا سيد ولد آدم، وخاتم الرسل يأمره الله بأن يقول لعباده: لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً. فكيف يملكه لغيره؟ وكيف يملكه غيره، من رتبته دون رتبته، ومنزلته لا تبلغ إلى منزلته لنفسه فضلاً عن أن يملكه لغيره؟ فيا عجبا لقوم يعكفون على قبور الأموات الذي صاروا تحت أطباق الثرى، ويطلبون منهم من الحوائج ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل. كيف لا يتيقظون لما وقعوا فيه من الشرك، ولا يتنبهون لما حل بهم من المخالفة لمعنى (لا إله إلا الله) ومدلول (قل هو الله أحد).

وأعجب من هذا، اطلاع أهل العلم على ما يقع من هؤلاء ولا ينكرون عليهم ولا يحولون بينهم وبين الرجوع إلى الجاهلية الأولى، بل إلى ما هو أشد منها، فإن أولئك يعترفون بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق، المحيي المميت، الضار النافع، وإنما يجعلون أصنامهم شفعاء لهم عند الله. ومقربين لهم إليه. وهؤلاء يجعلون لهم قدرة على الضر والنفع، وينادونهم تارة على الاستقلال، وتارة مع ذى الجلال، وكفالك من شرسماعه، والله ناصر دينه، ومظهر شريعته من أوصار الشرك، وأدناس الكفر. ولقد توسل الشيطان - أخزاه الله - بهذه الدريعة إلى ما تقر به عينه، وينتجج به صدره، من كفر كثير من هذه الأمة

المباركة ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . . . . . إنا لله وإنا إليه راجعون (١) ٥١ .

موقفه من التشابه :

ثم إن المؤلف — كما قلنا في ترجمته — سلفى العقيدة ، فبكل ما ورد في القرآن من ألفاظ توهم التشبيه حملها على ظاهرها ، وفوض الكيف إلى الله ؛ ولهذا نراه مثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٥٥) من سورة البقرة «وسع كرسيه السموات والأرض ، يقول : (الكرسى : الظاهر أنه الجسم الذي وردت الآثار بصفته كما سيأتى بيان ذلك . وقد نفى وجوده جماعة من المعتزلة ، وأخطأوا في ذلك خطأ بيناً ، وغلطوا غلطاً فاحشاً . وقال بعض السلف . إن الكرسي هنا عبارة عن العلم ، ومنه قول الشاعر :

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسى بالأخبار حين تنوب  
ورجح هذا القول ابن جرير . وقيل : كرسية : قدرته التي يمسك بها  
السموات والأرض ، كما يقال : اجعل لهذا الحائط كرسياً . . . . . أى ما يعمده .  
وقيل : إن الكرسي هو العرش . وقيل : هو تصوير لعظمته ولا حقيقة له .  
وقيل . هو عبارة عن الملك . والحق القول الأول . ولا وجه للعدول عن المعنى  
الحقيقى إلى مجرد خيالات وضلالات (٢) ٥١ .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٤) من سورة الأعراف «إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش . . . . . الآية ، يقول مانصه : ( قد اختلف العلماء فى معنى هذا على أربعة عشر قولاً ، وأحقها وأولها بالصواب مذهب السلف الصالح : أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف ، بل على الوجه الذى يليق به مع تنزهه عما لا يجوز عليه (٣) ٥١ .

موقفه من آراء المعتزلة :

وبالرغم من أن الزيدية تأثروا كثيراً بتعاليم المعتزلة ، وأخذوا عنهم آراءهم

وعقائدهم في غالب مسائل الكلام ، فإننا نجد صاحبنا لا يميل إلى القول بعبادتهم بل ونجده يرد عليهم ، ويعارضهم معارضة شديدة في كثير من المواقف .

فثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة البقرة ، وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ... الآية ، يقول ما نصه : ( ... وإنما عوقبوا بأخذ الصاعقة لهم ؛ لأنهم طلبوا ما لم يأذن الله به من رؤية الدنيا . وقد ذهب المعتزلة ومن تابعهم إلى إنكار الرؤية في الدنيا والآخرة . وذهب من عداهم إلى جوازها في الدنيا ، ووقوعها في الآخرة . وقد توازرت الأحاديث الصحيحة بأن العباد يرون ربهم في الآخرة ، وهي قطعية الدلالة ، لا ينبغي لمنصف أن يتمسك في مقابلها بتلك القواعد الكلامية التي جاء بها قدماء المعتزلة ، وزعموا أن العقل قد حكم بها ، دعوى مبنية على شفا جرف هار ، وقواعد لا يغيرتها إلا من لم يحظ من العلم بنصيب نافع ... (١) ا هـ .

كذلك نراه يرد على الزنجشري في دعواه : أن دخول الجنة مستحق بسبب العمل الصالح ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤٣) من سورة الأعراف : ... ونودوا أن تلكم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون ، ( ... قال الكشاف : بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطله ا هـ . أقول : يا مسكين . . هذا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه ، سدودا وقاربوا واعملوا . إنه لن يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ، والتصريح بسبب لا يستلزم نفي سبب آخر ، ولولا التفضل من الله سبحانه وتعالى على العامل بإقذاره على العمل لم يكن عمل أصلا ، فلو لم يكن التفضل إلا بهذا الإقذار لسكان القائلون به محقة لا مبطله . وفي التنزيل ، ذلك الفضل من الله (٢) ، وفيه « فسيدخلهم في رحمة منه وفضل (٣) ، ا هـ (٤) .

(١) ج ١ ص ٧٢ .

(٢) في الآية (٧٠) من سورة النساء .

(٣) في الآية (١٧٥) من سورة النساء .

(٤) ج ٢ ص ١٩٦ .



كذلك نراه ينكر على المعتزلة القائلين : بأن العين لا تأثير لها في المعين ، وذلك حيث يقول عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٦٧ ) من سورة يوسف « وقال يابني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ... الآية ، ( وقد أنكر بعض المعتزلة كآبى هاشم والبلخي ، أن للعين تأثيراً ، وليس هذا بمستنكر من هذين وأتباعهما ، فقد صار دفع أدلة الكتاب والسنة بمجرد الاستبعادات العقلية دأبهم وديندهم ، وأى مانع من إصابة العين بتقدير الله سبحانه لذلك ، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأن العين حق ، وأصيب بها جماعة في عصر النبوة . ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأعجب من إنكار هؤلاء لما وردت به نصوص هذه الشريعة ما يقع من بعضهم من الازدراء على من يعمل بالدليل المخالف . لمجرد الاستبعاد العقلي ، والتنطع في العبارات ، كالزحشرى في تفسيره ؛ فإنه في كثير من المواطن لا يقف عند دفع دليل الشرع بالاستبعاد ، حتى يضم إلى ذلك الوقاحة في العبارة ، على وجه يوقع المقصرين في الأقوال الباطلة ، والمذاهب الزائفة . وبالجملة ، فقول هؤلاء مدفوع بإدلة المتكاثرة . وإجماع من يعتد به من هذه الأمة سلفاً وخلفاً ، وبما هو مشاهد في الوجود ، فكم من شخص من هذا النوع الإنساني ، وغيره من أنواع الحيوان هلك بهذا السبب<sup>(١)</sup> ) ا هـ

ويقف الشوكاني من المعتزلة موقف المعارضة في مسألة غفران الذنوب . فعندما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية ( ٥٣ ) من سورة الزمر « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ... الآية ، نجده يقول : ( ... وأما ما يزعمه جماعة من المفسرين من تقييد هذه الآية بالتوبة ، وأنها لا تغفر إلا ذنوب التائبين . وزعموا أنهم قالوا ذلك للجمع بين الآيات ، فهو جمع بين الضب والنون ، وبين الملاح والحادي ، وعلى نفسها براقش تجنى ، ولو كانت هذه البشارة العظيمة مقيدة

بالتوبة لم يكن لها كثير موقع ، فإن التوبة من المشرك يغفر الله له بها ما فعله من الشرك بإجماع المسلمين ، وقد قال « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (١) » ، فلو كانت التوبة قيماً في المغفرة لم يكن للتنصيص على الشرك فائدة ، وقد قال سبحانه : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (٢) » قال الواحدى : المفسرون كلهم قالوا : إن هذه الآية في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام ، كالشرك ، وقتل النفس ، ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : هب أنها في هؤلاء فكان ماذا ؟ فإن الاعتبار بما اشتملت عليه من العموم لا بخصوص السبب ، كما هو متفق عليه بين أهل العلم . ولو كانت الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية مقيدة بأسبابها غير متجاوزة لها ، لارتفعت أكثر التكاليف عن الأمة إن لم ترتفع كلها ، واللازم باطل بالإجماع ، فالملزوم مثله (٣) ١ هـ .

### موقف الشوكانى من مسألة خلق القرآن :

هذا . . . ولم يرض الشوكانى موقف أهل السنة ، ولا موقف المعتزلة من مسألة خلق القرآن ، وإنما رضى أن يكون من العلماء الوقوف في هذه المسألة ، فلم يجزم فيها برأى ، وراح ينحى باللائمة على من يقطع بأن القرآن قديم أو مخلوق ، فعندما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية (٢) من سورة الأنبياء « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، يقول ما نصه : ( . . . وقد استدل بوصف الذكر بكونه محدثاً على أن القرآن محدث ، لأن الذكر هنا هو القرآن ، وأجيب بأنه لا نزاع في حدوث المركب من الأصوات والحروف ، لأنه متجدد في النزول ، فالمعنى : محدث تنزيله ، وإنما النزاع في

(١) فى الآية (١١٦) من سورة النساء

(٢) فى الآية (٦) من سورة الرعد

(٣) ج ٤ ص ٤٥٧

السكلام النفسى<sup>(١)</sup> . وهذه المسألة - أعنى قدم القرآن وحدوثه - قد ابتلى بها كثير من أهل العلم . . . ولقد أصاب أئمة السنة بامتناعهم من الإجابة إلى القول بخلق القرآن وحدوثه ، وحفظ الله بهم أمة نبيه عن الابتداع ، ولكنهم - رحمهم الله - جاوزوا ذلك إلى القول بقدمه ، ولم يقتصروا على ذلك حتى كفروا من قال بالحدوث ، بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من قال : لفظى بالقرآن مخلوق ، بل جاوزوا ذلك إلى تكفير من وقف ، وليتهم لم يجاوزوا حد الوقف ، وإرجاع العلم إلى علام الغيوب ، فإنه لم يسمع من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى وقت قيام المحنة وظهور القول في هذه المسألة : شىء من السكلام ، ولا تنقل عنهم كلمة في ذلك ، فكان الامتناع من الإجابة إلى مادعوا إليه ، والتمسك بأذيال الوقف ، وإرجاع علم ذلك إلى عالمه . هو الطريقة المثلى ؛ وفيه السلامة والخلوص من تكفير طوائف من عباد الله ، والأمر لله سبحانه<sup>(٢)</sup> اه

هذا هو أهم ما فى تفسير الشوكانى من البحوث التى أعطى فيها لنفسه حرية واسعة . خوات له أن يسخر من عقول العامة ، وأن يهزأ من تعاليم المعتزلة ، وأن يندب ببعض مواقف أهل السنة . وأحسب أن الرجل قد دخله شىء من الغرور العلبى ، فراح ، يوجه لومه لهؤلاء وهؤلاء ، وليته وقف منهم جميعاً موقف الحاكم النزيه ، والناقد العف . . . وعلى الجملة ، فالكتاب له قيمته ومكانته ، وإن كان لا يعطينا الصورة الواضحة للتفسير عند الإمامية الزيدية ونرجو أن نوفق إلى العثور على بعض ما لهم فى التفسير ، وأحسب أنه كثير . والكتاب مطبوع فى خمس مجلدات ، ومتداول بين أهل العلم .

(١) ليس هذا هو محل النزاع ، لأن السكلام النفسى بمعنى أنه صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى ليست بحرف ولا صوت ، منزهة عن التقديم والتأخير ولوازم السكلام اللفظى ، ومنزهة عن السكوت النفسى وعن الآفة الباطنة . . . السكلام النفسى بهذا المعنى يقول به الأشعرى وينفيه باقى الفرق - انظر محاضرات التوحيد للمرحوم الشيخ محمود أنى دقيقة ص ١٢٨ - مطبعة الإرشاد سنة ١٩٣٦ م .

## الخواارج

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

كلمة إجمالية عن الخوارج :

بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، نشط أنصار على رضى الله عنه فى الدعوة له ، حتى أخذوا له البيعة من المسلمين ، ليكون خليفة لهم... ولكن لم تكند تم له البيعة حتى قام ثلاثة من كبار الصحابة ينازعونه الأمر ؛ لا اعتقادهم أن الحق فى غير جانبه . وهؤلاء الصحابة هم : معاوية بن أبى سفيان ، وطلحة بن عبدالله ، والزبير بن العوام .

وكان لعلى - رضى الله عنه - شيعة وأنصار ، وكان لمعاوية رضى الله عنه شيعة وأنصار كذلك . وكانت حروب طاحنة بين الفريقين ١١ . كان الغلب فيها لعلى وحزبه ، إلى أن جاءت موقعة صفين ، فكاد الفشل يحيق بجيش معاوية ، وأوشكت الهزيمة أن تمدق به ، لولا أن لجأ إلى حيلة رفع المصاحف على أسنة الرماح ، طلباً للهدنة ، ورغبة فى التحكيم بين الحزبين . وبعد أخذ ورد بين جيش على فى قبول التحكيم وعده . رأى على رضى الله عنه قبول التحكيم ؛ رغبة منه فى حقن الدماء . واختار معاوية : عمرو بن العاص ليثله واختار أصحاب على : أباموسى الأشعري .

وكان قبول على - رضى الله عنه - لمبدأ التحكيم أول عامل من عوامل التصدع فى جيشه وحزبه ؛ إذ أن بعض شيعته رأوا أن التحكيم خطأ ، لأن الحق ظاهر فى جانب على . ولا يعتوره شك فى نظره ، وقبول التحكيم دليل الشك من على فى أحقيته بالخلافة ، وهم إنما قاموا معه فى حروبه لاعتقادهم بأن الحق فى جانبه ، فكيف يشك هو فيه ؟؟...

لم يرض هؤلاء بفكرة التحكيم . فخرجوا على على ، ولم يقبلوا أن يرجعوا إليه إلا إذا أقر على نفسه بالكفر ، لقبوله التحكيم ، وإلا إذا نقض ما أبرم

من الشروط بينه وبين معاوية ، ولكن عليا رضى الله عنه لم يستجب لرغبتهم هذه ، فأخذوا كلما خطب على أو ضمنه وإياهم مكان جامع رفعوا أصواتهم بقولهم : ( لا حكم إلا لله ) .

وكان التحكيم ، وفيه خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري ، فلم يكن إلا تحكيميا فاشلا . أمال قلوب كثير من الناس إلى ناحية الخوارج ، وأخيراً ، وبعد يأس الخوارج من رجوع على إياهم اجتمعوا في منزل أحدهم ، وخطب فيهم خطبة حثهم على التمسك بمبادئهم والدفاع عنه ، وطلب منهم الخروج من الكوفة إلى قرية بالقرب منها يقال لها حروراء ، فخرجوا إليها ، وأمروا عليهم عبد الله ابن وهب الراسبي (١) . ووقعت بينهم وبين علي حروب طاحنة هزمهم فيها ، ولكن لم يقض عليهم . وأخيراً دبروا له مكيدة قتله ، فقتله عبد الرحمن بن ملجم .

وجاءت دولة الأمويين ، فسكان الخوارج شوكة في جنبها يهددوننا ويحاربونها ، حتى كادوا يقضون عليها . ثم جاءت الدولة العباسية ، فسكان بينهم وبينها حروب كذلك ، ولكن لم يكونوا في قوتهم الأولى ، لتفرق كلمتهم وتشتت وحدتهم ، وضعف سلطانهم ، وخور قواهم .

دبت في وحدة الخوارج جرثومة التفرق ، وأصيبوا بداء التحزب ، فبلغ عدد أحزابهم عشرين حزبا ، كل حزب يفارق الآخر في المبدأ والعقيدة ... ولكن يجمع الكل على مبدئين اثنين :

أحدهما : إكفار علي ، وعثمان ، والحكمين ، وأصحاب الجمل ، وكل من رضى بتحكيم الحكمين .

وثانيهما : وجوب الخروج على السلطان الجائر .

وهناك مبدأ ثالث يقول به أكثر الخوارج ، وهو : الإكفار بارتكاب الكبائر (٢) .

(١) نسبة إلى راسب . حتى من الأزدي .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٥٥ .

هذا .. وقد وضع الخوارج مبدأ للخلافة فقالوا : ( إن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين ، وإذا اختير الخليفة فليس يصح أن يتنازل ، أو يحكم ، وليس بضروري أن يكون الخليفة قرشياً ، بل يصح أن يكون من قريش ومن غيرهم ، ولو كان عبداً حبشياً ، وإذا تم الاختيار كان رئيس المسلمين ويجب أن يخضع خضوعاً تاماً لما أمر الله ، وإلا وجب عزله ، ولهذا أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي ، ولم يكن قرشياً (١) .

وعلى هذا حكموا بصحة خلافة أبي بكر وعمر ، وبصحة خلافة عثمان في سنيه الأولى . فلما غير ، وبدل ولم يسر سيرة الشيخين - كما زعموا - وجب عزله ، وأقروا بصحة خلافة علي أولاً ، ثم خرجوا عليه بعد أن أخطأ في التحكيم ، وكفر به كما يزعمون . . . .

ولا يسعنا في تلك العجالة إلا أن نطوى الحديث عن التعرض لكل فرقة من فرق الخوارج ، ولكن نكتفي بالكلام عن أشهرها ، وهي ما يأتي :

أولاً - الأزارقة : وهم أتباع نافع بن الأزرق ، وهم يكفرون من عداهم من المسلمين ، ويحرمون أكل ذبائحهم ومناكحتهم ، ولا يجيزون التوارث بينهم ، ويعاملونهم معاملة الكفار من المشركين . . إما الإسلام ، وإما السيف ، ودارهم دار حرب ، ويحبل قتل نساتهم وأطفالهم ، ولا يقولون برجم الزاني المحصن ، ولا يقولون بحد من يقذف المحصنين من الرجال . . أما قاذف المحصنات فعليه الحد قطعاً . ولا يرون جواز التقية .

ثانياً - النجيدات : وهم أتباع نجدة بن عامر ، وهم يرون أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط ، بل عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم ، فإن رأوا أن الحاجة تدعو إلى إمام أقاموه ، وإلا فلا . كما أنهم يكفرون من يقول بإمامة نافع ابن الأزرق ، ويكفرون من يكفر القاعدين عن الهجرة لنافع وحزبه ، ويقولون : إن الدين أمران :

أحدهما: معرفة الله تعالى ، ومعرفة الرسول ، والإقرار بما جاء به جملة .  
فهذا واجب معرفته على كل مكلف .

وثانيهما: ما عدا ما تقدم ، فالناس معذورون بحالته إلى أن تقوم عليهم الحجة .  
فمن استحل شيئا حراما باجتهاد فله عذره ؛ وهم يعظمون جريمة الكذب ،  
ويجعلونها أكبر جرما من شرب الخمر والزنى .

ومن بدع نجدة: أنه تولى أصحاب الحدود من موافقيه، وقال : لعل الله يعذبهم  
بذنوبهم في غير نار جهنم ، ثم يدخلهم الجنة ، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه .  
ثالثا - الصفرية : وهم أتباع زياد بن الأصغر ، وهم يقولون بأن أصحاب  
الذنوب مشركون ، غير أنهم لا يرون قتل أطفال مخالفيهم ونسائهم كما ترى  
الأزارقة ذلك . ومن الصفرية من يخالف في ذلك فيقول : كل ذنب له حد في  
الشريعة لا يسمى مرتكبه مشركا ، ولا كافرا ، بل يدعى باسمه المشتق من جريمته  
يقال : سارق ، وقاتل ، وقاذف وكل ذنب ليس فيه حد معلوم في الشريعة قتل  
الإعراض عن الصلاة فمرتكبه كافر . . ولا يسمى مرتكب واحد من هذين  
التوعين جميعا مؤمنا ، ومنهم من يقول : إن صاحب الذنب لا يحكم عليه بالكفر  
حتى يرفع إلى الوالى فيحده ويحكم بكفره .

رابعا - الإباضية: وهم أتباع عبد الله بن إباض، وهم أعدل فرق الخوارج،  
وأقربها إلى تعاليم أهل السنة ، وهم يجمعون على أن مخالفيهم من المسلمين ليسوا  
مشركين ، ولا مؤمنين . ولكنهم كفار . ويروى عنهم أنهم يريدون كفر النعمة ،  
وأجازوا شهادة مخالفيهم من المسلمين ، ومناكحتهم ، والتوراث معهم ، وحرموادماءهم  
في السردون العلانية ، لأنهم محاربون لله ولرسوله ، ولا يدينون دين الحق ودارهم  
دار توحيد لإمعسكر السلطان ، واستحلوا من غنائمهم : الخيل والسلاح ، وكل ما فيه  
قوة حربية لهم . ولم يستحلوا غنائم الذهب والفضة ، بل يردونها لأهلها .

واختلفوا في النفاق على ثلاثة أقوال :

فريق يرى أن النفاق براءة من الشرك والإيمان معا . ويحتج بقوله تعالى في الآية  
(١٤٣) من سورة النساء مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . . .

وفريق يرى أن كل نفاق فهو شرك ، لأنه ينافى التوحيد .  
وفريق ثالث يرى أن النفاق لا يسمى به غير القوم الذين سماهم الله  
تعالى منافقين .

وهناك مخالفة لبعض الإباضية في بعض المسائل ، لا نعرض لها هنا ،  
مخافة التطويل .

هذه هي أهم فرق الخوارج ، وهذه هي أهم ما لهم من تعاليم وعقائد ؛  
نضعها بين يدي القارئ قبل أن نتكلم عن موقفهم من التفسير ، ليكون على  
علم بها ، وليعلم بعد ذلك مقدار الصلة بينها وبين ما لهم من تفسير .



## مواقف الخوارج من تفسير القرآن الكريم

تعددت فرق الخوارج ، وتعددت مذاهبهم وآراؤهم ، فكان طبيعياً - وهم ينتسبون إلى الإسلام ، ويعترفون بالقرآن - أن تبحث كل فرقة منهم عن أسس من القرآن الكريم ، تبني عليها مبادئها وتعاليمها ، وأن تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها ، فأرأته في جانبها - ولو ادعاء - تمسكت به ، واعتمدت عليه ، وما أرأته في غير صالحها حاولت التخلص منه بصرفه وتأويله ، بحيث لا يبقى متعارضاً مع آرائها وتعاليمها .

### سلطان المذهب يغلب على الخوارج في فهم القرآن :

والذي يقرأ تاريخ الخوارج ، ويقرأ ما لهم من أفكار تفسيرية ، يرى أن المذهب قد سيطر على عقولهم ، وتحكم فيها ، فأصبحوا لا ينظرون إلى القرآن إلا على ضوءه ، ولا يدركون شيئاً من معانيه إلا تحت تأثير سلطانه ، ولا يأخذون منه إلا بقدر ما ينصر مبادئهم ويدعو إليها .

فتلا نرى أن أكثر الخوارج يجمعون على أن مرتكب الكبيرة كافر ، ومخلد في نار جهنم ، ونقرأ في المكتب التي تكلمت عن الخوارج فنجد ابن أبي الحديد - وهو ممن تعرض لهم في كتابه (شرح نهج البلاغة) - يسوق لنا أدلتهم التي أخذوها من القرآن ، وبنو عليها رأيهم في مرتكب الكبيرة ، كما نجده يناقش هذه الأدلة ، ويفندها دليلاً بعد دليل . ونرى أن تمسك عن مناقشة ابن أبي الحديد لهذه الأدلة ، ويكفي أن نسوق للقارئ الكريم هذه الآيات التي استندوا إليها ، ووجهة نظرهم فيها ؛ فهي التي تعيننا في هذا البحث ، وهي التي ترينا إلى أي حد تأثر الخوارج بسلطان العقيدة في فهم نصوص القرآن . . . فن هذه الأدلة ما يأتي :

قوله تعالى في الآية (٩٧) من سورة آل عمران : والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ، قالوا : فجعل تارك الحج كافراً .

ومنها قوله تعالى في الآية (٨٧) من سورة يوسف ، إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قالوا : والفاسق - لفسقه وإصراره عليه آيس من روح الله ، فكان كافراً .

ومنها قوله تعالى في الآيات (٤٤) من سورة المائدة : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، قالوا : وكل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله .

ومنها قوله تعالى في الآية ( ١٤ و ١٥ و ١٦ ) من سورة الليل ، فأندرتكم ناراً تملأ لا يصلها إلا الأشفق \* الذي كذب وتولى ، قالوا : وقد اتفقنا مع المعتزلة على أن الفاسق يصل النار ، فوجب أن يسمى كافراً .

ومنها قوله تعالى في الآية (١٠٦) من سورة آل عمران ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، قالوا : والفاسق لا يجوز أن يكون من ابيضت وجوههم ، فوجب أن يكون من اسودت ، ووجب أن يسمى كافراً ؛ لقوله بما كنتم تكفرون ، .

ومنها قوله تعالى في الآيات (٣٨) وما بعدها إلى آخر سورة عبس ، وجوه يومئذ مسفرة \* ضاحكة مستبشرة \* ووجوه يومئذ عليها غبرة \* ترهقها قفرة . أولئك هم الكفرة الفجرة ، قالوا : والفاسق على وجهه غبرة ، فوجب أن يكون من الكفرة الفجرة .

ومنها قوله تعالى في الآية (١٧) من سورة سبأ ، ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور ، قالوا : والفاسق لا بد أن يجازى ، فوجب أن يكون كفوراً .

ومنها قوله تعالى في الآية ( ٤٣ ) من سورة الحجر ، إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من العاوين ، وقال في الآية ( ١٠٠ ) من سورة النحل ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، قالوا : فجعل العاوى الذى يتبعه مشركا .

ومنها قوله تعالى في الآية (٢٠) من سورة السجدة « وأما الذين فسقوا فإوأهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ، قالوا : فجعل الفاسق مكذبا .

ومنها قوله تعالى في الآية (٣٣) من سورة الأنعام « ... ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، قالوا : فأثبت الظالم جاحداً ، وهذه صفة الكفار .  
ومنها قوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة النور « ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، .

ومنها قوله تعالى في الآيات (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥) من سورة المؤمنون « فن ثقلت موازينة فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينة فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون . تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون .  
أم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون ، قالوا : فنص سبحانه على أن من تخف موازينه يكون مكذبا ، والفاسق تخف موازينه فكان مكذبا ، وكل مكذب كافر .

ومنها قوله تعالى في الآية (٢) من سورة التغابن « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » قالوا . وهذا يقتضى أن من لا يكون مؤمنا فهو كافر ، والفاسق ليس بمؤمن ، فوجب أن يكون كافرا (١) ...

هذه بعض الآيات التي تمسك بها الخوارج في موقفهم من مرتكب الكبيرة الذي لم يتب ، والتي حسبوا أنها حجج دامغة لمذهب مخالفيهم من المسلمين . ولا يسع الذي يعرف سياق هذه الآيات وسباقها ، ويعرف الآيات والأحاديث الواردة في شأن عصاة المؤمنين ، ويتأمل قليلا في هذه التخريجات والاستنتاجات التي يقولون بها ، لا يسعه بعد هذا كله : إلا أن يحكم بأن القوم متعصبون ، ومدافعون بدافع العقيدة ، وسلطان المذهب .

وهناك نصوص من القرآن استغلها أفراد من الخوارج ، لتدعيم مبادئهم التي

---

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المجلد الثاني ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

يشذون بها عن عدام من بعض فرق الخوارج، وهي في مظهرها التفسيرى أكثر تعصبا، وأبلغ تعنتا، فن ذلك : أن نافع بن الأزرق كان لا يرى جواز التقية التى هى فى الأصل من مبادئ الشيعة، ويستدل على حرمتها بقوله تعالى فى الآية (٧٧) من سورة النساء : ..... إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله ، ويرى نجدة بن عامر جواز التقية ، ويستدل على ذلك بقوله تعالى فى الآية (٢٨) من سورة غافر : وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ، .  
وأظهر من هذا : أن نجدة بن عامر كان لا يصب نافع بن الأزرق فيما يقول به من إكفار القعدة ، واستحلال قتل أطفال مخالفيه ، وعدم رد الأمانات إلى مخالفيه ، وغير ذلك من آرائه التى شذ بها ، فأرسل نجدة إلى نافع رسالة يقول له فيها : ( . . . وأكفرت الذين عذرهم الله تعالى فى كتابه من قعدة المسلمين وضمعتهم . قال الله عز وجل - وقوله الحق ووعد الصديق - : ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله (١) ، ثم سماهم - تعالى - أحسن الأسماء فقال : ما على المحسنين من سبيل (٢) . ثم استحلت قتل الأطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم ، وقال الله جل ثناؤه : ولا تزر وازرة وزر أخرى (٣) ، وقال سبحانه فى القعدة خيرا فقال : وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما (٤) ، فتفضيله المجاهدين على القاعدين لا يدفع منزلة من هو دون المجاهدين . . أو ما سمعت قوله تعالى : لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر (٥) ، فجعلهم من المؤمنين ، ثم إنك لا تؤدى الأمانة إلى من خالفك والله تعالى قد أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها ، فاتق الله فى نفسك ، واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، فإن الله بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل . والسلام ) .

(١ ، ٢) فى الآية (٩١) من سورة التوبة .  
(٣) فى الآية (١٦٤) من سورة الأنعام .  
(٤ ، ٥) فى الآية (٩٥) من سورة النساء .

فرد عليه نافع بكتاب جاء فيه : ( . . . وعبت مادنت به من إكفار العقدة وقتل الأطفال ، واستحلال الأمانة من المخالفين ، وسأفسر لك إن شاء الله أما هؤلاء القعدة ، فليسوا كمن ذكرت ممن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء . قد تفقهوا في الدين وقرءوا القرآن والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قاله الله تعالى فيمن كان مثلهم إذ قالوا : « كئنا مستضعفين في الأرض » (١) ، فقال : « ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » (٢) ، وقال سبحانه : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » (٣) ، وقال : « وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم » (٤) ، فخير بتعذيرهم ، وأنهم كذبوا الله ورسوله . ثم قال : « سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم » (٥) ، فانظر إلى أسمائهم وسماتهم وأما الأطفال ، فإن نوحا نبى الله كان أعلم بالله منى ومنك ، وقد قال : « رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا » (٦) فسأهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا ، فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نقوله في قومنا . . والله تعالى يقول : « أكنفركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر » (٧) ، وهؤلاء كمشركى العرب لا يقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .  
وأما استحلال أمانات من خالفنا ، فإن الله تعالى أحل لنا أموالهم كما أحل دماءهم لنا ، فدماؤهم حلال طلق وأموالهم فيء للمسلمين . . . (٨) .

(١ ، ٢) في الآية (٩٧) من سورة النساء .

(٣) في الآية (٨١) من سورة التوبة .

(٤ ، ٥) في الآية (٩٠) من سورة التوبة .

(٦) في الآيتين (٢٦ ، ٢٧) من سورة نوح

(٧) الآية (٤٣) من سورة القمر

(٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المجلد الأول ص ٢٨٢ .

ولا شك لدينا في أن نافع بن الأزرق متعصب في فهمه الآيات على النحو الذي جاء في رسالته هذه ، وهو تعصب بلغ به إلى درجة المغالطة ، وإلا فهو جهل منه بمواقع كلام الله ، ومدلول آياته .  
مدى فهم الخوارج لنصوص القرآن :

هذا .. وإن الخوارج عندما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون في التأويل ولا يفحصون وراء المعاني الدقيقة ، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأساره ، بل يقفون عند حرفة ألفاظه ، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية ، وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه ، ولا تتصل بالموضوع الذي يستدلون بها عليه ، لأنهم فهموا ظاهره أمعطلا ، وأخذوا بفهم غير مراد .

ولقد يعجب الإنسان ويدهش عند ما يقرأ ما للقوم من سخافات في فهمهم لبعض نصوص القرآن ، أو فهم فيها التنطع والتمسك بظواهر النصوص ، ولكي لا أتهم بالقسوة في حكمي هذا ، أضع بين يدي القارئ الكريم بعض ما جاء عن القوم ، حتى لا يجد مفراً من الحكم عليهم بمثل ما حكمت به .  
( روى أن عبيدة بن هلال الدشكري اتهم بامرأة حداد رأوه يدخل منزله بغير إذنه ، فأتوا قطرياً (١) فذكروا ذلك له ، فقال لهم . إن عبيدة من الدين بحيث علمت ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ، فقالوا : إنا لا نقاره على الفاحشة ، فقال : انصرفوا .. ثم بعث إلى عبيدة فأخبره وقال : إنا لا نقاره على الفاحشة ، فقال : بهتوني يا أمير المؤمنين فما ترى ؟ قال : إن جامع بينك وبينهم ، فلا تخضع خضوع المذنب ، ولا تتناول تطاول البري . .. فجمع بينهم فتمكّموا ، فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم : .. ، الآيات ( ١١ ) وما بعدها من سورة النور ) فسكوا وقاموا إليه فاعتنقوه وقالوا : استغفر لنا .. ففعل (٢) .

(١) هو قطري بن العجاءة الزعيم الثالث للزارقة .

(٢) الكامل للبرد ج ٢ ص ٢٣٦ :

( ويروى أن واصل بن عطاء وقع هو وبعض أصحابه في يد الخوارج فقال لأصحابه : اعترضوا ودعوني وإياهم - وكانوا قد أشرفوا على العطب - فقالوا : شأنك .. فخرج إليهم فقالوا : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم . قال : فعلونا : فجمعوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبات أنا ومن معي . قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا . قال : ليس ذلك لكم . قال الله تعالى : وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه (١) ، فأبلغونا مأمننا ، فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا : ذلك لكم ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوهم المأمن (٢) )

ومن الخوارج من أداه تمسكه بظاهر النصوص إلى أن قال ( لو أن رجلا أكل من مال يقيم فلسين وجبت له النار ، لقوله تعالى في الآية (١٠) من سورة النساء : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ، ولو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار ، لأن الله لم ينص على ذلك (٣) )

وهذا هو ميمون العجردى زعيم الميمونية (٤) من الخوارج ، يرى جواز نكاح بنات الأولاد وبنات أولاد الإخوة والإخوات ويستدل على ذلك فيقول : ( إنما ذكر الله تعالى في تحريم النساء بالنسب والأمهات ، والبنات والأخوات والعمات ، والحالات ، وبنات الأخ ، وبنات الأخت ، ولم يذكر بنات البنات ولا بنات البنين ، ولا بنات أولاد الإخوة ولا بنات أولاد الأخوات (٥) )

(١) في الآية (٦) من سورة التوبة

(٢) الكامل للبرد ج٢ ص ١٠٦

(٣) تلييس إبليس ص ٩٥

(٤) يمدم صاحب الفرق بين الفرق من غير فرق المسلمين .

(٥) الفرق بين الفرق ص ٢٦٤ - ٤٦٥

ويروى أن رجلاً من الإباضية أضاف جماعة من أهل مذهبه ، وكانت له جارية على مذهبه قال لها : قدمي شيئاً فأبطأت ، فحلف ليبيعهما من الأعراب ، فقيل له : تبيع جارية مؤمنة من قوم كفار ، فقال : وأحل الله البيع وحرم الربا (١) ، ( في الآية (٢٧٥) من سورة البقرة ) .

وأيضاً نرى أن الخوارج خرجوا على عائشة أم المؤمنين رضی الله عنها ، وقالوا : لم خرجت من بيتها ، والله تعالى يقول : « وقرن في بيوتكن » (٢) ، . ( في الآية (٣٣) من سورة الأحزاب ) .

وأيضاً فإن الأزارقة قالوا : من قذف امرأة محصنة فعليه الحد ، ومن قذف رجلاً محصناً فلا حد عليه (٣) . . وهذا لأن الله تعالى نص على حد قاذف المحصنات ، ولم ينص على حد قاذف المحصنين .

وقالوا - أيضاً - بأن سارق القليل يجب عليه القطع (٤) ، أخذاً بظاهر قوله تعالى في الآية (٣٨) من سورة المائدة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، .

وغير هذا كثير نجده عنهم في بطون الكتب ، وهو لا يدع مجالاً للشك في أن الخوارج قوم سطحيون في فهمهم لآيات القرآن الكريم ، وإدراك معانيه .

موقف الخوارج من السنة وإجماع الأمة ، وأثر ذلك في تفسيرهم للقرآن :

---

ولقد كان من أثر جمود الخوارج عند ظواهر النصوص القرآنية . أنهم لم يلتفتوا إلى ما جاء من الأحاديث النبوية ناسخاً لبعض آيات الكتاب . أو مخصصاً

---

(١) التبصير في الدين ص ٣٥ .

(٢) التبصير في الدين ص ٣٦ .

(٣) التبصير في الدين ص ٢٩ .

(٤) التبصير في الدين ص ٢٩ .



لبعض عمراته ، أو زائدا على بعض أحكامه ، ويظهر أن هذا المبدأ قد تملك قلوب الخوارج ، وتسלט على عقولهم ، فنتج عنه أن وضع بعضهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث ، وهو : ( إنكم ستختلفون من بعدى ، فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله وما خالفه فليس عنى ) فقد قال عبدالرحمن المهدي : ( الزنادقة والخوارج وضعوا حديث : ما أتاكم عنى فاعرضوه على كتاب الله .... إلخ (١) ) .

كما كان من أثر هذا الجود عند ظواهر القرآن أيضاً ، أنهم لم يلتفتوا إلى إجماع الأمة ، ولم يقدروه عند فهمهم لنصوص القرآن ، مع أن الإجماع في الحقيقة يستند إلى أصل من الكتاب أو السنة ، وليس أمراً مبتدعاً في الدين ، أو خارجاً على قواعده وأصوله .

وفي هذا كله نجد العلامة ابن قتيبة يحدثنا عن بعض أحكام احتج بها الخوارج ، وهي مخالفة لإجماع الأمة . ومناقضة لما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : يبطلها القرآن .. فيقول :

( ... قالوا : حكم في الرجم يدفعه الكتاب .. قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ، ورجمت الأئمة من بعده ، والله تعالى يقول في الإمامة : فإن أتيتن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، (٢) والرجم إتلاف للنفس لا يتبعه ، فكيف يكون على الإمام نصفه ؟ .. وذهبوا إلى أن المحصنات ؛ ذوات الأزواج .. قالوا : وفي هذا دليل على أن المحصنة حدها الجلد (٣) ) .

( قالوا : حكم في الوصية يدفعه الكتاب .. قالوا : رويتم أن رسول الله

(١) انظر القول الفصل لشيخ الإسلام صبرى ص ٦٤ - ٦٥ (هامش) . وقد اغتر بهذا الحديث الموضوع كثير من المسلمين ، وكان ذريعة لتشكيك بعض الناس في عقائدهم .

(٢) فى الآية (٢٥) من سورة النساء) .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٢٤١ .

صلى الله عليه وسلم قال : ( لا وصية لوارث ) ، والله تعالى يقول : كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين (١) . . . والوالدان وارثان على كل حال لا يجبهما أحد عن الميراث . وهذه الرواية خلاف كتاب الله عز وجل (٢) .

( قالوا : حكم في النكاح يدفعه الكتاب . . قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تنكح المرأة على عمها ، ولا على خالتها ) وأنه قال : ( يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ) . والله عز وجل يقول : حرمت عليكم أمهاتكم (٣) . . . إلى آخر الآية ، ولم يذكر الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ، ولم يحرم من الرضاع إلا الأم المرضعة والأخت بالرضاع . . ثم قال : وأحل لكم ما وراء ذلكم ، فدخلت المرأة على عمتها وخالتها ، وكل رضاع سوى الأم ، والأخت فيما أحله الله تعالى (٤) .

يحدثنا ابن قتيبة بهذا عنهم ، ثم يتولى بنفسه الرد عليهم في ذلك كله رداً مسبباً فيه إزالة كل شبهة ، ودفع كل حجة وردت على ألسن القوم ، ولا نطيل بذكر ذلك . ومن أراد الوقوف عليه ، فليرجع إليه في تأويل مختلف الحديث )

ص ٢٤١ - ٢٥٠ .

### الإنتاج التفسيري للخوارج :

لم يكن للخوارج من الإنتاج التفسيري مثل ما كان للمعتزلة ، أو الشيعة ، أو غيرهما من فرق المسلمين ، التي خلفت لنا الكثير من كتب التفسير ، وكل ما وصل إلينا من تفسير الخوارج الأول لم يزد عن بعض أفهام لهم لبعض الآيات القرآنية تضمنها جدهم ، واشتملت عليها مناظراتهم ، وذكرنا لك

(١) في الآية ( ١٨٠ ) من سورة البقرة .

(٢) تأويل مختلف الحديث ص ٢٤٢ .

(٣) الآية ( ٢٣ ) من سورة النساء .

(٤) تأويل مختلف الحديث ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

منها كل ما وصل إلى أيدينا ، وجميع ما استخلصناه من بطون الكتب المختلفة .  
ولكن هل هذا هو كل ما كان للخوارج من تفسير ؟ وهل وقف إنتاجهم  
عند هذا المقدار الضئيل ؟ أو كان لهم مع هذا كتب مستقلة في التفسير ، ولكن  
فقدتها المكتبة الإسلامية على طول الأيام ومر العصور ؟ .

الحق أنى وجهت لنفسي هذا السؤال ، وكدت أعجز عن الجواب عنه . . .  
ولكن هيا الله لي ظرفا جمعني مع رجل من الإباضية (١) المعاصرين ، يقيم في  
القاهرة ، فوجهت إليه هذا السؤال نفسه ، فافهمنى أن الإنتاج التفسيري  
للخوارج كان قليلا بالنسبة لإنتاج غيرهم من فرق الإسلام ، ومع هذا فلم  
تحتفظ المكتبة الإسلامية من هذا النتاج القليل إلا ببعض منه . لبعض العلماء  
من الإباضية في القديم والحديث .

فسألته : وهل تذكر شيئا من هذه الكتب ؟ فذكر لى من الكتب  
ما يأتي :-

١ - تفسير عبد الرحمن بن رستم الفارسي . . من أهل القرن الثالث  
الهجرى .

٢ - تفسير هود بن محكم الهوارى . . من أهل القرن الثالث الهجرى .

٣ - تفسير أبي يعقوب ، يوسف بن إبراهيم الوردجاني . . من أهل  
القرن السادس الهجرى .

٤ - داعى العمل ليوم الأمل . . للشيخ محمد بن يوسف اطفيش . . من  
أهل القرن الحاضر .

٥ - هميان الزاد إلى دار المعاد . . له أيضاً .

٦ - تيسير التفسير . . له أيضاً .

فقلت له وهل يوجد شيء من هذه الكتب إلى اليوم ؟ .. فقال لى :

---

(١) هو الشيخ إبراهيم اطفيش ، الموظف بالقسم الأدبى بدار الكتاب المصرية .

أما تفسير عبد الرحمن بن رستم ، فغير موجود ، وأما تفسير هود بن محكم ، فموجود ، ومتداول بين الإباضية في بلاد المغرب .. وهو يقع في أربع مجلدات ، وقد أطلعني منه على جزء من مخطوطين عنده ، وهما الأول والرابع . أما الأول : فيبدأ بسورة الفاتحة ، وينتهي بآخر سورة الأنعام . وأما الرابع : فيبدأ بسورة الزمر ، وينتهي بآخر القرآن .

قال : وأما تفسير أبي يعقوب الوردجاني ، فغير موجود ، ويذكر المحققون من علمائنا أنه من أحسن التفاسير بحثاً ، وتحقيقاً ، وإعراباً .

وأما تفسير داعي العمل ليوم الأمل ، فلم يتمه مؤلفه ؛ لأنه عزم على أن يجعله في اثنين وثلاثين جزءاً ، ثم عدل عن عزمه هذا ، واشتغل بتفسير هميان الزاد إلى دار المعاد .

وقد أطلعني محدثي على أربعة أجزاء من تفسير داعي العمل ، في مجلدين مخطوطين بخط المؤلف ، أما أحد المجلدين : فإنه يحتوي على الجزء التاسع والعشرين ، والجزء الثلاثين من أجزاء الكتاب ، وهو يبدأ بسورة الرحمن ، وينتهي بآخر سورة التحريم ، وأما المجلد الثاني : فإنه يحتوي على الجزء الحادي والثلاثين ، والجزء الثاني والثلاثين ، وهو يبدأ بسورة تبارك ، وينتهي بآخر القرآن . وقد وجدت بالمجلد الأخير بعض ورقات فيها تفسير أول سورة (ص) ويظهر كما قال محدثي - إن المؤلف قد ابتدأ تفسيره هذا بسورة الرحمن إلى أن انتهى إلى آخر سورة الناس ، ثم بدأ بسورة (ص) ووقف عندها ولم يتم .

وأما تفسير هميان الزاد ، فموجود ومطبوع في ثلاثة عشر مجلداً كباراً ، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، ونسخة أخرى عند محدثي .

وأما تيسير التفسير ، فموجود ومطبوع في سبع مجلدات متوسطة الحجم ، ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، وأخرى عند محدثي أيضاً .

أسباب قلة إنتاج الخوارج في التفسير :

وأنت ترى أن هذه الكتب المذكورة ، ما وجد منها وما لم يوجد ، كلها

للإباضية وخدم ، ولعل السر في ذلك : أن جميع فرق الخوارج ماعد الإباضية بادت ولم يبق لها أثر .

أما الإباضية فوجودون إلى يومنا هذا ، ومذهبهم منتشر في بلاد المغرب ، وحضر موت ، وعمان ، وزنجبار .

ولكن بقي بعد هذا سؤال يتردد في نفسى ، ولعله يتردد في نفس القارىء . أيضا ، وهو : ما السر في أن الخوارج قل إنتاجهم في التفسير ؟ والجواب عن هذا السؤال - كما أعتقد - ينحصر في أمور ثلاثة وهي ما يأتي :

أولا : أن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية ، ومن قبائل تميم على الأخص ، وقليل منهم كان يسكن البصرة والكوفة مع احتفاظه بيداوته ، فكانوا الغلبة البدوة عليهم أبعدا الناس عن التطور الدينى ، والعلمى ، والاجتماعى ، وكانوا يمثلون الإسلام الأول في بساطته ، وعلى فطرته ، بدون أن تشوبه تعاليم الأمم الأخرى . أضف إلى ذلك : احتفاظهم بأهم خصائص أهل البدو من سذاجة التفكير ، وضيق التصور ، والبعد عن التأثر بحضارة الأمم المجاورة لهم .

ثانيا : أنهم شغلوا بالحروب من مبدأ نشأتهم . وكانت حروبا قاسية وطويلة ، ومتتابعة ... أسلمتهم حروب على إلى حروب الأمويين ، وأسلمتهم حروب الأمويين إلى حروب العباسيين التي تركتهم في حالة تشبه الاحتضار ، ومؤذنا بالفناء ، فكان من الطبيعى أن لاتدع الحرب لهم من الوقت ما يتسع للبحث والتصنيف .

ثالثا : أن الخوارج - مع ما هم عليه من شذوذ - كانوا يخلصون لعقيدتهم ، ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير ، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم ، وبه - عند جمهورهم - يخرج الإنسان من عداد المؤمنين . فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض في تفسير القرآن ، وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه ،

مخافة أن لا يصبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله ... وقد سئل بعضهم :  
لم لم تفسر القرآن؟ فقال : ( كلما رأيت قوله تعالى و لو تقول علينا بعض  
الآقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، (١) ، أحجمت عن  
التفسير ) .

من أجل هذا كله لم يكن ينتظر من الخوارج أن يؤلفوا لنا في التفسير  
كما ألف غيرهم ، وليس التفسير وحده هو الذى حرم من تصنيف الخوارج  
وتأليفهم بل كل العلوم فى ذلك سواء ، وما وجد لهم من مؤلفات فى علم الكلام  
أو الفقه ، أو الأصول ، أو الحديث ، أو التفسير ، أو غير ذلك من العلوم  
فكله من عمل الإباضية وحدهم ، لأن هذه الفرقة هى التى عاشت وانتشرت  
فى كثير من بلاد المسلمين ، واستمرت إلى يومنا هذا ، وتأثرت بتعاليم  
الاعتزلة وغيرهم ، وسأيرت التطور العلمى والاجتماعى

وبعد : فهذا هو تراث الخوارج فى التفسير ، وهو تراث نادر عزيز ،  
وما وجد منه أندرو أعز ، وأرى أن أكتفى بالكلام عن هيمان الزاد إلى دار  
المعاد وحده ، وعذرى فى ذلك : أن ما وجدناه من تفسير هود بن محكم ، لم  
يتيسر لنا الاطلاع عليه الاطلاع الكافى الذى يعطينا فكرة واضحة عنه ،  
وعن مؤلفه ، وذلك راجع إلى رداءة خطه ، وضياع بعض أوراقه ، وتأكل  
بعضها .

وما وجدناه من تفسير داعى العمل ليوم الأمل . لم يكن أكثر حظا من  
من تفسير هود بن محكم :

وأما تيسر التفسير ، فهو فى الحقيقة خلاصة لما تضمنه هيمان الزاد فلم  
يكن الكلام عنه بمعطينا فكرة جديدة عن التفسير عند الإباضية أو عند مفسره  
على الأقل .

(١) الآيات ( ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ) من سورة الحاقة :

## هميان الزاد إلى دار المعاد

لمحمد بن يوسف إطفيش

التعريف بمؤلف هذا التفسير (١) :

مؤلف هذا التفسير هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح إطفيش الوهبي (٢)، الإباضي، وهو من وادي ميزاب بصحراء الجزائر من بلاد المغرب. نشأ بين قومه، وعرف عندهم بالزهد والورع. واشتغل بالتدريس والتأليف وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وانكب على القراءة والتأليف، حتى قيل إنه لم ينام في ليلة أكثر من أربع ساعات. وله من المؤلفات في شتى العلوم ثروة عظيمة تربو على الثلاثمائة مؤلف.. فن ذلك: نظم المعنى لابن هشام في خمسة آلاف بيت.. وكان ذلك في شبابه، وشرح كتاب التوحيد للشيخ عيسى بن تغورين وهو من أهم مؤلفاته في علم الكلام، وشرح كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني، وله في الحديث وفاء الضمانة بأداء الأمانة، وهو مطبوع في ثلاث مجلدات، وجامع الشمل في حديث خاتم الرسل، وهو مطبوع في مجلد واحد. وله في الفقه شرح كتاب النيل. وهو مطبوع في عشر مجلدات، وله مؤلفات أخرى في النحو والصرف والبلاغة، والفلك، والعروض. والوضع، والفرائض، وغيرها.

وأما التفسير فله فيه داعي العمل ليوم الأمل.. لم يتم، وهميان الزاد إلى دار المعاد.. وهو ما نحن بصده. وتيسير التفسير.. وهو مختصر من السابق. هذا، وقد توفي المؤلف سنة ١٣٣٣ هـ اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وله من العمر ست وتسعون سنة.

(١) اعتمدنا في هذه الترجمة على ما حدثنا به الشيخ إبراهيم إطفيش، وهو تلميذ

المؤلف وابن أخيه.

(٢) الوهبي نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي، الزعيم الأول للخوارج.

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعتبر هذا التفسير هو المرجع المهم للتفسير عند الإباضية من الخوارج ، غير أنه لا يصور لنا حالة التفسير عندهم في عصورهم الأولى ؛ وذلك لقرب عهد مؤلفه ، وتأخره عن زمن كثير من علماء التفسير الذين وافقوه على مذهبه ، والذين خالفوه فيه .

ولقد جرت سنة الله بين المؤلفين أن يأخذ اللاحق من السابق ، وأن يستفيد المتأخر من المتقدم ، وصاحبنا في تفسيره هذا ، استمد من كتب من سبقه من المفسرين على اختلاف نحلهم ومشاربهم وإن كان يدعى في مقدمته أنه لا يقلد فيه أحداً إلا إذا حكى قولاً . أو قراءة ، أو حديثاً ، أو قصة ، أو أثراً لمسلم . وأما نفس تفاسير الآي ، والرد على بعض المفسرين ، والجواب ، فمن عنده إلا ما نسب لقاتله . كما يدعى أنه كان ينظر بفكره في الآية أولاً ، ثم تارة يوافق نظر جار الله الزمخشري ، والقاضي البيضاوي . . وهو الغالب ، وتارة يخالفهما ، ويوافق وجهاً أحسن مما أثبتاه أو مثله .

ومهما يكن من شيء فلا يسعنا إلا أن نقول : إن الرجل — وقد قرأ الكثير من كتب التفسير — تأثر بما جاء فيها ، واستفاد الكثير من معانيها مما يدعوننا إلى القول بأن تفسيره يمثل التفسير المذهبي للخوارج الإباضية في أواخر عصورهم فقط ، وبعد أن خرجوا من عزلتهم التي مكثوا فيها مدة طويلة من الزمن .

تقرأ في هذا التفسير فنجد أن صاحبه يذكر في أول كل سورة عدد آياتها ، والمسكى منها والمدنى ، ثم يذكر فضائل السورة ، مستشهداً لذلك في الغالب بالأحاديث الموضوعية في فضائل السور ، ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجالين ، ثم بعد ذلك كله يشرح الآيات شرحاً وافياً ، فيسهب في المسائل النحوية ، واللغوية ، والبلاغية ، ويفيض في مسائل الفقه ، والخلاف بين الفقهاء كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيها ، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة ، كما لا يفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات ، وهو مكثراً إلى



حد كبير من ذكر الإسرائيليات التي لا يؤيدها الشرع ، ولا يصدقها العقل ، كما يطيل في ذكر تفاصيل الغزوات التي كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم هو بعد ذلك لا يكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها في جانبه إلا مال بها إلى مذهبه ، وجعلها دليلاً عليه ، ولا بآية تصارحه بالمخالفة إلا تدلس لها كل ما في طاقته من تأويل ؛ ليتخلص من معارضتها .. وقد يكون تأويلاً متكلفاً ، وفاسداً ، لا ينجيه من معارضة الآية له ، ولكنه التصبب الأعمى .. يدفع الإنسان إلى أن ينسى عقله ، ويطرح تفكيره الصائب ، ليثني مع الهوى بعقل فارغ وتفكير خاطيء . . . وإليك بعض ما جاء في هذا التفسير ؛ لتقف على مسلك صاحبه في فهمه لآيات القرآن الكريم .

### حقيقة الإيمان :

فتلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (٣ و٢) من سورة البقرة . . . هدى للمتقين \* الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، نراه يقرر : أن الإيمان يطلق على مجموع الاعتقاد ، والإقرار ، والعمل ، ثم يقول : ( فن أخل بالاعتقاد وحده ، أو به والعمل ، فهو مشرك من حيث الإنكار ، منافق أيضاً من حيث أنه أظهر ما ليس في قلبه ، ومن أخل بالإقرار وحده ، أو بالإقرار والعمل ، فهو مشرك عند جمهورنا وجمهور قومننا . وقال القليل : إنه إذا أخل بالإقرار وحده ، مسلم عند الله من أهل الجنة ، وإن أخل به والعمل ففاسق كافر كافر نعمة . . . وإن أخل بالعمل فقط ، فمناق عندنا ، فاسق ضال ، كافر كفراً دون شرك غير مؤمن الإيمان التام . . . ثم قال : واختلف الخوارج .. وهم الذين خرجوا عن ضلالة علي ، فقالت الإباضية الوهية ، وسائر الإباضية فيمن أخل بواحد من الثلاثة : ما تقدم من إشرائه بترك الاعتقاد ، أو بترك الإقرار ، وينافق بترك العمل ، ويثبتون الصغيرة . وقال الباقر كذلك وإنه لا صغيرة . ومذهب المحدثين أن انضمام العمل والإقرار إلى الاعتقاد ( ٢٥ - التفسير والمفسرون ٢ )

على التكميل لا على أنه ركن . ونحن نقول : انضمامهما إليه ركن ، وهما جزء ما هيته . . . . . (١) . ١٥ .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٥) من سورة البقرة . . . وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . : الآية ، نراه يحاول محاولة جديدة في تحقيق أن العمل جزء من الإيمان ، ولا يتحقق الإيمان بدونها . فيقول : ( ترى الإنسان يقيد كلامه مرة واحدة بقيد ، فيحمل سائر كلامه المطلق على هذا التقييد ، فكيف يسوغ لقومنا أن ياغوا تقييد الله - عز وجل - الإيمان بالعمل الصالح مع أنه لا يكاد يذكر الفعل من الإيمان إلا مقرّوناً بالعمل الصالح؟ بل الإيمان نفسه مفروض لعبادة من يجب الإيمان به وهو الله تعالى ، إذ لا يندم الإنسان مثلاً سلطاناً لا يعتقد بوجوده ، وثبوت سلطته ، فالعمل الصالح كالبناء النافع ، المظلل المانع للحر ، والبرد والمضرات ، والإيمان أس ، ولا ينفع الأس بلا بناء عليه ، ولو بنى الإنسان ألوفاً من الأسس ولم يكن عليها لهلك بالصوص ، والحر ، والبرد ، وغير ذلك : فإذا ذكر الإيمان مفرداً قيد بالعمل الصالح . وإذا ذكر العمل الصالح ، فما هو إلا فرع الإيمان ؛ إذ لا نعمل لمن لا نقر بوجوده . وفي عطف الأعمال الصالحات على الإيمان ، دليل على أن كلا منهما غير الآخر ؛ لأن الأصل في العطف المغايرة بين المتعاطفين ، ففي عطف الأعمال الصالحات على الإيمان إيذان بأن البشارة بالجنات : إنما يستحقها من جمع بين الأعمال الصالحات والإيمان . ) اهـ (٢) .

موقفه من أصحاب الكبار :

كذلك نجد المؤلف يحاول أن يأخذ من القرآن ما يدل على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار وليس بخارج منها .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٨١ ) من سورة البقرة « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ، يقول :

(١) ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) ج ١ ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

(... سيئة ، خصلة قبيحة ، وهى الذنب الكبير ، سواء كان نفاقاً أو إشراكاً ، ومن الذنوب الكبيرة : الإصرار . فإنه نفسه كبيرة ، سواء كان على الصغيرة أو الكبيرة ، والدليل على أن السيئة : الكبيرة قوله : فأولئك أصحاب النار ، . ويحتمل وجه آخر وهو أن السيئة : الذنب صغيراً أو كبيراً ، ثم يختص الكلام بالكبيرة بقوله : وأحاطت به خطيئته ، وإن قلت : روى قومنا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن السيئة هنا الشرك . وكذا قال الشيخ هود - رحمه الله - إنها الشرك . قلت : ما ذكرته أولى بما ذكره ؛ فإن لفظ السيئة عام ، وحمله على العموم أولى ؛ إذ ذلك تفسير منهما لا حديث ، ولا سيما أنهما وقومنا يعترفون بأن الكبيرة تدخل فاعلها النار ، ولم يحصروا دخولها على الشرك ، ومعترفون بأن لفظ الخلود يطلق على المكث الكبير ، سواء كان أبدياً ، أو غير أبدي ، وادعاء أن الخلود فى الموحدين بمعنى المكث الطويل ، وفى الشرك بمعنى المكث الدائم ، استعمال للكلمة فى حقيقتها وبجازها ، وهو ضعيف ، وأيضاً ذكر إحاطة الخطيئات ولو ناسب الشرك كغيره . لكنه أنسب بغيره ؛ لأن الشرك أقوى ، وأحاطت به خطيئته ، ربطته ذنوبه وأوجبت له دخول النار ، فصار لا خلاص له منها ، كمن أحاط به العدو ، أو الحرق ، أو حائط السجن ، وذلك بأن مات غير تائب (١) .

حملته على أهل السنة :

ونرى المؤلف كلما سنحت له الفرصة للتأكيد بجمهور أهل السنة القائلين بأن صاحب الكبيرة من المؤمنين يعذب فى النار على قدر معصيته ، ثم يدخل الجنة بعد ذلك ، ندد بهم ولزمهم .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٤) من سورة البقرة :... والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، يقول :... وترى أقواماً ينتسبون إلى الملة الحنيفية يضاهئون اليهود فى قولهم : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات (٢) .

### مغفرة الذنوب .

ثم إن المؤلف حمل كل آيات العفو والمغفرة على مذهبه القائل : بأن الكبائر لا يغفرها الله إلا بالتوبة منها والرجوع عنها ، ويحمل على الأشاعة القائلين بأن الله يجوز أن يغفر لصاحب الكبيرة وإن لم يتب .  
فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٨٤) من سورة البقرة ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، ، ، ، يقول ( .. ولا دليل في الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميئ بتاتوبة منها ، كما زعم غيرنا ، لحديث هلك المصرون ) (١) هـ .

وعند قوله تعالى في الآية (١٢٩) من سورة آل عمران ( والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، يقول : ) يغفر لمن يشاء الغفران له بأن يوفقه للتوبة ، ويعذب من يشاء تعذيبه بأن لا يوفقه . وليس من الحكمة أن يعذب المطيع الموفى ، وليس منها أن يرحم العاصي المصر . وقد انتفى الله من أن يكون ظالماً ، وعد من الظلم : النقص من حسنات المحسن ، والزيادة في سيئات المسيء ، وليس من الجائز عليه ذلك ، خلافا للأشعرية في قولهم : يجوز أن يدخل الجنة جميع المشركين ، والنار جميع الأبرار . وقد أخطوا في ذلك ، ، ، ) (٢) هـ ،

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٣) من سورة الزمر ( .. إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ) يقول : ( بشرط التوبة منها ، بدليل التقييد بها في مواضع من القرآن والسنة ، والمطلق يحمل على المقيد . وقد ذكرت في القرآن مرارا شرطا للغفران ، فذكرها فيما ذكرت . ذكر لها فيما لم تذكر ، وإنما تحذف للدليل ، والقرآن في حكم كلام واحد لا يتناقض حاشاه ، وأيضا يليق أن يذكر لهم أنه يغفر الكبائر بتاتوبة مع أنه ناه عنها ، لأن ذلك يؤدي بهم إلى الاجترأ عليها . وقد أخفى الصغائر لئلا يجترأ عليها من حيث أنه غفرها . ويدل

لذلك تعقيب الآية بقوله « وأنيدوا إلى ربكم ، لئلا يطمع طامع كالقاضي - يريد البيضاوي - في حصول المغفرة بلا توبة . وبدله أيضا قراءة ابن مسعود وابن عباس « يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ، أي لمن يشاؤه بالتوبة ... » وأما قوله ( إنه هو الغفور الرحيم ) فاستئناف معلل لمغفرة الذنوب بالتوبة ، أي يغفرها ، ويقبل التوبة منها . لأن من شأنه الغفران العظيم والرحمة العظيمة وملكوته وغناه واسع لذلك . والمراد بالآية : التنبيه على أنه لا يجوز لمن عصي الله - أي عصيان كان - أن يظن أنه لا يغفر له ، ولا يقبل توبته ، وذلك مذهبنا معشر الإباضية وزعم القاضي وغيره : أن الشرك يغفر بلا توبة ومشهور مذهب القوم : أن الموحد إذا مات غير تائب : يرجى له ، وأنه إن شاء عذبه بقدر ذنبه وأدخله الجنة . وإن شاء غفر له . ومذهبنا : أن من مات على كبيرة غير تائب : لا يرجى له (١) .

### رأيه في الشفاعة :

ويرى المؤلف : أن الشفاعة لا تقع لغير الموحدين ، ولا لأصحاب الكبائر ومن خلال رأيه هذا ينظر إلى آيات الشفاعة فلا يرى فيها إلا ما يتفق ومذهبه فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤٨) من سورة البقرة ( واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ) يقول : ( . . . . ) وإن قلت : فهل الشفاعة والفداء بالعدل واقعان ولكن لا يقبلان ؟ أم غير واقعين ؟ قلت : غير واقعين . . . . أما من تأهل للشفاعة من الملائكة ، والأنبياء والعلماء والصالحين ، فلا يتعرضون بها لمن ظهرت شقاوته لهم . فإن تعرضوا بها لهم قبل أن تظهر لهم ، قيل لهم : إنهم بدلوا وغيروا ، وليسوا أهلا لها ، فيتركوا التعرض لها . وأما من لم يتأهل لها فمشغول بنفسه لا يدري ما يفعل به (٢) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٢٣) من السورة نفسها (٠٠٠ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعاة ٠٠) يقول : (دولا تنفعها شفاعاة لعدمها هناك فالمراد أنه لا شفاعاة تنفعها ، فالشفاعة هنالك منفية من أصلها ، وليس المراد أنه هناك شفاعاة لا تقبل . وإنما ساغ ذلك ، لأن القضية السالبة تصدق بنفي الموضوع ، كما تصدق نفي المحمول ، فكما تقول : ليس زيد قاعدا في السوق وتريد أنه فيها لكنه قائم ، كذلك تقول : ليس زيد قاعدا فيها ، وتريد أنه ليس فيها أصلا وذلك مخصوص بالمشرك ؛ فإنه لا شفاعاة له هنالك إلا شفاعاة القيام لدخول النار ، ولا نفع له في دخول النار ، وإعما الشفاعاة للوحد التائب<sup>(١)</sup>) اه  
وعند قوله تعالى في الآية (١٥٩) من سورة الأنعام د إن الذين فرقوا دينهم وكانو شيعا لست منهم في شيء . . . الآية ، يقول : ( . . . فالآية نص أو كالنص في أن لا شفاعاة لأهل الكبائر . أى أنت برىء منهم على كل وجه وقد علمت عن عمر وأبي هريرة أن الآية في أهل البدع من هذه الآية<sup>(٢)</sup>) اه

### رؤية الله تعالى :

ويرى صاحبنا : أن رؤية الله تعالى غير جائزة ولا واقعة لأحد مطلقا ، ويصرح بذلك في تفسيره لآيات الرؤية ، ويرد على أهل السنة الذين يقولون بجوازها في الدنيا ، ووقوعها للمؤمنين في الآخرة .

فتلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة البقرة ( وإذ قلتم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة . . . الآية ) نراه يذكر ماورد من الروايات في هذا الباب ، ومن الروايات رواية تفيد : أن موسى سأل ربه أن ينظر إليه بالمجاهرة ، يعقب عليها فيقول : ( وهذه الرواية تقتضى أن موسى يجيز الرؤية ، حتى سألها ومنعها . . . وليس كذلك ، بل إن صح سياق هذه الرواية فقد سألوه الرؤية قبل ذلك ، فنهاهم عن ذلك وحرمه ، أو سكت انتظارا للوحي

في ذلك ، فلما فرغ وخرج ، عاودوه ذكر ذلك ، فقال لهم : قد سألته على لسانكم كما تحبون ، لاخبركم بالجواب الذى يقممعكم لا لجواز الرؤية ، فتجلى للجبل بعض آياته فصار دكا ، فكفروا بطلب الرؤية ، لاستلزامها اللون ، والتركيب ، والتحيز ، والحدود ، والحلول . . وذلك كله يستلزم الحدوث ، وذلك كله محال على الله ، وإذا كان ذلك مستلزما عقلا لم يختلف دنيا وأخرى ، فالرؤية محال دنيا وأخرى ، ولا بالإيمان ، والكفر ، والنبوة ، وعدمها (١) .

عند قوله تعالى فى الآية ( ١٥٣ ) من سورة النساء ويسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرى الله جهرة . . الآية ) يقول : ( فأخذتهم الصاعقة بظلمهم إذ سألوا رؤية الله جل وعلا الموجبة للتشبيه . . وقالت الأشعرية : الصاعقة إنما هى من أجل امتناعهم من الإيمان بما وجب إيمانه إلا بشرط الرؤية ، لا من أجل طلب الرؤية . وهو خلاف ظاهر الآية ، مع أن الرؤية توجب التحيز ، والجهات ، والتركيب والحلول ، واللون ، وغير ذلك من صفات الخلق . ويدل لما قلته قوله تعالى : ( لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار (٢) ) والأشعرية لما أفحموا قالوا : بلا كيف . وحديث الرؤية إن صح فمعناه : يزدادون يقينا بحضور ما وعد الله فى الآخرة ، فلا يشكون فى وجود الله . وكال صدقه ، وقدرته ، كما لا يشكون فى البدر (٣) ) .

### أفعال العباد :

وإذا كان المؤلف يتأثر بأراء المعتزلة أحيانا ، فإنه يصرح بمخالفتهم فى بعض المسائل ، فمثلا نراه يقرر : أن أفعال العباد كلها بإرادة الله تعالى وأن العبد لا يخلق أفعال نفسه . ونراه يرد على المعتزلة ولا يرضى موافقتهم من هذه المسألة

(١) ج ٢ ص ٤٢ .

(٢) فى الآية ( ١٠٣ ) من سورة الأنعام

(٣) ج ٥ ص ١٧٣

فمثلاً عند ما فسر قوله تعالى في الآية (١٠٧) من سورة الأنعام (.. ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً... الآية) يقول: (ولو شاء الله عدم إشراكهم بالله تعالى ما أشركوا به تعالى شيئاً ، فالآية دليل على أن إشراكهم بإرادة الله ومشيئته ، وفيه رد على المعتزلة في قولهم: لم يرد معصية العاصي . . وزعموا أن المعنى: لو شاء الله لا كرههم على عدم الإشراك . ولزم عليهم أن يكون مغلوباً على أمره إذا عصى ولم يرد المعصية ، بل أراد الإيمان منهم ولم يقع .. - تعالى الله عن ذلك - والحق أن المعصية بإرادته ومشيئته ، مع اختيار العاصي .. لا جبر ، للذم عليها والعقاب والنهي عنها<sup>(١)</sup>) (٥١)

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦٢) من سورة الزمر ( الله خالق كل شيء ) يقول: (من إيمان . وكفر ، وخير ، وشر ؛ بما هو كائن دنيا وأخرى<sup>(٢)</sup>) (٥١)

#### موقفه من المتشابه .

كذلك نجد المؤلف يقف من المتشابه موقف التأويل ، ويعيب على من يقول بالظاهر ، وإن فوض علمه وكيفيته لله

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢١٠) من سورة البقرة ( هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور ) يقول . (إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ... على حذف مضاف أى أمر الله . بدليل قوله تعالى ( هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك<sup>(٣)</sup> ) والحاصل ؛ أن مذهبنا ومذهب هؤلاء - يريد المعتزلة ومن وافقهم - تأويل الآية عن ظاهرها إلى ما يجوز وصف الله به<sup>(٤)</sup>) (٥١)

(٢) ج ١٢ ص ٧٧

(١) ج ٦ ص ٦٨

(٤) ج ٢ ص ١٥٧

(٣) في الآية (٢٣) من سورة النحل



وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤٢) من سورة المائدة) .. وإن حكمت  
فأحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ) نراه يذكر الحديث القائل ( إن  
المقسطين على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ) ثم  
يقول : ( ويمين الرحمن عبارة عن المنزلة الرفيعة ، والعرب تذكر اليمين في الأمر  
الحسن ، ودل لذلك قوله : وكلتا يديه يمين ، والتأويل في مثل ذلك هو الحق .  
وأما قول سلف الأشعرية في مثل ذلك . إنا تؤمن به وننزهه عن صفة الخلق  
ونكل معناه إلى الله ، ونقول . هو على معنى يليق به .. وكذا طوائف من  
المتكلمين ؛ فجمود وتعالم عن الحق (١) ٥١

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٤) من سورة الأعراف ( إن ربكم  
الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ...  
الآية ) يقول ( .. واستوى بمعنى استولى بالملك ، والغلبة ، والقوة ، والتصرف  
فيه كيف شاء ، والعرش جسم عظيم وذلك مذهبنا ومذهب المعتزلة ، وأبي المعالي  
وغيره من حذاق المتكلمين ، وخص العرش بذكر الاستيلاء لعظمته (٢) ٥١

#### موقفه من تفسير الصوفية

ونجد المؤلف يبدى رأيه في تفسير الصوفية بصراحة تامة ؛ ويحمل على  
من يفسر هذا التفسير ، فيقول عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة  
البقرة ( ... ومما رزقناهم ينفقون ) . ( ... قيل ويحتمل أن يراد الإنفاق  
من جميع ما رزقهم الله من أنواع الأموال ؛ والعلم ، وقوة البدن ، والجاه ،  
وفصاحة اللسان .. ينفقون بذلك عيال الله سبحانه وتعالى على الوجه الجائر  
وقيل . المعنى وبما خصصناهم به من أنوار معرفة الله — جل وعلا — يفيضون ...  
وهذا القول والذي قبله أظنهما للصوفية أو لمن يتصوف ، وليس تفسير الصوفية  
عندى مقبولا إذا خالف الظاهر ، وكان تكلفا ، أو خالف أسلوب العربية

ولا أعذر من يفسر به ولا أقبل شهادته ، وأنقرب إلى الله تعالى بيبغضه والبراءة منه ، فإنه ولو كان في نفسه حقاً لكن جعله معنى الآية أو للحديث خطأ لأنه خروج عن الظاهر وأساليب العرب التي يتخاطبون بها وتكلف من التكلف الذي يبغضه الله ، فإن القولين وإن ناسبهما قوله صلى الله عليه وسلم إن علما لا يقال به ككثير لا ينفق منه الذي رواه الطبراني في الأوسط ، لكن لا يصحان تفسيراً للآية ، إذ لا يتبادر ذلك ولا يجرى على أسلوب العرب والقول الأخير أبعد وأنا أعد اعتقادي ذلك نوراً ومعرفة أفاضها الله الرحمن الرحيم على . وقد أقبل القول الذي قبله . لأنه قريب من أسلوب العرب . وقليل التكلف والصحيح أن المراد . النفقة الواجبة وغير الواجبة من المال (١) اهـ

#### موقفه من الشيعة

وصاحبنا لا يسلم للشيعة استدلالهم على إمامة علي بقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة المائدة « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون : الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، بل نراه يفند احتجاجهم بالآية فيقول : وزعم الشيعة أن الذين آمنوا الذي يقيمون الصلاة . . . إلى راكعون . المراد به علي بن ابن طالب وأن جملة «هم راكعون ، حال من واو « يؤتون الزكاة وهي مقارنة وأنه أعطى الزكاة وهو في الصلاة راكع سأل سائل وهو في ركوع الصلاة فأعطاه خاتمه في حال ركوعه وأراد به الزكاة ، وعبر عنه بالجمع تعظيماً وهي دعوى بلاد ليل عليها والأصل العموم ، والأصل أن لا يطلق لفظ الجمع على المفرد ومن دعوى الشيعة أن المراد بالولي في الآية المتولى للأمر المستحق للتصرف فيها ، وأن هذه الآية دليل على إمامة علي . . . . وهذا أيضاً تكلف بلاد ليل (٢) اهـ

#### رأيه في التحكيم

ونرى المؤلف يتأثر في تفسيره هذا بعميدته في مسألة التحكيم بين علي ومعاوية

رضى الله عنهما ، فيفر من الآيات التي تعارضه ، ويمكن أن تكون مستنداً لمخالفيه .

فتلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٥) من سورة النساء ، وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها . . . الآية ، نراه يقول : ( . . . ولا دليل في الآية على جواز التحكيم ، لأن مسألة الحال إنما هي ليتحقق بالحكمين ما قد يخفى من حال الزوجين ، بخلاف ما إذا ظهر بطلان إحدى الفرقتين بأن الله قد حكم بقتالها ، وأيضا المراد هنا : الإصلاح مثلا لا مجرد بيان الحق (١) ) اهـ .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين (٩ ، ١٠) من سورة الحجرات ، وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . . . إلى قوله . . . لعليكم ترحمون ، يقول : . . . والإصلاح بالنصح والدعاء إلى حكم الله . . . ثم يقول : وسمع على رجلا يقول في ناحية المسجد ( لا حكم إلا الله ) فقال : كلمة حق أريد بها باطل . . . لكم علينا ثلاث : لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ، ولا نمنعكم الفىء ما دامت أيديكم في أيدينا ، ولا نبدأكم بقتال (قلت) الحق أنه إذا حكم الله بحكم في مسألة فلا حكم لأحد فيها سواه ، فالحق مع الرجل ، ولو كان على أعلم عالم . ثم قال : قيل : وفي الآية دليل على أن البغى لا يزيل اسم مؤمن ؛ لأن الله سماهم مؤمنين مع كونهم باغين . . . وسماهم إخوانة مؤمنين (قلت) لا دليل ؛ أما وإن طائفتان من المؤمنين . . . فتسميتهم فيه مؤمنين : باعتبار ما يظهر لنا قبل ظهور البغى وأما إنما المؤمنون إخوانة . . . فتسميتهم فيه مؤمنين إخوانة : باعتبار ما ظهر لنا قبل البغى ، فقوله وأصلحوا بين أخويكم في معنى اهدوهم إلى الحال إلى كانوا عليها قبل . أو المراد بالمؤمن الموحد لا الموفى ؛ بدليل لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . وأما لفظ آمن وإيمان ، فلا يختصان بالموفى (٢) اهـ .

(١) ج ٤ ص ٤٧٨

(٢) ج ١٢ ص ٥١٧

إشاداته بالخوارج وحطه من قدر عثمان وعلى ومن والاهما :

ثم إنه لا تكاد تأتي مناسبة لذكر الخوارج إلا رفع من شأنهم ، ولا لذكر  
على ، أو عثمان ، أو من يلوذ بهما إلا وغض من شأنهم ، ورماهم بكل نقيصة .  
فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآيتين ( ١٠٥ ، ١٠٦ ) من سورة  
آل عمران « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات  
وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .. الخ ، نراه يعيب  
على من يقول من المفسرين : إن الذين تفرقوا واختلفوا هم من خرج على علي  
عند قبوله التحكيم ويقول : إن أمر الحكيم لم يكن حين نزلت الآية ، بل في  
إمارة على ، وتفرقوا واختلفوا صيغتان ماضويتان ، ولا دليل على صرفها  
للاستقبال ، ولا على التعيين لمن ذكر ، بل دلت الآية على خلوصهم من ذلك ،  
وعلى أنهم المحقون الذين تبيض وجوههم ، فن خالفهم فهو داخل في قوله تعالى  
« وأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم  
تكفرون ، وهو يعم كل من كفر بعد إيمانه . واعلم أنه قد خرج على علي حين  
أذعن للحكومة صحابة كثيرون - رضى الله عنهم - وتابعون كثيرون ، فترى  
المخالفين يذمون ويشتمون من خرج عنه ، ويلعنونه ، غير الصحابة الذين خرجوا  
عنه ، والخروج واحد إما حق في حق الجميع ، وإما باطل في حق الجميع ...  
فإذا كان حقا في جنب الكل ، فكيف يشتمون من خرج عليه غير الصحابة ،  
وإن كان باطلا في جنب الكل ، فقد استحق الصحابة الشتم أيضاً ... عافاهم الله .  
ونرى المخالفين يروون أحاديث لم تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد  
يصح الحديث ويزيدون فيه . وقد يصح ويؤولونه فينا وليس فينا ) .. ثم سرد  
المؤلف بعض الأحاديث التي حملت عليهم ، وردها بعدم صحتها ، أو بحملها على  
غلاة الخوارج كالصفرية . أو بحملها على من قبل التحكيم .. ثم قال : والدليل  
الاقوى على أن تلك الأحاديث ليست فينا ولا فيمن اقتدينا بهم ، وأن الراضين  
بالتحكيم هم المبطلون ، ما رواه أبو عمر ، وعثمان بن خليفة : أن رجلا من تلاميذ  
أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، لقيه بعد ما وقع فيما وقع من أمر

التحكيم ، فقال له : قف يا عبد الله بن قيس أستفتك ، فوقف . . وكان التلميذ قد حفظ عنه أنه حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : سيكون في هذه الأمة حكام ضالان مضلان يضلان ويضل من اتبعهما قال : فلا تتبعهما وإن كنت أحدهما . ثم قال له التلميذ : إن صدقت فعليك لعنة الله ، وإن كذبت فعليك لعنة الله . ومعنى ذلك : إن كانت الرواية التي رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحة ثم وقع فيها ، فعليه لعنة الله ، وإن كان كاذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعليه لعنة الله ؛ لنقله الكذب عن رسول الله ، لا يحصى عن الأمرين جميعاً . . . (١) . ٥١ .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٢٩ ) من سورة التوبة : « إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم . . الآية » ، زاه يحاول الغض من شأن عثمان الذي بذل ماله في غزوة تبوك دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصرة لدين الله فيقول : ( . . وعن عمران بن حصين أن نصارى العرب كتبت إلى هرقل : إن هذا الرجل الذي يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون فهاكت أموالهم ، فبعث رجلاً من عظامهم ، وجهز معه أربعين ألفاً ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة ، وكان عثمان قد جهز عيراً إلى الشام ، فقال : يا رسول الله . . هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتا أوقية . قال صاحب المواهب : قال عمران بن حصين : فسمعته يقول : لا يضرب عثمان ما عمل بعدها - والعهد على القسطلاني وعمران - فإن صح ذلك فعني ذلك : الدعاء له بالخير ، لا القطع بأنه من أهل الجنة . وعن عبد الرحمن بن سمرة : جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كفه حين جهز جيش العسرة ، فثرها في حجره صلى الله عليه وسلم ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، فإن صح هذا فذلك أيضاً دعاء . وإنما قلت ذلك لأخبار سوء وردت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . (٢) .

(١) ج ٤ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢) ج ٧ ص ٢١٣ .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٠٣) وما بعدها من سورة الكهف  
« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، .. الآيات إلى قوله ذلك جزاؤهم جهنم  
بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ، يقول ( .. وزعم على أنهم أهل حروراء ،  
وهم المسلمون الذين خرجوا عنه ؛ لعدم رضاهم بالتحكيم فيما كان لله فيه حكم .  
وسأله ابن السكواء فقال : منهم حروراء . وسئل أهم مشركون ؟ فقال : لا ،  
فقال : أمنافقون ؟ فقال : لا .. بل إخواننا بغوا علينا .. وذلك خطأ تشهد به  
عبارته ؛ لأنه ليس الإنسان إلا مؤمنا أو مشركا أو منافقا ، فإذا اتنى الشرك  
والنفاق عن أهل حروراء فهم مؤمنون . والمؤمن لا يوصف بالبغي وهو مؤمن ،  
ومن بغي دخل في حدود النفاق . وأيضا الباغى من يرى التحكيم فيما كان لله فيه  
حكم ، والسافك دماء من لم يتبعه على هذه الزلة . وأيضا أهل حروراء لم يكفروا  
بآيات الله ، ولا ببلقائه ، بل مؤمنون بآيات الله وبالبعث . والأخسرون أعمالا  
قد وصفهم الله سبحانه وتعالى بكفر الآيات واللقاء ، ولست أقول ذلك معجبا  
بنفسى ، ولا متعجبا ممن عصى ، بل حق ظهر لي فصرحت به (١) اه .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٥٥) من سورة النور وعد الله الذين  
آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض .. الآية ، يقول : ( .. )  
قال المخالفون عن الضحاك : إن الذين آمنوا هم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ،  
وعلى ، وإن استخلفهم : إمامتهم العظمى ، وسيأتى ما يدل على بطلان دخول عثمان  
وعلى في ذلك .. ثم قال : وفي أيام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى . وبعدهم ،  
كانت الفتوح العظيمة ، وتمكين الدين لأهله ، لكن لا دليل في ذلك على إصابة  
عثمان وعلى ، فإنهما وإن كانتا خلقتهما برضى الصحابة ، لكن ما ماتا إلا وقد  
بدلا وغيرا فسحقا .. كما في أحاديث عنه صلى الله عليه وسلم أنهما مفتونان (٢) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في آخر الآية السابقة « ومن كفر بعد ذلك  
فأولئك هم الفاسقون ، يقول : ( .. ) أقول - والله أعلم بغيه - إن أول من

(١) ج ١٠ ص ١٨٣ و ١٨٤ .

(٢) ج ١٠ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

كفر بملك النعمة وجحد حقها : عثمان بن عفان .. جعله المسلمون على أنفسهم ، وأموالهم ، فخانهم في كل ذلك . زاد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسعه وابتاع من قوم وأبي آخرون فغصصهم ، فصاحوا به فسيرهم للحبس ، وقال : قد فعل بكم عمر هذا فلم تصيحوا به ، فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم من السجن ، وقد جمع في ذلك غضب المال ، وقذف عمر رضى الله عنه . واستعمل أخاه لأمه وهو الوليد بن عقبة . ونزل دوانقوا فتنه ، بحضرة أبي بكر ، وعمر رضى الله عنهما - وعثمان - ، وعلى ، فقال لعثمان : بك تفتح وبك تشب ، وقال لعلي : أنت إمامها . وزمامها ، وقائدها ، تمشى فيها مشى البعير في قيده وقال لضرس بعض الجلوس في نار جهنم أعظم من جبل أحد . وقال : يثور دخانها تحت قدمي رجل يزعم أنه مني وليس مني ، إلا إن أوليائي المتقون ( . إلى آخر ما ذكره من النقائص في حق علي وعثمان رضى الله عنهما (١) . . ) .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة الشورى قل لأسألكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى .. الآية ، يقول : ( . . فمودة قرابته صلى الله عليه وسلم من لم يبدل منهم ولم يغير ، مثل فاطمة ، وحزرة ، والعباس ، وابنه - رضى الله عنهم - واجبة ) . . ثم ذكر روايات كثيرة في الحديث على حب آل البيت ومودتهم .. وبعد ما فرغ منها قال : ( لكن المراد بآله : آله الذين لم يبدلوا ، فخرج على ونحوه من بدل ، فإنه قتل من قال صلى الله عليه وسلم : لا يدخل قاتله الجنة . ولم يصح عندنا معشر الإباضية رواية : أنه لما نزلت قيل : من قرابتك الذين يجب علينا مودتهم ؟ فقال : علي ، وفاطمة ، وإبناهما ... (٢) ) . اه .

اعتداده بنفسه وحملته على جمهور المسلمين :

هذا .. وإن المؤلف ليفخر كثيراً في مواضع من تفسيره بنفسه وبأهل نحلته ، ويرى أنه وحزبه أهل الإيمان الصادق ، والدين القويم ، والتفكير السليم . وأما من عداهم : فضالون مضلون ، مبتدعون مخطئون .

فتلا نجاه عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١٧٠) من سورة البقرة ، وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . الآية ، يقول مانصه : ( . . . واعلم أن الحق هو القرآن والسنة ، وما لم يخالفها من الآثار ، فمن قام بذلك ، فهو الجماعة والسواد الأعظم ، ولو كان واحداً ؛ لأنه نائب النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والتابعين الذين اهتدوا ، وكل مهتد ، ومن خالف ذلك ، فهو مبتدع ضال ، ولو كان جمهوراً ، هذا ما يظهر لي بالاجتهاد ، وكنت أقرره للتلاميذ عام تسع وسبعين ومائتين وألف . . . فأصحابنا الإباضية الوهية هم الجماعة والسواد الأعظم وأهل السنة ولو كانوا أقل الناس ، لأنهم المصيبون في أمر التوحيد ، وعلم الكلام ، والولاية ، والبراءة ، والأصول دون غيرهم (١) . اهـ .

وعند تفسيره لقوله تعالى في الآية (١١٢) من سورة هود فاستقم كما أمرت ومن تاب معك . الآية ، يقول مانصه : ( . . . واعلم يا أخى - رحمك الله - أنى استقرت هذه المذاهب المتعبرة كمذهبنا معشر الإباضية . ومذهب المالكية ، ومذهب الشافعية ومذهب الحنفية ، ومذهب الحنبلية ، بالمنقول والمعقول ، فلم أر مستقيماً منها في علم التوحيد والصفات سوى مذهبنا ، فإنه مستقيم خال عن التشبيه والتعطيل . حججه لا تقاومها حجة ، ولا تثبت لها ، والحمد لله وحده (٢) ) . اهـ .

هذا هو مفسرنا الإباضى ، وهذا هو تفسيره الذى ملأه بالدفاع عن العقيدة الزائفة ، والتعصب للمذهب الفاسد ، وهو بعد - كما ترى - لا يسلم من مجارة المعتزلة فى بعض عقائدهم ، كما لم يسلم من الأحاديث الموضوعية التى جرت على ألسن وضاع الخوارج ، لينصروا بها مذهبهم ؛ ويروجوا له بين الناس .



# الفصل الخامس

## تفسير الصوفية

### تمهيد

أصل كلمة تصوف - معناها - نشأته وتطوره - أقسامه

#### أصل كلمة تصوف :

وقع الاختلاف في أصل هذه الكلمة (تصوف) فقيل : إنها مشتقة من الصوف ؛ وذلك لأن الصوفية خالفوا الناس في لبس فاخر الثياب فلبسوا الصوف تقشفاً وزهداً . وقيل : إنه من الصفاء ؛ وذلك لصفاء قلب المرید ، وطهارة باطنه وظاهره عن مخالفة ربه . وقيل : إنه مأخوذ من الصفة التي ينسب إليها فقراء الصحابة المعروفون بأهل الصفة . ويرى غيرهم أنه لقب غير مشتق . قال القشيري رحمه الله : ( ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ، ولا قياس ، والظاهر أنه لقب . ومن قال باشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي . قال . وكذلك من الصوف ؛ لأنهم لم يختصوا به (١) .

#### معنى التصوف :

وأما معنى التصوف . . فقيل : ( هو إرسال النفس مع الله على ما يريد (٢) ) . وقيل : ( هو مناجاة القلب ومحادثة الروح ، وفي هذه المناجاة طهارة لمن شاء

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٢ .

(٢) دائرة المعارف للبستاني المجلد السادس ص ١٣٣ .

أن يتطهر ، وصفاء لمن أراد التبرؤ من الرجس والدنس ، وفي تلك المحادثة عروج إلى سماء النور والملائكة ، وصعود إلى عالم الفيض والإلهام . وما هذا الحديث والنجوى لإلّا ضرب من التأمل ، والنظر ، والتدبر في ملكوت السموات والأرض . بيد أن الجسم والنفس متلازمان وتوأمان لا ينفصلان ، ولا سبيل إلى تهذيب أحدهما بدون الآخر . فمن شاء لنفسه صفاء ورفعة فلا بد له أن يتبرأ عن الشهوات وملذات البدن . . فالتصوف إذن : فـكـر وعمل . ودراسة ، وسلوك<sup>(١)</sup> .

### نشأة التصوف وتطوره :

والتصوف بهذا المعنى موجود منذ الصدر الأول للإسلام فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا ومتاعها ، آخذين أنفسهم بالزهد والتقشف ، مبالغين في العبادة ، فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار ، ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيباً لروحه ، غير أنهم لم يعرفوا في زمنهم بامم الصوفية ، وإنما اشتهر بهذا اللقب فيما بعد من عرفوا بالزهد والتفاني في طاعة الله تعالى ، وكان هذا الاشتهار في القرن الثاني الهجري ، وأول من سمي بالصوفي : أبو هاشم الصوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ خمسين ومائة من الهجرة<sup>(٢)</sup>

وفي هذا القرن وما بعده تولدت بعض الأبحاث الصوفية ، وظهرت تعاليم القوم ونظرياتهم التي تواضعوا عليها ، وأخذت هذه الأبحاث تنمو وتزايد كلما تقادم العهد عليها . وبمقدار ما اقتبسها القوم من المحيط العلمي الذي يعيشون فيه تطورت هذا الأبحاث والنظريات .

ولقد استفاد المتصوفة من الفلاسفة والمتكلمين والفقهاء ما كان له الأثر الأكبر في هذا التطور الصوفي ، غير أنهم أخذوا من الفلسفة بحظ وافر ، بل وكونوا فلسفة خاصة بهم ، حتى أصبحنا نرى بينهم رجالاً أشبه بالفلاسفة منهم بالمتصوفة ،

(١) دروس في تاريخ الفلسفة للدكتور مدكور ، ويوسف كرم ص ١٤٠ .

(٢) كشف الظنون ج ١ ص ١٥٠

وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادئ الشريعة ، مما أثار عليهم جمهور أهل السنة ، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي ، ويؤيدون التصوف الذي يدور حول الزهد ، والتقشف ، وتربية النفس ، وإصلاحها... وما زال أهل السنة يحاربون التصوف الفلسفي حتى كادوا يقضون عليه في نهاية القرن السابع الهجري .

ومن ذلك الوقت دخل في التصوف رجال من غير أهله ، تظاهروا بالورع والطاعة ، وتخلوا بالزهد الكاذب والتقشف المصطنع ، فأصبحنا نرى بعض الجهلاء الأميين يشرفون على الطريق ، ويتولون تربية الأتباع والمريدين ، ووقفت التعاليم الصوفية عند دائرة محدودة ، هي دائرة الأوراد والأذكار ، وإن تعدتها فلا أكثر من بعض الأبحاث الضيقة في الفقه والتفسير والحديث .

### أقسام التصوف :

كما تقدم يتضح لنا أن التصوف ينقسم إلى قسمين أساسيين :  
تصوف نظري : وهو التصوف الذي يقوم على البحث والدراسة .

وتصوف عملي : وهو التصوف الذي يقوم على التقشف والزهد والتفاني في طاعة الله . وكل من القسمين كان له أثره في تفسير القرآن الكريم ، مما جعل التفسير الصوفي ينقسم أيضاً إلى قسمين : تفسير صوفي نظري . وتفسير صوفي فيضي أو إشاري . وسنتكلم على كل قسم منهما بما يفتح الله به ويوفق إليه :

## أولاً - التفسير الصوفي النظري

وجد من المتصوفة - كما قلنا - من بنى تصوفه على مباحث نظرية ، وتعاليم فلسفية ، فكان من البدهي أن ينظر هؤلاء المتصوفة إلى القرآن نظرة تتمشى مع نظرياتهم ، وتتفق وتماثلهم .

وليس من السهل أن يجد الصوفي في القرآن ما يتفق صراحة مع تعاليمه ، ولا ما يمتشى بوضوح مع نظرياته التي يقول بها؛ إذ أن القرآن عربي جاء لهداية الناس لا لإثبات نظرية من النظريات ، ربما كانت في الغالب مستحدثة وبعيدة عن روح الدين وبداهة العقل .

غير أن الصوفي حرصاً منه على أن يتسلم له تعاليمه ونظرياته ، يحاول أن يجد في القرآن ما يشهد له أو يستند إليه ، فتراه من أجل هذا يتعسف في فهمه للآيات القرآنية ، ويشرحها شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤيده الشرع ، وتشهد له اللغة .

#### ابن عربي شيخ هذه الطريقة :

ونستطيع أن نعتبر الأستاذ الأكبر محيي الدين بن عربي شيخ هذه الطريقة في التفسير ، إذ أنه أظهر من خب فيها ووضع ، وأكثر أصحابه معالجة للقرآن على طريقة التصوف النظري ، وإن كان له من التفسير الإشاري ما يجعله في عداد المفسرين الإشاريين إن لم يكن شيخهم أيضاً .

#### تأثر ابن عربي بالنظريات الفلسفية :

نقرأ لابن عربي في الكتب التي يشك في نسبتها إليه ، كالتفسير المشهور باسمه ، وفي الكتب التي تنسب إليه على الحقيقة كالفتوحات المكية ، والفصوص ، فتراه يطبق كثيراً من الآيات القرآنية على نظرياته الصوفية الفلسفية .

فتلا يفسر بعض الآيات بما يتفق والنظريات الفلسفية الكونية ، فعند قوله تعالى في الآية ( ٥٧ ) من سورة مريم في شأن إدريس عليه السلام : « ورفعناه مكاناً علياً ، نجده يقول : ( وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك ، وهو فلك الشمس ، وفيه مقام روحانية إدريس ، وتحتة سبعة أفلاك ، وفوقه سبعة أفلاك : وهو الخامس عشر ) ... ثم ذكر الأفلاك التي تحتة ، والتي فوقه ، ثم قال : ( وأما علو المسكاته فقولنا أعنى محمد بن كمال تعالى :

« وأتم الأعلون والله معكم<sup>(١)</sup> ، في هذا العلو ، وهو يتعالى عن المكان لاعت  
المكانة<sup>(٢)</sup> .

وعند قوله تعالى في الآية (٨٧) وما بعدها من سورة البقرة : « ولقد آتينا  
موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ... - إلى قوله - .. كأنهم لا يعلمون ،  
يقول : ( ... ) والظاهر أن جبرائيل هو العقل الفعال ، وميكائيل هو روح الفلك  
السادس وعقله المفيض للنفس النباتية الكلية الموكلة بأرزاق العباد ، وإسرافيل  
هو روح الفلك الرابع وعقله المفيض للنفس الحيوانية الكلية الموكلة  
بالحيوانات ، وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالآرواح الإنسانية كلها  
يقبضها بنفسه أو بالوسائط التي هي أعوانه ويسلمها إلى الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

وعند قوله تعالى في الآيتين ( ١٩ ، ٢٠ ) من سورة الرحمن « مرج البحرين  
يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان ، يقول : « مرج البحرين ، بحر الهيولى الجسمانية  
الذى هو الملح الأجاج ، وبحر الروح المجرد الذى هو العذب الفرات « يلتقيان »  
في الوجود الإنساني « بينهما برزخ » ، هو النفس الحيوانية التي ليست في صفاء  
الروح المجردة ولطاقتها ، ولا في كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها « لا يبغيان »  
لا يتجاوز أحدهما حده فيغلب على الآخر بمخاصبته ، فلا الروح يجرد البدن  
ويخرج به ويجعله من جنسه ، ولا البدن يجسد الروح ويجعله مادياً ... سبحانه  
خالق الخلق القادر على ما يشاء<sup>(٤)</sup> ) هـ .

تأثره في تفسيره بنظرية وحدة الوجود :

كذلك نرى ابن عربي يتأثر في تفسيره للقرآن بنظرية وحدة الوجود ،  
التي هي أم النظريات التي بنى عليها تصوفه ، فنراه في كثير من الأحيان يشرح

(١) في الآية (٣٥) من سورة محمد عليه السلام

(٢) الفصوص ج ١ ص ٢٦

(٣) تفسير ابن عربي ج ١ ص ٥١

(٤) تفسير ابن عربي ج ٢ ص ٢٨٠

الآيات على وفق هذه النظرية . حتى إنه ليخرج بالآية عن مدلولها الذى أراده الله تعالى .

فثلاً عندما تعرض لقوله تعالى فى أول سورة النساء : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة . الآية ، نجده يقول : اتقوا ربكم ، اجعلوا ما ظهر منكم وقاية لربكم ، واجعلوا ما بطن منكم - وهو ربكم - وقاية لكم ؛ فإن الأمر ذم وحمد ، فكونوا وقايته فى الدم ، واجعلوه وقايتم فى الحمد تكونوا أدباء عالمين (١) .

وفى تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين (٢٩ و ٣٠) من سورة الفجر . . . فادخلى فى عبادى \* وادخلى جنتى ، يقول : ( . . . وادخلى جنتى التى هى سترى ، وليست جنتى سواك ، فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك ، كما أنك لا تكون إلا بى فمن عرفك عرفنى ، وأنا لا أعترف فأنت لا تعرف ، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك ، فتعرف نفسك معرفة أخرى ، غير المعرفة التى عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك لإياها ، فتكون صاحب معرفتين : معرفة به من حيث أنت ، ومعرفة به بك من حيث هو لا من حيث أنت ، فأنت عبد رأيت رباً ، وأنت رب لمن له فيه أنت عبد ، وأنت رب وأنت عبد لمن له فى الخطاب عهد . . الخ ) (٢) .

وفى سورة آل عمران عند قوله تعالى فى الآية (١٩١) . . . ربنا ما خلقت هذا باطلاً ، أى شيئاً غيرك ؛ فإن غير الحق هو الباطل ، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك سبحانه ، نزهك أن يوجد غيرك . أى يقارن شئ فردانيتك أو يثنى وحدانيتك . . . (٣) اه .

ومثلاً عند قوله تعالى فى الآيتين (٩ و ١٠) من سورة الشمس وقد أفلح من

(١) الفصوص ج ١ ص ٥٥٠

(٢) الفصوص ج ١ ص ١٩١-١٩٢

(٣) تفسير ابن عربى ج ١ ص ١٤١

زكاهما \* وقد خاب من دساها ، يقول : ( تحقيق هذا الذكر أن النفس لا تزكوا إلا برها ، فيه تشریف وتعظيم في ذاتها ، لأن الزكاة ربو ، فن كان الحق سمعه وبصره وجميع قواه . والصورة في الشاهد صورة خلق ، فقد زكت نفس من هذا نعته ، وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ، كالأسماء الإلهية لله . والخلق كله بهذا النعت في نفس الأمر ، ولولا أنه هكذا في نفس الأمر ما صح بصورة الخلق ظهور ولا وجود ، ولذلك خاب من دساها ؛ لأنه جهل ذلك فتخيل أنه دساها في هذا النعت ، وما علم أن هذا النعت لنفسه نعت ذاتي لا ينفك عنه ويستحيل زواله . لذلك وصفه بالخفية حيث لم يعلم هذا ، ولذلك قال : قد أفلح ، ففرض له البقاء ، والبقاء ليس إلا لله ، أو لما كان عند الله ، وما ثم إلا الله ، أو ما هو عنده ، فجزائنه غير نافذة ، فليس إلا صور تعقب صوراً . . . (١) اه . . . وغير هذا كثير من قسر الآيات وإخضاعها لنظرية وحدة الوجود التي يدين بها ابن عربي .

#### قياسة الغائب على الشاهد :

كذلك نجد ابن عربي يفهم بعض النصوص القرآنية فهما خيالياً منتزعا من المشاهد المحسوس ، فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى في أول سورة الرحمن .  
« الرحمن \* علم القرآن \* خلق الإنسان \* علمه البيان \* الشمس والقمر بحسبان \*  
والنجم والشجر يسجدان \* والسماء رفعها ووضع الميزان \* ألا تطغوا في الميزان \*  
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان \* » . يقول ما نصه ( د : الرحمن \* علم  
القرآن ، على أي قلب نزل خلق الإنسان ، فهين له الصنف المنزل عليه ، علمه البيان ،  
أي نزل له البيان فأبان عن المراد الذي في الغيب ، الشمس والقمر بحسبان ، ميزان  
حركات الأفلاك والنجم والشجر يسجدان ، لهذا الميزان ، أي من أجل هذا الميزان ،  
فنه ذو ساق وهو الشجر . ومنه ما لا طاق له وهو النجم ، فاختلفت السجدتان .  
والسماء رفعها ، وهي قبة الميزان ، ووضع الميزان ، ليزن به الثقلان ، ألا  
تطغوا في الميزان ، بالإفراط والتفريط من أجل النحران ، وأقيموا الوزن

بالقسط، مثل اعتدال نشأة الإنسان ، إذ الإنسان لسان الميزان ، ولا تخسروا الميزان ، أى لا تفرطوا بترجيح إحدى الكفتين إلا بالفضل . وقال تعالى « ونضع الموازين القسط <sup>(١)</sup> ، فأعلم أنه مامن صنعة ولا مرتبة ولا حال ولا مقام إلا والوزن حاكم عليه علماً وعملاً ، فللمعاني ميزان بيد العقل يسمى المنطق ، يحتوى على كفتين تسمى المقدمتين ، وللكلام ميزان يسمى النحو يوزن به الألفاظ لتحقيق المعاني التى تدل عليه ألفاظ ذلك اللسان ، ولكل ذى لسان ميزان وهو المقدار المعلوم الذى قرنه الله بإنزال الأرزاق فقال : « وما ننزله إلا بقدر معلوم <sup>(٢)</sup> ، « ولكن ينزل بقدر ما يشاء <sup>(٣)</sup> ، وقد خلق جسد الإنسان على صورة الميزان ، وجعل كفتيه : يمينه وشماله ، وجعل لسانه : قائمة ذاته . فهو لأى جانب مال ، وقرن الله السعادة باليمين ، وقرن الشقاء بالشمال ، وجعل الميزان الذى يوزن بالأعمال على شكل القبان ، ولهذا وصف بالثقل والخفة : ليجمع بين الميزان العددي وهو قوله تعالى « بحسبان ، وبين ما يوزن بالرطل ، وذلك لا يكون إلا فى القبان ، فلذلك لم يعين الكفتين ، بل قال : فأما من ثقلت موازينه . . . فى حق السعداء ، وأما من خفت موازينه . . . فى حق الأشقياء ، ولو كان ميزان الكفتين لقال : وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا ، وأما من ثقلت كفة سيئاته فهو كذا . وإنما جعل ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة كصورة القبان ، ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيئات بالثقل أيضاً إذا رجحت على الحسنات ، وما وصفها قط إلا بالخفة فعرفنا أن الميزان على شكل القبان . . . ) اه <sup>(٤)</sup> .

إخضاعه قواعد النحو لنظراته الصوفية :

وكذلك يخضع ابن عربى التفسير الصوفى النظرى إلى القواعد النحوية

(١) فى الآية (٤٧) من سورة الأنبياء .

(٢) فى الآية (٢١) من سورة الحجر .

(٣) فى الآية (٢٧) من سورة الشورى .

(٤) الفتوحات ج ٣ ص ٦٠ .



أحياناً ، ولكنه خضوع يكيفه الصوفي على حسب ما يرضى روحه ويوافق ذوقه ، فنجد ابن عربي مثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٣٠ ) من سورة الحج « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ، يقول : ( ... وقوله « عند ربه ، العامل في هذا الظرف في طريقنا : قوله : « ومن يعظم ، أى من يعظمها عند ربه ، أى في ذلك الموطن ، فلتبحث في الموطن التي تكون فيها عند ربك ما هي ؟ ... كالصلاة مثلاً ، فإن المصلى يناجى ربه ، فإذا عظم حرمة الله في هذا الموطن كان خيراً له . . . والمؤمن إذا نام على طهارة فروجه عند ربه ، فيعظم هناك حرمة الله ، فيكون الخير الذي له في مثل هذا الموطن المباشرة التي تحصل له في نومه أو يراها له غيره . والمواطن التي يكون العبد فيها عند ربه كثيرة فيعظم فيها حرمات الله على الشعوب ... » (١) .

## التفسير الصوفي النظري في الميراث

من هذه الأمثلة السابقة كلها نستطيع أن نقرر في صراحة واطمئنان : أن التفسير الصوفي النظري تفسير يخرج بالقرآن — في الغالب — عن هدفه الذي يرمى إليه . . . . يقصد القرآن هدفاً معيناً بنصومه وآياته ، ويقصد الصوفي هدفاً معيناً بأبحاثه ونظرياته . وقد يكون بين الهدفين تنافر وتضاد ، فيأني الصوفي إلا أن يحول القرآن عن هدفه ومقصده ، إلى ما يقصده هو ويرمى إليه ، وغرضه بهذا كله : أن يروج لتصوفه على حساب القرآن . وأن يقيم نظرياته وأبحاثه عن أساس من كتاب الله ، وبهذا الصنيع يكون الصوفي قد خدم فلسفته التصوفية ولم يعمل للقرآن شيئاً ، اللهم إلا هذا التأويل الذي كله شر على الدين وإلحاد في آيات الله . . . .

رأينا ابن عربي يميل ببعض الآيات إلى مذهبه القائل بوحدة الوجود ، ورأينا غيره كأبي يزيد البسطامي ، والحلاج ، وغيرهما ، يسلك هذا المسلك نفسه أو قريباً منه . ووحدة الوجود — عندهم — معناها أنه ليس هناك إلا وجود واحد كل العالم مظاهر ومجال له ، فالله سبحانه هو الموجود الحق ، وكل ما عداه ظواهر وأوهام ، ولا توصف بالوجود إلا بضرب من التوسع والمجاز . وهذه النظرية سرت إلى بعض المتصوفة عن طريق الفلاسفة ، وعن طريق الإسماعيلية الباطنية الذين خالطوهم وأخذوا عنهم مذهبهم القائل بحلول الإله في أمتهم ، وصوروه — أعني الصوفية — بصورة أخرى تتفق مع مذهب الباطنية في الحقيقة ، وإن اختلفت في الإصطلاح والألفاظ . . . . !! (١) .

هذا المذهب الذي حول لمثل الحلاج أن يقول : أنا الله ، ولمثل ابن عربي

---

(١) وحدة الوجود ليست هي نظرية الحلول ، غاية الأمر أن أصحاب القول بوحدة الوجود ينقسمون إلى فريقين : فريق يقول بالحلول ، وفريق لا يقول به ؛ أنظر الفلسفة الإسلامية للدكتور محمد البهي ص ٤٧

أن يقول : إن عجل بني إسرائيل أحد المظاهر التي اتخذها الله وحل فيها ، والذي جره فيما بعد إلى القول بوحدة الأديان لا فرق بين سماوى وغير سماوى ؛ إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلى في صورهم وصور جميع المعبودات .

هذا المذهب الذى يذهب بالدين من أساسه . . هل يكون سائغا ومقبولا أن نجعله أصلا نبى عليه أفهامنا آيات القرآن الكريم ؟ . . وهل يليق بابن عربى وهو الأستاذ الأكبر ، أن ينظر من خلاله إلى مثل قوله تعالى فى الآيتين (٦ و ٧) من سورة البقرة : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . .

فيقول شارح هذا النص القرآنى : (يا محمد . . . إن الذين كفروا : ستروا محبتهم فى . . . دعهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذى أرسلتكم به . أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك ؛ فإنهم لا يملكون غيرى ، وأنت تنذرهم بخلقى وهم ما عقلاه ولا شاهدوه ، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيرى ، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاماً فى العالم إلا منى ، وعلى أبصارهم غشاوة من بهانى عند مشاهدتى ، فلا يبصرون سواى ، ولهم عذاب عظيم عندى . . . أردم بعد هذا المشهد السنى إلى إنذارك وأحجبهم عنى ، كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قرباً . . . أنزلتكم إلى من يكذبك ، ويرد ما جئت به إليه منى فى وجهك ، وتسمع فى ما يضيّق له صدرك ، فأين ذلك الشرح الذى شاهدته فى إسرائيل ؟ فهكذا أمنائى على خلقى الذين أخفيتهم رضائى عنهم (١) اه .

وهل يجدر بمثل هذا الصوفى الكبير أن يتأثر بمذهبه فى وحدة الوجود فيقول فى قوله تعالى فى الآية (٢٣) من سورة الإسراء : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . . (١) فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر ، ونحن نعمله على الحكم كشفاً . . وهو الصحيح ؛ فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء

إلا لتقربهم إلى الله زلفى ، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ،  
وما ثم صورة إلا الألوهية فنسبوها إليهم . ولهذا يقضى الحق حوائجهم  
إذا توسلوا بها إليه غير منه على المقام أن يهتضم ، وإن أخطوا في النسبة  
فأخطوا في المقام ، ولهذا قال : إن هي إلا أسماء سميتوها (١) ، أى أتم قلم  
عنها : إنها آلهة . . . وإلا فسموهم ، فلو سموهم لقالوا : هذا حجر ، أو شجر ،  
أو ما كان ، فتميز عندهم بالإسمية ؛ إذ ما كل حجرٌ عبيدٌ ولا اتخذ إلهًا ، ولا كل  
شجر ، ولا كل جسم منير ، ولا كل حيوان . فله الحجة البالغة عليهم بقوله :  
قل سموهم . . . (٢) .

وأصرح من هذا أنه لما عرض لقوله تعالى في الآية ( ١٦٣ ) من سورة  
البقرة : وإلهكم إله واحد ، قال : ( . . . إن الله تعالى خاطب في هذه الآية المسلمين ،  
والذين عبدوا غير الله قربة إلى الله ، فاعبدوا إلا الله ، فلما قالوا : مانعدهم  
إلا ليقربونا إلى الله زلفى فأكدوا ذكر العلة ، فقال الله لنا : إن إلهكم والإله الذى  
يطلب المشرك القربة إليه بعبادة هذا الذى أشرك به واحد ، كأنكم ما اختلفتم  
في أحديته . . . فقال : وإلهكم ، فجمعنا وإياهم إله واحد ، فاعشركوا إلا بسببه  
فيما أعطاهم نظرهم . ومن قصد من أجل أمر ما فذلك الأمر على الحقيقة هو المقصود  
لا من ظهر أنه قصد ، كما يقال : من صحبك لأمر أو أحبك لأمر ولى بانقضائه ؛  
ولهذا ذكر الله أنهم يتبرءون منهم يوم القيامة . وما أخذوا إلا من كونهم فعلموا  
ذلك من نفوسهم ، لا أنهم جملوا قدر الله فى ذلك ، ألا ترى الحق لما علم هذا  
منهم كيف قال : وإلهكم إله واحد ؟ . ونههم فقال : « قل سموهم ، فيذكروهم بأسمائهم  
المخالفة أسماء الله ، ثم وصفهم بأنهم فى شركهم قد ضلوا ضلالا بعيدا ، أو مبينا ؛  
لأنهم أوقعوا أنفسهم فى الحيرة ؛ لسكونهم عبدوا ما نحتوا بأيديهم ، وعلوا أنه  
لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم من الله شيئا ، فهى شهادة من الله بقصور  
نظرهم وعقولهم . ثم أخبرنا الله أنه قضى ألا نعبد إلا إياه بما نسبوه من الألوهية

(١) فى الآية (٢٣) من سورة النجم :

(٢) الفتوحات ج ٣ ص ١١٧

لهم أى جعلوهم كالنواب لله والوزراء ، كأن الله استخلفهم ، ومن عادة الخليفة أن يكون فى رتبة من استخلفه عند المستخلف عليه ؛ فلهدا نسبوا الألوية لهم ابتداء من غير نظر فيمن جعل ذلك . وقول من قال : أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنما كان من أجل اعتقادهم فيما عبده أنهم آلهة دون الله المشهود له عندهم بالعظمة على الجميع ، فأشبه هذا القول ما ثبت فى الشرع الصحيح من اختلاف الصور فى التجلى ، ومعلوم عنده من يشاهد ذلك أن الصورة ما هى هذه الصورة ، وكل صورة لا بد أن يقول المشاهد لها : إنها الله . لكن لما كان هذا من عند الله ، وذلك الآخر من عندهم أنكروا عليهم التحكم فى ذلك ، كما ثبت فى قوله تعالى : « فأينما تولوا فثم وجه الله (١) » ، هذا حقيقة ؛ فوجه الله موجود فى كل جهة يتولى أحد إليها ، ومع هذا لو تولى الإنسان فى صلانه إلى غير الكعبة مع علمه بجهة الكعبة لم تقبل صلاته ، لأنه ما شرع له إلا استقبال هذا البيت الخاص بهذه العبادة الخاصة ، فإذا تولى فى غير هذه العبادة التى لا تصح إلا بتعيين هذه الجهة الخاصة ، فإن الله يقبل ذلك التولى ، كما أنه لو اعتقد أن كل جهة يتولى إليها ما فيها وجه الله لكان كافراً وجاهلاً ، ومع هذا فلا يجوز له أن يتعدى بالأعمال حيث شرعها الله ، ولهذا اختلفت الشرائع : فما كان محرماً فى شرع ما ، حلاله الله فى شرع آخر ، ونسخ ذلك الحكم الأول فى ذلك المحكوم عليه بحكم آخر فى عين ذلك المحكوم عليه ، قال الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (٢) » ، فما نسخ من شرع واتبعه من أتبعه بعد نسخه فذلك المسمى هوى النفس الذى قال الله فيه لخليفته داود « إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق (٣) » ، يعنى الحق الذى أنزلته إليك « ولا تتبع الهوى (٤) » ، وهو ما خالف شرعك « فيضلك عن سبيل الله (٥) » ، وهو ما شرعه الله لك على الخصوص . فإذا عدت هذا وتقرر لديك ، عدت أن الله إله واحد فى كل شرع عيناً ، وكثير صورة وكوفاً ،

(١) فى الآية (١١٥) من سورة البقرة

(٢) فى الآية (٤٨) من سورة المائدة

(٣ و ٤ و ٥) فى الآية (٢٦) من سورة ص

فإن الأدلة العقلية تكثره باختلافها فيه ، وكلها حق ومدلولها صدق ، والتجلى في الصورة كثيرة أيضا لاختلافها . والعين واحدة ، فإذا كان الأمر هكذا فما تصنع ؟ وكيف يصح لي أن أخطئ . قائلا ؟ ولهذا لا يصح خطأ من أحد فيه ، وإنما الخطأ في إثبات الغير وهو القول بالشريك ، فهذا القول بالعدم : لأن الشريك ليس ثم ، وذلك لا يغفره الله ، لأن الغفر الستر ، ولا يستر إلا من له وجود ، والشريك عدم فلا يستر . . . فهى كلمة تحقيق . إن الله لا يغفر أن يشرك به (١) ، لأنه لا يجزه . فلو وجد له لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها : وما فى الوجود من يقبل الأضداد إلا العالم من حيث ماهو واحد ، وفى هذا الواحد ظهرت الأضداد ، وما هى إلا أحكام عين الممكنات فى عين الوجود التى بظهورها عدت الأسماء الإلهية المتضادة وأمثالها . . . (٢) .

### رأينا فى التفسير الصوفى النظرى :

ورأى الذى أدين الله عليه : أن مثل هذا التفسير القائم على نظرية وحدة الوجود ما كان لنا أن نقبله مهما كان قائله .

كذلك ليس لنا أن نقبل التفسير الذى أسس على نظريات الفلاسفة الذين بحثوا فى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، والذى جرى عليه ابن عربى وغيره من المتصوفة فى تفسيرهم لبعض الآيات القرآنية . . . لا نقبله على أنه تفسير موافق لمراد الله تعالى ومقصوده الذى جاء القرآن من أجله ، وإن كنا نقبله - إن صح - على أنه مما تحتمله الآية ما دام لا يعارض القرآن ولا ينافيه . على أن كل ما جاء من ذلك لا يعدو أن يكون ظنيا ، وقد يظهر خطؤه فى يوم من الأيام ، فكيف نحمل عليه القرآن الكريم الذى لا يأتبه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟

أما التفسير الذى يبنى على قياس الغائب على الشاهد كتفسير ابن عربى لحقيقة الميزان الذى توزن به الأعمال يوم القيامة ، فهذا أيضا ضرب من التخمين

(١) فى الآية (١١٦) من سورة النساء .

(٢) الفتوحات ج ٤ ص ١٠٦ و ١٠٧

والتخمين لا يجوز أن يدخل في فهم الأشياء التي لا يتوصل إلى حقيقتها إلا من طريق السمع عن المصوم صلى الله عليه وسلم .

وأما التفسير الذي يبني على قواعد نحوية أو بلاغية ، فهذا إن ساعده السياق والسباق قَبِلَ ، وإلا أعرضنا عنه ، وأخذنا بما يصححه النظر ويقويه الدليل .

هذا هو رأينا في التفسير الصوفي النظري ، وليس لدينا من المعاذير ما نستطيع أن نتلمسه للقوم حتى نصحح لهم مثل هذا التفسير الذي يقوم على نظريات فاسدة تذهب بالدين من أساسه . وإذا صح - وما أرائي أرتضى ذلك - أن نغض الطرف عما قالوه في التفسير من بيان لحقائق الموجودات علويها وسفليها . وحقائق الملائكة . والروح ، والعرش ، والكرسي ، وأمثال ذلك ، فلا يصح أن نغض الطرف بحال عما قالوه من التفسير المبني على وحدة الوجود . وإذا أمكننا - على كره - أن نتسامح في بعض عبارات شديدة جرى بها لسان صوفي أخذه الوجد ، وارتفع به الحال ، وغاب عن نفسه ، وشاهد ما لا نشاهد ، فقال في لحظة نسي فيها نفسه فلم ير إلا الله : أنا الحق ، أو أنا الله ، فليس في مقدورنا أن نتسامح في مثل هذه التفسيرات التي جرت بها ألسنة القوم وأقلامهم وهم في حالة الهدوء النفسى ، يقدرون ما يقولون ، ويشعرون بكل ما ينطقون أو يكتبون .

هذا ولم نسمع بأن أحداً ألف في التفسير الصوفي النظري كتاباً خاصاً يتبع القرآن آية آية ، كما ألف مثل ذلك بالنسبة للتفسير الإشارى ، وكل ما وجدناه من ذلك هو نصوص متفرقة اشتمل عليها التفسير المنسوب إلى ابن عربى ، وكتاب الفتوحات المكية له ، وكتاب الفصوص له أيضاً ، كما يوجد بعض من ذلك في كثير من كتب التفسير المختلفة المشارب .

## ثانياً - التفسير الصوفي الفيضي أو الإشاري

### حقيقته :

التفسير الفيضي أو الإشاري : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة .

### الفرق بينه وبين التفسير الصوفي النظري :

وعلى هذا فالفرق بين التفسير الصوفي الإشاري والتفسير الصوفي النظري من وجهين :

أولاً : أن التفسير الصوفي النظري ، يبنى على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولاً ، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك .

أما التفسير الإشاري ، فلا يرتكز على مقدمات علمية ، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجع العبارات هذه الإشارات القدسية ، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبجانية .

ثانياً : أن التفسير الصوفي النظري ، يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من المعاني ، وليس وراه معنى آخر يمكن أن تحمل الآية عليه . . وهذا بحسب طاقته طبعاً .

أما التفسير الإشاري ، فلا يرى الصوفي أنه كل ما يراد من الآية ، بل يرى أى هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء : ذلك هو المعنى الظاهر الذى ينساق إليه الذهن قبل غيره .

هل للتفسير الإشاري أصل شرعي ؟

ربما يجوز بخاطر القارئ الكريم هذا السؤال وهو : هل للتفسير الإشاري



أصل شرعى يقوم عليه ، أو هو أمر جد بعد ظهور المتصوفة وذبوع طريقتهم وللجواب عن هذا السؤال نقول :

لم يكن التفسير الإشارى بالأمر الجديد فى إبراز معانى القرآن الكريم ، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . أشار إليه القرآن ، ونبه عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به .

أما إشارة القرآن إليه ، فى قوله تعالى فى الآية ( ٧٨ ) من سورة النساء . . . . قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، وقوله فى الآية ( ٨٢ ) منها أيضاً : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، وقوله فى الآية ( ٢٤ ) من سورة محمد عليه السلام : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ، فهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن له ظهر وبطن . وذلك لأن الله سبحانه وتعالى حيث ينعمى على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثاً ، ويحضمهم على التدبر فى آيات القرآن الكريم لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام ، أو حضمهم على فهم ظاهرة ، لأن القوم عرب ، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره ولا شك . وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب ، وحضمهم على أن يتدبروا فى آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده ، وذلك هو الباطن الذى جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم (١) .

وأما تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فذلك فى الحديث الذى أخرجه الفريابى من رواية الحسن مرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع ) وفى الحديث الذى أخرجه الديلمى من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد ) . فى هذين الحديثين تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن . ولكن ما هو الظهر وما هو البطن ؟ اختلف العلماء فى بيان ذلك :

(١) انظر الموافقات ج ٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٣

فقيل . ظاهرها - أى الآية - لفظها ، وباطنها تأويلها :  
وقال أبو عبيدة : إن القصص التى قصها الله تعالى عن الأمم الماضية  
وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، وحديث حدث به عن قوم ،  
وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم ، فيحل بهم مثل ما حل  
بهم . . . . . ولكن هذا خاص بالقصص ، والحديث يعبر كل آية من آيات القرآن .  
وحكى ابن النقيب قولاً ثالثاً : وهو أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل  
العلم ، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أهل الحقائق .

هذا هو أشهر ما قيل فى معنى الظهر والبطن . وأما قوله فى الحديث الأول :  
ولكل حرف حد ، فمنناه على ما قيل . لكل حرف حد أى انتهى فيما أراد  
الله من معناه أو لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب . والأول أظهر : وقوله :  
ولكل حد مطلع ، ومعناه على ما قيل أيضاً : لكل غامض من المعانى والأحكام  
مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به . وقيل : كل ما يستحقه من  
الثواب والعقاب يطلع عليه فى الآخرة عند المجازاة . والأول أظهر أيضاً .

وأما الصحابة فقد نقل عنهم من الأخبار ما يدل على أنهم عرفوا التفسير  
الإشارى وقالوا به ، أما الروايات الدالة على أنهم يعرفون ذلك فمنها :  
ما أخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال . ( إن  
القرآن دوشجون وفنون ، وظهور وبطون ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تبلغ غايته ،  
فن أو غل فيه برفق نجا ، ومن أخبر فيه بعنف هوى ، أخبار وأمثال ، وحلال  
وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ،  
وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء ) .

وروى عن أبى الدرداء أنه قال : ( لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل  
للقرآن وجوها ) .

عن ابن مسعود أنه قال : ( من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن ) .  
وهذا الذى قاله لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر .

وأما الروايات الدالة على أنهم فسروا القرآن تفسيراً إشارياً ، فإرواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : ( كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم : فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فأرثيت أنه دعاني يومئذ لإلا ليربهم . قال . ما تقولون في قوله تعالى . إذا جاء نصر الله والفتح ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكنت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا . قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له . قال : إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول (١) ) ١ هـ

فبعض الصحابة لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر ، أما ابن عباس وعمر ، فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر ، هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الإشارة :

وأيضاً ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى فى الآية (٣) من سورة المائدة « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » فرح الصحابة وبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال : ما بعد الكمال إلا النقص ، مستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام ، فقد أخرج ابن أبى شيبه (أن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟ قال أبكاني أنا كنا فى زيادة من ديننا ، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط . إلا نقص ، فقال عليه الصلاة والسلام : صدقت (٢) ) :

فعمرو رضى الله عنه أدرك المعنى الإشارى : وهو نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقره النبى على فهمه هذا : وأما باقى الصحابة : فقد فرحوا بنزول الآية ؛ لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها :

(١) البخارى باب التفسير ج ٦ ص ١٧٩ .

(٢) تفسير الألوسى ج ٦ ص ٦٠ .

هذه الأدلة مجتمعة تعطينا أن القرآن الكريم له ظهر وبطن .. ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي .. وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر. غير أن المعاني الباطنية للقرآن لا تتقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور. واقد فهم ابن مسعود أن في فهم معاني القرآن مجالا رحباً ومتسعاً بالغاً فقال: (من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن) وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله « ما فرطنا في الكتاب من شيء (١)»، وقال « .. ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء (٢)».

التفاوت في إدراك المعاني الباطنة وإصابتها :

غير أن هذه المعاني المتكاثرة التي يشتمل عليها باطن القرآن لم تكن في متناول المفسرين جميعاً ، كما أنهم لم يكونوا متساوين في القدر الذي أدركوه منها ، بل تفاوتوا في ذلك بمقدار ما بينهم من تفاوت في الأخذ بالأسباب، كما أنهم لم يكونوا جميعاً مصيبين فيما وصلوا إليه منها وأدركوه ، بل أصابوا في بعض منها وأخطأوا في بعض آخر، وما أخطأوا فيه : بعضه عن جهل، وبعضه عن تعمد خبيثونية سيئة ، فالإمامية مع قولهم بالظاهر على ما به ، قالوا بالباطن أيضاً ، ولكنهم تعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق وعقيدتهم الفاسدة والباطنية . لم يعترفوا بظاهر القرآن واعترفوا بالباطن فقط ، ولكنهم أيضاً تعمدوا أن يفسروا الباطن على ما يتفق ونواياهم السيئة ، وكلا الفريقين ضال مبتدع .

أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة ، فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يحدوه ، كما اعترفوا بباطنه ، ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنة خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فبدلاً مما تجدهم أفهاماً مقبولة سائغة ، تجد لهم بجوارها أفهاماً لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع ؛ ولهذا أرى أن أستعرض بعض ما للقوم من أفهام في التفسير ، ثم أحكم عليها حكماً مجرداً عن كل شيء . إلا عن الحق والإنصاف ، ثم بعد هذا أذكر شروط التفسير الإشاري . وهي الشروط التي إذا توافرت فيه جازنا قبوله والأخذ به ، وإلا أسقطناه ورفضناه مهما كان لقائله من المسكاة في نفوسنا أو في نفوس القوم .

(١) في الآية (٣٨) من سورة الانعام . (٢) في الآية (١١١) من سورة يوسف.

## التفسير الإشارى فى الميزان

قلنا : إن القرآن له ظهر وبطن وذكرنا لك أهم الأقوال فى معنى الظاهر والباطن . ومهما يكن من شىء فإن ظاهر القرآن — وهو المنزل بلسان عربى مبين — هو المفهوم العربى المجرد . وباطنه هو مراد الله تعالى وغرضه الذى يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب . هذا هو خير ما يقال فى معنى الظاهر والباطن .

وعلى ذلك نقول : إن كل ما كان من المعانى العربية التى لا ينبى فهم القرآن إلا عليها داخل تحت الظاهر ، فالمسائل البيانية ، والمنازع البلاغية ، لامعدل لها عن ظاهر القرآن ، فإذا فهم الإنسان مثلاً الفرق بين ضيق فى قوله تعالى فى الآية ( ١٢٥ ) من سورة الأنعام د فن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، وبين ضائق فى قوله تعالى فى الآية ( ١٢ ) من سورة هود فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، وعرف أن ( ضيق ) صفة مشبهة دالة على الثبوت والدوام فى حق من يرد الله أن يضلّه ، وأن ( ضائق ) اسم فاعل يدل على الحدوث والتجدد وأنه أمر عارض له صلى الله عليه وسلم . إذا فهم الإنسان مثل هذا فقد حصل له فهم ظاهر القرآن .

إذاً فلا يشترط فى فهم ظاهر القرآن زيادة على الجريان على اللسان العربى ، وإذاً كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربى فليس من تفسير القرآن فى شىء . لا بما استفاد منه ولا بما استفاد به . ومن ادعى قبه ذلك فهو مبطل فى دعواه .

أما المعنى الباطن ، فلا يكفى فيه الجريان على اللسان العربى وحده . بل لابد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى فى قلب الإنسان يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير ، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمراً خارجاً عن مدلول اللفظ القرآنى ، ولهذا اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين :

أولهما : - أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب بحيث  
يجرى على المقاصد العربية :  
وثانيهما : أن يكون له شاهد نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته  
من غير معارض .

أما الشرط الأول : فظاهر من قاعدة كون القرآن عربياً . فإنه لو كان له  
فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربياً بإطلاق ، ولأنه مفهوم يلصق  
بالقرآن وليس في ألفاظه ولا في معانيه ما يدل عليه ، وما كان كذلك فلا يصح  
أن ينسب إليه أصلاً ؛ إذ ليست نسبته إليه على أنه مدلوله أولى من نسبة ضده  
إليه . ولا مرجح يدل على أحدهما ، فإثبات أحدهما تحكّم وتقول على القرآن  
ظاهر ، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم من قال في كتاب الله بغير علم :

وأما الشرط الثاني : فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر أو كان وله  
معارض صار من جملة الدعاوى التي تدعى على القرآن ، والدعوى المجردة عن  
الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء (١) :

إذا توافر هذان الشرطان في معنى من المعاني الباطنة قبل ؛ لأنه معنى  
باطن صحيح ، وإلا رفض رفضاً باتاً ؛ لأنه معنى باطن فاسد وتقول على الله  
بالهوى والتشبهى :

إذا عرفنا هذا كله ثم ذهبنا نستعرض على ضوءه أقوال القوم في معاني  
القرآن الباطنة ، وجدنا الكثير منها يمكن أن يكون من قبيل الباطن الصحيح ،  
وكثير منها أيضاً هو من قبيل الباطن الفاسد المرفوض . وكبرى المشاكل أن  
بعضها منسوب إلى رجال من أهل العلم لهم مكانة علمية ودينية في نفوسنا ، بل  
وبعضها منسوب إلى رجال من الصحابة ، وهم أعرف الناس بكتاب الله  
وما يحويه من المعاني والأسرار .

فن الأفهام الباطنة المنقولة عنهم ويمكن أن تكون من قبيل الباطن الصحيح المقبول : ما جاء في قوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة البقرة . . فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، من قول سهل التستري : ( فلا تجعلوا لله أندادا ، أى أصدادا ، فأكبر الأصداد : النفس الأمارة بالسوء ، المتطلعة إلى حظوظها ومنها بغير هدى من الله (١) ) هـ .

فهذا القول من سهل يشير إلى أن النفس الأمارة داخلية تحت عموم الأنداد حتى لو فصل لسكان المعنى : فلا تجعلوا لله أندادا لا صنما ، ولا شيطانا ، ولا النفس ، ولا كذا ، ولا كذا . . وهذا مشكل من حيث الظاهر ، لأن سياق الآية وما يحف بها من قرآن يدل على أن الأنداد مراد بها كل ما يعبد من دون الله ، سواء أكان صنما أم غير صنم ، أما النفس فلم تكن معبودة لهم ، ولم يعرف أنهم اتخذوها أربابا من دون الله ، ومع هذا فيمكن أن يكون لهذا التفسير وجه صحيح ، ويان ذلك :

أن الناظر في القرآن الكريم ، قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار ، فيجريه فيما لم تنزل فيه الآية : لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه ، وسهل التستري - رحمه الله - حين قال في الآية ما قال ، لم يرد أنه تفسير للآية ، بل أتى بما هو ند في الاعتبار الشرعي ؛ وذلك لأن حقيقة الند : أنه المضاد لنده ، الجارى على مناقضته ، والنفس الأمارة هذا شأنها ؛ لأنها تأمر صاحبها بمراعاة حظوظها ، لاهية أو صادة عن مراعاة حقوق خالقها ، وهذا هو الذى يعنى به الند بالنسبة لنده ، لأن الأصنام نصبوها لهذا المعنى بعينه ، وعلى هذا فلا غبار على قول سهل في الآية ، بل وهناك ما يشهد له من الجهتين - جهة حمل الأنداد على النفس الأمارة اعتبارا ، وجهة كون الخطاب - وإن كان موجها للمشركين - فيه لأهل الإسلام نظر واعتبار .

أما ما يشهد له من الجهة الأولى : فقوله تعالى في الآية ( ٣١ ) من سورة

التوبة : « اتخذوا أجارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وظاهر أنهم لم يعبدوا من دون الله ، ولكنهم اتتمروا بأوامرهم ، وانتهوا عما نهوا عنه كيف كان ، فما حرموا عليهم حرموه ، وما أباحوا لهم حللوه ، وفاتهم أن المحلل والمحرم هو الله ، فقال الله سبحانه : « اتخذوا أجارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وهذا بعينه هو شأن المتبع لهوى نفسه .

وأما ما يشهد له من الجهة الثانية : فهو أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لبعض من توسع في الدنيا من أهل الإيمان أين تذهب بكم هذه الآية ؟ « أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا ، وكان هو يعتبر نفسه بها ، مع أن الآية نزلت في حق الكفار لقوله تعالى « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم .. الآية (١) » ، فمعرض الله عنه ، له في الآية نظر واعتبار ، فأخذ من معناها معنى أجرى الآية فيه وإن لم تنزل فيه ، حذراً منه وخوفاً أن يكون التوسع في المباحات سبباً في الحرمان من نعيم الآخرة ومتاعها ، فإذا صح لعمر رضى الله عنه أن ينزل الآية على المتوسعين في المباحات من المؤمنين ولم تنزل فيهم ، صح لسبل أيضاً أن ينزل الآية على النفس الأمارة وإن لم تنزل فيها كذلك . ومن ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى في الآية ( ٣٥ ) من سورة البقرة « .. .. ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، من قول سهل رحمه الله . ( لم يرد الله معنى الأكل في الحقيقة ، وإنما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره .. أى لا تهتم بشيء هو غيرى . قال : فأدم عليه السلام لم يعصم من الهمة والفعل في الجنة ، فلحقه ما لحقه من أجل ذلك . قال : وكذلك كل من ادعى ما ليس له وسأكنه قلبه ناظراً إلى هوى نفسه ، لحقه الترك من الله عز وجل مع ما جبلت عليه نفسه إلا أن يرحمه الله ، فيعصمه من تدييره وينصره على عدوه وعليها .. .. قال : وأدم لم يعصم عن مساكنة قلبه إلى تديير نفسه للخلود لما أدخل الجنة ، ألا ترى أن البلاء دخل عليه من أجل سكون القلب إلى ما وسوست به نفسه ، فغلب الهوى والشهوه العلم والعقل والبيان ونور القلب ؛



لسابق القدر من الله تعالى ، كما قال عليه السلام : الهوى والشهوة يغلبان العلم والعقل (١) . هـ .

وبالنظر في كلام سهل هذا نرى أنه ادعى في الآية خلاف ما ذكره المفسرون من أن المراد النهى عن نفس الأكل ، لاعتنا سكون الهمة لغير الله . وإن كان هذا منهيًا عنه أيضاً ، لكن يمكن أن يكون لهذا الكلام الذي قاله سهل وجه يجرى عليه ، وذلك أن النهى في الآية لا يصح حمله على نفس القرب مجرداً ، إذ لا مناسبة فيه ظاهرة ، ولأنه لم يقل به أحد ، وإنما النهى عن معنى في القرب وهو إما تناول الأكل . وإما غيره وهو شيء ينشأ الأكل عنه ، وذلك مساكنة الهمة ، فإنه الأصل في تحصيل الأكل ، ولا شك في أن السكون لغير الله لجلب منفعة أو دفع مفسدة منهي عنه .

فهذا التفسير له وجه ظاهر . فكأنه يقول : لم يقع النهى عن مجرد الأكل من حيث هو أكل ، بل عما ينشأ عنه الأكل من السكون لغير الله ، إذ لو انتهى عما نهى الله عنه لكان ساكناً لله وحده : فلما لم يفعل وسكن إلى أمر في الشجرة غره به الشيطان وهو الخلود في الجنة ، أضاف الله إليه لفظ العصيان فقال في الآيتين (١٢١) ، (١٢٢) من سورة طه ، وعصى آدم ربه فغوى \* ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى . مثل هذا - وهو كثير في كلام الصوفية - لا نعدم له وجهاً نحمله عليه حتى يكون تفسيراً صحيحاً ومقبولاً .

ولكن هناك أقوال لهم في التفسير الإشاري يقف أمامها العقل حائراً وعجزاً عن تلمس حمل لها تحمل عليه حتى تبدو صحيحة وتصبح مقبولة . فن ذلك :

ما يروونه عن ابن عباس أنه فسر (السم) فقال : (الألف : الله . واللام : جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم . وأن الله أقسم بنفسه وجبريل ومحمد عليهما السلام (٢) . وهذا إن صح نقله فهو مشكل إلى حد بعيد ، ذلك لأن الإشارة إلى الكلمة

(١) تفسير القرآن العظيم للتستري ص ١٦ - ١٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم للتستري ص ١٢ .

بحرف ليس معهوداً في كلام العرب . اللهم إلا إن دل عليه الدليل اللفظي  
أو الخالي كقول الشاعر :

\* فقلت لها قفي فقالت قاف \*

أراد : قالت وقتت .

وقول زهير :

بالخير خيرات وإن شراً فإ      ولا أربد الشر إلا أن تا  
أراد : وإن شراً فشر ، وأراد : إلا أن تشاء .

وقول الآخر :

نادو هموا ألا الجوا ألاتا      قالوا جميعاً كلهم أافا

أراد : ألا تركبون . قالوا : ألا فاركبوا .

وقوله عليه الصلاة والسلام « كفى بالسيف شا ، أراد . شاياً<sup>(١)</sup> .

.... ولكن أين الدليل على ما ذكر في قوله ( أَلَمْ ) ؟

على أنه لم يقم دليل من الخارج يدل على هذا التفسير ، إذ لو كان له دليل  
لاقتضت العادة نقله ، لأنه من المسائل التي تتوفر الدواعي على نقلها لو صح أنه  
مما يفسر ويقصد تفهيم معناه . . . ولما لم يثبت شيء من ذلك دل على أنه من  
قبيل المتشابهات ، فإن ثبت له دليل عليه صرنا إليه وإلا توقعنا :

ومثل هذا المروي عن ابن عباس - ولعله أشكل منه - ما قاله سهل  
الستري في تفسيره للبسملة حيث قال : ( بسم الله الرحمن الرحيم ، الباء : بهاء الله  
عز وجل ، والسين : سناء الله عز وجل ، والميم : مجد الله عز وجل ، والله : هو  
الامم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها ، وبين الأنف واللام منه حرف مكى

غيب من غيب إلى غيب ، وسر من سر إلى سر ، وحقيقة من حقيقة إلى حقيقة ، لا ينال فهمه إلا الظاهر من الأدناس ، الأخذ من الحلال قواما ضرورة الإيمان . والرحمن : اسم فيه خاصية من الحرف المكنى بين الألف واللام . والرحيم : هو العاطف على عباده بالرزق في الفرع ، والابتداء في الأصل ، رحمة لسابق عمله القديم ( ١ ) .

وما فسر به ( أَلَمْ ) فاتحة البقرة وهو قوله ( أَلَمْ ) . اسم الله عز وجل فيه معان وصفات يعرفها أهل الفهم به ، غير أن لأهل الظاهر فيه معان كثيرة ، فأما هذه الحروف إذا انفردت ، فالألف : تأليف الله عز وجل . ألف الأشياء كما شاء ، واللام : لطفه القديم . والميم : مجده العظيم ) وقال : ( لكل كتاب أنزله الله تعالى سر ، وسر القرآن فراح السور ؛ لأنها أسماء وصفات ، مثل قوله أَلَمْصَـ وَالرَّـ ، وَأَلْمَرُ ، وَكَيْمَصَـ ، وَطَمَـ ، وجمعسق ، فإذا جمعت هذه الحروف بعضها إلى بعض كانت اسم الله الأعظم ، أى إذا أخذ من كل سورة حرف على الولاية أى على ما أنزلت السورة وما بعدها على النسق ( الر ) و ( حم ) و ( ن ) معناه الرحمن . وقال ابن عباس والضحاك : ألم : معناه أنا الله أعلم . وقال علي رضي الله عنه : هذه أسماء مقطعة ، إذا أخذ من كل حرف حرفاً لا يشبه صاحبه فجمعن كان اسم من أسماء الرحمن ، إذا عرفوه ودعوه به كان الإسم الأعظم الذى إذا دعى به أجاب .. ( ٢ ) .

وما قاله أبو عبد الرحمن السلى فى تفسير ( أَلَمْ ) فاتحة البقرة وهو قوله ، ( ألم : قيل : إن الألف ألف الوجدانية ، واللام : لام اللطف ، والميم : الميم الملك ، معناه من وجدنى على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطفت له .. .. فأخرجته من رق العبودية إلى الملك الأعلى ، وهو الاتصال بملك الملك ، دون الاشتغال بشئ من الملك .. وقيل : أَلَمْ : معنى الألف : أى

أفرد سرك ، واللام ليت جوارحك لعبادتي ، والميم : أقم معي بحجر رسومك وصفاتك ، أزيينات بصفات الأنس بي ، والمشاهدة إياي ، والقرب مني .. ) اه (١) :

فهذا الذي قاله سهل التستري والذي قاله أبو عبد الرحمن السلي مشكل كالمروي عن ابن عباس ، بل وأعظم منه إشكالا حيث ادعوا أن هذه الحروف ترمز إلى أسرار غيبية ومعان مكنية ، وإذا جمعت هذه الحروف على طريقة مخصوصة كان كذا وكذا ، بل ويدعون أحيانا أن هذه الحروف هي أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة ، وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله تعالى في خطابه العرب الأمية التي لا تعرف شيئا من ذلك ، وهذه كلها دعوى يدعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم استندوا فيها إلى دليل برهاني أو إقناعي ، وكل ما أقوله فيها : إنها دعوى محالة على الكشف والإطلاع ، ودعوى الكشف والإطلاع لا تصلح دليلا شرعيا بحال من الأحوال ،

ومن المواضع المشكلة أيضاً ، ولكنها أخف إشكالا مما مر .. ما جاء عنهم من نحو تفسير سهل التستري لقوله تعالى في الآية (٩٦) من سورة آل عمران : « إن أول بيت وضع للناس .. الآية ، بقوله : ( أول بيت وضع للناس بيت الله عز وجل بمكة ، هذا هو الظاهر ، وباطنها الرسول يؤمن به من أثبت الله في قلبه التوحيد من الناس ) (٢) »

ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٦) من سورة النساء : « .. والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل .. » ، حيث يقول — بعد ذكره للتفسير الظاهر — ( .. وأما باطنها ، فالجار ذى القربى : هو القلب ، والجار الجنب : هو الطبيعة ، والصاحب بالجنب : هو العقل المقتدى بالشرية ، وابن السبيل : هو الجوارح المطيعة لله .. ) اه (٣)

(١) حقائق التفسير ص ٩ .

(٢) (٣٥٢) تفسير القرآن العظيم للتستري ص ٤١ و ٤٥

وتفسيره لقوله تعالى في الآية (٢٦) من سورة الروم : « ظهر الفساد في البر والبحر ، بقوله : ( مثل الله الجوارح بالبر ، ومثل القلب بالبحر ، وهم أعم نفعاً وأكثر خطراً ، هذا هو باطن الآية ، ألا ترى أن القلب إنما سمي قلباً لتقلبه وبعد غوره ؟ .. ) اه (١)

وتفسير ابن عطاء الله السكندري لقوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة (يس) ( وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حياً فمنه يأكلون ، بقوله : «القلوب الميتة بانفلة أحييناها بالتيقظ والاعتبار والموعظة ، وأخرجنا منها حياً معرفة صافية تضيء أنوارها على الظاهر والباطن» (٢) .

هذا وأمثاله من كلام الصوفية لوقلنا لأنهم أرادوا به تفسير الآيات القرآنية وبيان معانيها التي تحمل عليها لا غير لسكان هو بعينه مذهب الباطنية ؛ وذلك لأن المعاني التي حملوا عليها الألفاظ في الآيات السابقة لا تعرفها العرب مدلولات لهذه الألفاظ ، لا بالوضع الحقيقي ولا بالوضع المجازي المناسب ، وليس في مساق الآيات ما يدل على هذه المعاني المذكورة ، ومعلوم أن القرآن عربي ومخاطب به العرب الذين يفهمون ألفاظه وتراكيبه ، فهذه الآيات المذكورة آنفاً لا يفهم منها العربي أكثر من المعاني المتبادرة إلى فهمه ، والتي تنساق إلى ذهنه ابتداءً ، فلا يفهم من البيت الحرام ، ولا من الجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب . وابن السبيل ، ولا من البر والبحر ، ولا من الأرض والحب ، إلا ما يفهمه العربي من هذه الألفاظ وما وراء ذلك فليس عليه دليل .

وأيضاً لم ينقل لنا عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين تفسير للقرآن يماثل هذا التفسير أو يقاربه ، ولو كان عندهم معروفاً لنقل ؛ لأنهم أدرى بمعاني القرآن ظاهرها وباطنها باتفاق الأمة ، وغير معقول أن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى

(١) المرجع السابق

(٢) حقائق التفسير للسلمى ص ٢٨٤

لما كان عليه أولها ، ولا هم أعرف بالشريعة منهم ، ولا أدري بلغة القرآن من قومه الذين نزل بلسانهم وعلى لغتهم .

ولكن لإجلنا لهذا هؤلاء المفسرين ووثوقنا بهم من الناحية العلمية والدينية ، واعرانهم في تفاسيرهم - التي نقلنا عنها - بالمعاني الظاهرية للقرآن وإنكارهم على من يقول بباطن القرآن دون ظاهره . كل هذا يجعلنا نحسن الظن بالقوم ، فتحمل أمثال هذه المعاني على أنها ليست من قبيل التفسير ، وإنما هي ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن ، فإن النظر يذكر بالنظير كما قال ابن الصلاح في فتاواه (١) .

#### مقالة الشاطبي في التفسير الإشاري :

ولزيادة الإيضاح أذكر لك ما قاله الشاطبي في هذا الموضوع :  
قال رحمه الله : الاعتبار القرآنية الواردة على القلوب ، الظاهرة للبصائر ، إذا صحت على كمال شروطها فهي على ضربين :  
أحدهما : ما يكون أصل انفجاره من القرآن ويتبعه سائر الموجودات .  
فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق نور البصيرة فيه حجب الأروان من غير توقف ، فإن توقف فهو غير صحيح أو غير كامل ، حسبما بينه أهل التحقيق بالسلوك .

والثاني ما يكون أصل انفجاره من الموجودات : جزئها أو كليها ، ويتبعه الاعتبار في القرآن .

فإن كان الأول ، فذلك الاعتبار صحيح ، وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال ؛ لأن فهم القرآن إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن ، وهو الهداية التامة على ما يليق بكل واحد من المكلفين ، وبحسب التكليف وأحوالها ، لا بإطلاق ، وإذا كانت كذلك فالمشئ على طريقها مشئ على الصراط

المستقيم ، ولأن الاعتبار القرآني قلما يجده إلا من كان من أهله عملاً به على تقليد أو اجتهاد ، فلا يخرجون عند الإعتبار فيه عن حدوده كما لم يخرجوا في العمل به والتخلق بأخلاقه عن حدوده ، بل تفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه ، ويلزم من ذلك أن يكون معتداً به لجريانه على مجاريه . والشاهد على ذلك ما نقل من فهم السلف الصالح فيه ، فإنه كله جار على ما تقضى به العربية ، وما تدل عليه الأدلة الشرعية .

وإن كان الثاني ، فالتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن لازم ، وأخذه على إطلاقه فيه ممتنع ، لأنه بخلاف الأول ، فلا يصح القول باعتباره في فهم القرآن ، فنقول :

إن تلك الأنظار الباطنة في القرآن في الآيات المذكورة - يريد «الجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل» ، وما ذكره معها مما تقدم لنا ذكره - إذا لم يظهر جريانها على مقتضى الشروط المتقدمة فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني وهو الوجودي (١) ويصح تنزيله على معاني القرآن لأنه وجودي أيضاً . فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص ، فلا يطالب فيه المعتبر بشاهد موافق إلا ما يطلبه المرئي ، وهو أمر خاص ، منفرد بنفسه ، لا يختص بهذا الموضوع . فلذلك يوقف على محله ، فكور القلب جاراً ذا قربي ، والجار الجنب هو النفس الصبيعي ... إلى سائر ما ذكر ، يصح تنزيله اعتبارياً مطلقاً ، فإن مقابلة الوجود بعضه ببعض في هذا النقط صحيح وسهل جداً عند أربابه ، غير أنه مغرر بمن ليس براسخ أو داخل تحت إيالة راسخ وأيضاً فإن من ذكر عنه مثل ذلك من المعتبرين لم يصرح بأنه المعنى

(١) مثال الاعتبار : الخارجي ما يروونه عن بعضهم في معنى قوله تعالى في الآية (٣) من سورة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر « قال ألف شهر هي مدة الدولة الاموية ، لانها مكثت ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر وأن ذلك من الله تسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم حين أطلمه على ملوك بني أمية واحداً واحداً فسرى عنه بهذه السورة . هذا المعنى لم يؤخذ من القرآن ، بل أخذ من الخارج والواقع في ذاته ؛ بمصادفة مطابقة العدد ، واللفظ لا ينبو عنه . لكن لا دليل من الشرع على كونه هو المعنى المقصود (١) هـ هامش الموافقات ج ٣ ص ٤٠٤ .

المقصود المخاطب به الخلق ، بل أجراه مجراه وسكت عن كونه هو المراد وإن جاء شيء من ذلك وصرح صاحبه أنه هو المراد ، فهو من أرباب الأحوال الذين لا يفرقون بين الاعتبار القرآني والوجودي ، وأكثر ما يطرأ هذا لمن هو بعد في السلوك ، سائر على الطريق ، لم يتحقق بمطلوبه . ولا اعتبار بقول من لم يثبت اعتبار قوله من الباطنية وغيرهم ... (١) اهـ

فالشاطبي -- رحمه الله -- يقرر في كلامه هذا : أن مثل هذا النوع الأخير من كلام الصوفية راجع إلى الاعتبار غير القرآني ، ومع ذلك فيمكن تنزيله على معاني القرآن . كما أنه يقرر : أن من قال هذا لم يذكر عنه أنه قاله على أنه تفسير للآية وبيان للمقصود منها ، وهذا من حسن ظنه بالقوم .

#### مقالات بعض العلماء في التفسير الإشاري :

وإذا نحن رجعنا إلى أقوال العلماء التي قالوها في تفسير الصوفية وجدناها جميعاً تقوم على حسن الظن بهم ، وإليك بعضاً منها :

مقالة ابن الصلاح :

قال ابن الصلاح في فتاواه - وقد سئل عن كلام الصوفية ، في القرآن - ووجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدى المفسر رحمه الله تعالى أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير ، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر . قال ابن الصلاح : وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم ، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك ذكر منهم لتظهير ماورد به القرآن ، فإن التظهير يذكر بالتظهير ، ومن ذلك قتال النفس في الآية المذكورة - يريد قوله تعالى في الآية (١٣٣) من سورة التوبة : يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، فكأنه قال أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار ، ومع ذلك فياليتم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس (٢) .



مقالة سعد الدين التفتازانى :

وقد علق التفتازانى على قول النسفى فى كتابه العقائد ( والنصوص على ظواهرها ، فالعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد ) فقال — رحمه الله - : ( وسموا الباطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها ، بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم ، وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكيفية . . ثم قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أبواب السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان (١) اهـ

مقالة ابن عطاء الله السكندرى :

ونقل السيوطى عن ابن عطاء الله السكندرى أنه قال فى كتابه لطائف المنن ( اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان . وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، وقد جاء فى الحديث : لكل آية ظهر وبطن ، فلا يصدك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله . . فليس ذلك بإحالة ، وإنما يكون إحالة لو قالوا : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم (٢) ) اهـ

فهؤلاء العلماء حسنوا ظنهم بالقوم ، فحملوا أقوالهم الغريبة التى قالوها فى القرآن على أنها ذكر لنظير ماورد به القرآن ، أو على أنها إشارات خفية ، ومعان إلهامية ، تنهل على قلوب العارفين ، وتزهوم عن إرادة التفسير الحقيقى لكتاب الله بمثل هذه الشروح الغريبة التى نقلت عنهم ، وهذا عمل حسن

(١) العقائد النسفية وشرحها لسعد الدين التفتازانى ص ١٤٢

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨٥

وصنع جميل من هؤلاء العلماء ، وقد تابعتناهم عليه حملا لحال المؤمن على الصلاح ... ولكن لم يلبث أن تبدد حسن ظننا بالقوم على أثر تلك المقالة التي قرأناها لابن عربي في فتوحاته . . وفيها يصرح بأن مقالات الصوفية في كتاب الله ليست إلا تفسيراً حقيقياً لمعاني القرآن، وشرحا لمراد الله من ألفاظه وآياته ويذكر لنا أن تسميتها بإشارة ليس إلا من قبيل التقية، والمداراة لعلماء الرسوم أهل الظاهر . . . وفي هذه المقالة يحمل حملة شعواء على أهل الرسوم - على حد تعبيره - الذين يتكرون عليه وعلى غيره من الصوفية . وإليك ما قاله بالنص لتقف على رأيه الصريح الذي لا مواربة فيه ولا التواء .

#### مقالة ابن عربي في التفسير الإشاري :

قال رحمه الله : ( اعلم أن الله عز وجل لما خلق الخلق ، خلق الإنسان أطوارا ، فنا العالم والجاهل ، ومنا المنتصف والمعاند ، ومنا القاهر ومنا المقهور ومنا الحاكم ومنا المحكوم ، ومنا المتحكم ومنا المتحكم فيه ، ومنا الرئيس والمرءوس ومنا الأمير والمأمور ، ومنا الملك والسوقة ، ومنا الحاسد والمحسود وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهيل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهي الذي منحهم أسرارهم في خلقه ، وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسول عليهم السلام لما كان الأمر في الوجود الواقع على ماسبق به العلم القديم - كما ذكرنا - عدل أصحابنا إلى الإشارات . فكلامهم - رضی الله عنهم - في شرح كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إشارات ، وإن كان ذلك حقيقة وتفسيرا لمعانيه النافعة ، ورد ذلك كله إلى نفسهم مع تقريرهم إياه في العموم ، وفيما نزل فيه ، كما يعلمه أهل اللسان الذين نزل الكتاب بلسانهم ، فهم به سبحانه عندهم الوجهين كما قال تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم (١) » ، يعني الآيات المنزلة في الآفاق وفي أنفسهم ، فكل آية منزلة لها وجهان : وجه يروونه في نفوسهم ووجه آخر يروونه فيما خرج عنهم ، فيسمون ما يروونه في نفوسهم إشارة ليأنس

الفقيه صاحب الرسوم إلى ذلك ، ولا يقولون في ذلك إنه تفسير ؛ وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه ؛ وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق ، واقتدوا في ذلك بسنن الهدى ، فإن الله كان قادرا على تنصيب ما تأوله أهل الله في كتابه ، ومع ذلك فما فعل : بل أدرج في تلك الكلمات الإلهية التي نزلت بلسان العامة علوم معاني الاختصاص التي فهمها عباده حين فتح لهم فيها بعين الفهم الذي رزقهم .

(ولو كان علماء الرسوم ينصفون ، لا اعتبروا في نفوسهم إذا نظر وافي الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فهم بينهم ، فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ، ويعلم بعضهم على بعض في الكلام في معنى تلك الآية ، ويقر القاصر بفضل غير القاصر فيها ، وكلهم في مجرى واحد . ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ، ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكهم ، وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم المعتاد في العرف ، وصدقوا ، فإن أصحابنا ما حصل لهم ذلك العلم إلا بالتعلم وهو الإعلام الرحمانى الربانى قال تعالى : **واقرا باسم ربك الذى خلق \* خلق الإنسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم \* علم الإنسان ما لم يعلم (١)** ، فإنه القائل ، وآخر جكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وقال تعالى : **وخلق الإنسان \* عبثه البيان (٢)** ، فهو سبحانه معلم الإنسان ، فلا شك أن أهل الله هم ورثة الرسل عليهم السلام ، والله يقول في حق الرسول : **ووعظك ما لم تكن تعلم (٣)** ، وقال في حق عيسى : **ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل (٤)** ، وقال في حق خضر صاحب موسى عليهما السلام : **وعلما من لدنا علما (٥)** ، فصدق علماء الرسوم عندنا فيما قالوا : إن العلم لا يكون إلا بالتعلم وأخطئوا في اعتقادهم أن الله لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول يقول الله : **يدونى الحكمة من يشاء (٦)** ، وهى العلم ، وجاء بمن وهى نكرة . ولكن علماء الرسول لما آثروا الدنيا على الآخرة ، وآثروا جانب الخلق على جانب الحق ، وتعدوا وأخذ العلم من الكذب ومن أفواه الرجال الذين من جنسهم ، ورأوا في زعمهم أنهم من أهل الله بما علموا وامتازوا به عن العامة ، حججهم ذلك عن أن يعلموا أن الله عباداً تولى

(١) الآيات (٥٤، ٣، ٢، ١) من سورة الطلق .

(٢) الآيتان (٤، ٣) من سورة الرحمن (٣) فى الآية (١٣) من سورة النساء .

(٤) الآية (٤٨) من سورة آل عمران (٥) فى الآية (٦٥) من سورة الكهف

(٦) فى الآية (٢٦٩) من سورة البقرة .

الله تعليمهم في سرائرهم بما أنزله في كتبه وعلى السنة رسله وهو العلم الصحيح عن العالم المعلم الذي لا يشك مؤمن في كمال علمه ولا غير مؤمن ؛ فإن الذين قالوا : إن الله لا يعلم الجزئيات ما أرادوا نفى العلم عنه ، وإنما قصدوا بذلك أنه تعالى لا يتجدد له علم بشيء ، بل علمها مندرجة في علمه بالكليات ، فأثبتوا له العلم سبحانه مع كونهم غير مؤمنين ، وقصدوا تنزيهه سبحانه في ذلك وإن أخطئوا في التعبير عن ذلك ، فتولى الله بعنايته لبعض عباده تعليمهم بنفسه بإلهامه وإفهامه إياهم ، فألهمها فجورها وتقواها<sup>(١)</sup> ، في إثر قوله : « ونفس وما سواها<sup>(٢)</sup> » ، فبين لها الفجور من التقوى إلهاماً من الله لها لتجتنب الفجور وتعمل بالتقوى .

(وكما كان أصل تنزيل الكتاب من الله على أنبيائه ، كان تنزيل الفهم على قلوب بعض المؤمنين به ، فالأنبياء عليهم السلام ما قالت على الله ما لم يقل لها ، ولا أخرجت ذلك من نفوسها ولا من أفكارها ، ولا تعلمت فيه ، بل جاءت من عند الله ، كما قال تعالى : « تنزيل من حكيم حميد<sup>(٣)</sup> » ، وقال فيه إنه « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه<sup>(٤)</sup> » ، وإذا كان الأصل المتكلم فيه من عند الله ، لا من فكر الإنسان ورويته — وعلماء الرسوم يعلمون ذلك — فينبغي أن يكون أهل الله العاملون به لاحقاً بشرحه وبيان ما أنزل الله فيه من علماء الرسوم ، فيكون شرحه أيضاً تنزيلاً من عند الله على قلوب أهل العلم كما كان الأصل . وكذا قال على بن أبي طالب رضى الله عنه في هذا الباب ( ما هو إلا مهم يؤتیه الله من يشاء من عباده في هذا القرآن ) . فجعل ذلك عطاء من الله ، يعبر عن ذلك العطاء بالفهم عن الله ، فأهل الله أولى به من غيرهم . فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدلالة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم ، وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به ، وألحقهم بالذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون — وهم في إنكارهم على أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعا - سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا ، وصانوا عنهم

( ٢ ، ١ ) الآية ( ٧ ، ٨ ) من سورة الشمس .

( ٤ ؛ ٣ ) في الآية ( ٤٢ ) من سورة فصلت ؛ على التقديم والتأخير .

أنفسهم بتسميتهم الحقائق لإشارات ، فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات ،  
فاذا كان في غد يوم القيامة يكون الأمر في الكل ، كما قال القائل :

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار  
كما يتميز المحق من أهل الله ، من المدعى في الأهلية غداً يوم القيامة . قال بعضهم :  
فاذا اشبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكى

أين عالم الرسوم من قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه حين أخبر عن  
نفسه أنه لو تكلم في الفاتحة من القرآن لخل منها سبعين وقرأ ؛ هل هذا إلا من  
الفهم الذى أعطاه الله في القرآن ؟ فاسم الفقيه أولى بهذه الطائفة من صاحب علم  
الرسم ، فإن الله يقول فيهم : ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا  
إليهم لعلهم يحذرون (١) ، فأقامهم مقام الرسول في التفقه في الدين والإنذار ، وهو  
الذى يدعو إلى الله على بصيرة كما يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ،  
لاعلى غلبة ظن كما يحكم عالم الرسوم ، فشتان بين من هو فيما يفتى به وبقوله على بصيرة منه  
في دعائه إلى الله وهو على بينة من ربه ، وبين من يفتى في دين الله بغلبة ظنه ) .

( ثم إن من شأن عالم الرسوم في الذب عن نفسه أنه يجهل من يقول :  
فهمنى ربي ، ويرى أنه أفضل منه ، وأنه صاحب العلم إذ يقول من هو من أهل  
الله : إن الله ألقى في سرى مراده بهذا الحكم في هذه الآية ، أو يقول : رأيت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم في واقعتي فأعلمنى بصحة هذا الخبر المروى عنه  
وبحكمه عنده . قال أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه في هذا المقام . . . يخاطب  
علماء الرسوم : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذى لا يموت  
يقول أمثالنا : حدثنى قلبى عن ربي ، وأتم تقولون حدثنى فلان . . . وأين هو ؟  
قالوا : مات . عن فلان . . . وأين هو ؟ قالوا : مات . وكان الشيخ أبو مدين  
- رحمه الله - إذا قيل له : قال فلان . عن فلان ، عن فلان يقول : ما نريد  
نأكل قديداً ، هاتوا انتونى بلحم طرى - يرفع همم أصحابه - فأولئك أكلوه  
لحماً طرياً ، والواهب لم يمت ، وهو أقرب إليكم من جبل الوريد ) .

( والفيض الإلهي والمبشرات ماسد بابها، وهي من أجزاء النبوة، والطريق واضحة، والباب مفتوح، والعمل مشروع. والله يهول لتلقى من أتى إليه يسمى: وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، وهو معهم أينما كانوا، فمن كان معك بهذه المثابة من القرب - مع دعواك العلم بذلك والإيمان به - لم تترك إلاخذ عنه والحديث معه، وتأخذ عن غيره ولا تأخذ عنه فتكون حديث عهد بربك؟ (١) اهـ

رأينا في مقالة ابن عربي:

ونحن لا ننكر على ابن عربي أن ثم أفهاما يلقيها الله في قلوب أصفياته وأحبابه، ويخصهم بها دون غيرهم، على تفاوت بينهم في ذلك بمقدار ما بينهم من تفاوت في درجات السلوك ومراتب الوصول. كما لا ننكر عليه أن تكون هذه الأفهام تفسيرا للقرآن وبياناً لمراد الله من كلامه، ولكن بشرط: أن تكون هذه الأفهام يمكن أن تدخل تحت مدلول اللفظ العربي القرآني، وأن يكون لها شاهد شرعي يؤيدها، أما أن تكون هذه الأفهام خارجة عن مدلول اللفظ القرآني، وليس لها من الشرع ما يؤيدها فذلك ما لا يمكن أن نقبله على أنه تفسير للآية وبيان لمراد الله تعالى، لأن القرآني عربي قبل كل شيء. كما قلنا، والله سبحانه وتعالى يقول في شأنه كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون<sup>(٢)</sup>، وحاشا لله أن يلغز في آياته، أو يعمى على عباده طريق النظر في كتابه، وهو يقول: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر<sup>(٣)</sup> .

هذا هو ما أدين الله عليه بالنسبة لكلام الصوفية، وعذري في ذلك أني لم أسلك مسلك القوم، ولم أذق ذوقهم، ولم أعرف اصطلاحاتهم التي يصطلحون عليها، ولعلني إذا سلكت هذا الطريق، وانكشف لي من أستار الغيب ما انكشف لهم، أو على الأقل فهمت لغة القوم ووقفت على مصطلحاتهم. لعلني إذا حصل لي شيء من هذا تبدل رأيي وتغير حكمي، فسلمت لهم كل ما يقولون به، مهما كان بعيداً وغريباً. وقد سألت رجل بعض العلماء أن يقرأ عليه تائية ابن الفارض فقال له: (دع عنك هذا، من جاع جوع القوم وسهر سهرهم رأى مارأوا)<sup>(٤)</sup>.

(١) الفتوحات المكية ج ١ ص ٢٧٩ - ٢٨٠

(٢) الآية (٣) من سورة فصلت

(٣) الآية (١٧) من سورة القمر، وفي مواضع أخرى من السورة نفسها

(٤) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩١

يقولون : إنهم يدركون بعض المعاني بعين اليقين ، وما من شأنه أن يدرك بعين اليقين لا يمكن أن يدرك بعلم اليقين ، إذاً فلا بد لمن يريد أن يحكم على القوم حكماً صحيحاً أن يجتهد في الوصول إلى ما وصلوا إليه بالعيان ، دون أن يطلبه عن طريق البيان ، فإنه طور وراء طور العقل ، والشاعر يقول :

علم التصوف علم ليس يعرفه إلا أخو فطنة بالحق معروف  
وليس يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف<sup>(١)</sup>

ويقول ابن خلدون : ( وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق رداً وقبولاً : إذ هي من قبيل الوجدانيات )<sup>(٢)</sup> .

ويقول الآلوسی في مقدمة تفسيره ج ١ ص ٨ : ( فالإنصاف كل الإنصاف التسليم للسادة الصوفية الذين هم مركز الدائرة المحمدية ما هم عليه ، واتهام ذهنك السقيم فيما لم يصل ؛ لكثرة العوائق والعلائق إليه :

وإذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالأبصار  
ويقول الآلوسی أيضاً بعد أن نقل عن ابن عربي ما قاله في تفسير الفاتحة في فتوحاته : ( فإذا وقع الجدار ، وانهدم الصور ، وامتزجت الأنهار ، والتقى البحران ، وعدم البرزخ ، صار العذاب نعيماً ، وجنم الجنة ، ولا عذاب ولا عقاب ، إلا نعيم وأمان ، بمشاهدة العيان . الخ ) : يقول الآلوسی بعد نقله لهذا الكلام الغريب : ( وهذا وأمثاله محمول على معنى صحيح يعرفه أهل الذوق ولا ينافي ما وردت به القواطع : ثم قال : وإياك أن تقول بظاهره مع ما أنت عليه ، وكلما وجدت مثل هذا لأحد من أهل الله تعالى ، فسلمه لهم بالمعنى الذي أرادوه ، مما لا تعلمه أنت ولا أنا ، لا بالمعنى الذي ينقدح في عقلك ، المشوب بالأوهام فالأمر والله وراء ذلك . )<sup>(٣)</sup> ١ هـ

ومثل هذه الأقوال أشبه ما تكون بالإكراه لنا على قبول وجدانيات القوم وشطحاتهم مهما أوغلت في البعد والغرابة ، وتوريط لنا بتسليم كل ما يقولون تحت تأثير ما لهم في نفوسنا من المسكاة العلمية والدينية : ومهما يكن

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٢٢ . (٢) مقدمة ابن خلدون ٥٢٥ .

(٣) تفسير الآلوسی ج ١ ص ١٤٢ - ١٤٣

من شيء فأنا عند رأيي لا أتحول عنه ، حتى إذ ما جمعت جوع القوم ، وسهرت  
سهرهم ، ووجدت مواجيدهم ، سلمت لهم بكل ما يقولون (ومن ذاق عرف )  
والخلاصة : أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن ، مزلة قدم لمن لم يعرف  
مقاصد القوم ، وليتهم احتفظوا بها عند أنفسهم ، ولم يذيعوها على الناس فيوقعوهم  
في حيرة واختلاف : منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله  
من كلامه ، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافه فر بما كذب به أو أشكل  
عليه : ومنهم من يكذبها على الإطلاق ، ويرى أنها تقول على الله وبهتان : ليتهم  
فعلوا ذلك ، إذأ لأراحونا من هذه الحيرة ، وأراحوأ أنفسهم من كلام الناس  
فيهم ، وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله !!



## شروط قبول التفسير الإشارى

تبين لنا فيما سبق أن التفسير الإشارى منه ما هو مقبول ومنه ما ليس بمقبول فعلينا بعد ذلك أن نذكر الشروط التى يجب أن تتوفر فى التفسير الإشارى - وإن كنا تعرضنا لأهمها فيما سبق - حتى يكون تفسيراً مقبولاً وإليك هذه الشروط :

أولاً : أن لا يكون التفسير الإشارى منافياً للظاهر من النظم القرآنى الكريم .

ثانياً : أن يكون له شاهد شرعى يؤيده :

ثالثاً : أن لا يكون له معارض شرعى أو عقلى

وهذه الشروط الثلاثة قد أوضحناها فيما سبق ، فلاحاجة بنا إلى إعادة توضيحها .

رابعاً : أن يدعى أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر ، بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولاً ؛ إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ( ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب <sup>(١)</sup> ) .

إذا علمت هذا ، علمت بصورة قاطعة أنه لا يمكن لعاقل أن يقبل ما نقل عن بعض المتصوفة من أنه فسر قوله تعالى فى الآية ( ٢٥٥ ) من سورة البقرة « من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه » ، فقال : معناه ( من ذل ، من الذل ذى ، إشارة إلى النفس « يشف » ، من الشفاء « ع » ، أمر من الوعى <sup>(٢)</sup> . وما نقل عن بعضهم من أنه فسر قوله تعالى فى الآية ( ٦٩ ) من سورة العنكبوت « وإن الله لمع المحسنين » ، فجعل « لمع » ، فعلاً ماضياً بمعنى أضاء و « المحسنين » ، مفعوله <sup>(٣)</sup> .

هذا التفسير وأمثاله إلحاد فى آيات الله ، والله تعالى يقول « إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا <sup>(٤)</sup> » ، قال الألوسى فى تفسير هذه الآية : ( أى ينحرفون

(٢) الاتقان ج ٢ ص ١٨٤

(١) الاتقان ج ٢ ص ١٨٤

(٤) فى الآية ( ٤٠ ) من سورة فصلت

(٣) مبادئ التفسير للخضرى ص ٩

في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والإستقامة فيحملونها على المحامل الباطلة ، وهو مراد ابن عباس بقوله : يضعون الكلام في غير موضعه (١) هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري كان مقبولا ، ومعنى كونه مقبولا عدم رفضه لا وجوب الأخذ به ، أما عدم رفضه فلأنه غير منافي للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف ، وليس له ما ينا فيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية وأما عدم وجوب الأخذ به ، فلأنه من قبيل الوجدانيات ، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان ، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه ، وسريته وبين ربه . فله أن يأخذ به ويعمل على متقضاه ، دون أن يلزم به أحدا من الناس سواه .

## أهم كتب التفسير الإشاري

من العلماء من وجه همته إلى التفسير الظاهر ولم يتعرض للتفسير الإشاري، كالبيضاوي، والزمخشري مثلاً. ومنهم من جعل غالب همه في التفسير الظاهر وتعرض للتفسير الإشاري بقدر، كما فعل النيسابوري، والآلوسي. ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسير الإشاري ومع ذلك فهو يتعرض أحياناً للتفسير الظاهر، كما فعل سهل التستري. ومنهم من وجه همته كلها للتفسير الإشاري. ولم يحجم حول المعاني الظاهرة، كما فعل أبو عبد الرحمن السلمي، ومنهم من أعرض عن الظاهر وجمع في تفسيره بين التفسير الصوفي النظري والتفسير الصوفي الإشاري كما فعل صاحب التفسير المنسوب لابن عربي.

وليس ضرورياً أن تتكلم عن تفسير النيسابوري والآلوسي من ناحية ما فيهما من التفسير الإشاري؛ لأنهما أقرب إلى أهل الظاهر منهما إلى أهل الإشارة إذ كان كلامهما عن التفسير الإشاري أمراً عارضاً وتاباً لغيره، وقد سبق الكلام عنهما في كتب التفسير بالرأى المحمود.

ويكفي هنا أن تتكلم عن أهم الكتب التي وجه أصحابها فيها كل عنايتهم، أو جلها نحو التفسير الإشاري. وإليك أهم هذه الكتب:

## ١ - تفسير القرآن العظيم

للتستري

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله ، التستري ، المولود يتستر<sup>(١)</sup> سنة ٥٢٠٠ مائتين . وقيل سنة ٢٠١ هـ إحدى ومائتين من الهجرة .

كان - رحمه الله - من كبار العارفين ، ولم يكن له في الورع نظير . وكان صاحب كرامات ، ولقى الشيخ ذا النون المصري - رحمه الله - بمكة . وكان له اجتهاد وافر ورياضة عظيمة أقام بالبصرة زمنا طويلا ، وتوفي بها سنة ٢٨٣ هـ ثلاث وثمانين ومائتين ، وقيل سنة ٢٧٣ هـ ثلاث وسبعين ومائتين ، فرحمه الله رحمة واسعة<sup>(٢)</sup> .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

هذا التفسير مطبوع في مجلد صغير الحجم ، ولم يتعرض فيه مؤلفه لتفسير القرآن آية آية ، بل تكلم عن آيات محدودة ومتفرقة من كل سورة . ويظهر لنا أن سهلا - رضى الله عنه - لم يؤلف هذا الكتاب ، وإنما هي أقوال قالها سهل في آيات متفرقة من القرآن الكريم ، ثم جمعها أبو بكر محمد بن أحمد البلدي ، المذكور في أول الكتاب ، والذي يقول كثيرا ، قال أبو بكر : سئل سهل عن معنى كذا . فقال كذا ، ثم ضمنها هذا الكتاب ونسبها إليه .

نقرأ في هذا الكتاب ، فنجد مؤلفه يقدم له بمقدمة يوضح فيها معنى ظاهر

---

(١) تستر بضم التاء الاولى ، وسكون السين المهملة ؛ وفتح التاء الثانية : بلد

من الاهواز .

(٢) انظر وفيات الاعيان ج ١ ص ٣٨٩ .

القرآن وباطنه ، ومعنى الحد والمطلع ، فيقول : ( ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان : ظاهر ، وباطن ، وحد ، ومطلع . فالظاهر : التلاوة ، والباطن : الفهم ، والحد : حلالها وحرامها . والمطلع : إشراق القلب على المراد بها . فقهاً من الله عز وجل . فالعلم الظاهر علم عام ، والفهم لباطنه والمراد به خاص : قال تعالى في الآية ( ٧٨ ) من سورة النساء : قال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ، أى لا يفقهون خطاباً ) ا هـ (١) :

ويقول في موضع آخر : قال سهل : إن الله تعالى ما استولى ولياً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا علمه القرآن ، إما ظاهراً وإما باطناً . قيل له : إن الظاهر نعرفه فالباطن ما هو ؟ قال : فهمه ، وإن فهمه هو المراد ) ا هـ (٢) :

فمن هاتين العبارتين ، نأخذ أن سهلاً التستري يرى : أن الظاهر هو المعنى اللغوى المجرد . وأن الباطن هو المعنى الذى يفهم من اللفظ ويريد الله تعالى من كلامه : كما نأخذ منه : أنه يرى أن المعانى الظاهرة أمر عام يقف عليها كل من يعرف اللسان العربى ، أما المعانى الباطنة ، فأمر خاص يعرفه أهل الله بتعليم الله إياهم وإرشادهم إليه :

كذلك نجد سهلاً - رضى الله عنه - لم يقتصر فى تفسيره على المعانى الإشارية وحدها . بل نجده يذكر أحياناً المعانى الظاهرة ، ثم يعقبها بالمعانى الإشارية ، وقد يقتصر أحياناً على المعنى الإشارى وحده ، كما يقتصر أحياناً على المعنى الظاهرى ، بدون أن يعرج على باطن الآية :

وحين يعرض سهل للمعانى الإشارية لا يكون واضحاً فى كل ما يقوله ، بل تارة بالمعنى الغربية التى نستبعد أن تكون مرادة لله تعالى ، وذلك كالمعانى التى نقلناها عنه سابقاً فى معنى البسملة ، وأسم فاتحة البقرة ، وتارة يأتى بالمعانى

(١) ص ٣ .

(٢) ص ٧ ولعلك تجد فى هذه العبارة ما يؤكده ما قلناه من أن الكتاب من وضع إحد تلاميذه : أبو بكر محمد بن أحمد البلدى .

الغريبة التي يمكن أن تكون من مدلول اللفظ أو بما يشير إليه اللفظ ، وذلك هو الغالب في تفسيره :

كذلك نجد المؤلف ينحو في كتابة هذا منحي تزكية النفوس ، وتطهير القلوب ، والتحلي بالأخلاق والفضائل التي يدل عليها القرآن ولو بطريق الإشارة . : وكثيرا ما يسوق من حكايات الصالحين وأخبارهم ما يكون شاهداً لما يذكره ، كما أنه يتعرض في بعض الأحيان لدفع إشكالات قد ترد على ظاهر اللفظ الكريم ، وإليك نماذج من تفسيره :

في سورة الأعراف عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ١٤٨ ) د واتخذ قوم موسى من بعده من حليمهم عجلاً جسداً له خوار ، يقول مانصه : ( عجل كل إنسان ما أقبل عليه فأعرض به عن الله من أهل وولد ، ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه ، كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس ) اه (١) :

وفي سورة الشعراء عند تفسيره لقوله تعالى في الآيات ( ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ) حكاية عن إبراهيم عليه السلام د الذي خلقتني فهو يهدين د والذي هو يطعمني ويسقيني وإذا مرضت فهو يشفين \* والذي يميئني ثم يحيين \* والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، يقول مانصه : ( د الذي خلقتني فهو يهدين ، أي الذي خلقتني لعبوديته يهدينني إلى قربه د والذي هو يطعمني ويسقيني ، قال : يطعمني لذة الإيمان ويسقيني شراب التوكل والكفاية : د وإذا مرضت فهو يشفين ، قال : يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني ، وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعها عني . د والذي يميئني ثم يحيين ، قال : الذي يميئني ثم يحيين بالذکر . د والذي أطعم أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ، قال : أخرج كلامه على شروط الأدب بين الخوف والرجاء ، ولم يحكم عليه بالمغفرة ) اه (٢) :

(١) ص ٦٠

(٢) ص ١٠٦

وفي سورة الصافات عند قوله تعالى في الآية ( ١٠٧ ) د وفديناه بذبح عظيم ، قال ما نصه : ( إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أحب ولده بطبع البشرية ، تدارك من الله فضله وعصمته حتى أمره بذبحه ، إذ لم يكن المراد منه تحصيل الذبح ، وإنما كان المقصود تخلص السر من حب غيره بأبلغ الأسباب ، فلما خلص السر له ، ورجع عن عادة الطبع ، فداه بذبح عظيم ) اهـ (١) .

فهذه المعاني كلها مقبولة ويمكن إرجاعها بدون تكلف إلى اللفظ القرآني بدون معارضة شرعية أو عقلية .: والكتاب - في الغالب - يسير على هذه الطريقة ، وهي لا شوب فيها .

## ٢ - حقائق التفسير

للسلي

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير ، هو أبو عبد الرحمن ، محمد بن الحسين بن موسى ، الأزدي السلي ، المولود ٣٣٠ هـ ثلاثين وثلاثمائة من الهجرة ، وقيل غير ذلك . كان رحمه الله شيخ الصوفية وعالمهم بخراسان ، له اليد الطولى في التصوف ، والعلم الغزير ، والسير على سنن السلف ، أخذ الطريق عن أبيه ، فكان موقفاً في جميع علوم الحقائق ومعرفة طريق التصوف . وكان على جانب عظيم من العلم بالحديث ، حتى قيل : إنه حدث أكثر من أربعين سنة إماماً وقرآناً . وكتب الحديث بفيسابور ، ومرو ، والعراق ، والحجاز ، وصنف سنناً لأهل خراسان ، وأخذ عنه بعض الحفاظ : منهم الحاكم أبو عبد الله ، وأبو القاسم القشيري ، وغيرهما ، ولقد خلف - رحمه الله - من الكتب ما يزيد على المائة : منها ما هو في علوم القوم ، ومنها ما هو في التاريخ ، ومنها ما هو في الحديث ، ومنها ما هو في التفسير .

ولكن السلي مع وفرة جلالته ، وعظيم منزلته بين مريديه ، لم يسلم كغيره من الصوفية من الطعن عليه . قال الخطيب : قال محمد بن يوسف النيسابوري القطان : كان السلي غير ثقة ، يضع للصوفية ، وكان الخطيب لم يرض هذا الطعن فيه ، فقال حكاية هذا القول : ( قدر أبي عبد الرحمن عند أهل بلده جليل ، وكان مع ذلك محموداً صاحب حديث ) قال ابن السبكي صاحب طبقات الشافعية : ( قول الخطيب فيه هو الصحيح ، وأبو عبد الرحمن ثقة ، ولا عبرة بهذا الكلام فيه ) هذا ، وقد كانت وفاته سنة ٤١٢ هـ اثنتي عشرة وأربعمئة من الهجرة ، فرحمه الله رحمة واسعة (١) .

(١) رجعت في هذه الترجمة إلى طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣١ ، وإلى طبقات



التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير في مجلد واحد كبير الحجم ، ومنه نسختان مخطوطتان بالمشكاة الأزهرية ،

قرأت في هذا التفسير ، فوجدته يستوعب جميع سور القرآن ، ولكنه لا يتعرض لكل الآيات بل يتكلم عن بعضها ويغضى عن بعضها الآخر ، وهو لا يتعرض فيه لظاهر القرآن ، وإنما جرى في جميع ما كتبه على نمط واحد ، وهو التفسير الإشاري ، وهو إذ يقتصر على ذلك لا يعني أن التفسير الظاهر غير مراد ؛ لأنه يصرح في مقدمة تفسيره : أنه أحب أن يجمع تفسير أهل الحقيقة في كتاب مستقل كما فعل أهل الظاهر .

ثم إن أبا عبد الرحمن السلمي لم يكن له مجهود في هذا التفسير أكثر من أنه جمع مقالات أهل الحقيقة بعضها إلى بعض ، ورتبها على حسب السور والآيات ، وأخرجها للناس في كتاب سماه : حقائق التفسير .

وأهم من ينقل عنه السلمي في حقائقه : جعفر بن محمد الصادق ، وابن عطاء الله السكندري ، والجنيدي ، والفضيل بن عياض ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغيرهم كثير .

وإليك بعض ما قاله في مقدمته لتعلم أن السلمي حين اقتصر على المعاني الإشارية لم يجهد المعاني الظاهرة للقرآن ، ولتعلم أيضاً أن مجهوده في هذا التفسير إنما هو الجمع والترتيب .

قال رحمه الله : ( . . . لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع فرائد القرآن : من قراءات ، وتفسير ، ومشكلات ، وأحكام ، وإعراب ، ولغة ، ومجمل ، ومفسر ، وناسخ ، ومنسوخ ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة إلا آيات متفرقة ، نسبت إلى أبي العباس بن عطاء ، وآيات ذكر أنها عن جعفر بن محمد على غير ترتيب ، وكنت قد سمعت منهم في ذلك حروفاً استحسنتها ، أحببت أن أضم ذلك إلى مقالاتهم ، وأضم أقوال مشايخ أهل

الحقيقة إلى ذلك ، وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتي ، واستخرت الله في جمع شيء من ذلك ، واستعنت به في ذلك وفي جميع أمورى ، وهو حسبي ونعم المعين ( ١هـ )<sup>(١)</sup>

طعن بعض العلماء على هذا التفسير :

غير أن الاقتصار على المعاني الإشارية ، والإعراض عن المعاني الظاهرة في هذا المؤلف ، ترك للعلماء مجالاً للطعن على هذا التفسير وعلى صاحبه من أجله ، فالجلال السيوطي رحمه الله يذكر أبا عبدالرحمن السلمى في كتابه طبقات المفسرين ضمن من صنف في التفسير من المبتدعة ويقول : ( وإنما أوردته في هذا القسم لأن تفسيره غير محمود<sup>(٢)</sup> ) . والحافظ الذهبي رحمه الله يقول عن السلمى : ( ... وله كتاب يقال له حقائق التفسير ، وليته لم يصنفه فإنه تحريف وقرمطة ، ودونك الكتاب فسترى العجب<sup>(٣)</sup> ) ويقول السبكي في طبقات الشافعية : ( وكتاب حقائق التفسير ، كثر الكلام فيه من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ، ومحال للصوفية ينبوعها اللفظ<sup>(٤)</sup> ) .

وقدم ربك آنفاً أن الإمام أبا الحسن الواحدى قال : ( صنف أبو عبدالرحمن السلمى حقائق التفسير ، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ) . وهذا هو الإمام ابن تيمية يطعن على تفسير السلمى من ناحية أخرى فيقول : ( وما ينقل في حقائق السلمى عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر كما قد كذب عليه في غير ذلك<sup>(٥)</sup> ) هـ .

رأينا في هذه الطعون :

هذا ، ، وإن عد السيوطي السلمى في ضمن المفسرين من أهل البدع غلو منه وإجحاف .

(١) ص ١ — ٢ .

(٢) طبقات المفسرين ص ٣١ .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٦١ .

(٤) منهاج السنة ج ٤ ص ١٥٥ .

(٥) المرجع السابق .

وما قاله الذهبي من أن ما في الحقائق تحريف وقرمطة - يريد أنه كـ تفسير القرامطة من الباطنية - فهذا غير صحيح ؛ لأن الرجل يقر الظواهر على ظواهرها ، والقرامطة بخلاف ذلك .

وأما ما قاله السبكي من أن السلمي قد اقتصر في حقائقه على تأويلات للصوفية ينبو عنها اللفظ فهذه كلمة حق لا غبار عليها .

وأما قول الواحدى : إنه لو اعتقد أن ما في الحقائق تفسير لكفر باعتقاده هذا فنقول فية : إن أبا عبد الرحمن لم يعتقد أن هذا تفسير ، وإنما قال : إنه إشارات تخفى وتدق إلا على أربابها ، كما صرح بذلك في مقدمة حقائق التفسير (١) .

وأما قول ابن تيمية : إن ما ينقل في حقائق السلمي من التفسير عن جعفر عامته كذب على جعفر ، فهذه كلمة حق من ابن تيمية ؛ إذ أن غالب ما جاء فيه عن جعفر الصادق كله من وضع الشيعة عليه ، ولست أدري كيف اغتر السلمي وهو العالم المحدث بمثل هذه الروايات المختلفة الموضوعه ...

#### نماذج من تفسير السلمي :

وإذ قد فرغنا من الحديث على حقائق التفسير ، فاسمع بعض ما جاء فيه ؛ لتحكم أنت بدورك عليه :

في سورة النساء عند قول الله تعالى في الآية (٦٦) « ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، يقول : (قال محمد ابن الفضل « اقتلوا أنفسكم ، بمخالفة هواها » أو اخرجوا من دياركم ، أى اخرجوا حب الدنيا من قلوبكم » ما فعلوه إلا قليل منهم ، في العدد ، كثير في المعاني ، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة ) اهـ (٢) .

وفي سورة الرعد عند قوله تعالى في الآية (٣) « وهو الذي مد الأرض

وجعل فيها رواسي ، يقول : ( قال بعضهم : هو الذي بسط الأرض وجعل فيها  
أوتادا من أوليائه وسادة من عبيده فإنهم الملاجأ ، وبهم النجاة ، فمن ضرب  
في الأرض يقصدهم فاز ونجا ، ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر . سمعت  
علي بن سعيد يقول : سمعت أبا محمد الحريري يقول : كان في جوار الجنيد  
إنسان مصاب في خربة ، فلما مات الجنيد وحملنا جنازته حضر الجنازة فلما  
رجعنا تقدم خطوات وعلامو مضعاً من الأرض عالياً ، فاستقبلني بوجهه وقال :  
يا أبا محمد . . . إني لراجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ، ثم أنشد شعرا

وما أسفى من فراق قوم هم المصاييح ، والحصون  
والمدن ، والمزن ، والرواسي والخير ، والأمن ، والسكون  
لم تتغير لنا الليالي حتى توفتهم المنون  
فكل جمر لنا قلوب وكل ماء لنا عيون ( ١ )

وفي سورة الحج عند قوله تعالى في الآية ( ٦٣ ) : ألم تر أن الله أنزل من  
السماء ماء فتصبغ الأرض مخضرة ، يقول : ( قال بعضهم : أنزل مياه الرحمة من  
سحاب القربة ، وفتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة ، فانبثت فاحضرت  
بزينة المعرفة ، وأثمرت الإيمان ، وأنبعت التوحيد . أعضاء بالحية فهامت  
إلى سيدها ، واشتاقت إلى ربها فطارت بهمتها ، وأناخت بين يديه ، وعكفت  
فأقبلت عليه ، وانقطعت عن الأكوان أجمع ، ذاك آواها الحق إليه ، وفتح  
لها خزائن أنواره ، وأطلق لها الخيرة في بساتين الأانس ، ورياض الشوق  
والقدس ) ( ٢ ) .

وفي سورة الرحمن عند قوله تعالى في الآية ( ١١ ) : فيها فاكهة والنخل  
ذات الأكام ، يقول : ( قال جعفر : جعل الحق تعالى في قلوب أوليائه رياض  
أنسه ، ففرس فيها أشجار المعرفة ، أصولها ثابتة في أسرارهم ، وفروعها  
قائمة بالحضرة في المشهد ، فهم يجنون ثمار الأانس في كل أوان ، وهو قوله تعالى

« فيها فاكهة والنخل ذات الأكام ، أى ذات الألوان ، كل يحتجى منه لونا على قدر سعته ، وما كوشف له من بوادى المعرفة وآثار الولاية »<sup>(١)</sup>

وفى سورة الانفطار عند قوله تعالى فى الآيتين (١٣ و ١٤) « إن الأبرار للقى نعيم » وإن الفجار للقى جحيم ، يقول : ( قال جمعقر : النعيم المعرفة والمشاهدة ، والجحيم النفوس ؛ فإن لها نيرانا تتقد )<sup>(٢)</sup> .

وفى سورة النصر عند قوله تعالى فى أولها « إذا جاء نصر الله والفتح ، يقول . ( قال ابن عطاء الله : إذا شذلك به عما دونه فقد جاءك الفتح من الله تعالى ، والفتح هو النجاة من السجن البشرى بلقاء الله تعالى . . ) »<sup>(٣)</sup> ٥١

---

(١) ص ٣٤٤

(٢) ص ٣٨٥

(٣) ص ٤٠٢

### ٣ - عرائس البيان في حقائق القرآن

لأبي محمد الشيرازي

التعريف بمؤلف هذا التفسير :

مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد روزبهان بن أبي النصر ، البجلي ، الشيرازي الصوفي ، المتوفى سنة ٦٦٦ هـ ست وستائة من الهجرة النبوية<sup>(١)</sup>

التعريف بهذا التفسير :

جرى مؤلف هذا التفسير على نمط واحد وهو التفسير الإشاري ، ولم يتعرض للتفسير الظاهر بحال ، وإن كان يعتقد أنه لا بد منه أولاً ، يدل على ذلك قوله في المقدمة : ( ولما وجدت أن كلامه الأزلي لا نهاية له في الظاهر والباطن ، ولم يبلغ أحد إلى كماله وغاية معانيه ، لأن تحت كل حرف من حروفه بحراً من بحار الأسرار ، ونهراً من أنهار الأنوار ، لأنه وصف القديم وكمال لا نهاية لذاته ولا نهاية لصفاته .. قال الله تعالى : ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله<sup>(٢)</sup> ، وقال : قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي<sup>(٣)</sup> ، فتعرضت أن أعرف من هذه البحور الأزلية غرفات من حكم الأزليات ، والإشارات والأبديات ، التي تقصر عنها أفهام العلماء وعقول الحكماء ، اقتداء بالاولياء ، وأسوة بالخلفاء ، وسنة للأصفياء ، وصنفت في حقائق القرآن ، ولطائف البيان ، وإشارة الرحمن في القرآن ، بألفاظ لطيفة وعبارات شريفة ، وربما ذكرت تفسير آية لم يفسرها المشايخ ، ثم أردفت بعدقولي أقوال مشايخي بما عباراتها اللفظ ، وإشاراتها أظرف بركاتهم ، وتركت كثيراً منها ليكون كتابي أخف محملاً وأحسن تفصيلاً ، واستخرت الله تعالى في ذلك . واستغنت به ، ليكون

(١) كشف الظنون ج ٢ ص ٢١ ولم تقف على أكثر من هذا في ترجمته

(٢) في الآية (٢٧) من سورة لقمان (٣) في الآية (١٠٩) من سورة الكهف

لمراد ، ومواطناً لسنة رسوله وأصحابه وأولياء أمته ، وهو حسي وحسب كل  
ضعيف .. وسميته بـ ( عرائس البيان في حقائق القرآن ) .. الخ (١) .

فأنت ترى من هذه المقدمة أن صاحبنا يعترف بالمعاني الظاهرة للقرآن ،  
ويقرر أن ما ذكره في كتابه ما هو إلا سوانح سنحت له من حقائق القرآن ،  
وإشارات تجلت له من جانب الرحمن ، كما ترى فيها وصفه لكتابه والمسلك  
الذي سلكه فيه . غير أني ألحظ من قوله ( واستعنت به ليكون موافقاً لمراده ،  
ومواطناً لسنة رسوله ) أنه يريد أن يقرر أن كل ما في كتابه من المعاني ليس  
إلا تفسيراً لكتاب الله وبياناً لمراده منه ، وهذا هو ما لا نقره عليه ، ولا نسلّمه  
له ، لأن هذه المعاني الغريبة التي يأتي بها في تفسيره لا يمكن أن تكون داخلية  
تحت مدلول اللفظ القرآني ، ولا يعقل أن تكون مرادة لله تعالى من خطابه  
لأفراد الأمة ، وحسبه أن نقره على أنها ذكر لنظير ما ورد به القرآن .

وإليك بعض ما جاء في هذا التفسير :

في سورة التوبة عند قوله تعالى في الآية ( ٩١ ) دليس على الضعفاء ولا  
على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ، يقول : ( وصف الله  
زمرة أهل المراقبات ، ومجالس المحاضرات ، والهاثمين في المشاهدات . والمستغرقين  
في بحار الأزليات ، الذين أنحلوا جسامهم بالمجاهدات ، وأمروا نفوسهم  
 بالرياضات ، وأذا بوا قلوبهم بدوام الذكر ، وجولانها في الفكر ، وخرجوا  
بعقائدهم الصافية ، عن الدنيا الفانية بمشاهدته الباقية ، بأن رفع عنهم بفضل حرج  
الامتحان ، وأبقاهم في مجالس الأانس ورياض الإيقان ، وقال دليس على  
الضعفاء ، يعني الذين أضعفهم حمل أوقار المحبة د ولا على المرضى ، الذين  
أمروهم مرارة الصبايات د ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون ، الذين يتجددون  
عن الأكوان بتجريد التوحيد وحقائق التفريد د حرج ، عتاب من جهة العبودية  
والمجاهدة ، لأنهم مقتولون بسيف المحبة ، مطروحون بباب الوصلة ، ضعفهم  
من الشوق ، ومرضهم من الحب ، وفقرهم من حسن الرضا . : ( ١ هـ (٢)

وفي سورة النحل عند قوله تعالى في الآية (٨١) « والله جعل لکم مما خلق ظلالات وجعل لکم من الجبال أکنانا وجعل لکم سرائیل تقیمکم الحر وسرائیل تقیمکم بأسکم كذلك یتمم نعمته علیکم لعلکم تسلمون » يقول : ( یعنی ظلالات أولیائہ ؛ لیستظل ہا المریدون من شدۃ حر الحجران ، ویأوون إلیہا من قہر الطغیان ، وشیطین الإنس والجان ؛ لأنہم ظلالات اللہ فی أرضہ ، لقولہ علیہ السلام « السلطان ظل اللہ فی أرضہ ، یأوی إلیہ کل مظلوم ، » وجعل لکم من الجبال أکنانا ، أکنان الجبال : قلوب أكابر المعرفة ، وظلال أهل السعادة من أهل المحبة ، یسکن فیہا المنقطعون إلی اللہ » وجعل لکم سرائیل تقیمکم الحر ، جعل للعارفین سرائیل روح الإنس ، لئلا یحترقوا بنيران القدس « وسرائیل تقیمکم بأسکم » سرائیل المعرفة وأسلحة المحبة ، لتدفعوا بہا محاربة النفوس والشیطان ثم زاد نعمته ومنتہ علیہم بقولہ « كذلك یتمم نعمته علیکم ، ..... » (١) ہ .

وفي سورة النمل عند قوله تعالى في الآيتين ( ٢٠ ، ٢١ ) « وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدى أم كان من الغائبين \* لأعذبنه عذاباً شديداً أولاذبحته أو ليأتيني بسلطان مبين \* » ، يقول : ( ..... إن طير الحقيقة لسلیمان طير قلبہ فتفقده ساعة ، وكان قلبہ غائباً في غيب الحق ، مشغولاً بالمذكور عن الذكر ، فتفقده وما وجد . فتعجب من شأنہ .. أين قلبہ إن لم یکن معہ ؟ .. فظن أنه غائب عن الحق وكان في الحق غائباً ، وهذا شأن غيبة أهل الحضور من العارفين ساعات لا يعرفون أين هم ، وهذا من كمال استغراقهم في اللہ ، فقال « لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحته أو ليأتيني بسلطان مبين ، » لأعذبنه بالصبر على دوام المراقبة والرعاية ، وألقينه في بحر التكررة من المعرفة . ليفني ثم يفني عن الفناء « أو لأذبحته بسيف المحبة أو بسيف العشق ، أو ليأتيني من الغيب بسواطع أنوار أسرار الازل ..... » (٢) ہ .

هذا .. والكتاب مطبوع في جزئين ، يضمهما مجلد كبير ، وتوجد منه

نسخة بالمكتبة الأزهرية ؟



## ٤- التأويلات النجمية

لنجم الدين داية وعلاء الدولة السمناني

التعريف بمؤلفي هذا التفسير :

ألف هذا التفسير نجم الدين داية ، ومات قبل أن يتمه ، فأكمله من بعده  
علاء الدولة السمناني ، وسوضح ذلك فيما بعد عند الكلام عن هذا التفسير ،  
إذاً فقد اشترك نجم الدين داية وعلاء الدولة السمناني في هذا التفسير ، وإذا  
لزم الكلام عن حياة كل من الشيخين .

أما نجم الدين داية :

فهو الشيخ نجم الدين ، أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن شاهادر الأسدي  
الرازي المعروف بداية ، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ أربع وخمسون وستمائة من الهجرة  
كان من حيار الصوفية ، أخذ الطريق عن شيخه نجم الدين أبي الجناح  
المعروف بالسكري ، وكان مقبلاً أول أمره بخوارزم ، ثم خرج منها أيام حروب  
جنكيز خان إلى بلاد الروم ، وهناك لقي صدر الدين القنوي وأخذ عنه ،  
ويقال : إنه استشهد في حروب جنكيز خان ، كما يقال إنه مدفون بالشونزية  
ببغداد . قرب السرى السقطي والجنيد (١) :

وأما علاء الدولة السمناني :

فهو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السمناني ، البليانانكي ، الملقب بعلاء  
الدولة ، وركن الدين ، والمولود سنة ٦٥٩ هـ تسع وخمسين وستمائة . تفقه وطلب  
الحديث على كثير من شيوخ عصره ، حتى برع في العلم قال الذهبي : ( كان إماماً  
جامعاً . كثير التلاوة ، وله وقع في النفوس ، وكان يحط على ابن عربي ويكفره

وكان مليح الشكل ، حسن الخلق ، عزيز الفتوة ، كثير البر يحصل له من أملاكه نحو تسعين ألفاً فينفقها في القرب . أخذ عن صدر الدين بن حمويه ، وسراج الدين القزويني ، وإمام الدين بن علي مبارك البكري . وذكر أن مصنفاته تزيد على ثلاثمائة<sup>(١)</sup> هـ . وذكره الأسنوي في طبقاته وقال : ( كان عالماً مرشداً ، له كرامات وتصانيف في التفسير والتصوف وغيرهما<sup>(٢)</sup> ) ومن مصنفاته مدارج المعارج ، وتكملة التأويلات النجمية . وذكر صاحب كشف الظنون أن له تفسيراً كبيراً في ثلاثة عشر مجلداً<sup>(٣)</sup> ، ولكن لم يبين لنا إن كان هذا التفسير على طريقة القوام أو طريقة المفسرين . وكان رحمه الله قد دخل بلاد التتار ، ثم رجع وسكن تبريز وبغداد ، ومات في رجب سنة ٧٣٦ هـ ست وثلاثين وسبعمائة من الهجرة .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفيه فيه :

يقع هذا التفسير في خمس مجلدات كبار ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب ، وهي التي رجعنا إليها . ينتهي المجلد الرابع عند قوله تعالى في الآيتين (١٧ و ١٨) من سورة الذاريات ، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسجار هم يستغفرون ، وهذا هو نهاية ما وصل إليه نجم الدين داية في تفسيره ، أما المجلد الخامس ، فهو تكملة لهذا التفسير ، كتبه عماد الدولة ، وجعله تنمة لكتاب نجم الدين داية ، وقد قدم لهذه التكملة بمقدمة طويلة لا يفهمها إلا من يعرف لغة القوم واصطلاحاتهم ، ولهذا يقول فيها : ( . . . ولا يؤمن أحد بالذي قلته إلا بعد السلوك ، وشاهدته من حيث العيان ما سمعته من هذا البيان . . . )<sup>(٤)</sup> ثم بعد

(١) الدرر الكامنة ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٢ .

(٢) طبقات المفسرين للداودي ص ٢٨ .

(٣) كشف الظنون . ج ١ ص ٢٣٨ .

(٤) ج ٥ ص . . . يلاحظ أننا لا نذكر رقم الصفحات ، لأن النسخة التي بأيدينا لم

أن فرغ من المقدمة ، فسر الفاتحة على طريقة القوم ، مع أن نجم الدين فسرها أول الكتاب . ثم بعد ذلك ابتدأ يسورة الطور ، وانتهى عند آخر القرآن . ويلاحظ أنه لم يكمل تفسير سورة الذاريات ، التي مات نجم الدين قبل أن يفرغ من تفسيرها .

والذي يقرأ في هذا التفسير ، ويقارن بين ما كتبه نجم الدين داية ؛ وبين ما كتبه السمناني ، يلحظ أن هناك فرقا بين التفسيرين ؛ ذلك أن الجانب الذي كتبه نجم الدين يتعرض فيه أحيانا للتفسير الظاهر ، ثم يعقبه بالتفسير الإشاري قائلا : والإشارة فيه إلى كذا وكذا ، وما يذكره من التفسير الإشاري سهل المأخذ ؛ لأنه لا يقوم على قواعد من الفلسفة الصوفية . كما أنه يربط بين الآيات .

أما الجانب الذي كتبه السمناني فلا يعرج فيه على المعاني الظاهرة ، كما أنه ليس فيه السهولة التي في الجانب الذي كتبه نجم الدين ، بل هو تفسير معقد مغلق ، والسر في ذلك : أنه بناء على قواعد فلسفية صوفية ، هذه القواعد ذكرها في مقدمة التكملة ، وهي يطول ذكرها ، ويصعب فهمها ، ويكفي أن أشير هنا إلى بعض منها .

فمثلا نراه يقرر في هذه المقدمة : أن كل آية لها سبعة أبطن ، كل بطن يخالف الآخر . فالمعنى الذي يجري على هذا البطن يغاير المعنى الذي يجري على البطن الآخر ، ثم يوضح لنا هذه البطون السبعة : فبطن مخصوص بالطبقة القالبية ، وبطن مخصوص باللطيفة النفسية ، وبطن مخصوص باللطيفة القلبية ، وبطن مخصوص باللطيفة السرية ، وبطن مخصوص باللطيفة الروحية ، وبطن مخصوص باللطيفة الخفية ، وبطن مخصوص باللطيفة الحقية . ولتوضيح ذلك فسر لنا قوله تعالى في الآية (٤٣) من سورة النساء ، يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى .. الآية ، على هذه البطون السبعة سبع تفسيرات ، كل يخالف الآخر . ثم هو لم يقف عند هذا الحد ، بل تعداه إلى القول بأن لكل آية سبعين بطنا بل سبعائة ، ووضح ذلك بكلام يطول ذكره .

وعلى الجملة ، فهذا التفسير المعروف بالتأويلات النجمية يعد من أهم كتب التفسير الإشاري ، وهو أقرب إلى الفهم من غيره لولا هذه التكملة . وإليك نماذج منه . بعضها لنجم الدين وبعضها لعلاء الدولة ؛ لتعرف الفرق بين التفسيرين وتلمس اختلاف المشربين .

### من تأويلات نجم الدين :

في سورة البقرة عند قوله تعالى في الآية (٢٤٩) «فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده...» يقول : ( والإشارة فيها : أن الله تعالى ابتلى الخلق بنهر الدنيا ، وماء زيتها ، وما زين للخلق فيها . لقوله تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... الآية (١) » ، ليظهر المحسن من المسيء ، وليميز الخبيث من الطيب . والمقبول من المردود ، وكما قال تعالى «إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لتبلوهم أيهم أحسن عملا (٢) » ، ثم امتحنهم وقال تعالى « فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني ، يعني من أوليائي ، ومحبي وطلابي ، وله اختصاص بقربي ، وقبولي ، والتخلق بأخلاق ، ونيل الكرامة مني . كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ( أنا من الله ، والمؤمنون مني ) «إلا من اغترف غرفة بيده ، يعني : من قنع من متاع الدنيا على ما لا بد منه : من المأكل ، والمشروب ، والملبوس ، والمسكن ، وصحبة الخلق . على حد الاضطرار بمقدار القوام ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . وكان يقول ( اللهم ارزق آل محمد قوتا ) أي ما يمسكهم... (٣) » اهـ .

وفي سورة التوبة عند قوله تعالى في الآية (١٢٣) « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ،

(١) الآية (١٤) من سورة آل عمران

(٢) الآية (٧) من سورة الكهف .

(٣) ج ١

يقول ( يا أيها الذين آمنوا ، أى صدقوا محمدأ صلى الله عليه وسلم فيما دلهم إلى الله بإذنه . قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، أى جاهدوا كفار النفس وصفاتها بمخالفة هواها صفاتها ، وتبديل وحملها على طاعة الله ، والمجاهدة في سبيله ، فإنها تحجبك عن الله ، وليجدوا فيكم غلظة ، أى عزيمة صادقة في فنائها بترك شهواتها ولذاتها ومستحسناتها ، ومنازعتها في هواها ، وحملها على المناجعة في طلب الحق ، واعلموا أن الله مع المتقين ، بجذبة الوصول ، ليتقوا به عما سواه ، كما يتقى المرء بترسه عن النشاب ، والرمح والسيف ) (١) .

وفي سورة يوسف عند قوله تعالى في الآيتين ( ٣٠ و ٣١ ) وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حياً إنا لنرها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن متكئاً وآتت كل واحد منهن سكيتاً وقالت اخرج عليهن فلما رأيته أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا مملوك كريم ، يقول : ( يشير بالنسوة إلى صفات البشرية النفسانية من البهيمية ، والسبعية ، والشيطانية في مدينة الجسد ، امرأة العزيز ، وهى الدنيا ، تراود فتاها عن نفسه ، تطالب عبدها وهو القلب . كان عبداً في البداية لحاجته إليها للتربية . فلما كمل القلب وصفا عن دنس البشرية استأهل المنظر الألهى ، فتجلى له الرب تبارك وتعالى فتشور القلب بنور جماله وجلاله ، فأحتاج إليه كل شيء ، وسجد له حتى الدنيا قد شغفها حياً ، أى أحبته الدنيا غاية الحب ، لما ترى عليه آثار جمال الحق . ولما لم يكن للنسوة صفات البشرية أطلاع على جمال يوسف القلب ، كن يلبن الدنيا على محبته ، فقلن إنا لنرها في ضلال مبين ، فلما سمعت ، زليخا الدنيا ، بمكرهن ، فى ملامتها ، أرسلت إليهن ، أى الصفات ، وأعدت لهن متكئاً ، أى هيات طعمة مناسبة لكل صفة منها ، وآتت كل وحدة منهن سكيتاً ، وهو سكين الذكر ، وقالت ، زليخا الدنيا ليوسف القلب ، اخرج عليهن ، وهو إشارة إلى غلبة أحوال القلب على صفات البشرية ، فلما رأته ، أى وقعن على جماله وكاله

وأكبرته ، أكبرن جماله أن يكون جمال بشر ، وكان حاش لله ما هذا بشراً ، أى جمال بشر ، إن لإي ملك كريم ، ما هذا إلا جمال ملك كريم . وهو الله تعالى بقراءة من قرأ ملك بكسر اللام (١) ٥١ .

وفي سورة النمل عند قوله تعالى فى الآيتين (١٧ و ١٨) « وحشر سليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون » حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، يقول ( « وحشر سليمان جنوده من الجن ، أى صفته الشيطانية والإنس ، أى صفته النفسانية ، والطير ، أى صفته الملكية ، فهم يوزعون ، عن طبيعتهم بالسرعة ليخسروا سليمان القلب وينقادوا له ، حتى إذا أتوا على وادى النمل ، وهو هوى النفس الخبيثة على الدنيا وشهواتها ، قالت نملة ، وهى النفس النوامة ، يا أيها النمل ، أى الصفات النفسانية ، ادخلوا مساكنكم ، محالكم المختلفة وهى الحراس الخمس ، لا يحطمنكم ، لا يهلككنم ، سليمان ، القلب ، وجنوده ، المستخيرة له ، وهم لا يشعرون ، لأنهم الحق ، وأنتم الباطل ، فإذا جاء الحق ذهب الباطل . كما أن الشمس إذا ضلعت تبطل الظلمة وتنفيها ، وهى لا تشعر بحال الظلمة وما أصابها (٢) ٥١ .

من تأويلات السمنانى :

فى سورة التجرىم عند قوله تعالى فى الآية (١١) : « وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجى من فرعون وعمله ونجى من القوم الظالمين ، يقول : ( « وضرب الله مثلا للذين آمنوا ، يعنى القوى المؤمنة من قوى النفس اللوامة ، امرأة فرعون ، يعنى القوة الصالحة القابلة تحت القوة الفاسدة المدتكبرة ، ماضرها كفر القوة الفاعلة الفاسدة إذا كانت صالحة هى بنفسها ، إذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة ونجى من فرعون وعمله ونجى من القوم الظالمين ، يعنى إذ قالت اللطيفة الصالحة القابلة فى مناجاتها مع ربها : ابن لى بيتاً فى أحص أطوار القلب . . . . . » ) وقالت أيضاً فى مناجاتها : نجى من هذه القوة الفاسدة والفاعلة وعملها . ونجى من أنوانها وقواها الظالمة . . . . . » (٣) ٥١ .

وفي سورة الشمس عند قوله تعالى في الآيات (١١) وما بعدها « كذبت  
ثمود بطغواها إذ انبعث اشقاها . . . ( إلى آخر السورة ) ، يقول : ( « كذبت  
ثمود بطغواها إذ انبعث اشقاها ، يعني إذ انبعث اللطيفة ، وأسرت إلى الطاغية  
انبعث اشقى قوى النفس على إثر اللطيفة الصالحة ، ليعقر ناقة شوقها ، فقال لهم  
رسول الله ، اى اللطيفة ناقة الله وسقياها ، اى احذروا عقر ناقة الشوق وشربها  
من عين الذكر ، فكذبوه فعقروها ، بتكذيبهم صالح اللطيفة النفسية ، وعقروا  
ناقة الشوق ، فدمدم عليهم ربهم بذنبيهم ، اى اهلكهم الله ، فسواها ، اى عمهم  
بذلك العذاب ، ولا يخاف عقباها ، ولا يخاف القوى العاقرة في عقر ناقة الشوق  
عاقبة الأمر ، فأهلكهم بطغيانهم لرسوله وتكذيبهم إياه (١) ٥١ .

## ٥ - التفسير المنسوب لابن عربي

من مؤلف هذا التفسير ؟

هذا التفسير طبع مجرداً في مجلدين ، وطبع على هامش عرائس البيان في حقائق القرآن . لأبي محمد بن أبي النصر الشيرازي ، الصوفي ، الذي تكلمنا عنه فيما مضى . وكلتا النسختين ينسب فيهما التفسير لابن عربي ، وبعض الناس يصدق هذه النسبة ، ويعتقد أن هذا التفسير من عمل ابن عربي نفسه ، والبعض الآخر لا يصدق أن هذا التفسير من عمل ابن عربي ، بل يرى أنه من عمل عبد الرزاق القاشاني ، وإنما نسب لابن عربي : ترويحاً له بين الناس ، وتشهيراً له بشهرة ابن عربي . وعن يرى هذا الرأي الأخير : المرحوم الشيخ محمد عبده في مقدمة التفسير التي اقتبسها المرحوم الشيخ رشيد رضا من درسه ، ورواها عنه بالمعنى ، ووضعها في مقدمة تفسير المنار . وذلك حيث يذكر وجوه التفسير يعد منها التفسير الإشاري ، ثم يقول : ( وقد اشتمه على الناس فيه كلام الباطنية بكلام الصوفية ، ومن ذلك : التفسير الذي ينسبونه للشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي ، وإنما هو للقاشاني الباطني الشهير ، وفيه من النزعات ما يتبرأ منه دين الله وكتابه العزيز )<sup>(١)</sup> اه .

ونحن مع الأستاذ الإمام في أن هذا التفسير للقاشاني ، لا لابن عربي ، وإن كنا لا نوافق على دعواه أن القاشاني من الباطنية ، كما سنوضحه بعد إن شاء الله تعالى .

هذا ، وإن حين أميل لهذا الرأي - أعني كين التفسير للقاشاني - أؤيده بما يأتي :

أولاً : أن جميع النسخ الخطية منسوبة للقاشاني ، والاعتماد على النسخ المخطوطة أقوى ؛ لأنها الأصل الذي أخذت عنه النسخ المطبوعة .



ثانياً : قال في كشف الظنون : ( تأويلات القرآن ) المعروف بتأويلات القاشاني ، هو تفسير بالتأويل على اصطلاح أهل التصوف إلى سورة ( ص ) للشيخ كمال الدين أبي الغنائم عبد الرزاق جمال الدين الكاشي السمر قندي ، المتوفى سنة ٧٠٠ هـ (١) ثلاثين وسبعائة ، أوله الحمد لله الذي جعل مناظم كلامه مظاهر حسن صفاته ... الخ (٢) وقد رجعنا إلى مقدمة التفسير المنسوب لابن عربي ، فوجدنا أوله هذه العبارة المذكورة بنصها .

ثالثاً : في تفسير سورة القصص من هذا الكتاب عند قوله تعالى في الآية (٣٢) «واضمم إليك جناحك من الرهب» ، يقول : ( . . . . ) وقد سمعت شيخنا نور الدين عبد الصمد قدس روحه العزيز في شهود الوحدة ومقام الفناء عن أبيه أنه . . . الخ (٣) . ونور الدين هذا هو نور الدين عبد الصمد بن علي النطنزي الأصفهاني ، والمتوفى في أواخر القرن السابع ، وكان شيخاً لعبد الرزاق القاشاني ، المتوفى سنة ٧٣٠ هـ ثلاثين وسبعائة من الهجرة ، كما يستفاد ذلك من كتاب نفحات الأنس (٤) في مناقب الأولياء ص ٥٣٤ - ٥٣٧ . وغير معقول أن يكون نور الدين عبد الصمد النطنزي المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري شيخاً لابن عربي المتوفى سنة ٦٣٨ هـ ثمان وثلاثين وستائة من الهجرة . لهذا كله نستطيع أن نؤكد أن هذا التفسير ليس لابن عربي ، وإنما هو لعبد الرزاق القاشاني الصوفي .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه .

هذا التفسير جمع مؤلفه فيه بين التفسير الصوفي النظري ، وبين التفسير

(١) في الاصل سنة ٨٨٧ وهو خطأ .

(٢) كشف الظنون ص ١٨٧ . ولكن لم نعرف من أم هذا التفسير والكتاب

من أوله إلى آخره يسير على طريقة واحدة

(٣) تفسير ابن عربي ج ٢ ص ١١٦

(٤) هذا الكتاب باللغة التركية ؛ ودرجنا اليه بعمونة الاستاذ الشيخ زاهد

الكوثري و كل المشيخة الاسلامية المبنية بدار الخلافة سابقا

الإشارى ، ولم يتعرض فيه للكلام عن التفسير الظاهر بحال من الأحوال .  
أما ما فيه من التفسير الصوفى النظرى : فغالبه يقوم على مذهب وحدة  
الوجود ، ذلك المذهب الذى كان له أثره السيء فى تفسير القرآن الكريم .

وأما ما فيه من تفسير إشارى : فكثير منه لا نفهم له معنى ، ولا نجد له من  
سياق الآية أو لفظها ما يدل عليه ، ولو أن المؤلف - رحمه الله - كان واضحاً  
فى كلامه ، كما كان التسترى واضحاً ، أو جمع بين التفسير الظاهر والتفسير الباطن  
هنا الأمر ، ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، مما جعل الكتاب مغلقاً ، وموهماً  
لمن يقرؤه أن هذا مراد الله من كلامه ، كما كان هذا هو السبب الذى من أجله  
قال الأستاذ الإمام فى القاشانى : إنه باطنى . وأنا مع اعترافى بأن الكتاب فى  
جملته أشبه ما يكون بتفسير الباطنية ، من ناحية ما فيه من المعانى التى تقوم على  
نظرية وحدة الوجود ، وما فيه من المعانى الإشارية البعيدة - مع اعترافى بهذا  
أخالف كل من يقول : إن القاشانى من الباطنية . ذلك لأن تاريخ الرجل  
يشهد له بأنه كان من المتصوفة المشهود لهم بالزهد والورع ، وأيضاً فإننا نعلم  
أن الباطنية ينكرون المعانى الظاهرية للقرآن ، ويقولون : إن المراد هو الباطن  
وحده ، أما صاحبنا ، فلم يذهب هذا المذهب ، بل نجده فى مقدمة تفسيره  
يعترف بأن الظاهر مراد ولا بد منه أولاً ، كما أنه على أنه لا يحوم فى كتابه  
هذا حول ناحية التفسير الظاهر ، ولعله فعل ذلك لأنه وجد من المفسرين من  
اعتنى بالظواهر دون الإشارات ، فأراد هو أن يعتنى بالناحية الإشارية ، دون  
الناحية الظاهرية للقرآن ، فألف كتابه على النحو الذى نراه وإليك بعض ما جاء  
فى هذه المقدمة ، لتعلم أن الرجل ليس باطنياً ، ولتعلم أيضاً منهجه الذى نهجه  
فى تفسيره ، وطريقته التى سار عليها فى شرحه لكتاب الله . قال رحمه الله :

( وبعد ، فإن طالما تمهدت تلاوة القرآن ، وتدرت معانية بقوة الآيات  
وكننت مع المواظبة على الأوراد ، حرج الصدر . قلق الفؤاد ، لا ينشرحها نبي  
ولا يصرفنى عنها ربي ، حتى استأنست بها فألفتها ، وذقت حلوة كأسها  
وشربتها . فإذا أنا بها نشيط النفس ، فلعج الصدر ، متسع البال ، منبسط القلب ،

فسيح السر ، طيب الوقت والحال ، مسرور الروح بذلك الفتوح ، كأنه دائماً في غبوق وصبوح ، تنكشف لي تحت كل آية من المعاني ما بكل بوصفه لساني لا القدرة تني بضبطها وإحصائها ، ولا القدرة تصير عن نشرها وإفشائها ، فتذكرت خبير من أتى ما ازدهاني ، مما وراء المقاصد والأمانى ، قول النبي الأبي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق : ( ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ) وفهمت منه أن الظهر : هو التفسير ، والبطن : هو التأويل ، والحد : ما يتناهى إليه المفهوم من معنى الكلام والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام وقد نقل عن الإمام المحقق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال لقد تجلى الله لعباده في كلامه ، ولكن لا يبصرون ، وروى عنه عليه السلام أنه خرمغشياً عليه وهو في الصلاة فمثل عن ذلك فقال : ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها . . . فرأيت أن أعلق بعض ما يسنح لي في الأوقات من أسرار حقائق البطون وأنوار شوارق المطلعات ، دون ما يتعلق بالظواهر والحدود ، فإنه قد عين لها حد محدد ، وقيل : من فسر برأيه فقد كفر . وأما التأويل فلا يبقى ولا يذر : فإنه يختلف بحسب أحوال المستمع وأوقاته ، في مراتب سلوكه وتفاوت درجاته ، وكلما ترقى عن مقامه انفتح له باب فهم جديد ، واطلع به على لطيف معنى عتيق ، فشرعت في تسويد هذه الأوراق بما عسى يسمح به الخاطر على سبيل الانفاق . غير حاتم بقية التفسير ، ولا خائض في لجة من المطلعات ما لا يسعة التقرير مراعيًا لنطق الكتاب وترتيبه ، غير معيدلما تكرر منه أو تشابه في أساليبه ، وكل ما لا يقبل التأويل عندي ، أو لا يحتاج إليه فأوردته أصلاً ، ولا أزعم أنني بلغت الحد فيما أوردته كاملاً فإن وجوه الفهم لا تنحصر فيما فهمت ، وعلم الله لا يتقيد بما علمت ، ومع ذلك فما وقف الفهم مني على ما ذكر فيه ، بل ربما لاح لي فيما كتب من الوجوه ماتت في محاوليه ، وما يمكن تأويله من الأحكام الظاهر منها إرادة ظاهرها فما أولته إلا قليلاً . ليعلم به أن للفهم إليه سبيلاً ، ويستدل بذلك على نظائرها إن جاوز مجاور سن ظواهرها ، إذ لم يكن في تأويلها بد من تعسف . وعنوان المروءة ترك التكلف

وعسى أن يتجه لغيرى وجوه أحسن منها طوع القياد ، فإن ذلك سهل لمن تيسر له من أفراد العباد . والله تعالى في كل كلمة كلمات ينفذ البحر دون نفاذها ، فكيف السبيل إلى حصرها وتعدادها . ولكنها أنموذج لأهل الذوق والوجدان يحتذون على حذوها عند تلاوة القرآن فينكشف لهم ما استعدوا له من مكنونات علمه ، ويتجلى عليهم ما استطاعوا له من خفيات غيبه ، والله الهادى لأهل المجاهدة ، إلى سبيل المكاشفة والمشاهدة ، ولأهل الشوق إلى مشارب الذوق ، إنه ولي التحقيق ، وييده التوفيق (١) ٥١ .

فن هذه المقدمة يمكنك أن تحمك على الكاشاني بأنه صوفي لا باطنى ، كما أنك تجد فيها منهجة الذى سار عليه فى تفسيره ، ولو تصفحت الكتاب لوجدت أنه سار على الطريقة التى رسمها لنفسه ولم يحد عنها ، وإليك نماذج منه .

### نماذج من التفسير الاشارى :

فى سورة البقرة عند قوله تعالى فى الآية (١٢٦) د وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ، يقول مانصه : ( وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا الصدر الذى هو حرم القلب ، بلداً آمناً من استيلاء صفات النفس ، واختيال العدو للدين ، وتحطف جن القوى البدنية أهله ، وارزق أهله من ثمرات معارف الروح أو حكمه أو أنواره ، د من آمن منهم بالله واليوم الآخر ، : من وحد الله منهم وعلم المعاد . د قال ومن كفر ، : أى ومن احتجب أيضاً من الذين سكنوا الصدر ، ولا يجاوزون حده بالترقى إلى مقام الدين ، لاحتجابهم بالعلم الذى وعاؤه الصدر ، فأمتعه قليلاً المعانى العقلية ، والمعلومات الكلمية ، النازلة إليهم من عالم الروح على قدر ما تعيشوا به ، ثم أضطره إلى عذاب نار الحرمان والحجاب ، وبئس المصير مصيرهم لتعذيبهم بنقصانهم . وتألمهم بحرمانهم (٢) ٥١ .

وفي سورة الأنعام عند قوله تعالى في الآية (٩٥) «إن الله فائق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون» ، يقول ما نصه : ( إن الله فائق حبة القلب بنور الروح عن العلوم والمعارف . ونوى النفس بنور القلب عن الأخلاق والمكارم ، ويخرج حي القلب عن ميت النفس تارة باستيلاء نور الروح عليها ، ويخرج ميت النفس عن حي القلب أخرى بإقباله عليها ، واستيلاء الهوى وصفات النفس عليه ، ذلكم الله القادر على قلب أحوالكم ، وتقليبكم في أطواركم ، فأنى تصرفون عنه إلى غيره<sup>(١)</sup> )

### نماذج التفسير المبني على وحدة الوجود :

في سورة آل عمران عند قوله تعالى في الآية (١٩١) «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار» ، يقول : ( ربنا ما خلقت هذا الخلق باطلا ، أى شيئا غيرك ، فإن غير الحق هو الباطل ، بل جعلته أسماك ومظاهر صفاتك . سبحانه : نزهك أن يوجد غيرك أى يقارن شيء فردانيتك ، أو يثنى وحدانيتك ... )<sup>(٢)</sup> اه

وفي سورة الواقعة عند قوله تعالى في الآية (٥٧) «نحن خلقناكم فلولا تصدقون» ، يقول : ( نحن خلقناكم بإظهاركم بوجودنا وظهورنا في صوركم<sup>(٣)</sup> ) اه .  
وفي سورة الحديد عند قوله تعالى في الآية ( ٤ ) « وهو معكم أينما كنتم » ، يقول : ( وهو معكم أينما كنتم بوجودكم به ، وظهوره في مظاهركم<sup>(٤)</sup> ) اه .

وفي سورة المجادلة عند قوله تعالى في الآية ( ٧ ) « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم .. الآية » ، يقول : ( لا بالعدد والمقارنة ، بل بامتيازهم عنه بتعييناتهم . واحتجاجهم عنه بما هيئاتهم ونياتهم ، واقتراقهم منه بالإمكان اللازم

(١) ج ١ ص ٢١٥ .

(٢) ج ١ ص ١٤١ .

(٣) ج ٢ ص ٢٩١ .

(٤) ج ٢ ص ٢٩٤ .

لما هياتهم وهوياتهم ، وتحققهم بوجوده اللازم لذاته ، واتصاله بهم بهويته المندرجة في هوياتهم ، وظهوره في مظاهرهم ، وتستره بما هياتهم ووجوداتهم المشخصة ، وإقامتها بعين وجوده ، وإيجابهم بوجوده ، فهذه الاعتبارات هو رابع معهم ، ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم ؛ ولهذا قيل : لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة (١) ٥١ .

وفي سورة المزمل عند قوله تعالى في الآيتين ( ٨ و ٩ ) « واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً » رب المشرق والمغرب . . . ، يقول : ( واذكر اسم ربك الذى هو أنت ، أى اعرف نفسك ، واذكرها ، ولا تنسها ، فينسك الله ، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها . . . . رب المشرق والمغرب ، أى الذى ظهر عليك نوره ، فطلع من أفق وجودك بإيجادك ، أو المغرب الذى اختفى بوجودك ، وغرب نوره فيك واحتجب بك ) (٢) ٥١

هذه بعض النماذج التى تكشف لك عن روح هذا التفسير ، ولو أنك تصفحت هذا الكتاب لوجدته يقوم فى الغالب على مذهب صاحبه فى وحدة الوجود ، ولعل هذا هو السر الذى من أجله نسب الكتاب لابن عربى ؛ فإن ابن عربى يقول بوحدية الوجود ، ويبنى كثيراً من تفسيره لبعض الآيات على هذا المذهب ، فلا محاد المذاهب وتشابه التفسير وقع الإلتباس ، فنسب التفسير لابن عربى ، أو قصدت النسبة ليروج الكتاب كما قلنا ، وأمن من فعل ذلك من افتضاح أمره ؛ اعتماداً على الاتحاد فى المذهب ، والتشابه فى التفسير .

وإذ قد جردنا الحديث إلى ابن عربى ، فأرى إتماماً للفائدة أن أذكر نبذة عن حياة هذا الرجل ، وعن مذهبه فى التفسير ، وليقف القارىء بعد ذلك على مقدار التشابه بين ابن عربى والقاشانى فى فهم كتاب الله تعالى ، والكشف عن معانيه .

(١) ج ٢ ص ٣٠٠

(٢) ج ٢ ص ٣٥٢

## ابن عربي ومذهبه في تفسير القرآن الكريم

ترجمة ابن عربي (١) :

هو أبو بكر محي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي ، الطائي ، الأندلسي ، المعروف بابن عربي بدون أداة التعريف ، كما اصطلاح على ذلك أهل المشرق ، فرقاً بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي صاحب أحكام القرآن . وكان بالمغرب يعرف بابن العربي بالآلاف واللام ، كما كان يعرف في الأندلس بابن سرافة .

ولد بمَرَسِيَّة سنة ٥٦٠ هـ ستين وخمسمائة من الهجرة ثم انتقل إلى إشبيلية سنة ٥٦٨ هـ ثمان وستين وخمسمائة ، وبقي بها نحواً من ثلاثين عاماً ، تلقى فيها العلم على كثير من الشيوخ حتى ظهر نجمه ، وعلا ذكره ، وفي سنة ٥٩٨ هـ ثمان وتسعين وخمسمائة ، نزع إلى المشرق وطوف في كثير من البلاد : فدخل الشام ، ومصر ، والموصل ، وآسيا الصغرى ، ومكة ، وأخيراً ألقى عصاه واستقر به النوى في دمشق ، وتوفي بها في سنة ٦٣٨ هـ ثمان وثلاثين وستمائة ، ودفن بها ، فرحمه الله رحمة واسعة .

ابن عربي بين أعدائه ومريديه :

كان ابن عربي شيخ المتصوفة في وقته ، وكان له أتباع ومريدون ، يعجبون به إلى حد كبير ، حتى لقبوه فيما بينهم بالشيخ الأكبر ، والعارف بالله ، كما كان له أعداء ينقمون عليه ، ويرموناه بالكفر والزندقة ، وذلك لما كان يدين به

---

(١) رجعتنا في هذه الترجمة لترجمته المذكورة في آخر الفتوحات ، وهي مخصصة من نفع الطيب ، وإلى شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩١ ، وإلى دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول ، العدد الثالث ، ودائرة المعارف للبستاني المجلد الاول ص ٥٩٩

من القول بوحدة الوجود ، ولما كان يصدر عنه من المقالات الموهمة ، التي تحمل في ظاهرها كل معاني الكفر والزندقة ، فن المعجبين بابن عربي : قاضي القضاة مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز ابادي صاحب القاموس ، وقد كتب كتاباً يدافع فيه عنه ، ردأ على رضى الدين بن الخياط الذى كتب عن عقيدة ابن عربي ورماه بالكفر . وكال الدين الزملىكاني ، من أكابر مشايخ الشام ، والشيخ صلاح الدين الصفدى ، والحافظ السيوطى ، الذى ألف فى الدفاع عنه كتاباً سماه ( تنبيه الغبي على تنزيه ابن عربي ) وسراج الدين البلقيني ، وتقى الدين بن السبكي ، وغيرهم .

ومن الناقلين عليه : ابن الخياط السابق ذكره ، والحافظ الذهبي ، وابن تيمية عدو الصوفية على الإطلاق . ولقد بلغ من عداوة بعض الناس لابن عربي أنهم حاولوا اغتياله بمصر ، ولكن الله سلمه وأنجاه .

#### مكاته العلمية :

لم تقتصر براعة ابن عربي على التصوف ، بل برع مع ذلك فى كثير من العلوم ، فكان عارفاً بالآثار والسنن . أخذ الحديث عن جمع من علمائه . وكان شاعراً وأديباً ، ولذلك كان يكتب الإنشاء لبعض ملوك الغرب . وقد بلغ مبلغ الاجتهاد والاستنباط ، وتأسيس القواعد والمقاصد التي لا يحيط بها إلا من طالها ، ووقف على حقيقتها . ويقال إنه كان من أنصار مواطنه ابن حزم ومذهبه الظاهري ، ولكنه مع ذلك أبطل التقليد .

#### مذهب ابن عربي فى وحدة الوجود :

أما مذهبه فى وحدة الوجود فهو : أنه يرى أن الوجود حقيقة واحدة . وبعد التعدد والكثرة أمرأ قضت به الحواس الظاهرة ( وقد أداه قوله بوحدة الوجود إلى قوله بوحدة الأديان ، لا فرق بين سماويها وغير سماويها ، إذ الكل يعبدون الإله الواحد المتجلى فى صورهم ، وصور جميع المعبودات ، والغاية الحقيقية من عبادة العبد لربه : هو التحقق من وحدته الذاتية معه . وإنما الباطل



من العبادة : أن يقصر العبد ربه على مجلى واحد دون غيره ، ويسميه إلهاً<sup>(١)</sup> .  
( وبالجملة ، فنزلة ابن عربي العلمية كبيرة ، ولا أدل على ذلك من مؤلفاته  
الكثيرة التي تدل على سعة باعه ، وتبحره في العلوم الظاهرة والباطنة ، وقد بلغ  
ما بقى منها إلى اليوم مائة وخمسون كتاباً ، ويظهر أن هذا العدد ليس إلا نصف  
ما ألفه ابن عربي في الواقع<sup>(٢)</sup> . وأهم هذه المؤلفات الفتوحات المكية ، الذى  
ذاع صيته . وكلف به كثير من الرجال ، ثم فصوص الحـكم ، وله ديوان  
في الأشعار الصوفية ، وكتاب الأخلاق ، وكتاب مجموع الرسائل الإلهية ،  
وغير ذلك من مؤلفاته الكثيرة .

غير أن هذه المؤلفات ، يوجد فى تضاعيفها كثير من الكلمات المشككة ،  
التي حبيت خوض الناس فى عقيدته ، ورميهم إياه بالكفر والزندقة ، ولكن  
أتباعه ومريديه ومن أعجب به من العلماء لم يأخذوا هذه الألفاظ على ظواهرها  
بل قالوا : إن ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد ، وإنما المراد أمور  
اصطلح عليها متأخرو أهل الطريق غيرة عليها . حتى لا يدعيها الكذابون .  
وقد قال السيوطى فى كتابه تنبيه الغبى على تنزيه ابن عربي : ( والقول الفصل  
فى ابن عربي : اعتقاد ولايته ، وتحريم النظر فى كتبه ؛ فقد نقل عنه هو أنه  
قال : نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا . قال السيوطى : وذلك لأن الصوفية  
تواضعوا على ألفاظ اصطلحوا عليها . وأرادوا بها معانى غير المعانى المتعارفة ،  
فمن حمل ألفاظهم على معانها المتعارفة بين أهل العلم الظاهر كفر . نص على  
ذلك الغزالى فى بعض كتبه وقال : إنه شبيه بالمتشابه من القرآن والسنة ، من  
حملة على ظاهره كفر )<sup>(٣)</sup> .

وما استدلوا به على أن ابن عربي لا يريد الظاهر الموهوم من كلامه : ما يروونه  
عنه من أنه أنشد بعض إخوانه هذا البيت وهو من نظمه :  
يا من يرانى ولا أراه كم ذا أراه ولا يرانى

(١) هامش دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول ص ٢٢٣

(٢) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول ص ٢٢٦

(٣) شذرات الذهب ج ٥ ص ١٩١

فاعترض عليه السامع وقال : كيف تقول إنه لا يراك ، وأنت تعلم أنه يراك فقال مرتجلا :

يا من يرانى مجرما ولا أراه آخذا  
كم ذا أراه منعمًا ولا يرانى لائذا (١)

قالوا : فهذا يدل على أن كلام الشيخ لا يراد به ظاهره ، وإنما له محامل تليق به .

ومن العلماء من ينزه ابن عربي عن هذه العبارات الموهمة ويقول : إن ما جاء من ذلك فهو مدسوس عليه ، ويروون في ذلك أن الشعرانى الذى اختصر الفتوحات قال : ( وقد توقفت حال الاختصار فى مواضع كثيرة منه ، لم يظهر لى موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة . فحذفها من هذا المختصر . وربما سهوت فتبعت ما فى الكتاب ، كما وقع للبيضاوى مع الزمخشري ، ثم لم أزل كذلك أظن أن المواضع التى حذفنا ثابتة عن الشيخ محي الدين ، حتى قدم علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين السيد محمد بن السيد أبى الطيب المدنى المتوفى سنة ٩٥٥ هـ فذاكرته فى ذلك ، فأخرج لى نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة التى عليها خط الشيخ محي الدين نفسه بقونيه ، فلم أرفيها شيئاً مما توفقت فيه وحذفته ، فعلمت أن النسخ التى فى مصر الآن كلها كتبت من النسخة التى دسوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة ، كما وقع له ذلك فى كتاب المفصوص وغيره (٢) .

ومهما يكن من شىء ، فابن عربي معقد فى أفكاره ، موهم فى ألفاظه وتعايره مشكل فى أكثر ما يقول . ومع كل هذا فلا أهمه فى عقيدته ، لجهلى باصطلاحات القوم ورموزهم . وكلمة الإنصاف فيه — كما أعتقد — قول الحافظ الذهبى عنه ( وله توسع فى الكلام ، وذكاه ، وقوة خاطر ، وحافضة ، وتدقيق فى التصوف وتآليفه جملة فى العرفان ، ولولا شطحه فى الكلام لم يكن به بأس ) (٣) .

(١) ترجمة المؤلف الموجودة بخاتمة الفتوحات ج ٤ ص ٥٥٧ .

(٢) خاتمة الفتوحات ص ٥٥٥ . (٣) دائرة المعارف للبستاني ص ٥٩٩ .

## مذهب ابن عربي

### في تفسير القرآن الكريم

يقوم مذهب ابن عربي في التفسير غالباً على نظرية وحدة الوجود التي يدين بها ، وعلى الفيوضات والوجدانيات التي تنهل عليه من سحائب الغيب الإلهي ، وتنفذ في قلبه من ناحية الإشراق الرباني .

أما من الناحية الأولى : ناحية التأثير بمذهب وحدة الوجود . فإننا نراه في كثير من الأحيان يتعسف في التأويل . ليجعل الآية تتمشى مع هذه النظرية . وهذا - فيما اعتقد - منهج كله شر في التفسير ، فهو يبدل فيما أراد الله من آياته ، ويقسرها على أن تتضمن مذهبه ، وتكون أساساً له ، وهذا ليس من شأن المفسر المنصف ، الذي يبحث في القرآن بحثاً مجرداً عن الهوى والعقيدة .

وأما من الناحية الثانية : ناحية الفيض الإلهي ، فهو واسع الباع فيها ، وقد مرت بك مقالاته في التفسير الإشاري ، ورأيت كيف ادعى أن كل ما يجري على لسان أهل الحقيقة من المعاني الإشارية في القرآن هو في الحقيقة تفسير وشرح لمعاد الله ، وإنما عبر عنها بالإشارة . تقية من أهل الظاهر ، ورأيت كيف ادعى أن أهل الله - وهم الصوفية - أحق الناس بشرح كتابه : لأنهم يتلقون علومهم عن الله ، فهم يقولون في القرآن على بصيرة ، أما أهل الظاهر فيقولون بالظن والتخمين .

ثم هو لا يرى فرقاً بين القرآن نفسه ، وبين تفسير أهل الله له ، من ناحية أن كلامهما حق ثابت ، وصدق لا يعتريه شك ، فإذا كان القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنه من عند الله ، فكذلك أقوال أهل الحقيقة في التفسير ، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، لأنها منزلة على قلوبهم من عند الله .

يقرر ابن عربي كل هذه المبادئ ، ويصرح بها في فتوحاته ، وأنا لازلت

واقفاً عند رأي الذي قررته آتفاً ، وهو : أن دعوى الفيض والإلهام لا يصح أن تكون أصلاً يحكم به على كتاب الله تعالى .

هذا ... وإن ابن عربي لم نظفر له . بكتاب في التفسير ولكن نجد صاحب كشف الظنون يقول : إنه ( صنف تفسيراً كبيراً على طريقة أهل التصوف في مجلدات . قيل إنه في ستين سفراً ، وهو إلى سورة الكهف ، وله تفسير صغير في ثمانية أسفار على طريقة المفسرين<sup>(١)</sup> ) وإذا كنا لم نظفر بهذين الكتابين ، فإننا قد نظفنا بما فيه بعض الكفاية عنهما ، وهو تفسيره لبعض الآيات التي وجدناها متفرقة في غضون مؤلفاته ، كالفصوص ، والفتوحات . إليك بعضاً منها لتكون على بصيرة ، ولتطمئن إلى حكمي على الرجل في شرحه لكتاب الله تعالى :

#### نماذج من التفسير الصوفي النظري :

في سورة نوح عند قوله تعالى في الآية (٢٥) دما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً . فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً . يقول : (دما خطيئاتهم أغرقوا ، في عين التي خطت بهم فغرقوا في بحار العلم بالله وهو الخيرة فأدخلوا ناراً ، في عين الماء . . . فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ، فكان الله عين أنصارهم فهلكوا فيه إلى الأبد<sup>(٢)</sup> ) .

وعند قوله تعالى في الآيتين ( ٢٧ ، ٢٨ ) من سورة نوح أيضاً : إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولو الذي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا ، يقول مانصه : ( إنك إن تذرهم ، أي تدعهم وتركهم ، يضلوا عبادك ، أي يحيدوهم فيخرجوهم من العبودية إلى ما فيهم من أسرار الربوبية ، فينظروا أنفسهم أربابا ، بعدما كانوا عبيداً ، فهم العبيد الأرباب ولا يلدوا ، أي لا ينتجوا ولا يظهروا إلا فاجرا :

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٢٣٣ .

(٢) فصوص الحكم ج ١ ص ٢١٩ .

أى مظهر أما ستر كفاراً ، أى ساتراً ما ظهر بعد ظهوره ، فيظرون ماستر فيهم ، ثم يسترونه بعد ظهوره ، فيحار الناظر ، ولا يعرف قدر الفاجر في فجوره ، ولا الكافر في كفره ، والشخص واحد رب اغفر لى ، أى استرنى واستر من أجلي ، فيجمل مقامى وقدرى ، كما جهل قدرك وما قدروا الله حق قدره (١) ، ولو الذى ، كمنت نتيجة عنهما ، ومما العقل والطبيعة ولما دخل بيتى ، أى قلبى ، مؤمناً ، أى صدقاً بما يكون فيه من الإخبارات الإلهية ، وهو ما حدثت به أنفسهم وللمؤمنين ، من العقول والمؤمنات ، من النفوس ولا تزد الظالمين من الظلمات أهل الغيب المسكتنفين خلف الحجب الظلمانية ، إلا تياراً ، أى هلاكاً . فلا يعرفون نفوسهم وشهودهم وجه الحق دونهم (٢) .

وفى سورة النساء عند قوله تعالى فى الآية ( ٨٠ ) ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، يقول : ( لأنه لا ينطق إلا عن الله ، بل لا ينطق إلا بالله ، بل لا ينطق إلا الله منه فإنه صورته (٣) ) .

نماذج من التفسير الإشارى :

فى سورة الأعراف عند قوله تعالى فى الآيتين ( ٥٧ ، ٥٨ ) وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميم فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون \* والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكاد كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون ، نراه يذكر : أنه لما أدركته الفطرة التى لا بد منها لسكل داخل فى الطريق ، وتحكمت فيه ، رأى الحق سبحانه ، فتلا عليه هاتين الآيتين ، قال : فعلت أنى المراد بهذه الآية ، وقلت : ينبه بما تلاه علينا على التوفيق الأول الذى هدانا الله به على يد عيسى وموسى ومحمد سلام الله عليهم جميعهم ؛ فإن رجوعنا إلى هذا الطريق ، كان بمبشرة على يد عيسى ، وموسى .

(١) فى الآية (٦٧) من سورة الزمر .

(٢) الفصوص ج ١ ص ١٢٣ .

(٣) الفتوحات ج ٤ ص ١٢٢ .

و محمد عليهم السلام . د بين يدي رحمته ، وهي العناية بنا ، حتى إذا أقلت سبحانه  
تقالا ، وهو ترادف التوفيق ، سقناه لبلاد ميت ، وهو أنا ، فأحيننا به الأرض  
بعد موتها ، وهو ما ظهر علينا من أنوار القبول ، والعمل الصالح ، والتعشق به .  
ثم مثل فقال : . كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ، يشير بذلك إلى خبر  
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في البعث - أعنى حشر الأجسام - من أن  
الله يجعل السماء تمطر مثل منى الرجال . . الحديث . ثم قال د والبلد الطيب  
يخرج نباته بإذن ربه ، وليس سوى الموافقة والسمع والطاعة لطهارة المحل  
والذى خبث ، وهو الذى غلبت عليه نفسه والطبع ، وهو معتنى به فى نفس  
الأمر ، لا يخرج إلا نكدا ، مثل قوله : إن الله عاذا يقادون إلى الجنة  
بالسلاسل ، وقوله فى الآية ( ١٥ ) من سورة الرعد د والله يسجد من فى  
السموات والأرض طوعا وكرها ، فقلنا طوعا يا إلها (١) ٥١ .

وفى سورة الحج عند قوله تعالى فى الآيتين ( ٢٢ و ٢٣ ) د ومن يعظم  
شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ، لعلكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى  
البيت العتيق ، نجده يفسر د شعائر الله ، فيقول ( شعائر الله أعلامه ، وأعلامه  
الدلائل الموصلة إليه ) ويفسر قوله د ثم محلها إلى البيت العتيق ، فيقول : ( ثم محلها  
إلى البيت العتيق ، وهو بيت الإيمان عند أهل الإشارات ، وليس إلا قلب المؤمن  
الذى وسع عظمة الله وجلاله ) (٢) .

وفى سورة لقمان عند قوله تعالى فى الآية ( ١٦ ) ، يا بنى إنما إن تك مثقال  
حبة من خردل فتسكن فى صخرة . . . الآية ، نجده يفسر قوله تعالى د فتسكن  
فى صخرة ، فيقول : ( أى عند ذى قلب قاس لاشفقة له على خلق الله . قال  
تعالى د- فى الآية ( ٧٤ ) من سورة البقرة - د ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى  
كالحجارة أو أشد قسوة . . . ) (٣) .

(١) الفتوحات ج ٤ ص ١٧٢ .

(٢) الفتوحات ج ٤ ص ١٠٩ .

(٣) الفتوحات ج ٤ ص ١١٤ .

نماذج من التفسير الظاهر :

في سورة الأنعام عند قوله تعالى في الآية (١٥٣) «وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَيْنَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمَنْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ، يقول : ( « وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ، فَأُضَافَهُ إِلَيْهِ . وَلَمْ يَقُلْ صِرَاطُ اللَّهِ ، وَوَصَفَهُ بِالِاسْتِقَامَةِ .. ثُمَّ قَالَ « فَاتَّبِعُوهُ » ، الضمير يعود على صراطه « وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ » ، يعني شرائع من تقدمه ومناهجهم من حيث ما هي شرائع لهم ، إلا إن وجد حكم فيها في شرعي فاتبعوه من حيث ما هو شرع لنا لأن حيث ما كان شرعا لهم « فتفرق بكم عن سبيله » ، يعني تلك الشرائع . عن سبيله : أى عن طريقه الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يقل عن سبيل الله : لأن الكل سبيل الله ؛ إذ كان الله غايتها . « ذَلِكَمَنْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » ، أى تتخذون تلك السبيل وقاية تحول بينكم وبين المشى على غيره .. (١) اهـ

وهذا تفسير مقبول ، لجر يانه على مقتضى الظاهر من الآية ، ولكن نجد صاحبنا أحيانا يشطح في فهمة لظاهر الآيات شطحات لا نستطيع أن نسلها له على ظاهرها ، وإنما أقول على ظاهرها ، لأنه ربما كان يعنى من وراء هذا الظاهر معنى لاخبار عليه ، أراده هو ، وجهلته أنا ، فمن ذلك أنه يقول : (اعلم- وفقك الله - أن الله أخبر عن نبيه ورسوله عليه السلام في كتابه أنه قال « إن ربي على صراط مستقيم »<sup>(٢)</sup> ، فوصف نفسه بأنه على صراط مستقيم ، وما أخطأ هذا الرسول في هذا القول . ثم إنه ما قال ذلك إلا بعد قوله : « ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها » ، فما ثم إلا من هو مستقيم على الحقيقة على صراط الرب ، لأنه ما ثم إلا من الحق آخذ بناصيته ، ولا يمكن إزالة ناصيته من يد سيده وهو على صراط مستقيم ، ونكر لفظ دابة فعم ، فأين المعوج حتى نعدل عنه ؟ فهذا جبر ، وهذه استقامة ، فالثبوت يوفقنا في إنزال كل حكمة في موضعها .. (١) اهـ .

(١) الفتوحات ج ٢ ص ٢١٧ .

(٢) في الآية (٥٦) من سورة هود .

هذه بعض النماذج من تفسير ابن عربي . ومنها تستطيع أن تحكم على إلفه  
لمعاني القرآن ، كما تستطيع أن تقارن بينها وبين ما في تأويلات الكاشاني ،  
المنسوبة لابن عربي ، لتقف على مقدار التشابه بين التفسيرين ، وتأثر كل  
منهما بعقيدته في وحدة الوجود .

وبعد . . . فهذا هو تفسير الصوفية ، وهؤلاء هم أهم مفسريه ، وهذه هي  
أهم الكتب المؤلفة فيه ولعلني أكون قد أوفيت البحث حقه ، وألمت بالموضوع  
من جميع نواحيه .



# الفصل السادس

## تفسير الفلاسفة

كيف وجدت الصلة بين التفسير والفلسفة ؟

في إبان شوكة الملة الإسلامية ترجمت كتب الفلسفة من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية ، ويرجع الفضل الأكبر في هذا العمل إلى العباسيين وخدمهم ؛ إذ أنهم نظموا الترجمة الإسلامية وشجعوها .  
بدأ المنصور هذه الحركة المباركة ، وتعهدها أبنائه وأحفاده من بعده ، وبلغ بها المأمون خاصة القمة ، وأضحت بغداد كعبة علمية يجح إليها الطلاب من كل مكان .

ولكى يحقق العباسيون غايتهم استخدموا طائفة من الفرس والهنود والصابئة ، والمسيحيين ، الذين كانوا على اتصال وثيق بالدراسات القديمة ، فنقلوا إلى اللغة العربية كتب فلاسفة اليونان ، والهند ، والفرس ، وغيرهم ، ثم أذيعت هذه الكتب بين المسلمين ، فقرءوها قراءة النهم المتعاش لهذا النوع من العلم الذي لم يكن لهم به عهد من قبل .

قرأ بعض المسلمين هذه الكتب الفلسفية ، فلم يرقهم أكثر ما فيها من نظريات وأبحاث ؛ لأنهم وجدوها تتعارض مع الدين ، ولا تتفق معه بحال من الأحوال ، فمكروا حياتهم للرد عليها ، وتنفير الناس منها ، وكان على رأس هؤلاء : الغزالي ، والفخر الرازي ، الذي تعرض في تفسيره لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين ، ومع القرآن على الأخص . فردها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحجة ، وانقاد له الدليل .

وقرأ بعض المسلمين هذه الكتب فأعجبوا بها إلى حد كبير ، رغم ما فيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم ، وتعاليمه التي لا يلحقها

الشك ، ولا تحوم حولها الشهة .. نعم أعجبوا بها رغم هذا ، لأنهم وجدوا أن في مقدورهم أن يوفقوا بين الحكمة والعقيدة ، أو بين الفلسفة والدين ، وأن يبينوا للناس أن الوحي لا يناقض العقل في شيء ، وأن العقيدة إذا استنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفوس ، وثبتت أمام الخصوم ... رأوا أن هذا في مقدورهم ، فبدلوا كل ما يستطيعون من حلول ليصلوا الفلسفة بالدين ، ويؤاخوا بينهما ، حتى يصبح الدين فلسفة ، والفلسفة ديناً ، فعلا وصل فلاسفة المسلمين إلى هذا التوفيق ، ولكنه توفيق إن أرضى بعض المسلمين فقد أغضب الكثير منهم ؛ ذلك لأنهم لم يصلوا في توفيقهم إلا إلى حلول وسطى ، صوروا فيها التعاليم الدينية تصويراً يبعد كثيراً عن الصور الثابتة المأثورة ، ومثل هذه الحلول لا تصلح للتوفيق بين جانبيين متقابلين وطرفين متنافرين ؛ ولذلك لم يجد الغزالي ومن لف لفه صعوبة في الرد على هؤلاء الفلاسفة الموفقين ، وإبطال محاولاتهم ، التي ظنوا أنهم أرضوا بها رجال الدين الواقفين عند حدوده وتعاليمه .

### كيف كان التوفيق بين الدين والفلسفة ؟

ثم إن الفلاسفة الموفقين بين الدين والفلسفة ، كانت لهم طريقتان يسرون عليهما في توفيقهم :

أما الطريقة الأولى : فهي طريقة التأويل للنصوص الدينية والحقائق الشرعية ، بما يتفق مع الآراء الفلسفية ، ومعنى هذا إخضاع تلك النصوص والحقائق إلى هذه الآراء حتى تسايرها وتمشى معها .

وأما الطريقة الثانية : فهي شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية ، ومعنى هذا أن تظني الفلسفة على الدين وتتحكم في نصوصه ، وهذه الطريقة أخطر من الأولى ، وأكثر شراً منها على الدين .

## الأثر الفلسفي

### في تفسير القرآن الكريم

بما تقدم يتضح لك أن علماء المسلمين لم يكونوا جميعاً على مبدأ واحد بالنسبة للآراء الفلسفية ، بل وجد منهم من وقف منها موقف الرفض وعدم القبول ، كما وجد منهم من وقف موقف الدفاع عنها والقبول لها . وكان من هؤلاء وهؤلاء أثر ظاهر في تفسير القرآن الكريم .

أما الفريق المعاند للفلسفة : فإنه لما فسر القرآن اصطدم بهذه النظريات الفلسفية ، فرأى من واجبه كفسر أن يعرض لهذه النظريات ويمزجها بالتفسير ، إما على طريق الدفاع عنها وبيان أنها لا تتعارض مع نصوص القرآن ، وذلك بالنسبة للنظريات الصحيحة عنده ، والمسئلة لديه . وإما على طريق الرد عليها ، وبيان أنها لا يمكن أن تساير نصوص القرآن ، وذلك بالنسبة للنظريات التي لا يسلمها ولا يقول بها .

وهو في الحالة الأولى يشرح القرآن على ما يوافق هذه النظريات التي لا يراها متعارضة مع الدين ، وفي الحالة الثانية لا يمشى على ضوء النظريات الفلسفية في تفسيره ، بل يفسر النصوص على ضوء الدين والعقل وحدهما ، دون أن يكون للرأى الفلسفي دخل في شرح النص القرآني وبيان معناه ، وعن فعل هذا في تفسيره : الإمام فخر الدين الرازي ، ودونك التفسير فستري فيه ما ذكرته .

وأما الفريق المسلم للفلسفة : المصدق بكل ما فيها من نظريات وآراء ، فإنه لما فسر القرآن سلك طريقاً كاه شر وضلال ، إذ أنه وضع الآراء الفلسفية أمام عينيه ، ثم نظر من خلالها إلى القرآن ، فشرح نصوصه على حسب ما عليه عليه نزعته الفلسفية المجردة من كل شيء إلا من التعصب الفلسفي . . . وأخيراً وجدنا أنفسنا أمام شروح لبعض آيات القرآن ، هي في الحقيقة شروح لبعض النظريات الفلسفية ، قصد بها تدعيم الفلسفة وخدمتها على حساب القرآن الكريم ، الذي هو أصل الدين ومنبع تعاليمه .

من تفسير الفارابي :

فمن هذه الروح التي طغت عليها الفلسفة ، ماتجده للفارابي المتوفى سنة ٥٣٣٩ هـ تسع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة في كتابه فصوص الحكم ، من تفسيره لبعض الآيات والحقايق التي جاء بها القرآن . تفسيراً فلسفياً بحثاً ، فمن ذلك أنه يفسر الآية الأولى والأخرية الواردة في قوله تعالى في الآية (٣) من سورة الحديد « هو الأول والآخر ، تفسيراً أفلو طونياً مبنياً على القول بقدم العالم فيقول : إنه ( الأول من جهة أنه منه ويصدر عنه كل موجود لغيره ، وهو أول من إجهة أنه بالوجود لغاية قربه منه ، أول من جهة أن كل زمان ينسب إليه بكون ، فقد وجد زمان لم يوجد معه ذلك الشيء ، ووجد إذ وجد معه لافيه . هو أول ؛ لأنه إذا اعتبر كل شيء كان فيه أولاً أثره ، وثانياً قوله لا بالزمان . هو آخر ؛ لأن الأشياء إذا لوحظت ونسبت إليه أسبابها ومبادئها وقف عنده المنسوب ، فهو آخر لأنه الغاية الحقيقية في كل طلب ، فالغاية مثل السعادة في قولك : لم شربت الماء ! فتقول : لتغيير المزاج ، فيقال : ولم أردت أن يتغير المزاج ؟ فتقول : للصحة ، فيقال : لم طلبت الصحة ؟ فتقول : للسعادة والخير ، ثم لا يورد عليه سؤال يجب أن يجاب عنه ؛ لأن السعادة والخير يطلب لذاته لا لغيره . . . فهو المعشوق الأول ، فلذلك هو آخر كل غاية ، أول في الفكرة آخر في الحصول ، هو آخر من جهة أن كل زمان يتأخر عنه ، ولا يوجد زمان متأخر عن الحق . . . » (١) هـ .

ويشرح الظاهر والباطن الوارد في قوله تعالى في الآية (٣) من سورة الحديد أيضاً . . . والظاهر والباطن ، فيقول : ( لا وجود أكمل من وجوده ، فلا خفاء به من نقص الوجود ، فهو في ذاته ظاهر ، ولشدة ظهوره باطن ، وبه يظهر كل ظاهر كالشمس تظهر كل خفي وتستبطن لا عن خفاء ) (٢) هـ . كما يشرح هذه الجملة مرة أخرى فيقول : ( هو باطن لأنه شديد الظهور ،

(١) فصوص الحكم ص ١٧٤ - ١٧٥ ضمن المجموع من مؤلفات أبي نصر الفارابي

(٢) فصوص الحكم ص ١٧٠

غلب ظهوره على الإدراك فخفى ، وهو ظاهر من حيث أن الآثار تنسب إلى صفاته ، وتجب عن ذاته فتصدق بها (١٠٠) هـ (١) .

ويفسر الوحي بقوله : ( والوحي لوح من مراد الملك للروح الإنسانية بلا واسطة ، وذلك هو الكلام الحقيقي ، فإن الكلام إنما يراد به تصوير ما يتضمنه باطن المخاطب في باطن المخاطب ليصير مثله ، فإذا عجز المخاطب عن مس باطن المخاطب بباطنه مس الخاتم الشمع فيجعله مثل نفسه ، اتخذ فيما بين الباطنين سفيراً من الظاهرين ، فتكلم بالصوت أو كتب أو أشار . وإذا كان المخاطب لاجباب بينه وبين الروح اطلع عليه اطلاق الشمس على الماء الصافي فاتقش منه : لكن المنتقش في الروح من شأنه أن يسمح إلى الحس الباطن إذا كان قوياً ، فينتطبغ في القوة المذكورة فيشاهد ، فيكون الموحى إليه يتصل بالملك باطنه ، ويتلقى وحيه الكلى بباطنه (١٠٠) هـ (٢) .

كما يشرح الملائكة بأنها ( صورة عليية ، جواهرها علوم إبداعية قائمة بذواتها ، تلحظ الأمر الأعلى فينتطبغ في هويتها ما تلحظ ، وهي مطلقة ، لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة ، والروح البشرية تعاشرها في النوم ) هـ (٣)

من تفسير إخوان الصفا :

ومن الشروح الفلسفية للقرآن أيضاً ما نجده في رسائل إخوان الصفا ، الذين لازلنا نجعل الكثير عن تاريخ نشأتهم ، وتكوينهم والذين كانوا يمتنون في أغلب الظن بصلة إلى الباطنية الإسماعيلية .

فمن ذلك أنهم يشرحون الجنة والنار ، بما يفهم منه أن الجنة هي عالم الأفلاك وأن النار هي عالم ما تحت فلك القمر ، وهو عالم الدنيا ، ففي حديثهم عن تجرد النفس واشتياقها إلى عالم الأفلاك ، يقررون أنه لا يمكن الصعود إلى ما هناك بهذا الجسد الثقيل الكثيف ، ويقولون : ( إن النفس إذا فارقت

(١) نصوص الحكم ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) نصوص الحكم ص ١٦٣ (٣) المرجع السابق ص ١٤٦

هذه الجنة ، ولم يعقها شيء من سوء أفعالها ، أو فساد آرائها ، وتراكم جبالاتها أو رداءة أخلاقها ، فهي هناك في عالم الفلك في أقل من طرفة عين بلا زمان ، لأن كونها حيث هممتها أو محبوبها كما تكون نفس العاشق حيث معشوقه فإذا كان عشقها هو الكون مع هذا الجسد ، ومعشوقها هو الملذات المحسوسة الموهبة الجرمانية ، وشهواتها هذه الزينات الجسمانية ، فهي لا تبرح من ههنا ولا تشتاق الصعود إلى عالم الأفلاك ، ولا تفتح لها أبواب السماء ولا تدخل الجنة مع زمرة الملائكة ، بل تبقى تحت فلك القمر ، سائحة في قعر هذه الأجسام المستحيلة المتضادة ، تارة من السكون إلى الفساد ؛ وتارة من الفساد إلى السكون ، كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليزوقوا العذاب ، ( في الآية (٥٦) من سورة النساء ) « لا تبين فيها أحقابا ، ( الآية (٢٣) من سورة النبأ ) مادامت السموات والأرض ، لا يذوقون فيها برد عالم الأرواح الذي هو الروح والريحان ، ولا يجدون لذة شراب الجنان المذكور في القرآن ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفصوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالو إن الله حرمهما على الكافرين ، ( الآية (٥٠) من سورة الأعراف ) الظالمين لأنفسهم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( الجنة في السماء والنار في الأرض (١) ) ٥١ .

ومن ذلك أنهم يفسرون الملائكة بأنها كواكب الأفلاك فيقولون : ( إن كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك سمواته .. خلقهم الله تعالى لهجارة عالمه ، وتدير خلائقه ؛ وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله في أفلاكه كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله في أرضه (٢) ) ٥١ ،

كذلك يرى إخوان الصفا ( أن نفس المؤمن بعد مفارقة جسدها تصعد إلى ملكوت السماء وتدخل في زمرة الملائكة ؛ وتحيي بروح القدس ، وتسبح في فضاء الأفلاك ، في فسحة السموات ، فرحة ، مسرورة منعمة ، متلذذة ،

(١) رسائل إخوان الصفا ج ١ ص ٩١ - ٩٢ المطبعة الميرية سنة ١٩٢٨ م .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩٨

مكرمة ، مغتبطة ) ويقولون إن ذلك هو معنى قول الله عز وجل في الآية (١٠) من سورة فاطر ، وإليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، (١) .

كذلك يشرح إخوان الصفا الشياطين شرحا فلسفيا بحثا لا يتفق مع ما جاء به الدين فيقولون : (إن الله أشار إلى النفوس ووساوسها بقوله - في الآية (١١٢) من سورة الأنعام - وشياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ، فشياطين الجن هي النفوس المضارقة الشريرة التي قد استجنت عن إدراك الحواس . وشياطين الإنس هي النفوس المتجسدة المستأنسة بالأجساد) هـ . . . . (٢) .

ثم يقولون : ( أمثال هذه النفوس التي ذكرناها - يعنون النفوس الخبيثة - هي شياطين بالقوة ، فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل (٣) ) .

كما يفهمون أن تسمية الله الشهداء في قوله في الآية ( ٦٩ ) من سورة النساء ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، بهذا الاسم إنما هو لشهادتهم تلك الأمور الروحانية المفارقة للهوى ، ويعنون بها جنة الدنيا ونعيمها (٤) .

ثم إن إخوان الصفا يعتقدون أن القرآن ما هو إلا رموز للحقائق البعيدة عن أذهان العامة ، ويقولون : ( إن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر خواص أمته بما جاء به واعتقده بالتصريح في السر والعلن ، غير مرموز ولا مكتوم ، ثم يشير لإيها ، ويرمز عنها عند العوام بالألفاظ المشتركة ، والمعاني المحتملة للتأويل بما يعقلها الجمهور ، وتقبلها نفوسهم (٥) ) وغير خاف أن هذا هو عين منهج الباطنية القائل بأن ظواهر القرآن غير مرادة .

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ١١٠ و ١١١ . مطبعة تحفة الأخبار سنة ١٣٠٦ هـ

(٢) رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص ١٧٢ ، مطبعة تحفة الاخبار سنة ١٣٠٦ هـ

(٣) المرجع السابق ج ٤ ص ١٧٤

(٤) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨٦

(٥) المرجع السابق ج ٤ ص ١٨٥

هذه بعض شروح الفلاسفة من المسلمين لآيات القرآن الكريم ، وهى كما ترى شروح تقوم على نظريات فلسفية ، بحتة لا يمكن أن يتحملها النص القرآنى بحال من الأحوال .

هذا . . . ولم نسمع أن فيلسوفا من هؤلاء الفلاسفة الذين تحكمت الفلسفة فى عقولهم ، ألف لنا تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم ، وكل ما وجدناه لهم فى ذلك لا يعدو بعض أفهام قرآنية مفرقة فى كتبهم التى ألفوها فى الفلسفة . وأكثر من وجدنا له أثراً فى التفسير من هؤلاء الفلاسفة هو الرئيس أبو على بن سينا ؛ إذ قد عثر له على تفسير قوله تعالى فى الآية ( ٢٥ ) من سورة النور ، الله نور السموات والأرض . الآية (١) وعلى تفسير سورة الإخلاص ، والمعوذتين (٢) وبعض آيات أخرى ، ولهذا ساءت عين ابن سينا الشخصية الأولى التى كان لها أكبر أثر فى التفسير الفلسفى ، فأذكر نبذة عن حياته ، ثم أعرض لمسلكه فى التفسير فأقول :

### ترجمة ابن سينا :

هو الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن بن على بن سينا . كان أبوه من أهل بلخ ، ثم انتقل إلى بخارى ، وفى قرية من قرأها ولد له أبو على ابن سينا سنة ٣٧٠ هـ سبعين وثلاثمائة من الهجرة . ثم انتقل مع أهله إلى بخارى ، ثم طوف أبو على بعد ذلك فى البلاد ، واشتغل بالعلوم ، وحصل كثيراً من الفنون . حفظ القرآن وله من العمر عشر سنين ، وأتقن الأدب ، وحفظ أشياء من أصول الدين ، والحساب والجبر ، ثم تعلم المنطق على أبى عبد الله الغاتلى ، وفاقه ، ثم اشتغل بالعلوم الطبيعية والإلهية : ثم رغب فى علم الطب فقرأ الكتب المؤلفة فيه ، حتى أصبح بارعاً لا يعدله أحد فيه . كل هذا ولم يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، ثم لم تأت عليه سن الثامنة عشرة إلا وقد فرغ من

---

(١) يوجد هذا التفسير فى كتاب جامع البدائع .  
(٢) يوجد تفسير هذه السور الثلاث فى رسائل ابن سينا .



تحصيل العلوم التي عاناها ، مما يدل على ذكائه الخارق وذهنه الثاقب . أما تصانيفه فكبيرة ، تقارب المائة مصنف ، ومن أهمها : كتاب الشفاء في الحكمة ، والنجاة والإشارات ، والقانون ، وغير ذلك من كتبه القيمة ، التي انتفع الناس بها كثيراً .

ولقد جمع أبو علي ابن سينا إلى شهرته العلمية شهرة أخرى سياسية ؛ إذ أنه كان يتقلد مع والده الأعمال للسلطان ، ولما اضطرت أمور الدولة خرج أبو علي من بخارى ، وطوف يبلاد كثيرة حتى وصل إلى همدان ، وهناك تقلد الوزارة لشمس الدولة . ثم ثار الجند عليه ، وأغاروا على داره ، ونهبوها ، وقبضوا عليه ، وسألوا شمس الدولة قتله فامتنع ، ثم أطلق فتواري ، ثم أعاده شمس الدولة وزيراً بعد ذلك ، ولما مات شمس الدولة توجه إلى أصبهان ، ثم أدركه مرض شديد مات على أثره ، وكانت وفاته بهمدان سنة ٤٢٨ هـ ثمان وعشرين وأربعمائة من الهجرة ، ودفن بها ، فرحمه الله (١) .

#### مسلك سينا في التفسير :

ابن سينا كسلم يدين بالقرآن ، وفيلسوف محب للفلسفة حريص على سلامة ما فيها من آراء ، كان حريصاً كل الحرص على أن يوفق بين الدين والفلسفة ، حتى يرضى ناحيته الدينية والفلسفية . وكان طبعياً — والقرآن هو الدعامة الأولى من دعائم الإسلام — أن يوفق ابن سينا بين نصوص القرآن والنظريات الفلسفية التي تبدو معارضة لها ، وفعلاً قام بهذه العملية التي كانت — فيما اعتقد — شراً على الدين ، وإبطالاً لحقائق القرآن الصريحة الثابتة .

نظر ابن سينا إلى القرآن ، ونظر إلى الفلسفة ، فبحكم النظريات الفلسفية في النصوص القرآنية ، فشرحها شرحاً فلسفياً بحتاً ، وكانت طريقته التي يسلكها في شرحه غالباً هي شرح الحقائق الدينية بالأراء الفلسفية ، وذلك لأنه كان يعتقد أن القرآن ما هو إلا رموز رمز بها النبي صلى الله عليه وسلم لحقائق تدق على

(١) انظر وفيات الأعيان ج ٥ ص ٢٧١ — ٢٧٥ ، وشذرات الذهب ج ٣

أفهام العامة ، عجزت أفهامهم عن إدراكها ، فرمز إليها النبي بما يمكنهم أن يدركوه ، وأخفى عنهم ما يعجز عن إدراكه عامة الناس إلا الخواص منهم ، وهو يقول : ( إن المشترط على النبي أن يكون كلامه رمزا ، وألفاظه إيماء ، وكما يذكر أفلاطون في كتاب النواميس : إن من لم يقف على معاني رموز الرسل لم ينل الملكوت الإلهي ، وكذلك أجلة فلاسفة يونان وأنبياءهم كانوا يستعملون في كتبهم المرز والاشارات، التي حشوا فيها أسرارهم ، كفيثاغورس وسقراط ، وأفلاطون . . . وما كان يمكن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم أن يوقف على العلم أعرابيا جافيا ، ولا سيما البشر كلهم ، إذ كان مبعوثا إليهم كلهم ) اهـ (١) .

وعلى هذا الأساس نظر ابن سينا إلى نصوص القرآن كرموز لا يعرف حقيقة إلا الخواص أمثاله ، ففسرها تفسيراً حكم فيه ما لديه من نظريات فلسفية ، فكان في عمله هذا فاشلا ، وبعيداً عن حقيقة الدين ، وروح القرآن الكريم .

وإليك بعض ما قاله ابن سينا في بعض نصوص القرآن الكريم ، لتقف على مقدار تهاوته ، وبعده عن حقائق القرآن الثابتة .

عرض ابن سينا لشرح قوله تعالى في الآية (١٧) من سورة الحاقة ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، ففسر العرش بأنه الملك التاسع الذي هو فلك الأفلاك ، وفسر الملائكة الثمانية التي تحمل العرش بأنها الأفلاك الثمانية التي تحت الفلك التاسع وإليك عبارته بنصها :

قال : ( وأما ما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل من قوله ، ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، ( فنقول ) إن الكلام المستفيض في استواء الله تعالى على العرش من أوضاعه : أن العرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية ، وتدعى المشبهة من المتشعرين أن الله تعالى على العرش لأعلى سبيل حلول . هذا ، وأما في كلام الفيلسوف فإنهم جعلوا نهاية الموجودات الجسمانية الملك التاسع

الذي هو فلك الأفلاك ، ويدكرون أن الله تعالى هناك ، وعليه لاعلى حلول ، كما بين أرسطو في آخر كتاب سماع الكيما . والحكماء المنتشرون اجتمعوا على أن المعنى بالعرش هو هذا الجرم . هذا . . وقد قالوا : إن الفلك يتحرك بالنفس ؛ لأن الحركات إما ذاتية وإما غير ذاتية . والذاتية إما طبيعية ، وإما نفسية ، ثم بينوا أن نفسها هو الناطق الكامل الفعال ، ثم بينوا أن الأفلاك لا تقف ولا تتغير أبد الدهر ، وقد ذاع في الشرعيات أن الملائكة أحياء قطعاً ، لا يموتون كالإنسان الذي يموت ، فإذا قيل إن الأفلاك أحياء ناطقة لا يموت ، والحي الناطق الغير الميت يسمى ملكاً ، فالأفلاك تسمى ملائكة . فإذا تقدم هذه المقدمات وضح أن العرش محمول على ثمانية ، ووضح تفسير المفسرين أنها ثمانية أفلاك . والحمل يقال على وجهين : حمل بشري ، وهو أولى باسم الحمل كالحجر المحمول على ظهر الإنسان ، وحمل طبيعي كقولنا الماء محمول على الأرض ، والنار على الهواء ، والمعنى هنا الحمل الطبيعي لا الأول . وقوله : يومئذ ، والساعة ، والقيامة ، فالمراد بها ما ذكره الشارع : أن من مات قامت قيامته . ولما كان تحقيق النفس الإنسانية عند المفارقة أكد جعل الوعد والوعيد ، وأشباههما إلى ذلك الوقت (١) .

كذلك نجد ابن سينا يفسر الجنة والنار والصراط تفسيراً فلسفياً بعيداً عن المأثور الثابت الصحيح ، فيقسم العوالم إلى ثلاثة أقسام : عالم حسي ، وعالم خيالي وهمي ، وعالم عقلي . والعالم العقلي عنده هو الجنة ، والعالم الخيالي هو النار ، والعالم الحسي هو عالم القبور . أما الصراط فيقول في شرحه : ( اعلم أن العقل يحتاج في تصور أكثر الشكليات إلى استقرار الجزئيات ، فلا محالة أنها تحتاج إلى الحس الظاهر ، فتعلم أنه يأخذ من الحس الظاهر إلى الخيال إلى الوهم ، وهذا هو من الجحيم طريق وصراط دقيق صعب حتى يبلغ ذاته العقل ، فهو إذاً يرى كيف الحد صراطاً وطريقاً في عالم الجحيم ، فإن جاوزه بلغ عالم العقل ، فإن وقف فيه وتخيّل الوهم عقلاً ، وما يشير إليه حقاً ، فقد وقف

على الجحيم ، وسكن في جهنم ، وهلك وخسرانا ميئنا ) .  
كذلك يفسر ابن سينا قوله تعالى في الآية (٣٠) من سورة المدثر : « عليها  
تسعة عشر ، تفسيراً فلسفياً بعيداً عن هدف القرآن ، فيقرر أن النفس الحيوانية  
هي الباقية الدائمة في جهنم ، وهي منقسمة إلى قسمين : إدراكية ، وعملية ، والعملية .  
شوقية ، وعضوية ، والعلية : هي تصورات الخيال المحسوسات بالحواس الظاهرة ،  
وتلك المحسوسات ستة عشر ، والقوة الوهمية الحاكمة على تلك الصور حكماً  
غير واجب واحدة - ذاتيان ، وستة عشر ، وواحدة تسعة عشر . . . ثم يقول :  
( وأما قوله « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ، فن العادة في الشريعة تسمية  
القوى اللطيفة الغير المحسوسة ملائكة ) (١)

كما يفسر أبواب الجنة الثمانية ، وأبواب النار السبعة تفسيراً فلسفياً صرفاً ،  
فيقول . ( وأما ما بلغ النبي محمد عن ربه عز وجل أن للنار سبعة أبواب ، وللجنة  
ثمانية أبواب ، فإذا علم أن الأشياء المدركة إما مدركة للجزئيات كالحواس  
الظاهرة وهي خمسة ، وإدراكها الصور مع المواد ، أو مدركة متصورة بغير مواد  
كخزائنه الحواس المسماة بالخيال ، وقوه حاكمة عليها حكماً غير واجب وهو  
الوهم ، وقوه حاكمة واجباً وهو العقل ، فذلك ثمانية . فإذا اجتمعت الثمانية  
جملة أدت إلى السعادة السرمدية ، والدخول في الجنة ، وإن حصل سبعة منها  
لا تستتم إلا بالثامن أدت إلى الشقاوة السرمدية . والمستعمل في اللغات أن  
الشيء المؤدى إلى الشيء يسمى باباً ، فالسبعة المؤدية إلى النار سميت أبواباً لها ،  
والثمانية المؤدية إلى الجنة سميت أبواباً لها (٢) .

ويفسر ابن سينا قوله تعالى في الآية (٣٥) من سورة النور « الله نور السموات  
والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها  
كوكب دري يوحد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء

(١) رسائل ابن سينا ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) رسائل ابن سينا ص ١٣٢

ولو لم تسمه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم ، فيقول : ( النور اسم مشترك لمعنيين : ذاتي ومستعار ، والذاتي هو كمال المشف من حيث هو مشف كما ذكرها أرسطاطاليس ، والمستعار على وجهين : إما الخير ، وإما السبب الموصل إلى الخير ، والمعنى هنا هو القسم المستعار بكلى في قسميه .. أعنى أن الله تعالى خير بذاته وهو سبب لكل خير ، كذلك الحكم في الذاتي وغير الذاتي . وقوله « السموات والأرض » عبارة عن الكل . وقوله « مشكاة » فهو عبارة عن العقل الهولاني والنفس الناطقة ؛ لأن المشكاة متقاربة الجدران جيدة التهيؤ للاستضاءة . لأن كل ما يقارب الجدران كان الانعكاس فيه أشد ، والضوء أكثر . وكما أن العقل بالفعل مشبه بالنور ، كذلك قابله مشبه بقابله وهو المشف ، وأفضل المشفات الهواء ، وأفضل الأهوية هو المشكاة ، فالرموز بالمشكاة هو العقل الهولاني الذي نسبته إلى العقل المستفاد كنسبة المشكاة إلى النور ، والمصباح هو عبارة عن العقل المستفاد بالفعل ؛ لأن النور كما هو كمال للمشف كما حدبه الفلاسفة ومخرج له من القوة إلى الفعل ، ونسبة العقل المستفاد إلى العقل الهولاني كنسبة المصباح إلى المشكاة . وقوله « في زجاجة » لما كان بين العقل الهولاني والمستفاد مرتبة أخرى وموضع آخر نسبته كنسبة الذي بين المشف والمصباح ، فهو الذي لا يصل في العيان المصباح إلى المشف إلا بتوسط وهو المرسجة ، ويخرج من المسارج الزجاجية لأنها من المشفات القوابل للضوء . ثم قال بعد ذلك « كأنها كوكب دري » ليجعلها الزجاج الصافي المشف ، لا الزجاج الذي لا يستشف ، فليس شيء من المتلونات يستشف « ترقد من شجرة مباركة زيتونة » يعني به القوة الفكرية التي هي موضوعة ومادة للأفعال العقلية ، كما أن الدهن موضوع ومادة للسراج ... »<sup>(١)</sup> وهكذا استمر ابن سينا في شرح هذه الآية فارجع إليه إن شئت ، وسترى أن شرحه هذا مزيج من فكرتي أفلاطون وأرسطو حيث جمع فيه بين ما يعرف لأفلاطون من التعبير : ( الخير ) و ( الكل ) ، وما يعرف لأرسطو من أقسام العقل .

ويقول في تفسير قوله تعالى في الآية ( ٤ ) من سورة القلق : ومن شر النفاثات في العقد ، : ( قوله تعالى : ومن شر النفاثات في العقد ، إشارة إلى القوة النباتية : فإن النباتية موكلة بتدبير البدن ونشوه ونموه ، والبدن عقد حصلت من عقد بين العناصر الأربعة المختلفة المتنازعة إلى الانفكاك ، لكنها من شدة انفعال بعضها عن بعض صارت بدنا حيوانيا . والنفاثات فيها هي القوى النباتية ، فإن النفث سبب لأن يصير جوهر الشيء زائداً في المقدار من جميع جهاته . . . أى الطول والعرض والعمق . وهذه القوى هي التي تؤثر في زيادة الجسم المغذى والنامي من جميع الجهات المذكورة ... إلخ (١) ) .

ويفسر قوله تعالى في الآية ( ٥ ) من سورة الفلق أيضاً : ومن شر حاسد إذا حسد ، فيقول : ( عنى به النزاع الحاصل بين البدن وقواه كلها ، وبين النفس (٢) ) .

وفي سورة الناس يفسر قوله تعالى في الآية ( ٤ ) : ومن شر الوسواس الخناس ، فيقول : ( هذه القوة التي توقع الوسوسة هي القوة المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية ، ثم إن حركتها تكون بالعكس ، فإن النفس وجهها إلى المبادئ المفارقة ، فالقوة المتخيلة إذا جذبتها إلى الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تخنس أى تتحرك بالعكس وتجذب النفس الإنسانية إلى العكس ، فلهذا سمي خناساً (٣) ) .

ويفسر قوله تعالى في الآية ( ٦ ) من سورة الناس أيضاً : من الجنة والناس ، فيقول : ( الجن هو الاستتار ، والإنس هو الاستئناس ، فالأمور المستترة هي الحواس الباطنة ، والمستأنسة هو الحواس الظاهرة (٤) ) اهـ .

رأينا في تفسير الفلاسفة :

هذا هو بعض ما قاله ابن سينا في شرحه لبعض نصوص القرآن الكريم ،

(١) جامع البدائع ص ٢٧ - ٢٨ مطبعة السعادة سنة ١٩١٧ م .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ (٣) المرجع السابق ص ٣٩

(٤) المرجع السابق ص ٣٩ - ٢٣ .

وهو كما ترى عين ما يذهب إليه الباطنية في تأويلاتهم للآيات القرآنية ، ولا أحسب أن مسلما مهما كان محبا للفلسفة والفلاسفة يقر ابن سيدنا وأمثاله على دعوى أن الحقائق القرآنية رموز وإشارات لحقائق أخرى ، دقت عن أفهام العامة ، وخفيت على عقولهم القاصرة ، فرمز إليها النبي بآيات القرآن الكريم .

هذا ، ولعل القارئ الكريم يلاحظ معي أن الإمامية الإثني عشرية ، والباطنية الإسماعيلية ، ومتطرفي الصوفية ، ورجال الفلسفة الإسلامية ، كلهم يسرون على نمط واحد هدام لمقاصد القرآن ومراميه ، ذلك هو ما يعبرون عنه بالرمز ، أو الإشارة ، أو الباطن . ويظهر لنا أنها عدوى سرت إلى المسلمين من قدماء الفلاسفة<sup>(١)</sup> ، ثم تلتها هذه الفرق بصدر رجب ، وتقبلتها بقبول حسن ، لأنهم رأوا فيها عونا كبيرا على ترويح بدعهم ، ونشر ضلالاتهم بين المسلمين !! . . .

---

(١) انظر ما قلناه عن يرون اليهودي عند كلامنا عن الباطية .

# الفصل السابع

## تفسير الفقهاء

### كلمة إجمالية عن تطور التفسير الفقهي

١ - التفسير الفقهي من عهد النبوة إلى مبدأ قيام المذاهب الفقهية .

نزل القرآن الكريم مشتملاً على آيات تتضمن الأحكام الفقهية التي تتعلق بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم ، وكان المسلمون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفهمون ما تحمله هذه الآيات من الأحكام الفقهية بمقتضى سليقتهم العربية ، وما أشكل عليهم من ذلك رجعوا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جدت للصحابة من بعده حوادث تتطلب من المسلمين أن يحكموا عليها حكماً شرعياً صحيحاً ، فكان أول شيء يفزعون إليه لاستنباط هذه الأحكام الشرعية هو القرآن الكريم ، ينظرون في آياته ، ويعرضونها على عقولهم وقلوبهم ، فإن أمكن لهم أن ينزلوها على الحوادث التي جدت فيها ونعمت ، وإلا لجأوا إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم يجدوا فيها حكماً اجتهدوا وأعملوا رأيهم على ضوء القواعد الكلية للكتاب والسنة ؛ ثم خرجوا بحكم فيما يحتاجون إلى الحكم عليه .

غير أن الصحابة في نظرهم لايات الأحكام كانوا يتفقون أحياناً على الحكم المستنبط ، وأحياناً يختلفون في فهم الآية ، فتختلف أحكامهم في المسألة التي يبحثون عن حكمها ، كالحلاف الذي وقع بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ، فعمر رضى الله عنه حكم بأن عدتها وضع الحمل ، وعلي حكم بأن عدتها أبعد الأجلين : وضع الحمل ، ومضى أربعة أشهر وعشرة أيام . وسبب هذا الحلاف تعارض نصين عامين في القرآن ، فإن الله سبحانه



جعل عدة المطلقة الحامل وضع الحمل ، وجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً من غير تفصيل . فذهب على رضى الله عنه إلى العمل بالآيتين معا ، وأن كل آية منهما مخصصة لعموم الأخرى وذهب عمر رضى الله عنه إلى أن آية الطلاق مخصصة لآية الوفاة ، وقد تأيد رأى عمر رضى الله عنه بما ورد أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية مات عنها زوجها ، فوضعت الحمل بعد خمسة وعشرين يوماً من موته ، فأحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم للأزواج (١) .

وكالخلاف الذى وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت فى تقسيم ميراث مات عن زوج وأبوين ، فابن عباس رضى الله عنه أفتى بأن للزوج النصف ، وللأم الثلث ، وللأب الباقي تصدياً ، تمسكا بظاهر قوله تعالى فى الآية (١١) من سورة النساء : « فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلاّمه الثلث » . وزيد بن ثابت رضى الله عنه ومعه بقية الصحابة أفتوا بأن للزوجة ثلث الباقي بعد فرض الزوج ، نظراً لأن الأب والام ذكر وأنثى ورثا بجهة واحدة ، فلذا ذكر مثل حظ الأنثيين (٢) .

مثل هذا الخلاف كان يقع مع الصحابة رضى الله عنهم حسبما يفهمه كل منهم فى النص القرآنى ، وما يحيط به من أدلة خارجية ، ومع هذا الاختلاف فقد كان كل واحد من المختلفين يطلب الحق وحده ، فإن ظهر له أنه فى جانب من مخالفه رجع إلى رأيه وأخذ به .

التفسير الفقهى فى مبدأ قيام المذاهب الفقهية :

ظل الأمر على هذا إلى عهد ظهور أئمة المذاهب - الأربعة وغيرها - وفيه جدت حوادث كثيرة للمسلمين لم يسبق لمن تقدمهم حكم عليها ، لأنها لم تكن على عهدهم ، فأخذ كل إمام ينظر إلى هذه الحوادث تحت ضوء القرآن والسنة ، وغيرهما من مصادر التشريع . ثم يحكم عليها بالحكم الذى ينقدح فى ذهنه ، ويعتقد

(١) انظر تاريخ التشريع للخضرى ص ١١٣ .

(٢) انظر تاريخ التشريع الاسلامى للأستاذة : السبكي والسائيس والبربرى ص ٩٦ .

( ٢٨ - التفسير والمفسرون ٢ )

أنه هو الحق الذي يقوم على الأدلة والبراهين . وكانوا يتفقون فيما يحكمون به أحيانا، وأحيانا يختلفون حسبما يتجه لكل منهم من الأدلة غير أنهم مع كثرة اختلافهم في الأحكام لم تظهر منهم بادرة التعصب للمذهب ، بل كانوا جميعاً يفسدون الحق ويطلبون الحكم الصحيح، وليس بعزيز على الواحد منهم أن يرجع إلى رأى مخالفه إن ظهر له أن الحق في جانبه ، فهذا هو الشافعى رضى الله عنه كان يقول : إذا صح الحديث فهو رأيي ، وكان يقول : الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة ، وكان يقول لأحمد بن حنبل وهو تلميذه في الفقه : إذا صح الحديث عندك فأعلمني به ، وكان يقول : إذا ذكر الحديث فمالك النجم الثاقب... إلى غير ذلك مما يدل على انتشار روح التقدير والحب بين أولئك الفقهاء . . . وهذه هي سنة أسلافهم من الصحابة والتابعين (١) .

#### التفسير الفقهي بعد ظهور التقليد والتعصب المذهبي :

ثم خلف من بعد هؤلاء الأئمة خلف سرت فيهم روح التقليد وهؤلاء الأئمة.. التقليد الذي يقوم على التعصب المذهبي ، ولا يعرف التسامح ، ولا يطلب الحق لذاته ولا ينشده تحت ضوء البحث الحر ، والنقد البريء . ولقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء المقلدة إلى أن نظروا إلى أقوال أئمتهم كما يتظرون إلى نص الشارع . فوقفوا جهدهم العلمي على نصرة مذهب إمامهم وترويضه، وبذلوا كل مافي وسعهم لإبطال مذهب المخالف وتفينيده ، وكان من أثر ذلك أن نظر هذا البعض إلى آيات الأحكام فأولها حسبما يشهد لمذهبه إن أمكنه التأويل ، وإلا فلا أقل من أن يؤولها تأويلا يجعلها به لا تصلح أن تكون في جانب مخالفه، وأحيانا يلجأ إلى القول بالنسخ أو التخصيص، وذلك إن سدت عليه كل مسالك التأويل . فهذا عبد الله الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ هـ وهو أحد المتعصبين لمذهب أبي حنيفة يقول : ( كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ ) (٢) .

(١) انظر تاريخ التشريع الإسلامى للخضرى ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٢) تاريخ التشريع الإسلامى للاستاذة : السبكي والسايس والبريرى ص ٢٨١ :

ومع هذا الغلو في التعصب المذهبي، فإننا لم نعدم من المقلدين من وقف موقف الإنصاف من الأئمة، فنظر في أفواهم نظرة الباحث الحر الذي يسير الدليل حتى يصل به إلى الحق أيا كان قائله .

وكان لهؤلاء وهؤلاء - أعني المتعصبين وغير المتعصبين - أثر ظاهر في التفسير الفقهي، فالمتعصبون ينظرون إلى الآيات من خلال مذهبهم فينزلونها عليه، وغير المتعصبين ينظرون إليها نظرة خالية من الهوى المذهبي، فينزلونها على حسب ما يظهر لهم، وينقدح في ذهنهم .

### تنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية :

وإذا نحن تتبعنا التفسير الفقهي في جميع مراحلها، وجدناه يسير بعيداً عن الأهواء والأعراض من مبدأ نزول القرآن إلى وقت قيام المذاهب المختلفة، ثم بعد ذلك يسير تبعاً للمذاهب، ويتنوع بتنوعها، فلأهل السنة تفسير فقهي متنوع بدأ نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به كما أسلفنا، وللظاهرية تفسير فقهي يقوم على الوقوف عند ظواهر القرآن دون أن يجيد عنها، وللخوارج تفسير فقهي يخصم، وللشيعة تفسير فقهي يخالفون به من عداهم... وكل فريق من هؤلاء يجتهد في تأويل النصوص القوآنية حتى تشهد له أولاً تعارضه على الأقل... مما أدى ببعضهم إلى التعسف في التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلولاتها .

### الإنتاج التفسيري للفقهاء :

هذا وإننا إذا ذهبنا لنبحث عن مؤلفات في التفسير الفقهي، فإننا لانكاد نعر على شيء من ذلك قبل عصر التدوين . اللهم إلا متفرقات تؤثر عن فقهاء الصحابة والتابعين، يرويها عنهم أصحاب الكتب المختلفة، أما بعد عصر التدوين فقد ألف كثير من العلماء على اختلاف مذاهبهم في التفسير الفقهي :

### فن الحنفية :

الف أبو بكر الرازي المعروف بالجصاص والمتوفى سنة ٥٣٧ هـ سبعين

وثلاثمائة من الهجرة أحكام القرآن ، وهو مطبوع في ثلاث مجلدات كبار ، ومتداول بين أهل العلم .

وَألف أحمد بن أبي سعيد المدعو بملا جيون من علماء القرن الحادى عشر الهجرى ، التفسيرات الأحمدية فى بيان الآيات الشرعية ، وهو مطبوع بالهند فى مجلد كبير ، ومنه نسخة فى مكتبة الأزهر ، وأخرى فى مكتبة الجامعة المصرية ( جامعة القاهرة ) .

#### ومن الشافعية :

ألف أبر الحسن الطبرى المعروف بالكيا الهرامى المتوفى سنة ٥٠٤ هـ . أربع وخمسة مائة من الهجرة ، كتابه أحكام القرآن ، وهو مخطوط فى مجلد كبير ، وموجود فى دار الكتب المصرية ، وفى المكتبة الأزهرية .

وَألف شهاب الدين ، أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي ، المعروف بالسمنين ، والمتوفى سنة ٧٥٦ هـ ست وخمسين وسبعائة من الهجرة ، كتابه ( القول الوجيز فى أحكام الكتاب العزيز ) ويوجد منه فى مكتبة الأزهر الجزء الأول ، وهو ينتهى عند قوله تعالى فى سورة البقرة ، فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . . . الآية ، وهو مخطوط بخط المؤلف . وألف على بن عبد الله محمود الشنفرى من علماء القرن التاسع الهجرى ، كتابه ( أحكام الكتاب المبين ) وتوجد منه نسخة فى المكتبة الأزهرية ، مخطوطة بخط المؤلف ، فى مجلد متوسط الحجم .

وَألف جلال الدين السيوطى . المتوفى سنة ٩١١ هـ إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة ، كتابه ( الإكليل فى استنباط التنزيل ) وهو موجود فى المكتبة الأزهرية ، ومخطوط فى مجلد متوسط الحجم .

#### ومن المالكية :

ألف أبو بكر بن العربى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ثلاث وأربعين وخمسة مائة من الهجرة . كتابه أحكام القرآن ، وهو مطبوع فى مجلدين كبيرين ، ومتداول بين أهل العلم .

وألف أبو عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ إحدى وسبعمائة وستين وستمائة من الهجرة ، كتابة (الجامع لأحكام القرآن) وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، وقد قامت بطبعه دار الكتب فتم منه إلى الآن أربعة عشر جزءا ينتهي الجزء الرابع عشر عند آخر سورة ( فاطر ) وما بقى منه على أهبة الطبع (١).

ومن الزيدية :

ألف حسين بن أحمد النجری . من أهل القرن الثامن الهجرى ، كتابه ( شرح الخمسة آية ) ولم يصل إلى أيدينا هذا التفسير .

وألف شمس الدين بن يوسف بن أحمد من علماء القرن التاسع الهجرى ، ( الثمرات الياقوتية والأحكام الواضحة القاطعة ) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية ، مخطوطة في ثلاث مجلدات ، ويوجد بالمكتبة الأزهرية الجزء الثاني منه في مجلد واحد مخطوط ،

وألف محمد بن الحسين بن القاسم من علماء القرن الحادى عشر الهجرى ، كتابه ( منتهى المرام ، شرح آيات الأحكام ) ولم نقف على هذا التفسير .

ومن الإمامية الإثني عشرية :

ألف مقداد السيورى ، من أهل القرن الثامن الهجرى ، كتابه ( كنز الفرقان فى فقه القرآن ) ومنه نسخة بدار الكتب المصرية ، مطبوعة فى مجلد صغير على هامش تفسير الحسن العسكرى .

وهناك كتب أخرى فى تفسير آيات الأحكام ذكرها صاحب كشف الظنون ، لانه نطيل بذكرها ، كما لا نطيل بالكلام عن كل ما وصل إلينا من الكتب ، ويكفى أن نعرض لأهمها وهو ما يأتى :

---

(١) كان هذا وقت تأليف هذا الكتاب ، أما الآن فقد تم طبع هذا التفسير ولما فقدت نسخته أخذت دار الكتب فى طبعه للمرة الثانية ؛ كما يجرى الآن طبعه ضمن سلسلة ( كتاب الشعب ) .

## ١ - أحكام القرآن

للجصاص (الحنفي)

ترجمة المؤلف :

هو أبو بكر ، أحمد بن علي الرازي ، المشهور بالجصاص<sup>(١)</sup> . ولد رحمه تعالى ببغداد سنة ٣٠٥ هـ خمس وثلاثمائة من الهجرة . كان إمام الحنفية في وقته ، وإليه انتهت رئاسة الأصحاب . أخذ عن أبي سهل الزجاج ، وعن أبي الحسن الكرخي ، وعن غيرهما من فقهاء عصره . واستقر التدريس له ببغداد ، وانتهت الرحلة إليه ، وكان على طريق الكرخي في الزهد ، وبه انتفع ، وعليه تخرج ، وبلغ من زهده أنه خوطب في أن يلي القضاء فامتنع ، وأعيد عليه الخطاب فلم يقبل . أما مصنفاته فكثيرة . أهمها كتاب أحكام القرآن وهو ما نحن بصدده الآن ، وشرح مختصر الكرخي ، وشرح مختصر الطحاوي ، وشرح الجامع الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني ، وكتاب أصول الفقه ، وآخر في أدب القضاء ، وعلى الجملة فقد كان الجصاص من خيرة العلماء الأعلام ، وإليه يرجع كثير من الفضل في تدعيم مذهب الحنفية على البراهين والأدلة . هذا وقد ذكره المنصور بالله في طبقات المعتزلة ،<sup>(٢)</sup> وسيأتيك في تفسيره ما يؤيد هذا القول .

أما وفاته فكانت سنة ٣٧٠ هـ سبعين وثلاثمائة من الهجرة ، فرحمه الله ورضي عنه<sup>(٣)</sup> .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يعد هذا التفسير من أهم كتب التفسير الفقهي خصوصاً عند الحنفية ؛ لأنه

(١) الجصاص نسبة إلى العمل بالجص .

(٢) شرح الأزهار ج ٢ ص ٤ .

(٣) انظر ترجمته في الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ٢٧ - ٢٨ .

يقوم على تركيز مذهبهم والترويج له ، والدفاع عنه . وهو يعرض لسور القرآن كلها ، ولكنه لا يتكلم إلا عن الآيات التي لها تعلق بالأحكام فقط ، وهو — وإن كان يسير على ترتيب سور القرآن — محبوب كتبويب الفقه ، وكل باب من أبوابه معنون بعنوان تدرج فيه المسائل التي يتعرض لها المؤلف في هذا الباب .

### استطراده لمسائل فقهية بعيدة عن فقه القرآن :

هذا . . . وإن المؤلف — رحمه الله — لا يقتصر في تفسيره على ذكر الأحكام التي يمكن أن تستنبط من الآيات ، بل نراه يستطرد إلى كثير من مسائل الفقه والخلافات بين الأئمة ، مع ذكره للأدلة بتوسع كبير ، مما جعل كتابه أشبه ما يكون بكتب الفقه المقارن ، وكثيراً ما يكون هذا الاستطراد إلى مسائل فقهية لاصلة لها بالآية إلا عن بعد .

فمثلاً نجد عندما عرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٥ ) من سورة البقرة : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، يستطرد لمذهب الحنفية في أن من قال لعبيده : من بشرني بولادة فلانة فهو حر ، فبشره جماعة واحداً بعد واحد أن الأول يعتق دون غيره (١) .

ومثلاً عندما عرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٦ ) من سورة يوسف : « وشهد شاهد من أهلها إن كان قيصه قد من قبل . . . الآية ، نجده يستطرد لخلاف الفقهاء في مدعى اللقطة إذا ذكر علامتها ، وخلافهم في اللقيط إذا ادعاه رجلان ووصف أحدهما علامة في جسده ، وخلافهم في متاع البيت إذا ادعاه الزوج لنفسه وادعته الزوجة لنفسها ، وخلافهم في مصراع الباب إذا ادعاه رب الدار والمستأجر . . . وغير ذلك من مسائل الخلاف التي لا تتصل بالآية إلا عن بعد (٢) .

(١) ج ١ ص ٣٣ .

(٢) ج ٣ ص ٣١٠ - ٣١٢ .

### تعصبه لمذهب الحنفية:

ثم إن المؤلف - رحمه الله وعفا عنه - متعصب لمذهب الحنفية إلى حد كبير ، مما جعله في هذا الكتاب يتعسف في تأويل بعض الآيات حتى يجعلها في جانبه ، أو يجعلها غير صالحة للاستشهاد بها من جانب مخالفيه ، والذي يقرأ الكتاب يلس روح التعصب فيه في كثير من المواقف .

فثلاً عندما عرض لقوله تعالى في الآية ( ١٨٧ ) من سورة البقرة ثم أتوا الصيام إلى الليل ، نجده يحاول بتعسف ظاهر أن يجعل الآية دالة على أن من دخل في صوم التطوع لزم إتمامه (١) .

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٣٢ ) من سورة البقرة ، وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن ... الآية ، نجده يحاول أن يستدل بالآية من عدة وجوه على أن للمرأة أن تعقد على نفسها بغير الولي وبدون إذنه (٢) .

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٢ ) من سورة النساء ، وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ... الآية ، وقوله في آية (٦) منها ، وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ... الآية ، نجده يحاول أن يأخذ من مجموع الآيتين دليلاً لمذهب أبي حنيفة القائل بوجوب دفع المال لليتيم إذا بلغ خمساً وعشرين سنة ، وإن لم يؤنس منه الرشداً (٣) .

### حملة الجصاص على مخالفيه:

ثم إن الجصاص مع تعصبه لمذهبه وتعسفه في التأويل ، ليس عفا اللسان مع الإمام الشافعي رضي الله عنه ولا مع غيره من الأئمة ، وكثيراً ما نراه يرمى

(١) ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٨٥ .

(٢) ج ١ ص ٤٧٢ - ٤٧٤ .

(٣) ج ٢ ص ٥٦ - ٥٩ .



الشافعي وغيره من مخالفي الحنفية بعبارات شديدة ، لاتليقي من مثل الجصاص في مثل الشافعي وغيره من الأئمة رحمهم الله .

فثلا عندما عرض الآية المحرمات من النساء في سورة النساء نجده يعرض للخلاف الذي بين الحنفية والشافعية في حكم من زنى بامرأة ، هل يحل له التزوج بينها أولا؟ ثم يذكر مناظره طويلة جرت بين الشافعي وغيره في هذه المسألة ، ويناقش الشافعي فيما يرد به على مناظره ، ويرميه بعبارات شنيعة لاذعة كقوله : ( فقد بأن أن مقاله الشافعي وما سلمه له السائل كلام فارغ لامعنى تحته في حكم ما سئل عنه<sup>(١)</sup> ) .

وقوله ( ماظننت أن أحداً من ينتدب لمناظرة خصم يبلغ به الإفلاس من الحجاج أن يلجأ إلى مثل هذا ، مع سخافة عقل السائل وغباوته<sup>(٢)</sup> ) .  
وقوله حين لم برقه أحد أجوبة الشافعي على سؤال مناظره ( ولو كلم بذلك المبتدئو من أحداث أصحابنا لما خفي عليهم عوار هذا الحجاج ، وتضعف السائل ، والمسئول فيه<sup>(٣)</sup> ) .

ومثلا عند ذكره لمذهب الشافعي في الترتيب بين أعضاء الوضوء نجده يقول : ( وهذا القول لما خرج به الشافعي عن إجماع السلف والفقهاء<sup>(٤)</sup> ) كأن الشافعي في نظر الجصاص من لا يعتمد برأيه ، حتى ينعقد الإجماع بدونه .

#### تأثر الجصاص بمذهب المعتزلة .

كذلك نجد الجصاص يميل إلى عقيدة المعتزلة ، ويتأثر بها في تفسيره ، فثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٠٣) من سورة البقرة : « واتبعوا ما اتلوا الشياطين على ملك سليمان ... الآية ، نجده يذكر حقيقة السحر ويقول إنه :

(١) ج ٢ ص ١٤٣

(٢) ج ٢ ص ١٤٣ :

(٣) ج ٢ ص ٢٤٥ :

(٤) ج ٢ ص ٤٤٠ — ٤٤١ :

( متى أطلق فهو اسم لكل أمر هو باطل لاحقيقة له ولا ثبات (١) ) كما ينكر حديث البخارى فى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقرر أنه من وضع الملاحدة (٢) .

ومثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى فى الآية ( ١٠٣ ) من سورة الأنعام « لا تدركه الأبصار .. الآية » ، نجده يقول : ( معناه لا تراه الأبصار . وهذا تمدح بنفى رؤية الأبصار كقوله تعالى ( فى الآية (٣٥٥) من سورة البقرة ) ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وما تمدح الله بنفيه عن نفسه فإن إثبات ضده ذم ونقص ، فغير جائز إثبات نقيضه بحال . . . فلما تمدح بنفى رؤية البصر عنه لم يجوز إثبات ضده ونقيضه بحال : إذ كان فيه إثبات صفة نقص . ولا يجوز أن يكون مخصوصاً بقوله تعالى فى الايتين ( ٢٣ ، ٢٣ ) من سورة القياسمة « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » ، لأن النظر محتتمل لمعان : منها انتظار الثواب ، كما روى عن جماعة من السلف ، فلما كان ذلك محتتملاً للتأويل لم يجوز الاعتراض به على ما لاساغ للتأويل فيه . والأخبار المروية فى الرؤية إنما المراد بها العلم لوصحت ، وهو علم الضرورة الذى لا تشوبه شبهة ، ولا تعرض فيه الشكوك ، لأن الرؤية بمعنى العلم مشهورة فى اللغة (٣) ) ٥١ .

### حملة الجصاص على معاوية رضى الله عنه :

كما أننا نلاحظ على الجصاص أنه تبدو منه البغضاء لمعاوية رضى الله عنه ، ويتأثر بذلك فى تفسيره . فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات ( ٣٩ و ٤٠ ) من سورة الحج « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ... » ، إلى قوله « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر

(١) ج ١ ص ٤٨ .

(٢) ج ٢ ص ٥٥ .

(٣) ج ٣ ص ٥٥ .

ولله عاقبة الأمور ، يقول : ( .. وهذه صفة الخلفاء الرشداين ، الذين مكنتهم الله في الأرض وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . وفيه الدلالة الواضحة على صحة إمامتهم ؛ لإخبار الله تعالى بأنهم إذا مكنتوا في الأرض قاموا بفروض الله عليهم ، وقد مكنتوا في الأرض فوجب أن يكونوا أئمة قائمين بأوامر الله منتهين عن زواجه ونواهيها ، ولا يدخل معاوية في هؤلاء ؛ لأن الله إنما وصف بذلك المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، وليس معاوية من المهاجرين ، بل هو من الطلقاء. (١) ) هـ .

ومثلاً في سورة التور عند قوله تعالى في الآية ( ٥٥ ) . . . وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض . . . الآية ، يقول : ( وفيه الدلالة على صحة إمامة الخلفاء الأربعة أيضاً ؛ لأن الله استخلفهم في الأرض ويمكن لهم كما جاء الوعد ، ولا يدخل فيهم معاوية ؛ لأنه لم يكن مؤمناً في ذلك الوقت (٢) ) هـ .

وفي سورة الحجرات عند قوله تعالى في الآية ( ٩ ) : . . . وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . . . الآية ، نجده يجعل علياً رضى الله عنه هو المحق في قتاله ، أما معاوية ومن معه فهم الفئة الباغية . وكذلك كل من خرج على علي (٣) .  
وما كان أولى بصاحبنا أن يترك هذا التحامل على معاوية الصجاني ، ويفوض أمره إلى أمته ، ولا يلوى مثل هذه الآيات إلى ميوله وهو اه .  
هذا . . . والكتاب مطبوع في ثلاث مجلدات كبار ، ومتداول بين أهل العالم .

(١) ج ٣ ص ٣٠٣ — ٣٠٤ .

(٢) ج ٣ ص ٤٠٦ .

(٣) ج ٣ ص ٤٩٢ .

## ٢ - أحكام القرآن

لكيا الهراسي ( الشافعي )

### ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا التفسير هو عماد الدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري ، المعروف بالكيا<sup>(١)</sup> الهراسي ، الفقيه الشافعي ، المولود سنة ٤٥٠ هـ خمسين وأربعمائة من الهجرة .

أصله من خراسان ، ثم رحل عنها إلى نيسابور ، وتفقه على إمام الحرمين الجويني مدة حتى برع ، ثم خرج من نيسابور إلى بيهق ودرس بها مدة ، ثم خرج إلى العراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد إلى أن توفي سنة ٥٠٤ هـ أربع وخمسمائة من الهجرة . وكان رحمه الله فصيح العبارة ، حلو الكلام ، محدثاً ، يستعمل الأحاديث في مناظراته ومجالسه ، فرضى الله عنه وأرضاه<sup>(٢)</sup> .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه

أهمية هذا التفسير ومبلغ تعصب صاحبه لمذهب الشافعي :

يعتبر هذا التفسير من أهم المؤلفات في التفسير الفقهي عند الشافعية ؛ وذلك لأن مؤلفه شافعي لا يقل في تعصبه لمذهبه عن الجصاص بالنسبة لمذهب الحنفية ، مما جعله يفسر آيات الأحكام على وفق قواعد مذهبه الشافعي ، ويحاول أن يجعلها غير صالحة لأن تكون في جانب مخالفه .  
وليس أدل على روح التعصب عند المؤلف من مقدمة تفسيره التي يقرر

(١) الكيا بكسر الكاف وفتح الياء ( الخففة ) منناه في اللغة العجيبة الكبير

القدر المقدم بين الناس . ١٠ وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٩٠ .

(٢) انظر وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٨٧ - ٥٩٠

فيها) إن مذهب الشافعي رضى الله عنه أسد المذاهب وأقومها ، وأرشدتها وأحكمها ، وإن نظر الشافعي في أكثر آرائه ومعظم أبحاثه يترقى عن حد الظن والتخمين ، إلى درجة الحق واليقين ، والسبب في ذلك أنه - يعنى الشافعي - بنى مذهبه على كتاب الله تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأنه أتيح له درك غواض مدانيه ، والغوص على تيار بحره لاستخراج ما فيه ، وأن الله تعالى فتح له من أبوابه ، ويسر عليه من أسبابه ، ورفع له من حجابيه ما لم يسئل لمن سواه ، ولم يتأت لمن عداه... (٢).

يقرر صاحبنا هذا ، وأنا لا أنكره عليه ، ولا أغض من مقام الشافعي رحمه الله ، ولكننى أقول : إن تقديم الكتاب بمثل هذا الكلام يطق بأن الرجل متعصب لمذهبه ، وشاهد عليه بأنه سوف يسلك في تفسيره مسلك الدفاع عن قواعد الشافعي ، وفروع مذهبه ، وإن أداه ذلك إلى التعسف في التأويل .

وإذا لم يكفك هذا دليلا على تعصب الرجل فدونك الكتاب ، لتقف بعد القراءة فيه على مبلغ تعصب صاحبه وتعسفه .

تأديه مع الأئمة وحملته على الجصاص :

غير أن الهراسى - والحق يقال - كان عفا اللسان والقلم مع أئمة المذاهب الأخرى ، ومع كل من يتعرض للرد عليه من المخالفين ، فلم يخض فيهم كما خاض الجصاص في الشافعي وغيره ، وكل ما لاحظناه عليه من ذلك هو أنه وقف من الجصاص موقفاً كان فيه شديد المراس ، قوى الجدل ، قاسى العبارة ؛ إذ أنه عرض لأهم مواضع الخلاف التي ذكرها الجصاص في تفسيره وعاب فيها مذهب الشافعي ، فقتل كل شبهة أوردها ، ودفع كل ما وجهه إلى مذهب الشافعي ، بحجج قوية يسلم له الكثير منها ، كما أنه اقتصر للشافعي من الجصاص ، فرماه بالعبارات الساخرة ، والألفاظ المقذعة ، والجزاء من جنس العمل .

فتلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٢٣ ) من سورة النساء . حرمت عليكم أمهاتكم . الآية ، نجده يرد على الجصاص ما استدل به لمذهبه القائل

بأن الزنى بامرأة يحرم على الزانى أصول المرأة وفروعها ، ويفند ما رد به الجصاص على الشافعى فى هذه المسألة ، ثم يقول فى شأن الجصاص ( لأنه لم يفهم معنى كلام الشافعى رضى الله عنه ، ولم يميز بين محل ومحل ، ولكل مقام مقال ، ولتفهم معانى كتاب الله رجال ، وليس هو منهم <sup>(١)</sup> ) .

كما يقول ( وقد ذكر الشافعى مناظرة بينه وبين مسترشد طلب الحق فى هذه المسألة ، فأوردها الرازى متعجباً منها ، ومنها على ضعف كلام الشافعى فيها ، ولا شىء أدل على جهل الرازى وقلة معرفته بمعانى الكلام من ساقه لهذه المناظرة ، واعتراضاته عليها <sup>(٢)</sup> ) .

ويقول بعد قليل : ( ولم يعلم هذا الجاهل معنى كلام الشافعى رضى الله عنه فاعترض عليه بما قاله ، وعجب الناس من ذلك ، فقال : فى هذه المناظرة أعجوبة لمن تأمل . فكان كما قال القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم <sup>(٣)</sup>

كما يقول فى موضع آخر : ( وكيف يتصدى لتصنيف فى الدين من هذا مبلغ علمه ، ومقدار فهمه ، فيرسل الكلام من غير أن يتحقق ما يقول ... ثم يتعرض للظن فيمن لو عمر عمر نوح ما اهتدى إلى مبادئ نظره فى الحقائق . فنسأل الله تعالى التوفيق ، ونعوذ به من عمى البصيرة واتباع الهوى <sup>(٤)</sup> ) .

هذا .. وإن المؤلف - رحمه الله - ليبين لنا فى مقدمة تفسيره الحامل له على تأليفه ، ومنهجه الذى سلكه ، وتقديره لكتابه فيقول :

( ولما رأيت الأمر كذلك - يريد رجحان مذهب الشافعى على غيره - أردت أن أصنف كتاباً فى أحكام القرآن ، أشرح ما ابتدعه الشافعى رضى الله عنه

(١) ص ٢١٣

(٢) ص ٢١٤

(٣) ص ٢١٥

(٤) ص ٢٢٦

من أخذ الدلائل في غوامض المسائل ، وضمت إليه ما نسجته على منواله ، واحتديت فيه على مثاله ، على قدر طاقتي وجهدي ، ومبلغ وسعي وجددي . . . ولا يعرف قدر هذا الكتاب ، وما فيه من العجب العجيب ، ولباب الألباب ، إلا من وفر حظه من علوم المعقول والمنقول ، وتبحر في الفروع والأصول ، ثم انكب على مطالعة هذه الفصول ، بمسكة صحيحة ، وقريحة همة غير قريحة<sup>(١)</sup> .

ثم إن المؤلف يتعرض لآيات الأحكام فقط ، مع استيفاء ما في جميع السور . والكتاب مخطوط في مجلد كبير ، وموجود في دار الكتب المصرية ، وفي المكتبة الأزهرية .

## ٣ - أحكام القرآن

لابن العربي (المالكي)

ترجمة المؤلف :

هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري ، الأندلسي ، الإشبيلي ، الإمام ، العلامة ، المتبحر ، ختام علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها . . كان أبوه من فقهاء إشبيلية ورؤسائها .

ولد أبو بكر سنة ٤٦٨ هـ ثمان وستين وأربعمئة من الهجرة ، وتأدب ببلده ، وقرأ القراءات ، ثم رحل إلى مصر ، والشام ، وبغداد ، ومكة . وكان يأخذ عن علماء كل بلد يرحل إليه حتى أتقن الفقه ، والأصول ، وقيد الحديث ، واتسع في الرواية ، وأتقن مسائل الخلاف والكلام ، وتبحر في التفسير ، وبرع في الأدب والشعر . . . وأخيراً عاد إلى بلده إشبيلية بعلم كثير ، لم يأت به أحد قبله ، بمن كانت له رحلة إلى المشرق .

وعلى الجملة ، فقد كان - رحمه الله - من أهل التفنن في العلوم ، والاستبحار فيها ، والجمع لها ، متقدماً في المعارف كلها ، متكلماً في أنواعها . نافذاً في جمعها ، حريصاً على أدائها ونشرها ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ، ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق ، مع حسن المعاشرة ، وكثرة الاحتمال ، وكرم النفس ، وحسن العهد ، وثبات الود . سكن بلده وشور فيه ، وسمع ، ودرس الفقه والأصول ، وجلس للوعظ والتفسير ، ورحل إليه للسمع . قال القاضي عياض - وهو بمن أخذوا عنه - : ( استقضى ببلده فنفذ الله به أهلها لصرامته ، وشدة نفوذ أحكامه ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ، وتوثر عنه في قضائه أحكام غريبة ، ثم صرف عن القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثه ) .

هذا وقد ألف - رحمه الله - تصانيف كثيرة مفيدة ، منها : أحكام القرآن . . وهو ما نحن بصدده الآن ، وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك ، وكتاب



القبس على شرح موطأ مالك بن أنس ، وعارضة الأحوذى على كتاب الترمذى ، والقواصم والعواصم ، والمحصول فى أصول الفقه . وكتاب التاسخ والمنسوخ ، وتخليص التلخيص ، وكتاب القانون فى تفسير القرآن العزيز ، وكتاب أنوار الفجر فى تفسير القرآن .. قيل : إنه ألفه فى عشرين سنة ، ويقع فى ثمانين ألف ورقة ، وذكر بعضهم أنه رأى هذا التفسير وعد أسفاره فوجد عدتها ثمانين مجلدا . وبالجملة فقد خلف - رحمه الله - كتبا كثيرة ، انتفع الناس بها بعد وفاته ، كما نفع هو بعلمه من جلس إليه فى حياته . هذا . . وقد كانت وفاته - رحمه الله - سنة ٥٤٣ هـ ثلاث وأربعين وخمسةائة من الهجرة منصرفه من مراکش ، وحمل ميتا إلى مدينة فاس ودفن بها . فرضى الله عنه وأرضاه (١) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه .

يتعرض هذا الكتاب لسور القرآن كلها ، ولكنه لا يتعرض إلا لما فيها من آيات الأحكام فقط ، وطريقته فى ذلك أن يذكر السورة ثم يذكر عدد ما فيها من آيات الأحكام ، ثم يأخذ فى شرحها آية آية .. قائلا : الآية الأولى وفيها خمس مسائل ( مثلا ) ، والآية الثانية وفيها سبع مسائل ( مثلا ) وهكذا ، حتى يفرغ من آيات الأحكام الموجودة فى السورة .

تفسير ابن عربى بين إنصافه واعتسافه :

هذا . . وإن الكتاب يعتبر مرجعا مهما للتفسير الفقهى عند المالكية ، وذلك لأن مؤلفه مالكي تأثر بمذهبه ، فظهرت عليه فى تفسيره روح التعصب له ، والدفاع عنه ، غير أنه لم يشتط فى تعصبه إلى الدرجة التى يتغاضى فيها عن كل زلة عليية تصدر من مجتهد مالكي ، ولم يبلغ به التعسف إلى الحد الذى يجعله يفند كلام مخالفه إذا كان وجيها ومقبولا ، والذى يتصفح هذا التفسير يلبس منه روح الإنصاف لمخالفه أحيانا ، كما يلبس منه روح التعصب المذهبي التى تستولى على صاحبها فتجعله أحيانا كثيرة يرمى مخالفه وإن كان إماما له

(١) انظر الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب - ٢٨١ - ٢٨٤ .

( ٢٩ - التفسير والمفسرون ٢ )

قيمه ومركزه بالكلمات المقذعة اللاذعة ، تارة بالتصريح ، وتارة بالتلويح .  
ويظهر لنا أن الرجل كان يستعمل عقله الحر ، مع تسلط روح التعصب عليه ،  
فأحياناً يتغلب العقل على التعصب ، فيصدر حكمه عادلاً لا تكدره شائبة  
التعصب ، وأحياناً — وهو الغالب — تتغلب العصبية المذهبية على العقل ،  
فيصدر حكمه مشوباً بالتعسف ، بعيداً عن الإنصاف .

### طرف من إنصافه .

وإذا أردت أن أضع يدك على شيء من إنصاف الرجل واستعماله لعقله ،  
فانظر إليه عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٨٧) من سورة البقرة : «أحل  
لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ... الآية ، حيث يقول : ( المسألة السادسة  
عشرة : قوله تعالى « ولا تبشروهن وأتم عاكفون في المساجد ، الاعتكاف  
في اللغة هو اللبث ، وهو غير مقدر عند الشافعي ، وأقله لحظة ، ولا حد لأكثره .  
وقال مالك وأبو حنيفة : هو مقدر بيوم وليلة ، لأن الصوم عندهما من شرطه .  
قال علماؤنا : لأن الله تعالى خاطب الصائمين . وهذا لا يلزم في الوجهين : أما  
اشتراط الصوم فيه بخطابه تعالى لمن صام فلا يلزم بظاهره ولا باطنه ، لأنها  
حال واقعة لا مشترطة ، وأما تقديره بيوم وليلة لأن الصوم من شرطه فضعيف ،  
فإن العبادة لا تكون مقدره بشرطها ، ألا ترى أن الطهارة شرط في الصلاة ،  
وتنقضى الصلاة ، وتبقى الطهارة ؟ ... (١) هـ .

فأنت ترى أن المؤلف — رحمه الله — لم يره هذا الاستدلال الذي  
أظهر بطلانه ، وهذا دليل على أنه يستعمل عقله الحر أحياناً ، فلا يسكت على  
الزلة العلمية فيما يعتقد ، وإن كان فيها ترويح لمذهبه .

وانظر إليه عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة  
« يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة .. الآية ، حيث يقول : ( المسألة السابعة  
والعشرون في قوله تعالى « برءوسكم ، .. ثم يذكر أن العلماء اختلفوا في مسح

الرأس على أحد عشر قولاً، ثم يأخذ في بيانها واحداً واحداً. ثم يقول: (ولكل قول من هذه الأقوال مطلع من القرآن والسنة) ثم يذكر لنا مطلع كل قول، ثم يقول بعد أن يفرغ من هذا كله: (وليس يخفى على أحد عند اطلاعه على هذه الأقوال والأنحاء والمطلعات أن القوم لم يخرج اجتهادهم عن سبيل الدلالات في مقصود الشريعة. ولا جاوز طرفيها إلى الإفراط، فإن للشريعة طرفين، أحدهما طرف التخفيف في التكليف، والآخر طرف الاحتياط في العبادات، فمن احتاط استوفى الكل، ومن خفف أخذ بالبعض...) (١) اهـ

فأنت ترى أنه يصوب كل ما قيل في مسح الرأس.

وانظر إليه في الآية السابقة حيث يقول: (المسألة السادسة والأربعون) نزع علماؤها بهذه الآية إلى أن إزالة النجاسة غير واجبة، لأنه قال: إذا قمتم إلى الصلاة: تقديره - كما سبق - وأنتم محدثون فاغسلوا وجوهكم وأيديكم، فلم يذكر الاستنجاء وذكر الوضوء، ولو كان واجبا لكان أول مبدوء به... وهي رواية أشهب عن مالك. وقال ابن وهب: لا تجزئ الصلاة بها لا إذا كرا ولا ناسياً... والصحيح رواية ابن وهب، ولا حجة في ظاهر القرآن، لأن الله سبحانه وتعالى إنما بين في آية الوضوء صفة الوضوء خاصة، وللصلاة شروط: من استقبال الكعبة، وستر العورة، وإزالة النجاسة... ويبان كل شرط منها في موضعه... (٢)

فأنت ترى أنه لا يبيل إلى رواية أشهب عن مالك، ولا يرى في ظاهر الآية ما يشهد له.

طرف من تعصبه لمذهبه:

وإن أردت أن أضع يدك على شيء من تعصب ابن العربي، فانظر إليه عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (٨٦) من سورة النساء، وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها... الآية، حيث يقول: (المسألة السابعة) إذا

كان الرد فرضاً بلا خلاف ، فقد استدل علماؤنا على أن هذه الآية دليل على وجوب الثواب في الهبة للعين ، وكما يلزمه أن يرد مثل التحية يلزمه أن يرد مثل الهبة : وقال الشافعي : ليس في هبة الأجنبي ثواب . . . وهذا فاسد ، لأن المرء ما أعطى إلا ليعطى ، وهذا هو الأصل فيها ، وإنا لا نعمل عملاً لمولانا إلا ليعطينا ، فكيف بعضنا لبعض . . . (١) هـ .

حلمته على مخالفي مذهبه :

وإن أردت أن تقف على ميلغ قسوته على أئمة المذاهب الأخرى وأتباعهم ، فانظر إليه عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٢٣٩) من سورة البقرة ، الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا بما آتيتموهن شيئاً . . . الآية ، حيث يقول : ( المسألة الرابعة عشرة ) هذا يدل على أن الخلع طلاق ، خلافاً لقول الشافعي في القديم إنه فسخ . وفائدة الخلاف أنه إن كان فسخاً لم يعد طلاقاً . قال الشافعي : لأن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين وذكر الخلع بعده ، وذكر الثالث بقوله تعالى ، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، . . . وهذا غير صحيح ، لأنه لو كان كل المذكور في معرض هذه الآيات لا يعد طلاقاً لوقوع الزيادة على الثلاث لما كان قوله تعالى ، أو تسريح بإحسان ، طلاقاً ، لأنه يزيد به على الثلاث ، ولا يفهم هذا إلا غبي أو متغاب ، . الخ (٢) .

وانظر إليه عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٤٣) من سورة النساء . . . وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً . . . الآية ، حيث يقول : « المسألة الثامنة والعشرون ، قوله تعالى : وماء ، قال أبو حنيفة : هذا نفى في نكرة وهو يعم لغة ، فيكون مصيداً جواز الوضوء بالماء المتغير . وغير المتغير لانطلاق أمم الماء عليه .. قلنا : استنوق الجمل إلى أن يستدل أصحاب أبي حنيفة باللغات ، ويقولون على السنة العرب وهم يتبذونها

في أكثر المسائل بالعراء . وعلّموا أن النفي في النكرة يعم كما قلتم ، ولكن في الجنس ، فهو عام في كل ما كان من سماء ، أو بئر ، أو عين ، أو نهر ، أو بحر ، عذب أو ملح ، فأما غير الجنس فهو المتغير فلا يدخل فيه ، كما لم يدخل فيه ماء الباقلاء . . . . . ١هـ (١) .

ونجد في موضع من كتابه يرمي أبا حنيفة بأنه كثيراً ما يترك الظواهر والنصوص للأقيسة (٢) ، ويقول عنه في موضع آخر إنه ( سكن دار الضرب فكثرت عنده المدلس ، ولو سكن المعدن كما قبض الله لملك ، لما صدر عنه إلا لم يرز الدين وإكسير الملة ، كما صدر عن مالك (٣) ) ١هـ .

وانظر إليه عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم . . . الآية » ، حيث يقول في تعريض ساخر : ( المسألة الحادية عشرة ) قوله عز وجل « فاغسلوا » وظن الشافعي - وهو عند أصحابه معد بن عدنان في الفصاحة به أبي حنيفة وسواه - أن الغسل صب الماء على المغسول من غير عرك ، وقد بينا فساد ذلك في مسائل الخلاف . وفي سورة النساء ، وحققنا أن الغسل مس اليد مع إمرار الماء ، أو ما في معنى اليد (٤) ١هـ .

وانظر إليه عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة النساء . . . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا ، حيث يقول : ( المسألة الثانية عشرة ) قوله تعالى « ذلك أدنى ألا تعدلوا » ، اختلف الناس في تأويله على ثلاثة أقوال : الأول : أن لا يكثروا عيالكم . . . قاله الشافعي . الثاني . أن لا تضلوا . . . قاله مجاهد . الثالث : أن لا تملوا . . . قاله ابن عباس .

(١) ج١ ص ١٨٦

(٢) ج١ ص ١٧٦

(٣) ج١ ص ٣١٨

(٤) ج١ ص ٢٣٢

والناس . . قلنا : أعجب أصحاب الشافعي . بكلامه هذا ، وقالوا هو حجة ،  
لمنلة الشافعي في اللغة ، وشهرته في العربية ، والاعتراف له بالفصاحة ، حتى لقد قال  
الجويني : هو أفصح من نطق بضاد ، مع غوصه على المعاني ومعرفة بالآصول . .  
واعتقدوا أن معنى الآية : فأنكحوا واحدة إن خفتن أن يكثر عيالكم ، فذلك  
أقرب إلى أن تنتفي عنكم كثرة العيال . . قال ابن العربي : ( كل ما قال الشافعي ،  
أو قيل عنه ، أو وصف به ، فهو كله جزء من مالك ونعمة من بحره ، ومالك  
أوعى سمعا ، وأثقب فهما ، وأفصح لسانا ، وأبرع بيانا ، وأبدع وصفاً ،  
ويدلك على ذلك مقابلة قول بقول في كل مسألة وفصل ) ثم تكلم بعد ذلك  
عن معنى لفظ «عال» في اللغة . ثم قال : ( والفعل في كثرة العيال رباعى لمدخل  
له في الآية ، فقد ذهب الفصاحة ، ولم تنفع الضاد المنطوق بها على  
الاختصاص . ) اهـ (٧) .

وانظر إليه عندما تعرض لقوله تعالى في سورة النساء د ومن لم يستطع  
منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات . . الآية ، حيث يقول : ( المسألة  
الخامسة ) قال أبو بكر الرازي إمام الحنفية في كتاب أحكام القرآن : ليس  
نكاح الأمة ضرورة ، لأن الضرورة ما يخاف منه تلف النفس ، أو تلف عضو ،  
وليس في مسألتنا شيء من ذلك . قلنا : هذا كلام جاهل بمنهاج الشرع ،  
أو منهمك لا يبالي بموارد القول . نحن لم نقل إنه حكم نيط بالضرورة ، إنما قلنا :  
إنه حكم علق بالرخصة المقرونة بالحاجة ، وأكل واحد منهما حكم يختص به ،  
وحالة يعتبر فيها ، ومن لم يفرق بين الضرورة والحاجة التي تكون معها الرخصة ،  
فلا يعني بالكلام معه ، فإنه معاند أو جاهل ، وتقرير ذلك إلتعاب للنفس عند  
من لا ينتفع به ) (٢) اهـ .

فأنت ترى من هذه الأمثلة كلها . أن الرجل ليس عرف اللسان مع الأئمة ،

ولا مع أتباعهم ، وهذه ظاهرة من ظواهر التعصب المذهبي ، الذي يقود صاحبه إلى ما لا يليق به ، ويدفعه إلى الخروج عن حد اللطافة والسكينة .

احتكامه إلى اللغة :

ثم إن المؤلف - رحمه الله - كثيراً ما يحتكم إلى اللغة في استنباط المعاني من الآيات ، وفي الكتاب من ذلك أمثلة كثيرة يمكن الرجوع إليها بسهولة (١) .

كراهته للإسرائيليات :

كما أنه شديد النفرة من الخوض في الإسرائيليات ، ولذلك عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٦٧) من سورة البقرة « إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .. الآية » نجده يقول : (المسألة الثانية) في الحديث عن بني إسرائيل : كثر استرسال العلماء في الحديث عنهم في كل طريق ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » ، ومعنى هذا الخبر : الحديث عنهم بما يخبرون به عن أنفسهم وفصصهم ، لا بما يخبرون به عن غيرهم ؛ لأن أخبارهم عن غيرهم مفتقرة إلى العدالة وللثبوت إلى منتهى الخبر ، وما يخبرون به عن أنفسهم ، فيكون من باب إقرار المرء على نفسه أو قومه ، فهو أعلم بذلك ، وإذا أخبروا عن شرع لم يلزم قبوله ، ففي رواية مالك عن عمر رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أمسك مصحفاً قد تشرمت حواشيه ، فقال ما هذا ؟ قلت : جزء من التوراة ، فغضب وقال : والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي (٢) ٥١ .

(١) انظر ما قاله عند تفسير قوله تعالى في سورة النساء « ذلك أذن ألاتمولوا » ج ١ ص ١٣١ ، وما قاله عند تفسير قوله تعالى في سورة النساء أيضاً « فاهجروهن في

المضاجع » ج ١ ص ١٧٥

(٢) ج ١ ص ١١

نفرته من الأحاديث الضعيفة :

كذلك نجد ابن العربي شديد النفرة من الأحاديث الضعيفة ، وهو يحذر منها في تفسيره هذا ، فيقول لأصحابه بعد أن بين ضعف الحديث القائل بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع مرة وقال : هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به ، وتوضع مرتين مرتين ، وقال : من توضع مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين ، ثم توضع ثلاثا ثلاثا وقال : ( هذا وضوءى ووضوء الأنبياء من قبلى ، ووضوء أبى إبراهيم ) يقول لهم بعد ما بين ضعف هذا الحديث : ( وقد ألقيت إليكم وصيتي فى كل ورقة ومجلس ، أن لا تشتغلوا من الأحاديث بما لا يصح سنده .. ) اهـ (١) .

هذا والكتاب مطبوع فى مجلدين كبيرين ، ومتداول بين أهل العلم .



## ٤ - الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله القرطبي ( المالكي )

ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا التفسير : هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح - يأسكان الراء والحاء المهملة - الأنصاري ، الحزر جي ، الأندلسي ، القرطبي المفسر .

كان - رحمه الله - من عباد الله الصالحين ، والعلماء العارفين ، الزاهدين في الدنيا ، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة ، وبلغ من زهده أن اطرح التكلف ، وصار يمشي بثوب واحد وعلى رأسه طاقية ، وكانت أوقاته كلها معمورة بالتوجه إلى الله وعبادته تارة ، وبالتصنيف تارة أخرى ، حتى أخرج للناس كتباً انتفعوا بها . ومن مصنفاته : كتابه في التفسير المسمى بالجامع لأحكام القرآن ، وهو ما نحن بصده ، وشرح أسماء الله الحسنى ، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار ، وكتاب التذكرة بأمور الآخرة ، وكتاب شرح التقصى ، وكتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة . قال ابن فرحون : لم أقف على تأليف أحسن منه في بابيه . وله كتب غير ذلك كثيرة ومفيدة .

سمع من الشيخ أبي العباس بن عمر القرطبي ، مؤلف المفهم في شرح صحيح مسلم بعض هذا الشرح ، وحدث عن أبي علي الحسن بن محمد البكري ، وغيرهما . وكان مستقراً بمعية ابن خصيب ، وتوفي ودفن بها في شوال سنة ٥٦٧١ هـ لإحدى وسبعين وستائة من الهجرة ، رحمه الله رحمة واسعة (١) .

---

(١) انظر الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

وصف العلامة ابن فرحون هذا التفسير فقال: (هو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا ، أسقط منه القصص والتواريخ ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة ، وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ<sup>(١)</sup>) وذكر المؤلف رحمه الله في مقدمة هذا التفسير السبب الذي حمله على تأليفه ، والطريق الذي رسمه لنفسه ليسير عليه فيه ، وشروطه التي اشترطها على نفسه في كتابه فقال : (وبعد ، فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجمع علوم الشرع الذي استقل بالسنة والفرض ، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ، رأيت أن أستغل به مدى عمري ، وأستفرغ فيه مني<sup>(٢)</sup> ) ، بأن أكتب فيه تعليقا وجيزا يتضمن نكتا من التفسير ، واللغات ، والإعراب ، والقراءات ، والرد على أهل الزيغ والضلالات ، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات ، جامعا بين معانيها . ومبين ما أشكل منها بأقوال السلف ومن تبعهم من الخلف . . . . . وشرطى في هذا الكتاب : إضافة الأقوال إلى قائلها ، والأحاديث إلى مصنفها ؛ فإنه يقال : من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله ، وكثيرا ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهما ، لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث ، فيبقي من لا خبرة له بذلك حائرا لا يعرف الصحيح من السقيم ، ومعرفة ذلك علم جسيم . فلا يقبل منه الاحتجاج به ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من أخرجه من الأئمة الأعلام ، والثقات المشاهير من علماء الإسلام ، ونحن نشير إلى جمل من ذلك في هذا الكتاب ، والله الموفق للصواب . وأضرب عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ، إلا ما لا بد منه ، وما لا غنى عنه للتبيين ، واعتضت من ذلك تبيين آى الأحكام ، بمسائل تفسر عن معناها ، وترشد الطالب إلى مقتضاها ، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكيمين فما زاد مسائل أبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول ،

(١) الديباج المذهب ص ٣١٧

(٢) النة : القوة .

والتفسير ، والغريب ، والحكم . فإن لم تتضمن حكما ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل . . . وهكذا إلى آخر الكتاب ، وسميته بالجامع لأحكام القرآن ، والمبين لما تضمنه من السنة وأحكام الفرقان . . . ) اهـ (١)

والذي يقرأ في هذا التفسير يجد أن القرطبي - رحمه الله - مد وفي بما شرط على نفسه في هذا التفسير ، فهو يعرض لذكر أسباب النزول ، والقراءات ، والإعراب ، وبين الغريب من ألفاظ القرآن ، ويحتكم كثيراً إلى اللغة ، ويكثر من الاستشهاد بأشعار العرب ، ويرد على المعتزلة ، والقدرية ، والروافض ، والفلاسفة ، وغلاة المتصوفة ، ولم يسقط القصص بالمرّة ، كما تفيد عبارة ابن فرحون : بل أضرب عن كثير منها ، كما ذكر في مقدمة تفسيره ، ولهذا نلاحظ عليه أنه يروى أحيانا ما جاء من غرائب القصص الإسرائيلية .

هذا . . . وإن المؤلف - رحمه الله - ينقل عن السلف كثيراً مما أثر عنهم في التفسير والأحكام ، مع نسبة كل قول إلى قائله وفاء بشرطه ، كما ينقل عن تقدمه في التفسير ، خصوصاً من ألف منهم في كتب الأحكام ، مع تعقيبه على ما ينقل منها . وعن ينقل عنهم كثيراً : ابن جرير الطبري ، وابن عطية ، وابن العربي ، والكنيا الهراسي ، وأبو بكر الجصاص .

وأما من ناحية الأحكام ، فإننا نلاحظ عليه أنه يفحص في ذكر مسائل الخلاف ما تعلق منها بالآيات عن قرب ، وما تعلق بها عن بعد ، مع بيان أدلة كل قول .

إنصاف القرطبي وعدم تعصبه :

وخير ما في الرجل أنه لا يتعصب لمذهبه المالكى ، بل يمشى مع الدليل حتى يصل إلى ما يرى أنه الصواب أياً كان قائله .

فتلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٤٣) من سورة البقرة : « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ، نجده عند المسألة السادسة عشرة

من مسائل هذه الآية يعرض لإمامة الصغير ، ويذكر أقوال من يجيزها ومن يمنعها ، ويذكر أن من المانعين لها جملة : مالكا ، والثوري ، وأصحاب الرأي ، ولكننا نجده يخالف إمامه لما ظهر له من الدليل على جوازها ، وذلك حيث يقول : ( قلت : إمامة الصغير جائزة إذا كان قارئا ، ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن سبلة قال : كنا بماء يمر الناس ، وكان يمر بنا الناس فنسألهم ما للناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله ... أوحى إليه كذا .. أوحى إليه كذا ، فكنت أحفظ هذا الكلام ، فكأما يقر في صدري ، وكانت العرب تلوم بإسلامها فيقولون : اتركوه وقومه ؛ فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند نبي الله حقا .. قال : صلوا صلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدم ، وليؤمكم أكثركم قرآنا ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر مني قرآنا ، لما كنت أتلقى من الركبان .. فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة إذا سجدت تقلصت عنى فقالت امرأة من الحى : ألا تفظون عنا إست قارئكم ؟ فاشتروا ، ففقطعوا لي قميصا ، فافرحت بشىء فرحى بذلك القميص ) اه (١)

ومثلا عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ١٧٣ ) من سورة البقرة . . . فن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه . . . ، نراه يعقد المسألة الثانية والثلاثين من مسائل هذه الآية في اختلاف العلماء فيمن اقترن بضروره معصية ، فيذكر أن مالكا حظر ذلك عليه ، وكذا الشافعى في أحد قوليهِ . . . وينقل عن ابن العربي أنه قال : ( عجبا من يبيح له ذلك مع التماذى على المعصية ، وما أظن أحداً يقوله : فإن قاله فهو مخطيء قطعاً ) ثم يعقب القرطبي على هذا كله فيقول : ( قلت : الصحيح خلاف هذا ، فإن إتلاف المرء نفسه في سفر المعصية أشد معصية مما هو فيه ، قال الله تعالى في الآية ( ٢٩ ) من سورة النساء « ولا تقتلوا أنفسكم ، وهذا عام ، ولعله يتوب في ثانی الحال ، فتمحو التوبة عنه ما كان . . . » (٢) اه

ومثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٨٥) من سورة البقرة و شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... الآية ، نجده يعقد المسألة السابعة عشرة من المسائل التي تتعلق بهذه الآية في اختلاف العلماء في حكم صلاة عيد الفطر في اليوم الثاني ، فيذكر عن ابن عبد البر أنه لا خلاف عن مالك وأصحابه أنه لا تصلي صلاة العيد في غير يوم العيد ، ويذكر عنه أيضاً أنه قال : ( لو قضيت صلاة العيد بعد خروج وقتها لأشبهت الفرائض ، وقد أجمعوا في سائر السنن أنها لا تقضى ، فهذه مثلها ) ثم يعقب القرطبي على هذا فيقول : ( قلت : والقول بالخروج - يعني لصلاة العيد في اليوم الثاني - إن شاء الله أصح ، للسنة الثابتة في ذلك ، ولا يمتنع أن يستثنى الشارع من السنن ما شاء ، فيأمر بقضائه بعد خروج وقته ، وقد روى الترمذي عن أنى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعد ما تطلع الشمس ) ... قلت : وقد قال علماؤنا : من ضاق عليه الوقت ، وصلى الصبح ، وترك ركعتي الفجر ، فإنه يصلهما بعد طلوع الشمس إن شاء ، وقيل لا يصلهما حينئذ . ثم إذا قلنا يصلهما .. فهل ما يفعله قضاء ؟ أو ركعتان ينوب له ثوابهما عن ثواب ركعتي الفجر ؟ قال الشيخ أبو بكر : وهذا الجاري على أصل المذهب ، وذكر القضاء تجوز . قلت : ولا يبعد أن يكون حكم صلاة الفطر في اليوم الثاني على هذا الأصل ، لاسيما مع كونها مرة واحدة في السنة ، مع ما ثبت من السنة : ثم روى عن النسائي بسنده ( أن قوما رأوا الهلال فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يفطروا بعد ما ارتفع النهار ، وأن يخرجوا إلى العيد من الغد . وفي رواية : ويخرجوا المصلاهم من الغد ) (١) . ٥١ .

ومثلاً نجده عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٧٨) من سورة البقرة « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم .. الآية ، نجده في المسألة الثانية عشرة من مسائل هذه الآية يذكر خلاف العلماء في حكم من أكل في نهار رمضان ناسياً ... فيذكر عن مالك أنه يفطر وعليه القضاء ، ولكنه لا يرضى ذلك الحكم

فيقول : ( وعند غير مالك ليس بمفطر كل من أكل ناسياً لصومه . قلت : وهو الصحيح ، وبه قال الجمهور إن من أكل أو شرب ناسياً فلا قضاء عليه . وإن صومه تام ، لحديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إذا أكل الصائم ناسياً أو شرب ناسياً فإنما هو رزق ساقاه الله تعالى إليه ، ولا قضاء عليه... (١) ) اه .

ومثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (٢٣٦) من سورة البقرة ، لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضا لهن فريضة ومتعهوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين ، نجده يذكر في المسألة السادسة من مسائل هذه الآية اختلاف العلماء في حكم المتعة ، فيذكر من يقول بوجوبها ، ويذكر من يقول بندها ، ويعد في ضمن القائلين بالنده مالكاً رحمه الله . ثم يقول : ( تمسك أهل القول الأول بمقتضى الأمر ، وتمسك أهل القول الثاني بقوله تعالى « حقاً على المحسنين » ، و « على المتقين » ، ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين والقول الأول أولى ؛ لأن عمومات الأمر بالإمتناع في قوله « متعهوهن » ، وإضافة الإمتناع إليهن بلام التمليك في قوله « وللمطلقات متاع » ، أظهر في الوجوب منه في النده . وقوله « على المتقين » ، تأكيد لإيجابها ؛ لأن كل واحد يجب عليه أن يتقى الله في الإشراف به ومعاصيه ، وقد قال تعالى في القرآن في الآية (٢) من سورة البقرة « هدى للمتقين (٢) » ) اه .

موقفه من حملات ابن العربي على مخالفيه :

كذلك نجد القرطبي - رحمه الله - كثيراً ما يدفعه الإنصاف إلى أن يقف موقف الدفاع عن مهاجمهم ابن العربي من المخالفين ، مع توجيه اللوم إليه أحياناً ، على ما يصدر منه من عبارات قاسية في حق علماء المسلمين ، الذاهبين إلى ما لم يذهب إليه .

(١) ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) ج ٣ ص ٢٠٠ .

فمثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة النساء . . . ذلك أدنى ألا تعولوا، نراه يروى عن الشافعي أنه فسرها على معنى ألا تكثروا عيالكم ثم يقول : ( قال الثعلبي : وما قال هذا غيره وإنما يقال : أعال بعيل إذا كثرت عياله ، وزعم ابن العربي : أن عال على سبعة معان لا ثامن لها ، يقال : عال : مال ، الثاني : زاد . الثالث . جار . الرابع . افتقر . الخامس : أنقل .. حكاه ابن دريد . قالت الخنساء : (ويكفي العشيبة ما عاها) . السادس : عال قام بمؤنة العيال ، ومنه قوله عليه السلام « وابدأ بمن تعول » . السابع . عال . غلب ، ومنه عيل صبره أي غلب ، ويقال : أعال الرجل : كثرت عياله . وأما عال بمعنى كثرت عياله فلا يصح ، قلت : أما قول الثعلبي ( ما قاله غيره ) فقد أسنده الدارقطني في سننه عن زيد بن أسلم ، وهو قول جابر بن زيد . . فهذان إمامان من علماء المسلمين وأئمتهم قد سبقا الشافعي إليه . وأما ما ذكره ابن العربي من الحصر وعدم الصحة فلا يصح . وقد ذكرنا . عال الأمر اشتد وتفاهم . . حكاه الجوهري . وقال الهروي في غريبه : (وقال أبو بكر : يقال عال الرجل في الأرض يعيل فيها إذا ضرب فيها . وقال الأحمر : يقال : عالني الشيء يعينني عيلا ومعيل إذا أعجزك وأما عال كثرت عياله فذكره الكسائي وأبو عمرو الدوري وابن الأعرابي . قال الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة : العرب تقول : عال يعول وأعال يعيل أي كثرت عياله . وقال أبو حاتم : كان الشافعي أعلم بلغة العرب منا . . ولعله لغة . قال الثعلبي المفسر : قال أستاذنا أبو القاسم ابن حبيب : سألت أبا عمرو الدوري عن هذا - وكان إماماً في اللغة غير مدافع - فقال هي لغة حمير وأنشد :

وإن الموت يأخذ كل حي بلا شك وإن أمشي وعالا

يعني : وإن كثرت ما شيتته وعياله . وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد كثرت وجوه العرب حتى خشيت أن آخذ على لاحن لحناً . وقرأ طلحة بن مصرف : ألا تعيلوا وهي حجة الشافعي رضي الله عنه . وقدح الزجاج وغيره في تأويل عال من العيال بأن قال : إن الله تعالى قد أباح كثرة السراري وفي ذلك تكثير العيال . فكيف يكون أقرب إلى ألا تكثروا العيال ؟ وهذا القدح غير صحيح ، لأن

السرارى إنما هى مال يتصرف فيه بالبيع ، وإنما القادح : الحرائر ذوات الحقوق الواجبة . وحكى ابن الأعرابى : أن العرب تقول : عال الرجل إذا كثر عياله<sup>(١)</sup> . اهـ .

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى فى الآية (٦٧) من سورة النحل ، ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرأ ورزقأ حسناً ، نراه يعيب على ابن العربى تشنيعه على من يقول من الحنفية وغيرهم بحل النبيذ ، وجعله إياهم مثل أغبياء الكفار فيقول : ( وهذا تشنيع شنيع ، حتى يلحق فيه العلماء الأختيار فى تصور الفهم بالكفار<sup>(٢)</sup> ) . اهـ .

وعلى الجملة . فإن القرطبى رحمه الله فى تفسيره هذا حر فى بحثه ، نزيه فى نقده ، عف فى مناقشته وجدله ، ملم بالتفسير من جميع نواحيه ، بارع فى كل فن استطرده إليه وتكلم فيه .

أما الكتاب فقد كان الناس محرومين منه إلى زمن قريب ، ثم أراد الله له الذبوع بين أولى العلم فقامت دار الكتب المصرية بطبعه ، فتم منه إلى الان أربعة عشر جزءاً انتهى بآخر سورة فاطر ، وعسى أن يعجل الله بإتمام ما بقى منه . حتى يتم به النفع إنه سميع مجيب<sup>(٣)</sup> .

(١) ج ٥ ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) ج ١٠ ص ١٣٠ .

(٣) وتد حقق الله الرجاء وتم طبع الكتاب كما قدمنا .



## هـ - كنز العرفان في فقه القرآن لمقداد السيوري ( من الإمامية الاثني عشرية )

### ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا التفسير ، هو مقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن محمد السيوري<sup>(١)</sup> أحد علماء الإمامية الاثني عشرية، والمعروف بينهم بالعلم، والفضل والتحقيق ، والتدقيق وله مؤلفات كثيرة ، منها : تفسيره هذا ؛ ومنها التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائح ، وشرح مبادئ الاصول ... وغير ذلك ، وكان في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري<sup>(٢)</sup> .

### التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يتعرض هذا التفسير لآيات الأحكام فقط، وهو لا يتمشى مع القرآن سورة سورة على حسب ترتيب المصحف ذاكر أما في كل سورة من آيات الأحكام كما فعل الجصاص وابن العربي مثلاً ، بل طريقته في تفسيره : أنه يعقد فيه أبواباً كأبواب الفقه، ويدرج في كل باب منها الآيات التي تدخل تحت موضوع واحد فمثلاً يقول : باب الطهارة ، ثم يذكر ما ورد في الطهارة من الآيات القرآنية ، شارحاً كل آية منها على حدة ، مبيناً ما فيها من الأحكام على حسب ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية في فروعهم ، مع تعرضه للمذاهب الأخرى، وورده على من يخالف ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية .

هذا . وإن طريقته التي يسلكها في تدعيم مذهبه وترويجه ، وإبطال مذهب مخالفه ، لا تخرج عن أمرين اثنين :  
أولهما : الدليل العقلي .

(١) السيوري : نسبة إلى السبور ؛ وهو ما يقصد من الجلد؛ أو إلى بلد من بلاد اليمن كما في روصات الجنات .  
(٢) انظر روصات الجنات ص ٥٦٦ - ٥٦٧ .  
( ٣٠ - التفسير والمفسرون ٢ )

ثانيتها : دعوى أن ما ذكره هو ما ذهب إليه أهل البيت .  
أما الدليل العقلي ، فيندر أن يسلم له كسند يستند إليه في صحة ما يشذ به .

وأما دعوى أن ما ذكره هو ما ذهب إليه أهل البيت ، فنلك دعوى كثيراً  
ما تكون كاذبة ، يلجأ إليها الشيعة عندما يعوزهم الدليل ، وتخونهم الحجة . وإليك  
بعض ما جاء في هذا التفسير لتقف على مقدار شذوذ صاحبه .

فمثلاً عند قوله تعالى في الآية (٤٣) من سورة النساء . . . وإن كنتم مرضى  
أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا  
صعيداً طيباً . . . يقول : ( . . . تيمموا أى فتعمدوا واقصدوا صعيداً طيباً ،  
أى شيئاً من وجه الأرض كقوله « صعيداً زلقاً »<sup>(١)</sup> ، طيباً : أى طاهراً ، ولذلك  
قال أصحابنا : لو ضرب التيمم يده على حجر صلب ومسح : أجزأه ، وبه قالت  
الحنفية . وقالت الشافعية : لا بد أن يعلق باليد شيء ، لقوله « فامسحوا بوجوهكم  
وأيديكم منه »<sup>(٢)</sup> ، وفيه نظر ، لجواز كون من هنا ابتدائية . والوجه : المراد  
بعضه ، وهو الجهة عند أكثر أصحابنا ، إما لكون الباء للتبعية . أو للنصوص  
عن أهل البيت عليهم السلام . فمسح الجهة إلى طرف أفضه الأعلى . وكذا المراد  
باليدين : ظهر اليد من الزند إلى أطراف الأصابع . ) اهـ<sup>(٣)</sup>

ويقول عندما تعرض لآية التيمم في سورة المائدة : (وتجب ضربة واحدة للوضوء  
واثنان للغسل) ثم يرد على الحنفية والشافعية القائلين بأن التيمم ضربتان : واحدة للوجه  
وأخرى لليدين ، وأن المراد بالوجه كله ، وباليدين إلى المرفقين . . . يرد عليهم فيقول :  
(وروايات أهل البيت تدفع ذلك<sup>(٤)</sup>) .

وعندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٢٣٠) من سورة البقرة . . . فلا تحل  
له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، يقول : ( . . . مدلول الآية أنه إذا طلقها الزوج

(١) في الآية (٤٠) من سورة الكهف (٢) في الآية (٦) من سورة المائدة

عقيب الطائنين تنكح زوجها غير ذلك المطلق وهذا الحكم عند أصحابنا مخصوص بما عدا طلاق العدة ، فإن ذلك يحرم في التاسعة أبداً - وطلاق العدة هو أن يطلق المدخول بها على الشرائط ثم يراجعها في العدة ثم يطلقها مرة ثانية ويفعل كما فعل أولاً ، ثم يطلقها ثالثة ، فإذا فعل ذلك ثلاثة أدوار حرمت عليه عندهم أبداً (١) ١٥١ ،

وهكذا يسير المؤلف بهذا الشذوذ في كثير من الأحكام ، وبهذا التعسف والتخبط في فهم نصوص القرآن ، والذي يقرأ الكتاب يرى الكثير من ذلك ، ويعجب من محاولاته الفاشلة في استنباط ما يشذ به من الآيات التي تجبهه ، ولا يمكن أن تتمشى مع مذهبه بحال من الأحوال . هذا ، وإن الكتاب مطبوع على هامش تفسير الحسن العسكري ، وموجود بدار الكتب .

## ٦ - الثمرات الياصرة والأحكام الواضحة القاطعة

ليوسف الثلاثي (الزبيدي)

ترجمة المؤلف :

مؤلف هذا التفسير هو شمس الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن عثمان الثلاثي ، الزبيدي الفقيه ، أحد أصحاب الإمام المهدي ، وأحد أساطين العلم وجبال التحقيق عند أصحابه . ارتحل الناس إليه من الأقطار إلى ثلا ، وكان إذا قرأ امتلأ الجامع بالطلبة ، وباقيهم بكتبهم في الطاقات من خارج المسجد .

أخذ عن الفقيه حسن النحوي ، وله تصانيف ، منها : الزهور والرياض ، والثمرات الياصرة ، وهو أجل مصنف عند الزيدية ، وهو ما نحن بصدده الآن ، توفي رحمه الله بثلا في شهر جمادى الآخرة سنة ١٨٣٢ هـ ثنتين وثلاثين وثمانمائة من الهجرة (١) .

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه :

يقع هذا التفسير في ثلاثة أجزاء كبار ، ومنه نسخة خطية كاملة بدار الكتب المصرية ، ويوجد بالمكتبة الأزهرية الجزء الثاني فقط ، وهو منخطوط في مجلد كبير ، يبدأ من قوله تعالى في الآية (٤) من سورة المائدة « يسألونك ماذا أحل لهم ... الآية » ، وينتهي عند قوله تعالى في الآية (٣٦) من سورة النور « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » .

قرأت في هذا التفسير فوجدت المؤلف يقتصر على آيات الأحكام ، متمشياً مع ترتيب المصحف في سورة وآياته ، يذكر الآية أولاً . ثم يذكر ما ورد في سبب نزولها إن كان لها سبب ، ثم يقول : وهذه الآية ثمرات . هي أحكام شرعية : الأولى : كذا والثانية : كذا ... إلى أن ينتهي من كل ما يتعلق بالآية من الأحكام .

### اعتماد المؤلف على الروايات التي لا تصح :

ويلاحظ على هذا التفسير أن مؤلفه لا يتحرى الصحة فيما ينقله من الأحاديث . وما يذكره من ذلك يمر عليه مرأ سارياً بدون أن يعقب عليه بكلمة واحدة تشعر بضعف الحديث أو وضعه ، فثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٥٥ ) من سورة المائدة : إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ، نراه يذكر الروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية ، ويذكر ضمن ما يذكر : أنها نزلت في علي بن أبي طالب لما تصدق بخاتمه في الصلاة وهو راکع (١) . وقد علمنا أن هذه رواية موضوعية لا أساس لها من الصحة ، ولكن المؤلف يذكرها ، ثم يأخذ في تفريع الأحكام على هذه القصة المكذوبة ، كأنها عنده من الثابت الصحيح .  
تقديره لكشاف الزمخشري :

كذلك يلاحظ على المؤلف في تفسيره هذا أنه كثير النقل عن الكشاف للزمخشري ، مما يدل على أنه معجب به وبتفسيره إلى حد كبير ، ولعل ذلك ناشيء عما بين الرجلين من صلة التمدب بمذهب الاعتزال .  
مسلكه في أحكام القرآن :

أما مسلك المؤلف في أحكام القرآن ، فإنه يسرد أقوال السلف والخلف في المسألة ، فيعرض لما ورد عن الصحابة والتابعين ، ويعرض لمذهب الشافعية ، والحنفية ، والمالكية ، والظاهرية ، والإمامية . . وغيرهم من فقهاء المذاهب ، ذاكراً لكل مذهب دليبه ومستنده في الغالب . كما يذكر بعناية خاصة مذهب الزيدية واختلاف علمائهم في المسألة التي يعرض لها ، مع الإفاضة في بيان أدلتهم التي استندوا إليها ، والرد على من يخالفهم فيما يذهبون إليه . كل هذا بدون أن نلاحظ على الرجل شيئاً من القدح في مخالفته ، كما يفعل غيره من سبق الكلام عنهم . وإليك بعض ما جاء في هذا التفسير لتقف على مقدار دفاع المؤلف عن مذهبه ، وعمله على تأييده بالبراهين والأدلة .

### رأيه في نكاح الكتابيات :

فثلا عند ماتعرض لقوله تعالى في الآية (٥) من سورة المائدة « اليوم أحل لكم الطيبات ... (إلى قوله) والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن ... الآية » ، نراه يعرض لأقوال العلماء في حكم نكاح الكتابيات فيقول : ( ... ظاهر الآية جواز نكاح الكتابية ، وهذا مذهب أكثر الفقهاء والمفسرين ، ورواية عز زيد بن علي ، والصادق ، والباقر ، واختاره الإمام يحيى بن حمزة وقال : إنه لإجماع الصدر الأول من الصحابة ، وإن عثمان قد نكح نائلة بنت الفرافصة وهي نصرانية ، فلما توفي عثمان خطبها معاوية ، فقالت : وما يعجبك مني ؟ قال ثنيانك ، فقلعتنما وأمرت بهما إليه ، ونكح طلحة نصرانية ، ونكح حذيفة يهودية . وقال القاسم ، والهادي ، والناصر ، ومحمد بن عبد الله ، وعامة القاسمية ، وهو مروى عن ابن عمر : أنه لا يجوز لمسلم نكاح كافرة كتابية كانت أو غيرها ، واحتجوا بقوله تعالى في سورة البقرة « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن <sup>(١)</sup> . قالوا : هذا في المشركات لا في الكتابيات . قلنا : اسم المشرك ينطلق على أهل الكتاب ، بدليل قوله تعالى . بعد ذكر اليهود والنصارى في قوله « اتخذنا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... (إلى قوله تعالى) سبحانه وتعالى عما يشركون <sup>(٢)</sup> ، وعن ابن عمر : لا أعلم شركا أعظم من قول النصارى إن ربها عيسى . وعن عطاء : قد كفر الله المسلمين ، وإنما رخص لهم يومئذ . قالوا : إنه تعالى عطف أحدهما على الآخر فدل أنهما غيران حيث قال تعالى « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين <sup>(٣)</sup> ، قلنا : هذا كقوله تعالى « الوصية للوالدين والأقربين <sup>(٤)</sup> ، قالوا : الآية مصرحة بالجواز في قوله تعالى « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ، قلنا : قوله تعالى في سورة الممتحنة « ولا تنكحوا بعصم الكوافر <sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى في سورة النور (الخبائث للنجيشتين

(١) في الآية (٢٢١)

(٢) أول سورة البينة

(٥) في الآية (١٠)

(٢) الآية (٣١) من سورة التوبة

(٤) في الآية (١٨٠) من سورة البقرة

والحبيثون للخبيثات والطيبين للطيبات (١) ، وقوله تعالى في سورة النساء « ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم (٢) » ، فشرط الإيمان في هذا يقتضى التحريم . فتناول هذه الآية بأنه أراد المحصنات من أهل الكتاب الذين قد أسلموا ، لأنهم كانوا يتكفرون ذلك ، فسامهم باسم ما كانوا عليه . وقد ورد مثل هذا في كتاب الله تعالى . قال الله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به (٣) » ، وقوله تعالى « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفونه أبناءهم (٤) » ، وقوله تعالى « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله .. » (٥) - قالوا : سبب النزول وفعل الصحابة يدل على الجواز ، وإنا نجمع بين الآيات الكريمة فنقول : قوله تعالى « ولا تنكحوا المشركات ، عام ونخصه بقوله تعالى « والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ، أو نقول أراد بالمشركات الوثنيات ، والمحصنات من الذين أتوا الكتاب ما أفاده الظاهر . أو يكون قوله تعالى « والمحصنات ، ناسخا لتحريم الكتابيات بقوله « ولا تنكحوا المشركات » . قلنا : نقل ما ذكرتم بما روى أن كعب بن مالك أراد أن يتزوج بيهودية أو نصرانية فسأل النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال : إنها لا تحصن ما لك . وروى أنه نهاه عن ذلك . وبأنا تناول قوله تعالى « والمحصنات من الذين أتوا الكتاب ، فنجمع ونقول : وتخصيص المشركات بالمحصنات من الذين أتوا الكتاب مترسخ ، والبيان لا يجوز أن يتراخى . قالوا روى جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام أنه قال : أحل لنا ذبائح أهل الكتاب وأحل لنا نساؤهم ، وحرّم عليهم أن يتزوجوا نساءنا . قال في الشفاء : قال علمائنا : هذا حديث ضعيف النقل . قالوا : قوله صلى الله

(١) فى الآية (٢٦) .

(٢) فى الآية (٣٥) .

(٣) فى الآية (٤٨) من سورة المنكيات .

(٤) فى الآية (١٤٦) من سورة البقرة .

(٥) فى الآية (٩٩) من سورة آل عمران .

عليه وآله في المجوس : سنوابهم سنة أهل الكتاب . . . الخبر فأفاد جواز ذبائحهم ، ونكاح نسائهم . قلنا : الجواز منسوخ بأدلة التحريم . ثم إنا نقوى أدلتنا بالقياس ، فنقول : كافرة فأشبهت الحربية ، أو لما حرمت الموارثة حرمت المناكحة ، أو لما حرم نكاح الكافر للسلمة حرم العكس . قالوا : لا حكم للاعتبار مع الأدلة . . . ) اه (١)

### المسح على الخفين :

ومثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة المائدة د يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة . . . الآية ، نراه يعرض لمسألة المسح على الخفين فيقول : ( . . . ) إن المسح على الخفين والجوربين لا يجوز ، وهو مروى عن علي عليه السلام ، وابن عباس ، وعمار بن ياسر ، وأبي هريرة ، وعائشة . وقال عامة الفقهاء . . . . إنه يجوز المسح عليهما . حججتنا هذه الآية ، وهي قوله تعالى د وأرجلكم ، فأمرت بتطهير الرجلين ، والمسح على الخفين لا يكون مطهراً لهما ، وكذلك الأخبار التي دلت على الغسل للقدمين . فأما ما روى أنه صلى الله عليه وآله مسح على الخفين وأمر به ، فهذه الأخبار كانت بمسك وبعد هجرته صلى الله عليه وآله ، ثم نزلت سورة المائدة بعد ذلك فكانت ناسخة ويدل على هذا ما رواه زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال : لما كان في ولاية عمر جاء سعد بن أبي وقاص فقال : يا أمير المؤمنين ما لقيت من عمار ، قال : وما ذلك ؟ قال : خرجت وأنا أريدك ومعى الناس ، فأمرت منادياً فنادى بالصلاة ، ثم دعوت بظهور فتطهرت ومسحت على خفي ، وتقدمت أصلى ، فاعتزني عمار ، فلا هو اقتدى بي ولا هو تركني ، فجعل ينادى من خلفي : يا سعد : أصلاة من غير وضوء ؟ فقال عمر : يا عمار . أخرج مما جئت به ، فقال : نعم . . . كان المسح قبل المائدة ، فقال عمر : يا أبا الحسن ما تقول ؟ قال : أقول إن المسح كان من رسول الله صلى الله عليه وآله



وسلم في بيت عائشة ، والمائدة نزلت في بيتها ، فأرسل عمر إلى عائشة فقالت : كان المسح قبل المائدة ، فقل لعمر : والله لأن يقطع قدماي بعقبهما أحب إلى من أن أمسح عليهما ، فقال عمر : لا نأخذ بقول امرأة ، ثم قال : أنشد الله امرأ أشهد المسح من رسول الله لما قام ، فقام ثمانية عشر رجلا كلهم رأى رسول الله صلى الله عليه وآله يمسح وعليه جبة شامية ضيقة الكمين ، فأخرج يده من تحتها ثم مسح على خفيه ، فقال عمر : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال : سلمهم . . أقبل المائدة أم بعدها ؟ فسألهم ، فقالوا : ما ندري ، فقال علي عليه السلام : أنشد الله امرأ مسلماً علم أن المسح قبل المائدة لما قام ، فقام اثنا عشر رجلاً ، فتفرق القوم وهؤلاء يقولون لا نترك ما رأينا . وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس : والله ما مسح رسول الله بعد المائدة ، ولأن أمسح على ظهر غير بالفلاة أحب إلى من أن أمسح على الخفين . وعن علي عليه السلام سبق : الكتاب الخفين - قيل معناه قطع - وعن أبي هريرة : ما أبالي على خفي مسحت أو على ظهر حمار . ثبت للنسخ بما ذكر . وأما قول جرير : رأيت رسول الله يمسح ، وكان إسلامه بعد المائدة فروايتة لا تقبل مع إنكار أمير المؤمنين ، ولأنه لحق بمعاوية فكان ذلك قدحا . هذا كلام أهل المذهب والمسألة إجماعية من أهل البيت عليهم السلام (١) ه .

وهكذا نجد المؤلف - رحمه الله - يناقش مخالفيه من أصحاب المذاهب الأخرى مناقشة حادة ، وإن دلت على شيء فهو قوة ذهن الرجل ، وسعة اطلاعه . هذا . . ولا يكاد القارئ لهذا التفسير يجد فيه خلافا كثيرا للمذاهب الفقهية الأخرى ، كما هو الشأن في كتب التفسير الفقهية للإمامية الاثني عشرية ، وهذا راجع إلى تقارب وجهات النظر بين الزيدية وأهل السنة في أصول الفقه وفروعه .

## الفصل الثامن

### التفسير العلمي

معنى التفسير العلمي :

نزيد بالتفسير العلمي : التفسير الذى يحكم الاصطلاحات العلمية فى عبارات القرآن . ويجهتد فى استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها .

التوسع فى هذا النوع من التفسير وكثرة القائلين به :

وقد وقع هذا النوع من التفسير ، واتسع القول فى احتواء القرآن كل العلوم ما كان منها وما يكون ، فالقرآن فى نظر أصحاب هذه الطريقة يشمل إلى جانب العلوم الدينية الاعتقادية والعملية ، سائر علوم الدنيا على اختلاف أنواعها ، وتعدد ألوانها .

الإمام الغزالي والتفسير العلمي :

ويظهر لنا - على حسب ما قرأنا - أن الإمام الغزالي كان - إلى عهده - أكثر من استوفى بيان هذا القول فى تفسير القرآن ، وأهم من أيده وعمل على ترويجه فى الأوساط العلمية الإسلامية ، على رغم ما قرر فيها من قواعد فهم عبارات القرآن .

وبين أيدينا كتاب الإحياء للغزالي نتصفحه فنجده يعقد الباب الرابع من أبواب آداب تلاوة القرآن ، فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل . وفيه ينقل عن بعض العلماء ( أن القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم ، إذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف . إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، ووحيد ومطلع<sup>(١)</sup> ) ثم يروى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال (من أراد

(١) الإحياء ج ٣ ص ١٣٥ مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٦ هـ .

علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن (١) ثم يقول بعد ذلك كله : ( وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وأفعال وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها (٢) ) ثم يزيد على ذلك فيقول : ( بل كل ما أشكل فهمه على النظر ، واختلف فيه الخلائق في النظريات ، والمعقولات ، في القرآن إليه رمز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدررها (٣) ) .

ثم إننا نتصفح كتابه ( جواهر القرآن ) الذي ألفه بعد الإحياء كما يظهر لنا من مقدمته ، فنجده يزيد هذا الذي قرره في الإحياء بيانا وتفصيلا ، فيعقد الفصل الرابع منه لكيفية انشعاب العلوم الدينية كلها وما يتصل بها من القرآن عن تقسيمات وتفصيلات تولاها لانطيل بذكرها ، ويكتفى أن نقول : إنه قسم علوم القرآن إلى قسمين :

الأول : علم الصدف والقشر ، وجعل من مشتملاته . علم اللغة . وعلم النحو ، وعلم القراءات ، وعلم مخارج الحروف وعلم التفسير الظاهر .  
والثاني : علم اللباب . وجعل من مشتملاته : علم قصص الأولين ، وعلم الكلام ، وعلم الفقه وعلم أصول الفقه ، والعلم بالله واليوم الآخر ، والعلم بالصرائط المستقيم ، وطريق السلوك (٤) .

ثم يعقد الفصل الخامس منه لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن ، فيذكر علم الطب والنجوم ، وهيئة العالم ، وهيئة بدن الحيوان ، وتشريح أعضائه وعلم السحر ، وعلم الطلسمات . . . وغير ذلك ثم يقول : ( ووراء ما عدته علوم أخرى ، يعلم تراجمها ولا يخلو العالم عن يعرفها ، ولا حاجة إلى ذكرها بل أقول : ظهر لنا بالبصيرة الواضحة التي لا يتارى فيها أن في الإمكان والقوة

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق :

(٤) جواهر القرآن ص ٢١ - ٣١ مطبعة كردستان سنة ١٣٢٩ هـ .

أصنافاً من العلوم بعد لم تخرج من الوجود ، وإن كان في قوة الأدمى الوصول إليها ، وعلوم كانت قد خرجت من الوجود واندرست الآن ، فلن يوجد في هذه الأعصار على بساط الأرض من يعرفها ، وعلوم آخر ليس في قوة البشر أصلاً إدراكها والإحاطة بها ، ويحظى بها بعض الملائكة المقربين ، فإن الإمكان في حق الأدمى محدود ، والإمكان في حق الملك محدود إلى غاية من النقصان ، وإنما الله سبحانه هو الذي لا يتناهى العلم في حقه (١) .

ثم يقول بعد ذلك ( ثم هذه العلوم ما عددنا وما لم نعدنها ، ليست أوائلها خارجه من القرآن ، فإن جميعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة الله تعالى ، وهو بحر الأفعال ، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له ، وأن البحر لو كان مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفذ ، فمن أفعال الله تعالى وهو بحر الأفعال مثلاً - الشفاء والمرض كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم ، وإذا مرضت فهو يشفين (٢) ، وهذا الفعل الواحد لا يعرفه إلا من عرف الطب بكماله ، إذ لا معنى للطب إلا معرفة المرض بكماله وعلاماته ، ومعرفة الشفاء وأسبابه ومن أفعاله تقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما بحسبان وقد قال الله تعالى الشمس والقمر بحسبان (٣) ، وقال د وقدرد منازل لتعلموا عدد السنين والحساب (٤) ، وقال د . . . وخسف القمر وجمع الشمس والقمر (٥) ، وقال د يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل (٦) ، وقال د والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٧) ، ولا يعرف حقيقة سير الشمس والقمر بحسبان

(١) جواهر القرآن ص ٣١ - ٣٢

(٢) الآية (٨٠) من سورة الشعراء

(٣) الآية (٥) من سورة الرحمن

(٤) في الآية (٥) من سورة يونس

(٥) في الآيتين (٨ و ٩) من سورة القيامة .

(٦) في الآية (٦١) من سورة الحج و (٢٩) من سورة لقمان .

(٧) الآية (٣٨) من سورة يس

وخسوفهما ، وولوج الليل في النهار ، وكيفية تكور أحدهما على الآخر إلا من عرف هياكل تركيب السموات والأرض ، وهو علم برأسه ولا يعرف كمال معنى قوله ، يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك في أى صورة ما شاء ركبك (١) . إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً ، وعددها وأنواعها ، وحكمتها ومنافعها . وقد أشار في القرآن في مواضع اليها ، وهى من علوم الأولين والآخرين ، وفي القرآن بجامع علم الأولين والآخرين . وكذلك لا يعرف معنى قوله ، سويته ونفخت فيه من روحى (٢) ، ما لم يعلم التسوية ، والنفخ ، والروح ، ووراءها علوم غامضة يغفل عن طلبها أكثر الخلق ، وربما لا يفهمونها إن سمعوها من العالم بها ، ولو ذهبت أفضل ما تدل عليه آيات القرآن من تفاصيل الأفعال لطال ، ولا يمكن الإشارة إلا إلى مجامعها . . . فتفكر في القرآن ، والتمس غرائبه لتصادف فيه بجامع علم الأولين والآخرين (٢) ( . . . ) ٥١ .

#### الجلال السيوطى والتفسير العلمى :

كذلك نجد العلامة جلال الدين السيوطى ينبو منحى الغزالي في القول بالتفسير العلمى ، ويقرر ذلك بوضوح وتوسع في كتابه ( الإقتان ) في النوع الخامس والستين منه ، كما يقرر ذلك أيضاً بمثل هذا الوضوح والتوسع في كتابه ( الإكليل في استنباط التنزيل ) ونجده يسوق من الايات والأحاديث والآثار ما يستدل به على أن القرآن مشتمل على كل العلوم

فن الايات : قوله تعالى في الاية (٣٨) من سورة الأنعام ، ما فرطنا في الكتاب من شيء ، وقوله في الاية (٨٩) من سورة النحل ، ونزلنا عليك الكتاب تبليانا لكل شيء (٤)

ومن الأحاديث : ما أخرجه الترمذى وغيره : أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الايات ( ٦ و ٧ و ٨ ) من سورة الإنطار .

(٢) فى الاية (٢٩) من سورة الحجر وفى الاية (٧٢) من سورة ص .

(٣) جواهر القرآن ص ٣٢ - ٣٤ .

(٤) الإقتان ج ٢ ص ١٣٥

وسلم قال : ( ستكون فتن ، قيل : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله . فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم (١) ) وما أخرجه أبو الشيخ عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة (٢) ) .

ومن الآثار : ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود أنه قال : ( من أراد العلم فعليه بالقرآن . فإن فيه خبر الأولين والآخرين (٣) ) وما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ( أنزل في القرآن كل علم وبين لنا فيه كل شيء ، لكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن (٤) ) .

ثم نجده بعد أن يسوق هذه الأدلة وغيرها يذكر لنا عن بعض العلماء أنه استنبط أن عمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة من قوله تعالى في الآية (١١) من سورة المنافقين ، ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده (٥) .

### أبو الفضل المرمى والتفسير العلبى :

ثم ذكر عن أبي الفضل المرمى أنه قال في تفسيره : ( جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم به . ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم ، مثل الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس حتى قال ، لوضاع لى عقال بعير لو جدته فى كتاب الله تعالى ، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ، ثم تقاصرت الهمم ، وفترت العزائم ، وتضاءل أمل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه ، فنوعوا

• (٢) الاكليل ص ٢

(٤) الاكليل ص ٢

(١) الإقتان ج ٢ ص ١٣١

(٣) الاتقان ج ٢ ص ١٢٦

(٥) الاكليل ص ٢ والاتقان ج ٢ ص ١٢٦

علومه ، وقامت كل طائفة بفن من فنونه ، فاعتنى قوم بضبط لغاته ، وتحرير  
كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعددها ، وعدد كلماته ، وآياته ، وسوره ،  
وأحزابه ، وأنصافه ، وأرباعه ، وعدد سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات...  
إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة ، والآيات المتماثلة ، من غير تعرض  
لمعانيه ، ولا تدبر لما أودع فيه ، فسموا القراء

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال ، والحروف العاملة ،  
وغيرها ، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها ، وضروب الأفعال ، واللازم ،  
والمتمعدى ، ورسوم خط الكلمات ، وجميع ما يتعلق به ، حتى إن بعضهم  
أعرب مشكله ، وبعضهم أعربه كلمة كلمة .

واعتنى المفسرون بالفاظه ، فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ، ولفظا  
يدل على معنيين ، ولفظا يدل على أكثر ، فأجروا الأول على حكمه ،  
وأوضحوا معنى الخفى منه ، وخاضوا في ترجيح أحد احتمالات ذى المعنيين  
والمعاني ؛ وأعمل كل منهم فكره ، وقال بما اقتضاه نظره .

واهتمى الأصوليون بما فيه من الأدلة القطعية ، والشواهد الأصلية  
والنظرية ، مثل قوله تعالى ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (١) ، إلى غير ذلك  
من الآيات الكثيرة ، فاستنبطوا منها أدلة على وحدانية الله ، ووجوده ،  
وبقائه ، وقدمه ، وقدرته ، وعلمه ، وتنزيهه عما لا يليق به ، وسموا هذا العلم  
بأصول الدين .

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه ، فرأت منها ما يقتضى العموم ، ومنها  
ما يقتضى الخصوص ، إلى غير ذلك ، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة  
والمجاز ، وتكلموا في التخصيص ، والإضمار ، والنص ، والظاهر ، والمجمل ،  
والمحكم ، والمتشابه ، والأمر ، والنهى ، والنسخ... إلى غير ذلك من أنواع  
الآقيسة ، واستصحاب الحال ، والاستقراء ، وسموا هذا الفن أصول الفقه .

وأحكمت طائفة صحيح النظر ، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام ،  
وسائر الأحكام ، فأسسوا أصوله ، وفرعوا فروعه ، وبسطوا القول في ذلك  
بسطاً حسناً ، وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضاً .

وتلحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة ، والأمم الخالية ، ونقلوا  
أخبارهم ، ودونوا آثارهم ووقائعهم ، حتى ذكروا بدء الدنيا ، وأول الأشياء ،  
وسموا ذلك بالتاريخ .

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم ، والأمثال ، والمواعظ التي تفتقل قلوب  
الرجال ، وتكاد تدكدك الجبال ، فاستنبطوا مما فيه من الوعد ، والوعيد ،  
والتحذير ، والتبشير ، وذكر الموت ، والمعاد والنشر ، والحشر ، والحساب ،  
والعقاب ، والجنة ، والنار ، فصولاً من المواعظ ، وأصولاً من الزواجر ،  
فسموا بذلك الخطباء والوعاظ .

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير ، مثل ما ورد في قصة يوسف في  
البقرات السمان ، وفي منامى صاحبي السجن ، وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم  
ساجدة ، وسموه تعبير الرؤيا ، واستنبطوا تأويل كل رؤيا من الكتاب ،  
فإن عز عليهم إخراجها منه فن السنة التي هي شارحة للكتاب ، فإن عز فن الحكم  
والأمثال ، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم ، الذي  
أشار إليه القرآن بقوله : وأمر بالمعروف (١) .

وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك ، علم  
الفرائض ، واستنبطوا منها من ذكر النصف ، والثلث ، والرابع . والسدس ،  
والثمن ، حساب الفرائض ، ومسائل العدل ، واستخرجوا منه أحكام الوصايا .  
ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة ، في الليل ،  
والنهار ، والشمس ، والقمر ، ومنازله ، والبروج ، وغير ذلك فاستخرجوا منه  
علم المواقيت .



ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ ، وبديع النظم ، وحسن السياق ، والمبادئ والمقاطع ، والمخالص ، والتلويح في الخطاب ، والإطناب ، والإيجاز ، وغير ذلك واستنبطوا منه المعاني ، والبيان ، والبديع . ونظر فيه أرباب الإشارات ، وأصحاب الحقيقة ، فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق ، جعلوا لها أعلاما اصطلاحوا عليها ، مثل : الفناء ، والبقاء والحضور ، والخوف ، والهيبة ، والأنس ، والوحشة ، والقبض والبسط ، وما أشبه ذلك . هذه الفنون أخذتها الأمة الإسلامية منه ، وقد احتوى على علوم آخر من علوم الأوائل مثل : الطب ، والجدل ، والهيئة ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة ، والنجامة ، وغير ذلك من العلوم .

أما الطب : فداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة ، وذلك إنما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة ، وقد جمع ذلك في آية واحدة وهي قوله تعالى « وكان بين ذلك قواما (١) » ، وعرفنا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله ، وحدث الشفاء للبدن بعد اعتلاله في قوله تعالى « شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس (٢) » . ثم زاد على طب الأجسام بطب القلوب ، وشفاء الصدور .

وأما الهيئة : ففي تضاعيف سورة من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض ، وما بث في العالم العلوي والسفلي من المخلوقات .

وأما الهندسة : ففي قوله تعالى « انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣) » ، فإن فيه قاعدة هندسية ، وهو أن الشكل المثلث لا ظل له .

وأما الجدل : فقد حوت آياته من البراهين ، والمقدمات ، والنتائج ، والقول

(١) في الآية (٦٧) من سورة الفرقان .

(٢) في الآية (٦٩) من سورة النحل .

(٣) الآيتان (٣١ و٣٠) من سورة المرسلات

بالموجب ، والمعارضة ، وغير ذلك شيئاً كثيراً . ومناظرة إبراهيم نمرود ،  
ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم .  
وأما الجبر والمقابلة فقد قيل : إن أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام  
وأيام التواريخ لأهم سالفه ، وإن فيها بقاء هذه الأمة ، وتاريخ مدة أيام الدنيا ،  
وما مضى وما بقي ، مضروب بعضها في بعض .  
وأما النجامة : ففي قوله تعالى : « أو أنارة من علم »<sup>(١)</sup> ، فقد فسره بذلك ابن عباس .  
وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها ، كالخياطة  
في قوله « وطفقا يخصفان »<sup>(٢)</sup> . . والحداذة آتوني زبر الحديد<sup>(٣)</sup> ، ، والبناء في  
آيات ، والنجارة « واصنع الفلك بأعيننا »<sup>(٤)</sup> ، والغزل « نقصت غزلها »<sup>(٥)</sup> ، .  
والنسج « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا »<sup>(٦)</sup> ، . والفلاحة « أفرأيت ما تحرثون . .  
الآيات<sup>(٧)</sup> ، « والصيد في آيات . والغوص « والشياطين كل بناء وغواص »<sup>(٨)</sup> ،  
« وتستخرجون منه حلية »<sup>(٩)</sup> ، . والصياغة « واتخذ قوم موسى من بعده من  
حليهم مجلا جسدا »<sup>(١٠)</sup> ، . والزجاجة « صرح نمرود من قواوين »<sup>(١١)</sup> . « المصباح  
في زجاجة »<sup>(١٢)</sup> ، « والفخارة « فأوقد لي يا هامان على الطين »<sup>(١٣)</sup> ، « والملاحة

(١) في الآية (٤) من سورة الأحقاف .

(٢) « » (٢٢) من سورة الأعراف . وفي الآية (١٢١) من سورة طه .

(٣) « » (٩٦) « » الكهف

(٤) « » (٣٧) « » هود .

(٥) « » (٩٢) « » النحل .

(٦) « » (٤١) « » العنكبوت .

(٧) الآيات (٦٣) وما بعدها من سورة الواقعة

(٨) في الآية (٣٧) « » ص .

(٩) « » (١٤) « » النحل .

(١٠) « » (١٤٨) « » الأعراف

(١١) « » (٤٤) « » النمل

(١٢) « » (٣٥) « » النور

(١٣) « » (٢٨) « » القصص .

« أما السفينة . . . الآية (١) ، والكتابة « علم بالقلم » (٢) ، وفي آيات أخر . والنخيز  
 « أحمل فوق رأسي خبزاً » (٣) ، والطبخ « بعجل حنيز » (٤) ، والقصار « ووثيا بك  
 فظهر » (٥) ، قال الحواريون (٦) ، وهم القصارون ، والجزارة « إلا ما ذكيت » (٧) ،  
 والبيع والشراء في آيات ، والصبغ « صبغة الله » (٨) ، « جدد بيض وحر » (٩) ،  
 والجزارة « وتنتحون من الجبال بيوتا » (١٠) ، والكيالة والوزن في آيات كثيرة ،  
 والرمي « وما رميت إذ رميت (١١) ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » (١٢) ، .  
 وفيه من أسماء الآلات وضروب الماء كولات ، والمشروبات . والمنكوحات .  
 وجميع ما وقع ويقع في الكائنات ما يحقق معنى قوله « ما فرطنا في الكتاب  
 من شيء » (١٣) ، قال السيوطي : انتهى كلام المرسي ملخصاً مع زيادات (١٤) ، .  
 ثم بعد روايته لهذه المقالة الطويلة ، نجده يذكر عن أبي بكر بن العربي أنه  
 قال في كتابه قانون التأويل : ( علوم القرآن خمسين علماً ، وأربعمائة علم ،

(١) في الآية (٧٩) من سورة الكهف

(٢) « « (٤) « « القلم

(٣) « « (٣٦) « « يوسف

(٤) « « (٦٩) « « هود

(٥) « « (٤) \* « المدثر

(٦) « « (٥٢) « « آل عمران وفي آية (١١٤) من سورة المائدة ،

و (١٤) من سورة الصف

(٧) في الآية (٣) من سورة المائدة

(٨) « « (١٣٨) « « البقرة

(٩) « « (٢٧) « « فاطر

(١٠) « « (١٤٩) « « الشعراء

(١٤) « « (١٧) « « الأنفال

(١٢) « « (٦٠) « « »

(١٢) « « (٢٨) « « الأنعام

(١٤) الإكليل ص ٢ - ٥ ، والإتقان ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٨ .

وسبعة آلاف علم ، وسبعون ألف علم ، على عدد كالم القرآن مضروبة في أربعة ؛ إذ لكل كلمة ظهر وبطن ، وحد ومطلع ، وهذا مطلق دون اعتبار التركيب وما بينها من روابط ، وهذا ما لا يحصى ، وما لا يعلمه إلا الله (١) اه .  
وأخيراً عقب السيوطي على هذه النقول وغيرها فقال : ( وأنا أقول : قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء ، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها ، وفيه عجائب المخلوقات ، وملكوته السموات والأرض ، وما في الأفق الأعلى وما تحت الثرى و... إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات (٢) ) اه .

ومن هذا يتبين لك كيف ظهرت آثار الثقافات العلمية للمسلمين في تفسير القرآن الكريم . وكيف حاول هؤلاء العلماء المتقدمون أن يجعلوا القرآن منبع العلوم كلها ، ماجد منها وما يجد إلى يوم القيامة .

ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم ، لوجدنا أن هذه النزعة — نزعة التفسير العلمي — تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا ، ولوجدنا أنها كانت في أول الأمر عبارة عن محاولات . يقصد منها التوفيق بين القرآن ، وما جد من العلوم ، ثم وجدت الفكرة مركزة وصریحة على لسان الغزالي ، وابن العربي ، والمرسي ، والسيوطي ، ولوجدنا أيضاً أن هذه الفكرة قد طبقت عملياً ، وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي ، ضمن تفسيره للقرآن .

ثم وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن ، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم ، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجاً كبيراً بين جماعة من أهل العلم ، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع ، كما ألفت بعض التفسيرات التي تسير على ضوء هذه الفكرة . ونرى أن نؤجل البحث عن التفسير العلمي في هذه المرحلة الأخيرة إلى خاتمة الرسالة ؛ حيث نعرض لألوان التفسير في العصر الحديث إن شاء الله تعالى .

(١) الاتفاق ج ٢ ص ١٢٨

(٢) الاتفاق ج ٢ ص ١٢٩ - ٢٣٢

## إنكار التفسير العلمي

إذا كانت فكرة التفسير العلمي قد راجت عند بعض المتقدمين ، وازدادت رواجاً عند بعض المتأخرين ، فإنها لم تلق رواجاً عند بعض العلماء الأقدمين ، كما أنها لم تلق رواجاً عند بعض المتأخرين منهم أيضاً .

### إنكار الشاطبي للتفسير العلمي :

ويظهر لنا على حسب ما قرنا أن زعيم المعارضة لهذه الفكرة في العصور المتقدمة هو الفقيه الأصولي ، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي ، الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٩٠ هـ تسعين وسبعائة من الهجرة ؛ وذلك أنا نجد في كتابه ( الموافقات ) يعقد بحثاً خاصاً لمقاصد الشارع ، وينوع هذه المقاصد إلى أنواع تولى شرحها وبيانها ، والذي يهمنا هنا النوع الثاني منها وهو ( بيان قصد الشارع في وضع الشريعة للأفهام ) وفي المسألة الثالثة من مسائل هذا النوع نجده يقرر أن ( هذه الشريعة المباركة أمية ؛ لأن أهلها كذلك <sup>(١)</sup> ) فهو أجرى على اعتبار المصالح <sup>(٢)</sup> ) ... ثم دلل على ذلك بأمر ثلاثة لانطيل بذكرها ، ثم عقب بفصل ذكر فيه ( ان العرب كان لها اعتناء بعلوم ذكرها الناس ، وكان لعقلاتهم اعتناء بمكارم الأخلاق ، واتصاف بمحاسن الشيم ، فصححت الشريعة منها ما هو صحيح وزادت عليه ، وأبطلت ما هو باطل ، وبينت منافع ما ينفع من ذلك ، ومضار ما يضر منه ) ثم ذكر من العلوم الصحيحة التي كان للعرب اعتناء بها علم النجوم وما يختص به من الاهتداء في البر ، والبحر ، واختلاف الأزمان باختلاف سيرها . وما يتعلق بهذا المعنى . ثم قال : ( وهو معنى مقرر في أثناء القرآن في مواضع كثيرة كقوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر

---

(١) يريد أن تنزيل الشريعة على مقتضى حال المنزل عليهم أوفق برعاية المصالح التي

يقصدها الشارع الحكيم ٥١ من الشارح ج ٢ ص ٦٩ .

(٢) الموافقات ج ٢ ص ٦٩ .

والبحر<sup>(١)</sup> ، وقوله « وبالنجم هم يهتدون<sup>(٢)</sup> » ، وقوله « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون<sup>(٣)</sup> » ، وقوله « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب<sup>(٤)</sup> » ، وقوله « وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة . . . الآية<sup>(٥)</sup> » ، وقوله « ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين<sup>(٦)</sup> » ، وقوله « يسألونك عن الآلهة قل هي مواقيت للناس والحج<sup>(٧)</sup> » ، وما أشبه ذلك من الآيات .

وذكر علم الأنواء ، وأوقات نزول الأمطار ، وإنشاء السحاب ، وهبوب الرياح المثيرة لها ، وعرض لما ورد في ذلك من القرآن مثل قوله تعالى « هو الذي يرثكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال \* ويسبح الرعد بحمده . . . الآية<sup>(٨)</sup> » ، وقوله « أفرايتم الماء الذي تشربون \* أاتم انزلته وه من المزن ام نحن المنزلون<sup>(٩)</sup> » ، وقوله « واقته الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى المد ميث فأحيينا به الأرض بعد موتها<sup>(١٠)</sup> » ، وغير ذلك من الآيات .

- 
- (١) في الآية (٦٧) من سورة الأنعام  
 (٢) « (١٦) » النحل  
 (٣) « (٣٩ و ٤٠) » من سورة يس  
 (٤) « (٥) » من سورة يونس  
 (٥) « (١٢) » الإسراء  
 (٦) « (٥) » الملك  
 (٧) « (١٨٩) » من سورة البقرة  
 (٨) الآيتان (١٢ و ١٣) من سورة الرعد  
 (٩) « (٦٨ و ٦٩) » من سورة الواقعة  
 (١٠) في الآية (٩) من سورة فاطر

وذكر علم التاريخ وأخبار الأمم الماضية . قال : وفي القرآن من ذلك ما هو كثير . . . قال تعالى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم . . . الآية ، (١) . وقال تعالى ذلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، (٢) .

وذكر علم الطب ، وبين أنه كان في العرب منه شيء مبني على تجارب الأميين ، لا على قواعد الأقدمين . قال : ( وعلى ذلك المساق جاء في الشريعة لئلا يفتنوا وجه جامع شاف ، قليل ، يطلع منه على كثير ، فقال تعالى : كلوا وأشربوا ولا تسرفوا (٣) .

وذكر التفنن في علم فنون البلاغة ، والخوض في وجوه الفصاحة ، والتصرف في أساليب الكلام . . . قال : ( وهو أعظم منتحلاتهم ، فجاءهم بما أعجزهم من القرآن . قال تعالى : دقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، (٤) .

وذكر ضرب الأمثال . واشتهد بقوله تعالى : ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (٥) .

وذكر من العلوم التي عني بها العرب وأكثرها باطل أو جميعها ، علم العيافة والزجر ، والكهانة ، وخط الرمل ، والضرب بالحصى ، والطيرة ، قال : ( فأبطلت الشريعة من ذلك الباطل ، ونهت عنه كالكهانة ، والزجر ، وخط الرمل . وأقرت الفأل لا من جهة تطلب الغيب ؛ فإن الكهانة والزجر كذلك ، وأكثر هذه الأمور تخرص على علم الغيب من غير دليل فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بجهة من تعرف علم الغيب بما هو حق محض ، وهو الوحي والإلهام ،

(١) في الآية (٤٤) من سورة آل عمران :

(٢) » » (٤٩) من سورة هود

(٣) » » (٣١) من سورة الأعراف :

(٤) » » (٨٨) من سورة الإسراء :

(٥) » » (٥٨) من سورة الروم ، وفي الآية (٣٧) من سورة الزمر :

وبقى للناس من ذلك بعد موته عليه السلام جزء من النبوة وهو الرؤيا الصالحة ،  
وأنموذج من غيره لبعض الخاصة وهو الإلهام والفراسة (١) .

ثم بعد هذا البيان الذى أوضح فيه الشاطبي أن الشريعة فى تصحيح ما صححت  
وإبطال ما أبطلت قد عرضت من ذلك إلى ما تعرفه العرب من العلوم ، ولم  
تخرج عما ألفوه ، نراه يزيد هذا البيان إلهاماً ، وإيضاحاً ، ويتوجه باللوم  
إلى من أضافوا للقرآن كل علوم الأولين والآخرين ، مفنداً هذا الزعم ، الذى  
اعتقد أن قائله قد تجاوزوا به الحد فى دعواهم على القرآن . وذلك حيث يقول  
فى المسألة الرابعة من مسائل النوع الثانى من المقاصد — أعنى مقاصد وضع  
الشريعة للإلهام — ( ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها  
— وهم العرب يبنى عليه قواعد : منها : أن كثيراً من الناس تجاوزوا فى الدعوى  
على القرآن الحد ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من علوم  
الطبعيات والتعاليم كالمهندسة وغيرها من الرياضيات ، والمنطق وعلم الحروف ،  
وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباها ، وهذا إذا عرضناه على  
ما تقدم لم يصح ) (٢) .

ثم يصحح الشاطبي رأيه هذا ويحتج له بما عرف عن السلف من نظرهم فى  
القرآن فيقول : ( . . . إن السلف الصالح — من الصحابة والتابعين ومن يليهم  
كانوا أعرف بالقرآن وبعلمه وما أودع فيه ، ولم تبلغنا أنه تكلم أحد منهم  
فى شيء من هذا المدعى سوى ما تقدم ، وما ثبت فيه من أحكام التكليف ،  
وأحكام الآخرة ، وما يلى ذلك ، ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا  
منه ما يدلنا على أصل المسألة ، إلا أن ذلك لم يكن فدل على أنه غير موجود  
عندهم ، وذلك دليل على أن ، القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا .  
نعم تضمن علومنا من جنس علوم العرب أو ما يبنى على معبودها بما يتعجب منه

---

(١) الموافقات ج ٢ ص ٧١ - ٧٦

(٢) الموافقات ج ١ ص ٧٩



أولوا الأبواب ، ولا تبلغه إدراكات العقول الراجحة ، دون الاهتداء بأعلامه ، والاستنارة بنوره ، أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا<sup>(١)</sup> .

ثم أخذ الشاطبي بعد هذا في ذكر ما استند إليه أرباب التفسير العلمي من الأدلة فقال : ( وربما استدلوا على دعاهم بقوله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء »<sup>(٢)</sup> وقوله « وما فرطنا في الكتاب من شيء »<sup>(٣)</sup> ، ونحو ذلك ، وبفواتح السور - وهي مما لم يعهد عند العرب - وبما نقل عن الناس فيها ، وربما حكى من ذلك عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه وغيره أشياء<sup>(٤)</sup> ) .  
ثم أخذ الشاطبي رحمه الله يفند هذه الأدلة فقال :

فأما الآيات : فالمراد بها عند المفسرين ما يتعلق بحال التكليف والتعبد ، أو المراد بالكتاب في قوله « وما فرطنا في الكتاب من شيء » ، اللوح المحفوظ ، ولم يذكروا فيها ما يقتضى تضمنه لجميع العلوم النقلية والعقلية .

وأما فواتح السور : فقد تكلم الناس فيها بما يقتضى أن للعرب بها عهداً ، كعدد الجمل الذى تعرفوه من أهل الكتاب ، حسبما ذكره اصحاب السير ، أو هي من المنشأ بهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى ، وغير ذلك . وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يدعه أحد ممن تقدم ، فلا دليل فيها على ما ادعوا ، وما ينقل عن علي أو غيره في هذا لا يثبت ، فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة ؛ فيه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتقول على الله ورسوله فيه ، والله اعلم ، وبه التوفيق )<sup>(٥)</sup> .

(١) الموافقات ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠

(٢) فى الآية (٨٩) من سورة النحل

(٣) « (٣٨) » الإنعام

(٤) الموافقات ج ٢ ص ٨٠

(٥) « ج ٢ ص ٨١ - ٨٢

هذه هي الخلاصة الشاملة لمقالة الشاطبي في هذا الموضوع ، وذلك هو رايه في التفسير العلمى الذى شغف به بعض العلماء المتقدمين والمتأخرين ، واحسب أنى—وقد وضعت بين يدي القارىء مقالة كل فريق وما يستند إليه من أدلة— قد أنرت له الطريق ، وأوضحت له السبيل ؛ ليختار لنفسه ما يحلو ، بعد أن يحكم على أحدهما بأنه خير مقالة وأحسن دليلا .

\*\*\*

## اختيارنا في هذا الموضوع

أما أنا فاعتقادي أن الحق مع الشاطبي رحمه الله ، لأن الأدلة التي ساقها لتصحيح مدعاه أدلة قوية ، لا يعترها الضعف ، ولا يتطرق إليها الخلل ، ولأن ما أجاب به على أدلة مخالفيه أجوبة سديدة دامغة لا تثبت أمامها حججهم ، ولا يبقى معها مدعاهم .

وهناك أمور أخرى يتقوى بها اعتقادنا أن الحق في جانب الشاطبي ومن لف لفه ، فمن ذلك ما يأتي :

أولاً - الناحية اللغوية :

وذلك أن الألفاظ اللغوية لم تقف عند معنى واحد من لدن استعمالها إلى اليوم ، بل تدرجت حياة الألفاظ وتدرجت دلالاتها ، فكان لكثير من الألفاظ دلالات مختلفة ، ونحن وإن كنا لانعرف شيئاً عن تحديد هذا التدرج وتاريخ ظهور المعاني المختلفة للكلمة الواحدة ، نستطيع أن نقطع بأن بعض المعاني للكلمة الواحدة حدث باصطلاح أرباب العلوم والفنون ، فهناك معان لغوية ؛ وهناك معان شرعية ، وهناك معان عرفية ، وهذه المعاني كلها تقوم بلفظ واحد ، بعضها عرفته العرب وقت نزول القرآن ، وبعضها لا علم للعرب به وقت نزول القرآن ، نظراً لحدوثه وطروءه على اللفظ ، فهل يعقل بعد ذلك أن نتوسع هذا التوسع العجيب في فهم ألفاظ القرآن ، وجعلها تدل على معان جدد باصطلاح حادث ؛ ولم تعرف للعرب الذين نزل القرآن عليهم ؟ وهل يعقل أن الله تعالى إنما أراد بهذه الألفاظ القرآنية هذه المعاني التي حدثت بعد نزول القرآن بأجيال ، في الوقت الذي نزلت فيه هذه الألفاظ من عند الله ، وتليت أول ما تليت على من كان حول النبي صلى الله عليه وسلم ؟ . . . أعتقد أن هذا أمر لا يعقله إلا من سفه نفسه ، وأنكر عقله .

ثانياً - الناحية البلاغية :

عرفت البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ومعلوم أن القرآن في أعلى

درجات البلاغة ، فإذا نحن ذهبنا مذهب أرباب التفسير العلى وقلنا بأن القرآن متضمن لكل العلوم ، وألفاظه متحملة لهذه المعاني المستحدثة ، لأوقنا أنفسنا في ورطة لا خلاص لنا منها إلا بما يحدش بلاغة القرآن ، أو يذهب بفساطة العرب ؛ وذلك لأن من خوطبوا بالقرآن في وقت نزوله إن كانوا يجهلون هذه المعاني ، وكان الله يريدنا من خطابه إياهم لزم على ذلك أن يكون القرآن غير بليغ ، لأنه لم يراع حال المخاطب وهذا سلب لأهم خصائص القرآن الكريم . وإن كانوا يعرفون هذه المعاني فلم تظهر نهضة العرب العلمية من لدن نزول القرآن الذي حوى علوم الأولين والآخرين ؟ ولم لم تقم نهضتهم على هذه الآيات الشارحة لمختلف العلوم وسائر الفنون ؟ . . وهذا أيضاً سلب لأهم خصائص العرب وبمزاتهم .

### ثالثاً — الناحية الاعتقادية :

القرآن الكريم باق ما تعاقب الملوان ، ونظامه نافع لكل عصر وزمان ، فهو يتحدث إلى عقول الناس جميعاً من لدن نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو يسائر حياتهم في كل ما يمرون به من مراحل الزمن . وهذا كله بحكم كونه كتاب الشريعة العامة الشاملة ، وقانون الدين الذي جعله الله خاتم شرائع السموات إلى أهل الأرض .

هذا ما يجب على كل مسلم أن يعتقده ويدين به ، حتى يسلم له دينه ، ولا يرتاب فيه ، فإذا نحن ذهبنا مذهب من يحمل القرآن كل شيء ، وجعلناه مصدراً لجوامع الطب ، وضوابط الفلك ، ونظريات الهندسة ، وقوانين الكيمياء ، وما إلى ذلك من العلوم المختلفة ، لسكنا بذلك قد أوقنا الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن الكريم ، وذلك لأن قواعد العلوم وما تقوم عليه من نظريات ، لاقرار لها ولا بقاء ، فرب نظرية علمية قال بها عالم اليوم ، ثم رجع عنها بعد زمن قليل أو كثير ، لأنه ظهر له خطأها . وأمام سمعنا وبصرنا من المثل ما يشهد بأن كثيراً من جوامع العلم لا يضبطها اليوم أحد إلا لتغير ضبطها لها بعد ذلك ، وكثير من نظريات العلم قديمة وحديثة من تناف وتضاد ، فهل يعقل أن يكون القرآن محتملاً

لجميع هذه النظريات والقواعد العلمية على ما بينها من التناقض والتضاد؟ وإذا كان هذا معقولا ، فهل يعقل أن يصدق مسلم بالقرآن بعد هذا ، ويكون على يقين بأنه كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟؟؟ . . .

الحق أن القرآن لا يعنى بهذا اللون من حياة الناس ، ولا يتعمده بالشرح ولا يتولاه بالبيان ، حتى يكون مصدرهم الذي يرجعون إليه في تعرف حياتهم العلمية الدنيوية .

ويبدو لنا أن أنصار هذه الفكرة — فكرة التفسير العلمى — لم يقولوا بها ، ولم يعملوا على تأييدها إلا بعد أن نظروا إليها كوجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وبيان صلاحيته للحياة ، وتمشيه معها على اختلاف أحوالها وتطور أزمانها . ولكن . ( ما هكذا ياسعد توردد الإبل ) فإن إعجاز القرآن غنى عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف ، الذى قد يذهب بالإعجاز ، وهناك من ألوان الإعجاز غير هذا ما يشهد للقرآن بأنه كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

وإذا كان أرباب هذا المسلك فى التفسير يستندون إلى ما تناولته بعض آيات القرآن من حقائق الكون ومشاهده ، ودعوة الله لهم بالنظر فى كتاب الكون وآياته التى بثها فى الآفاق وفى أنفسهم ، إذا كانوا يستندون إلى مثل هذا فى دعواهم أن القرآن قد جمع علوم الأولين والآخرين ، فهم منخطئون ولاشك . وذلك لأن تناول القرآن لحقائق الكون ومشاهده ، ودعوته إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض وفى أنفسهم ، لا يراد منه إلا رياضة وجدانات الناس ، وتوجيه عامتهم وخاصتهم إلى مكان العظة والعبرة ، ولفهمهم إلى آيات قدرة الله ودلائل وحدانيته ، من جهة ما لهذه الآيات والمشاهد من روعة فى النفس وجلال فى القلب ، لا من جهة ما لها من دقائق النظريات وضوابط القوانين ، فليس القرآن كتاب فلسفة أو طب أو هندسة . . . . .

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غنى عن أن يعتز بمثل هذا التكاف ، الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الإنسانى الاجتماعى ، فى إصلاح الحياة ، ورياضة النفس ، والرجوع بها إلى الله تعالى .

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أيضا ، أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا ينحوا بالقرآن هذا المنحى في تفسيرهم ، رغبة منهم في إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته للتمشى مع التطور الزمني ، وحسبهم أن لا يكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة . وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما وجد ويجد من نظريات وقوانين علمية ، تقوم على أساس من الحق . وتستند إلى أصل من الصحة .



## الختام

كلمة عامة عن التفسير وأوانه في العصر الحديث

التفسير بين ماضية وحاضرة:

لم يترك الأوائل للأواخر كبير جهد في تفسير كتاب الله ، والكشف عن معانيه ومرامييه ؛ إذ أنهم نظروا إلى القرآن باعتباره دستورهم الذي جمع لهم بين سعادة الدنيا والآخرة ، فتناولوه من أول نزوله بدراساتهم التفسيرية التحليلية ، دراسة سارت مع الزمن على تدرج ملحوظ ، وتلون بألوان مختلفة مرت بكليها . أو مر بك على التحقيق ما وصلنا إليه في دراستنا وقراءتنا الواسعة المستفيضة .

والذي يقرأ كتب التفسير على اختلاف أوانها ، لا يدخلة شك في أن كل ما يتعلق بالتفسير من الدراسات المختلفة قد وناه هؤلاء المفسرون الأقدمون حقه من البحث والتحقيق ، فالناحية اللغوية ، والناحية البلاغية ، والناحية الأدبية ، والناحية النحوية ، والناحية الفقهية ، والناحية المذهبية ، والناحية الكونية الفلسفية . كل هذه النواحي وغيرها تناولها المفسرون الأول بتوسع ظاهر ملموس ، لم يترك لمن جاء بعدهم - إلى ما قبل عصرنا بقليل - من عمل جديد ، أو أثر مبتكر يقومون به في تفاسيرهم التي ألفوها ، اللهم إلا عملاً ضئيلاً لا يبدو أن يكون جمعاً لأقوال المتقدمين ، أو شرحاً لغامضها ، أو نقداً وتفنيداً لما يعتوره الضعف منها ، أو ترجيحاً لرأى على رأى ، مما جعل التفسير يقف وقفة طويلة مليئة بالركود ، خالية من التجديد والابتكار .

مميزات التفسير في العصر الحديث :

ولقد ظل الأمر على هذا ، وبقي التفسير واقفاً عند هذه المرحلة - مرحلة الركود والجمود - لا يتعداها ، ولا يحاول التخلص منها . حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة ، فاجتهد أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى

أن يتحرروا من قيد هذا الركون ، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود ، فنظروا في كتاب الله نظرة - وإن كان لها اعتماد كبير على مادونه الأوائل في التفسير - أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيراً لا يسعنا إنكاره ، ذلك هو العمل على التخلص من كل هذه الاستطرادات العلمية ، التي حشرت في التفسير حشراً ومزجت به على غير ضرورة لازمة ، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلية الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله ، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى ، وإلباس التفسير ثوباً أدبياً اجتماعياً ، يظهر روعة القرآن ، ويكشف عن مراميته الدقيقة وأهدافه السامية ، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة ، على تفاوت بين الموقفين في الغلو والاعتدال ، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد ، الذي يتمشى مع الزمن في جميع أطواره ومراحله . . . . وهناك غير هذه الآثار آثار أخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث ، نشأت عن عوامل مختلفة ، أهمها : التوسع العلمي والتأثر بالمذهب والعقيدة ، والإلحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد .

### ألوان التفسير في العصر الحديث :

وعلى ضوء ما تقدم ، نستطيع أن نجمل ألوان التفسير في العصر الحديث في الألوان الأربعة الآتية وهي أهمها ؛

أولاً : اللون العلمي .

ثانياً : اللون المذهبي .

ثالثاً : اللون الإلحادي ،

رابعاً : اللون الأدبي الاجتماعي .

وسأتكلم عن هذه الألوان الأربعة للتفسير في العصر الحديث ، على حسب

ترتيبها ، وبمقدار ما استفدت من قراءتي في كتب التفسير وما يتصل به من مؤلفات جدد في هذا العصر ، والله ولي التوفيق .



## اللون العلمي

### للتفسير في عصرنا الحاضر

تكلمنا عن التفسير العلمي فيما سبق ، وبيننا أن هذا اللون من التفسير كان موضع أخذ ورد بين العلماء الأقدمين ، فمنهم من أيده وقال به ، ومنهم من فنده ومنع منه .

وقلنا : إن التفسير العلمي كان أكثر رواجاً وأعظم قبولا لدى المتأخرين ، وأجملنا القول في هذه النقطة الأخيرة ، ووعداك بالتوسع فيها عندما نعرض لهذه الخاتمة التي نحن بصدددها ، ووفاء بوعدى أقول :

### رواج التفسير العلمي في عصرنا الحاضر .

إن هذا اللون من التفسير - أعني التفسير العلمي الذي يرمى إلى جعل القرآن مشتملا على سائر العلوم ماجد منها وما يمجده - قد استشرى أمره في هذا العصر الحديث ، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم ، وعناية بالقرآن الكريم ، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية التي تسلطت على قلوب أصحابها ، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيرا من الكتب يحاول أصحابها فيها أن يحملوا القرآن كل علوم الأرض والسماء ، وأن يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح أو التلميح ، اعتقاداً منهم - كما قلنا - أن هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه ، وإعجازه ، وصلاحيته للبقاء .

### أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون :

ومن أهم هذه الكتب التي ظهرت فيها هذه النزعة التفسيرية كتاب ( كشف الأسرار النورانية القرآنية ، فيما يتعلق بالأجرام السماوية ، والأرضية ، والحيوانات ، والنباتات ، والجواهر المعدنية ) للإمام الفاضل والطبيب البارح ، محمد بن أحمد الإسكندراني من علماء القرن الثالث عشر الهجري ، وهو كتاب

كبير الحجم ، يقع في ثلاث مجلدات . ومطبوع بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٧ هـ ومنه نسخة بدار الكتب المصرية .

ورسالة عبد الله باشا فكرى في مقارنة بعض مباحث الهيئة ، بالوارد في النصوص الشرعية ، وقد طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٥ هـ .

وبين أيدينا كتاب ( طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ) لرجل الإصلاح الإسلامى المرحوم السيد عبد الرحمن الكواكبي . وهو عبارة عن مجموع مقالات له ، نشرها في بعض الصحف عند مازار مصر سنة ١٣١٨ هـ وقد طبع هذا الكتاب وأبهم أسم مؤلفه ورمز له ( الرحالة ك ) . وفي هذا الكتاب نجد المؤلف - رحمه الله - ينجاز أنجياز بليغا إلى هذا اللون من ألوان التفسير ، فيصف القرآن بأنه ( شمس العلوم وكنز الحكم<sup>(١)</sup> ) ويقرر بأن السر في إحجام العلماء عن تفسير قسمي الآلام والأخلاق من القرآن ، وبيان ما يشتمل عليه من العلوم المختلفة هو ( أنهم كانوا يخافون مخالفة رأى بعض السلف القاصرين في العلم فيكفرون فيقتلون ) ثم يقول : ( وهذه مسألة إعجاز القرآن ، وهي أهم مسألة في الدين ، لم يقدرُوا أن يوفوها حقها من البحث ، واقتصروا على ما قاله بعض السلف أنها هي فصاحته ، وبلاغته ، وإخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون<sup>(٢)</sup> ) .

ثم زاه يأخذ في بيان اشتغال القرآن على ما جد من نظريات علمية تؤيد إعجاز القرآن ، فيقول : ( إنه لو أطلق للعلماء عنان التدقيق وحرية الرأى والتأليف كما أطلق لأهل التأويل والخرافات : لرأوا في ألوف من آيات القرآن ألوف آيات من الإعجاز ... لرأوا فيه كل يوم آية تتجدد مع الزمان والحدثان ، تبرهن على إعجازه بصدق قوله تعالى : « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين<sup>(٣)</sup> » ، برهان عيان لا مجرد تسليم وإيمان ، ومثال ذلك : أن

(١) ص ٢٢ .

(٢) ص ٢٣ .

(٣) فى الآية (٥٩) من سورة الأنعام .

العلم كشف في هذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة ، تعزى لكاشفها ومخترعيها من علماء أوروبا وأمريكا ، والمدقق في القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به في القرآن منذ ثلاثة عشر قرناً ، وما بقيت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شهادة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه .

وذلك أنهم كشفوا أن مادة الكون هي الأثير ، وقد وصف القرآن بده التكوين فقال : ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، (١) .

وكشفوا أن الكائنات في حركة دائمة دائبة ، والقرآن يقول : و آية لهم الأرض الميتة أحييناها . . . (إلى أن يقول) وكل في فلك يسبحون (٢) . . .  
وحققوا أن الأرض منفتحة من النظام الشمسي والقرآن يقول : . . . أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما (٣) . . .

وحققوا أن القمر منشق من الأرض . والقرآن يقول : أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها (٤) ، ويقول : د اقتربت الساعة وانشق القمر (٥) :  
وحققوا أن طبقات الأرض سبع والقرآن ، يقول : خلق سبع سموات ومن الأرض مثلن (٦) ، وحققوا أنه لولا الجبال لانتضى الثقل النوعى أن تميد الأرض ، أى ترتج في دورتها ، والقرآن يقول : د وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم (٧) . . .

وكشفوا أن التغيير في التركيب الكيماوى بل والمعنوى ناشى عن تخالف نسبة المقادير ، والقرآن يقول : د وكل شيء عنده بمقدار (٨) . . .

(١) فى الآية ( ١١ ) من سورة فصّات .

(٢) فى الآية (٤٠) من سورة يس .

(٣) فى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء .

(٤) فى الآية (٤١) من سورة الرعد .

(٥) أول سورة القمر .

(٦) فى الآية (١٢) من سورة الطلاق .

(٧) فى الآية (١٥) من سورة النحل وآية (١٠) من سورة لقمان .

(٨) فى الآية (٨) من سورة الرعد :

وكشفوا ان للجمادات حياة قائمة بماء التبلور ، والقرآن يقول : د وجعلنا من الماء كل شيء حي (١) ، وحققوا ان العالم العضوى - ومنه الانسان - ترقى من الجماد ، والقرآن يقول : د ولقد خلقنا الانسان من سلافة من طين (٢) .

وكشفوا ناموس اللقاح العام فى النبات ، والقرآن يقول د خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض (٣) ، . ويقول . فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (٤) ، ويقول : د اهزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج (٥) ، ، ويقول : د ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين (٦) ، .

وكشفوا طريقة إمساك الظل ، أى التصوير الشمسى والقرآن يقول : د ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا (٧) ، .

وكشفوا تسيير السفن والمركبات بالبخار والكهرباء ، والقرآن يقول - بعد ذكره الدواب والجوارى بالريح - د وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٨) ، . وكشفوا وجود المسكروب وتأثيره الجدرى وغيره من المرض ، والقرآن يقول : د وأرسل عليهم طيرا أبابيل (٩) ، ، أى متتابعة بجمجمة ترميهم بحجارة من سجيل (١٠) ، أى من طير المستنقعات اليابس ... إلى غير ذلك من الآيات

- 
- (١) فى الآية (٣٠) من سورة الأنبياء .
  - (٢) » » (١٢) من سورة المؤمنون .
  - (٣) » » (٣٦) من سورة يس :
  - (٤) » » (٥٢) من سورة طه :
  - (٥) » » (٥) من سورة الحج :
  - (٦) » » (٣) من سورة الرعد :
  - (٧) » » (٤٥) من سورة الفرقان :
  - (٨) » » (٤٢) من سورة يس :
  - (٩) » » (٣) من سورة الفيل :
  - (١٠) » » (٤) من سورة الفيل .

الكثيرة المحققة لبعض مكتشفات علم الهيئة والنواميس الطبيعية ، وبالقياس على ما تقدم ذكره يقتضى أن كثيراً من آياته سينكشف سرها في المستقبل في وقتها المرهون ، تجديداً لإعجازه مادام الزمان وما كر الجديدان<sup>(١)</sup> ( ١٥٠ هـ . وبين أيدينا كتاب ( إعجاز القرآن ) للمرحوم مصطفى صادق الرافعي ، وهو من أنصار هذه النزعة التفسيرية ومن المؤيدين لها ، وفي هذا الكتاب نجد المؤلف - رحمه الله - يعقد بحثاً خاصاً لموضوع ( القرآن والعلوم ) وفيه يقرر أن القرآن ( بآثاره النامية ، معجزة أصلية في تاريخ العلم كله على بساط هذه الأرض ، من لدن ظهر الإسلام إلى ما شاء الله .. )<sup>(٢)</sup> ثم يستطرد إلى ذكر بعض ما نقله السيوطي في الإتيان والإكليل عن العلامة المرمي في اشتمال القرآن على سائر العلوم ، وهنا نجده يعلق استخراج علم المواقيت من القرآن فيقول : ( قال بعض المتأخرين : إن الميقات مشار إليه في القرآن بقوله تعالى رفيع الدرجات<sup>(٣)</sup> ، قال : فإن عدد ( رفيع ) بحساب الجمل ثلاثمائة وستون ، وهي عدد درج الليل والنهار ) . ثم يقول الرافعي نفسه بعد هذا : ( وإذا أطلق حساب الجمل في كلمات القرآن كشف منه كل عجائب العصور ، وتواريجها ، وأسرارها ، ولولا أن هذا خارج عن غرض الكتاب لجئنا منه بأشياء كثيرة من القديم والحديث<sup>(٤)</sup> ) .

ثم نرى الرافعي - رحمه الله - يسترسل في حديثه إلى أن يقول : ( وقد استخراج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع ، وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية ، وبسطوا كل ذلك بسطاً ليس هو من غرضنا فنسقى فيه<sup>(٥)</sup> . على أن هذا ومثله إنما يكون فيه إشارة ولمحة ، ولعل متحققاً

(١) ص ٢٣ - ٢٥ .

(٢) ص ١٠٨ .

(٣) في الآية (١٥) من سورة غافر :

(٤) ص ١١٣ - ١١٤ ( هامش ) مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥٩ هـ .

(٥) وهنا نرى المؤلف يملق على قوله هذا بذكر بعض ما نقلناه عن طبائع

الاستبداد للسكواكبي من استخراج بعض العلوم من القرآن الكريم .

بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن، وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا نعوزه أداة الفهم، ولا يلتوى عليه أمره، لاستخرج منه إشارات كثيرة توميء إلى حقائق العلوم وإن لم تبسط من أنبائها، وتدل عليها وإن لم تسمها بأسمائها) ثم يقول: (وقد أشار القرآن إلى نشأة هذه العلوم وإلى تمحيصها وغايتها على ما وصفناه آنفاً، وذلك قوله تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد<sup>(١)</sup>)، ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كلها ماخرجت في معانيها من قوله تعالى: في الآفاق وفي أنفسهم، هذه آفاق، وهذه آفاق أخرى، فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهة فليس يصح في الأفهام شيء... (٢) ١٥٠.

كذلك نجد المرحوم الدكتور عبدالعزيز إسماعيل، الطبيب المعروف، ينحاز إلى هذا اللون من ألوان التفسير في كتابه (الاسلام والطب الحديث) الذي جمع فيه مقالاته التي نشرها في مجلة الأزهر. وبين أيديها هذا الكتاب، وهو مطبوع بمطبعة الاعتماد سنة ١٣٥٧ هـ وفيه نجد المؤلف رحمه الله يقرر أن القرآن (ليس بكتاب طب أو هندسة أو فلك، ولكنه يشير أحياناً إلى سنن طبيعية ترجع إلى هذه العلوم<sup>(٣)</sup>) كما يقرر أن كثيراً من آيات القرآن (لا يفهم شيئاً من معانيها الحقيقية إلا من درس العلوم الحديثة<sup>(٤)</sup>) كما يؤكد أن العلم الحديث (كشف عن معنى بعض الآيات، وسينكشف الباقي منها كلما تقدمت العلوم، ثم يأتي وقت يكون فيه العلماء الماديون أقرب الناس إلى الدين<sup>(٥)</sup>) . وفي هذا كما ترى اتهام للصحابة ومن جاء بعدهم من سلف الأمة بأنهم لم يفهموا المعاني الحقيقية لبعض الآيات القرآنية؛ لجهلهم بهذه العلوم المستحدثة

(١) الآية (٥٣) من سورة فصلت .

(٢) ص ١٢٤ - ١٢٦ :

(٣) ١ د .

(٤) ١ د .

(٥) ١١٢ د .

وهذا اتهام نعيذ منه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسلف الأمة  
رضوان الله عليهم .

وإذا نحن تتبعنا ما في هذا الكتاب لوجدنا الكثير منه لا يقصده القرآن ،  
ولا يهدف إليه من وراء خطابه للعرب الأمية .

فثلاً نجده يعرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٢ ) من سورة البقرة « وأنزل  
من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، تحت عنوان ( الحياة تحت  
ضوء القرآن ) وفيه يقول :

( . . . ) هذه الآية الكريمة معناها - والله أعلم - ( وتأمل قوله معناها )  
أن اللحوم والأسماك والألبان . . . إلخ أفضل في التغذية من البقول والقمح  
والذرة ، وليست الأفضلية في مقدار المواد الزلالية الضرورية للجسم في كل  
نوع ، لأن هذا يجب أن لا يكون سببا مهما للأفضلية . . . ) ثم يعقد مقارنة  
بين بعض الأغذية وما فيها من نسبة المواد الزلالية . ثم يقول : ( وقد اهتمت  
أخيراً لجنة الأبحاث بإيجاز إلى أن قيمة المواد الزلالية تختلف في نوعها ، وفي  
المقدار منها الذي يمنع المواد الزلالية المسكونة للأنسجة من أن تحترق ، ورأوا  
أن اللحوم بالنسبة للمواد الزلالية ونوعها لها قيمة أكثر من اللبن والذرة مثل  
البيان التالي :

لحوم	لبن البقر	أرز	بطاطس	فول	دقيق	ذرة
١٠٤	١٠٠	٨٨	٧٩	٧٠	٤٠	٣٠

ثم يقول : ( إن هذه النتيجة التي لخصها القرآن الشريف ) واعجب لقوله :  
لخصها القرآن الشريف ) لم تظهر حقيقة ثابتة إلا منذ سنوات قليلة . . . ) (١) .

وغير هذا كثير في كتاب ( الإسلام والطب الحديث ) مما لا نصدق أنه

مراد الله من خطابه للعرب بالقرآن ، وإن كان لا يتعارض - كما قلنا - مع ما ثبت من ذلك عليا وتحققت صحته .

هذا ، وإن أعظم علماء العصر الحديث تشييعا للنزعة التفسيرية العلية ، وأكثرهم إنتاجا لهذا التفسير العلمي ، هو المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى :  
إذا أنه على حسب ما رأينا أكثر من جمع في هذا وأطال في تفسيره «الجواهر»  
الذى يقع فى خمسة وعشرين جزءا ، وأكبارا ، والمطبوع بمصر سنة ١٣٢٦ - ١٣٥١ هـ  
ولهذا أرى أن أتكلم عنه بما يكشف عن طريقة مؤلفه ومنهجه الذى  
مسلكه فيه .

\*\*\*



## الجواهر في تفسير القرآن الكريم

للشيخ طنطاوى جوهرى (١)

الدوافع التي حملت المؤلف على كتابة هذا التفسير :

خلق الفيلسوف الإسلامى المر حوم الشيخ طنطاوى جوهرى - كما يقول هو عن نفسه :- (مغرماً بالعجائب الكونية . معجباً بالبدائع الطبيعية ، مشوقاً إلى مافي السماء من جمال ، وما فى الأرض من بهاء وكال ) ثم كان منه - كما يقول - أنه لما تأمل الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية ، ألقى أكثر العقلاء وبعض أجلة العلماء عن تلك المعانى معرضين ، وعن التفرج عليها ساهين لاهين ، فقليل منهم من فسكر فى خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب ، فدفعه ذلك إلى أن ألف كتاباً كثيرة مزج فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية ، وجعل آيات الوحى مطابقة لعجائب الصنع ، وحكم الخلق ، وكان من أهم هذه الكتب كتاب ( نظام العالم والأمم ) و ( جواهر العلوم ) و ( التاج المرصع ) و ( جمال العالم ) و ( النظام والإسلام ) و ( الأمة وحياتها ) ولسكنه وجد أن هذه الكتب - رغم كثرتها ، وانتشارها ، وترجمتها إلى اللغات الأجنبية - لم تشف غليله ، فتوجه إلى ذى العزة والجلال ، أن يوفقه إلى أن يفسر القرآن تفسيراً ينطوى على كل ما وصل إليه البشر من علوم ، فاستجاب الله دعاه ، وتم له ما أراد .

متى وكيف شرع المؤلف فى كتابة هذا التفسير :

ابتدأ المؤلف هذا التفسير أيام أن كان مدرساً بمدرسة دار العلوم ، فكان يلقي تفسير بعض آيات على طلبتها . وبعضها كان يكتب فى مجلة الملاجم العباسية ، ثم والى سيره فى التفسير حتى أخرج لنا هذه الموسوعة السكيرة .

---

ولد سنة ١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠ م وتوفى سنة ١٣٥٨ هـ - ١٩٤٠ م . عن كتاب الأعلام للزكى ج ٣ ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ط ثانية هـ . وفى كتاب الأعلام الشرقية للأستاذ ( زكى مجاهد ) ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ ط القاهرة : أنه توفى فى سنة ١٣٥٩ هـ - ١٩٣٩ م وفيه نظر .

غرض المؤلف من تفسيره :

ولقد أمل المؤلف - رحمه الله - من وراء هذا التفسير - كما يقول - ( أن يشرح الله به قلوباً ، ويهدي به أنماً ؛ وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين ، فيفهموا العلوم الكونية ) وقال : ( وإني لعلى رجاء أن يؤيد الله هذه الأمة بهذا الدين ، وينسج على منوال هذا التفسير المسلمون ، وليقرأن في مشارق الأرض ومغاربها مقروناً بالقبول ، وليولعن بالعجائب السماوية والبدائع الأرضية الشبان الموحدون ، ويرفعن الله مدنيتهن إلى العلا ، وليكونن داعياً حثيثاً إلى درس العوالم العلووية والسفلية ، وليقومن من هذه الأمة من يفوقن الفرنجة في الزراعة ، والطب ، والمعادن ، والحساب ، والهندسة ، والفلك ، وغيرها من العلوم والصناعات ) .

مسلك المؤلف في تفسيره :

ولقد وضع المؤلف في تفسيره هذا ما يحتاجه المسلم من الأحكام ، والأخلاق ، وعجائب الكون ، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق ، بما يشوق المسلمين والمسلمات - كما يقول - إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات ، والأرض والسموات .

هذا . . . وإن المؤلف - رحمه الله - ليقرر في تفسيره أن في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية ، في حين أن علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على مائه وخمسين آية ، كما يقرر ( أن الإسلام جاء لأمم كثيرة ، وأن سور القرآن متمات لأمور أظهرها العلم الحديث )<sup>(١)</sup> .

وكثيراً ما نجد المؤلف - رحمه الله - في تفسيره يهيب بالمسلمين أن يتأملوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون ، ويحثهم على العمل بما فيها ، ويندد بمن يغفل هذه الآيات على كثرتها ، وينمى على من أغفلها من السابقين الأولين ، ووقف عند آيات الأحكام وغيرها مما يتعلق بأمور العقيدة .

(١) رجئنا في هذا إلى مقدمة الكتاب وخاتمته وجمناه ملخصاً .

نجد المؤلف يكرر هذه النعمة في كثير من مواضع الكتاب فيقول في موضع منه : ( يا أمة الإسلام : آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرعا من علم الرياضيات ، فبابا لكم أيها الناس بسبعمائة آية فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور نور الإسلام ، هذا زمان رقيه ، ياليت شعري .. لماذا لا تعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ؟ ولما كنت أقول : الحمد لله .. الحمد لله ، إنك تقرأ في هذا التفسير خلاصات من العلوم ، ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض ؛ لأنه فرض كفاية ، فأما هذه فإنها للزيادة في معرفة الله وهي فرض عين على كل قادر . . . إن هذه العلوم التي أدخلناها في تفسير القرآن ، هي التي أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام ، فهذا زمان الانقلاب ، وظهور الحقائق ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (١) . اهـ .

ويقول في موضع آخر : (إن نظام التعليم الإسلامي لا بد من ارتقائه ، فعلمو البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن ، بل هي علوم لفظه ، وما نكتبه اليوم علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي أظهرها الله في الأرض ، ولعل هذا الزمان سيظهر فيه آثار من قوله تعالى وهم إن علينا بيانه ، (٢) فإن البيان المذكور في سورة القيامة فسر بمعنى أننا نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل ، وبمعنى أنه إذا أشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الأحكام والعجائب ولا جرم أن ما يتجدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير وما لم يذكر ، من البيان الذي أكد الله أنه يظهره لأمة الإسلام ، فالحمد لله الذي وفق في هذا التفسير لبعض العرفان تصديقا لما ذكر الله من أن عليه البيان (٣) .

ويقول في موضع آخر : ( . . . لماذا ألف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الإسلامية في علم الفقه . . . وعلم الفقه ليس له في القرآن إلا آيات

(٢) الآية (١٩) من سورة القيامة .

(١) الجواهر ج ٣ ص ١٩

(٣) الجواهر ج ٢٥ ص ٤٠ .

قلائل لاتصل مائة وخمسين آية؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جداً في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة . فهل يجوز في عقل أو شرع أن يبرع المسلمون في علم آياته قليلة . ويجهلوا علما آياته كثيرة جداً؟ إن آباءنا برعوا في الفقه ، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات . . لنقم به ؛ لترقى الأمة . . . ) اه (١).

لم يلقى تفسير الجواهر قبولا لدى كثير من المثقفين :

هذه المقالات - وغيرها كثير في تفسير الجواهر - نجد أغلبها قد صدر من المؤلف في مقام الرد على من كان يوجه إليه اللوم والاعتراض على ما كان منه من تحميل القرآن الكريم علوماً ونظريات مستحدثة لا عهد للعرب بها ، ولا صلة للقرآن بشيء منها .

ويظهر لمن يتصفح هذا التفسير أن المؤلف - رحمه الله - لاقى الكثير من لوم العلماء على مسلكه الذي سلكه في تفسيره ، مما يدل على أن هذه النزعة التفسيرية لم تلق قبولا لدى كثير من المثقفين .

مصادرة المملكة السعودية لتفسير الجواهر .

ولعل هذا المنزع في تفسير القرآن الكريم هو السر الذي من أجله صادرت المملكة العربية السعودية هذا الكتاب ، ولم تسمح بدخوله إلى بلادها ، كما يجد القارئ ذلك في نص الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبدالعزيز آل سعود ، ملك نجد والحجاز ص ٢٣٨ من الجزء الخامس والعشرين .

طريقة المؤلف في هذا التفسير :

هذا وإنى - بعد أن قرأت الكثير من هذا التفسير - أستطيع أن أعطيك صورة واضحة عن منهج المؤلف وطريقته التي سلكها فيه ، وذلك أن المؤلف رحمه الله يفسر الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً ، لا يكاد يخرج عما في

كتب التفسير المألوفة لنا والمتداولة بين أيدينا ، ولكنته سرعان ما يخلص من هذا التفسير الذى يسميه لفظياً ، ويدخل فى أبحاث علمية مستفيضة يسميها هولطائف أو جواهر . . هذه الأبحاث عبارة عن مجموعة كبيرة من أفكار علماء الشرق والغرب فى العصر الحديث ، أتى بها المؤلف ، ليين للمسلمين ولغير المسلمين أن القرآن الكريم قد سبق إلى هذه الأبحاث ونبه على تلك العلوم قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون متطاولة .

ثم إننا نجد المؤلف - رحمه الله - يضع لنا فى تفسيره هذا كثيراً من صور النباتات ، والحيوانات ، ومناظر الطبيعة ، وتجارب العلوم ، بقصد أن يوضح للقارىء ما يقول توضيحاً يجعل الحقيقة أمامه كالامر المشاهد المحسوس . كذلك نجد المؤلف - رحمه الله - يستشهد أحياناً على ما يقول بما جاء فى الإنجيل ، وإعتماده فيما ينقل على إنجيل ( برنابا ) لأنه - كما يرى - أصح الأناجيل ، بل هو الإنجيل الوحيد الذى لم تصل إليه يد التحريف والتبديل كما قيل .

وكثيراً ما نرى المؤلف - رحمه الله - يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون فى جمهوريته ، أو بما جاء عن إخوان الصفا فى رسائلهم ، وهو حين ينقلها يبدى لنا رضاه عنها ، وتصديقه بها ، مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما أنه يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل الذى لا تصدق أنه يوصل إلى حقيقة ثابتة ، وإنما هى عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين ، فتسلطت على عقول الكثير منهم .

هذا . . . وإننا لنجد المؤلف - رحمه الله - يفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة ، وعلوم جديدة ، لم يكن للعرب عهد بها من قبل ، ولست أرى هذا المسلك فى التفسير إلا ضرباً من التكلف ، إن لم يذهب بغرض القرآن ، فلا أقل من أن يذهب بجلاله وجماله . وإليك بعض ما جاء فى هذا التفسير :

نماذج من هذا التفسير :

فمثلاً ، عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٦١) من سورة البقرة « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقناتها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير . . . الآية ، نجده يقول : ( الفوائد الطيبة في هذه الآية ) ثم يأخذ في بيان ما أثبتته الطب الحديث من نظريات طبيه ، ويذكر مناهج أطباء أوروبا في الطب ، ثم يقول : ( أو ليست هذه المناهج هي التي نحنا نحوها القرآن؟ أوليس قوله « أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، رمزاً لذلك ؟ كأنه يقول : العيشة البدوية على المن والسوى . . . وهما الطعامان الخفيفان اللذان لا مرض يتبعهما . مع الهواء النقي والحياة الحرة ، أفضل من حياة شقية في المدن بأكل التوابل ، واللحم ، والإكثار من ألوان الطعام ، مع الذلة ، وجور الحسكام ، والجبن ، وطمع الجيران من الممالك ، فتختطفكم على حين غفلة وأنتم لاتشعرون . يمثل هذا تفسر هذه الآيات . يمثل هذا فليفهم المسلمون كتاب الله ... (١) اه

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآيات (٦٧) وما بعدها من سورة البقرة « وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تدبحوا بقرة .. الآيات إلى آخر القصة ، نجده يعقد بحثاً في عجائب القرآن وغرائبه ، فيذكر ما انطوت عليه هذه الآيات من عجائب ، ويذكر فيما يذكر علم تحضير الأرواح فيقول : ( .. وأما علم تحضير الأرواح فإنه من هذه الآية استخراجه . . . إن هذه الآية تتلى ، والمسلمون يؤمنون بها ، حتى ظهر علم الأرواح بأمريكا أولاً ، ثم بسائر أوربا ثانياً . . . ) ثم ذكر نبذة طويلة عن مبدأ ظهور هذا العلم ، وكيف كان انتشاره بين الأمم ، وفائدة هذا العلم ، ثم قال أخيراً : ( ولما كانت السورة التي نحن بصددنا قد جاء فيها حياة العزيز بدموته ، وكذلك حماره ، ومسألة الطير وإبراهيم الخليل ، ومسألة الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون ، فاتوا ثم أحياهم . . . وعلم الله أننا

نعجز عن ذلك ، جعل قبل ذكر تلك الثلاثة في السورة ما يرز إلى استحضار الأرواح في مسألة البقرة ، كأنه يقول : إذا قرأتم ما جاء عن بنى إسرائيل في إحياء الموتى في هذه السورة عند أواخرها . فلا تأسوا من ذلك ؛ فإنى قد بدأت بذكر استحضار الأرواح ، فاستحضروها بطرقها المعروفة ، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، ولكن ليسكن المحضر ذا قلب نقى خالص على قدم الأنبياء والمرسلين ، كالعزير ، وإبراهيم ، وموسى ، فهؤلاء لعلو نفوسهم أرىتهم بالمعانيمة ، وأنا أمرت نبيكم أن يقتدى بهم فقلت : « فبهدهم اقتده ، ... » اه (١) ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في أول سورة آل عمران ( ألم ) نجده يعقد بحثاً طويلاً عنوانه ( الأسرار الكيميائية ، في الحروف الهجائية ، للأمم الإسلامية ، في أوائل السور القرآنية ) وفيه يقول : ( انظر رعاك الله . تأمل .. يقول الله : أ . ل . م - طس - حم - وهكذا يقول لنا : أيها الناس ، إن الحروف الهجائية ، إليها تحمل الكلمات اللغوية ، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلها إلى حروفها الأصلية ، سواء أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية ، شرقية وغربية ، فلا صرف ، ولا إملاء ، ولا اشتقاق إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها ، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها ، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون .

ولا جرم أن العلوم قسيمان : لغوية وغير لغوية ، فالعلوم اللغوية مقدمة في التعليم ؛ لأنها وسيلة إلى معرفة الحقائق العلمية من رياضية وطبيعية وإلهية ، فإذا كانت العلوم التي هي آلة لغيرها لا تعرف حقائقها إلا بتحليلها إلى أصولها . فكيف إذا تكون العلوم المقصودة لنتائجها المادية والمعنوية ؟ فهي أولى بالتحليل وأجدر بإرجاعها إلى أصولها الأولية التي لا تعرف الحساب إلا بمعرفة بسائط الأعداد ، ولا الهندسة إلا بعد علم البسائط والمقدمات ، ولا علوم الكيمياء إلا بمعرفة العناصر وتحليل المركبات إليها ، فرجع الأمر إلى تحليل العلوم (٢) اه .

(١) الجواهر ج ١ ص ٧١ - ٧٧ .

(٢) الجواهر ج ٢ ص ١٠ - ١١ .

ومثلاً نراه يعرض لقوله تعالى في الآية (٢٤) من سورة النور : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » وقوله في الآيات (٢٠ و ٢١ و ٢٢) من سورة فصلت « حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون \* وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون \* وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون » ، وقوله في الآية (٦٥) من سورة يس « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ، ثم يقول : ( .. أوليس الاستدلال بآثار الأقدام ، وآثار أصابع الأيدي في أيامنا الحاضرة ، هو نفس الذي صرح به القرآن ، وإذا كان الله يعلم ما في البواطن بل هو القائل للإنسان : « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً »<sup>(١)</sup> ، والقائل : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ، »<sup>(٢)</sup> أفلا يكون ذكر الأيدي والأرجل والجلود وشهادتها يوم القيامة ليلفت عقولنا إلى أن من الدلائل ما ليس بالبينات المشهورة عند المسلمين ؟ وأن هناك ما هو أفضل منها ؟ .. وهي التي يحكم بها الله فاحكموا بها . ويكون ذلك القول لينبهنا ويفهمنا أن الأيدي فيها أسرار ، وفي الأرجل أسرار ، وفي النفوس أسرار : . فالأيدي لا تشبهه ، والأرجل لا تشبهه ، فاحكموا على الجانين والسارقين بآثارهم .... أو ليس في الحق أن أقول : إن هذا من معجزات القرآن وغرائبه ؟ وإلا فلماذا هذه المسائل التي ظهرت في هذا العصر تظهر في القرآن بنصها وفصها ...<sup>(٣)</sup> ( ٥١ ) .

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآيتين (٦٥ و ٦٥) من سورة طه : « الرحمن على العرش استوى \* له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى ، نجده يقول : ( ... قوله « وما بينهما » دخل في ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العالم المسمى ( الآثار العلوية ) وهو من علوم الطبيعة قديماً

(١) في الآية (١٤) من سورة الاسراء .

(٢) الآية (١٤) من سورة القيامة .

(٣) الجواهر ج ٣ ص ٩٠ .



وحديثاً . وقوله : « وما تحت الثرى » ، يشير لعلمين لم يعرفا إلا في زماننا ، وهما علم طبقات الأرض ، المتقدم مرارا في هذا التفسير ، وعلم الآثار ، المتقدم بعضه في سورة يونس ... فالله هنا يقول . « وما تحت الثرى » ، ليحرص المسلمون على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى ... ( ١ ) هـ .

ومثلا عند قوله تعالى في الآية ( ٣٠ ) من سورة الأنبياء « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ... الآية » ، يقول : ( ها أنت قد اطلعت على ما أبرزه القرآن قبل مئات السنين ، من أن السموات والأرض أى الشمس والكواكب وما هى فيه من العوالم ، كانت ملتحمة ففصلها الله تعالى ، وقلنا : إن هذه معجزة ؛ لأن هذا العلم لم يعرفه الناس إلا في هذه العصور ، ألا ترى أن كثيرا من المفسرين قالوا : إن الكفار في ذلك الوقت ليس لديهم هذا العلم . فكان جوابهم على ذلك أنهم أخبروا به في نفس هذه الآية ، فكان الآيه تستدل عليهم بنفس ما نزلت به ، وذلك أن هذه الأمور لم تخلق . وقد أخذ العلماء يؤولون تأويلات شتى لفرض ذكهم وحرصهم رحمهم الله ، وها نحن أولاء نجد هذه العلوم المكنونة المخزونة قد أبرزها الله على أيدي الفرنجة ، كما نطق القرآن هنا ، كأنه يقول : سيرى الذين كفروا أن السموات والأرض كانت مرتوقة ففصلنا بينهما ، فهو وإن ذكرها بلفظ الماضى فقد قصد منه المستقبل كقوله تعالى : « أتى أمر الله » ( ٢ ) ، وهذه معجزة تامة للقرآن ، وعجيبه من أعجب ما يسمعه الناس في هذه الحياة الدنيا ... ) ( ٣ ) هـ .

ومثلا عند قوله تعالى في الآية ( ١٥ ) من سورة الرحمن « وخلق الجان من مارج من نار ، نجده يقول : ( ... والمارج المختلط بعضه ببعض ، فيكون اللهب الأحمر والأصفر والأخضر مختلطات ، وكما أن الإنسان من عناصر مختلفات هكذا الجان من أنواع من اللهب مختلطات ، ولقد ظهر في الكشف الحديث أن الضوء مركب من ألوان سبعة غير ما لم يعلموه . فلفظ المارج يشير إلى تركيب

( ١ ) الجواهر ج ١٠ ص ٦٤ - ٦٥ .

( ٢ ) أول سورة النحل . ( ٣ ) الجواهر ج ١٠ ص ١٩٩ :

( ٣٣ - التفسير والمفسرون ٢ )

الأضواء من ألوانها السبعة ، وإلى أن اللهب مضطرب دائماً ، وإنما خلق الجن من ذلك المارج المضطرب ، إشارة إلى أن نفوس الجن لاتزال في حاجة إلى التهذيب والتكميل . تأمل في مقال علماء الأرواح الذين استحضروها إذ أفادتهم إن الروح الكاملة تكون عند استحضارها ساكنة هادئة ، أما الروح الناقصة فإنها تكون قلقة مضطربة . . . (١) هـ .

وعند قوله تعالى في الآية (٣٥) من السورة نفسها يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ، يقول : ( . . . إنه عبر هنا بشواظ من نار وفيما تقدم بقوله من مارج من نار ، والشواظ والمارج كلاهما اللهب الخالص ، فلماذا جعل الجن مخلوقاً من مارج ولم يقل من شواظ ؟ فاعلم أن المارج فيه معنى الاضطراب كما تقدم . وقد أبت ذلك هناك ، وهذا الاضطراب يفيد اضطراب الروح كما تقدم في علم الأرواح ، وأيضاً اختلاط الألوان الآن معروف في التحليل فهو من هذا القبيل . . . وهذه الفكرة لم تعرف قط إلا في زماننا هنا ؛ فإن تحليل الضوء والعلم بأنه مختلط ، والاطلاع على عالم الأرواح الناقصة وأنها مضطربة ، لم يكن إلا في زماننا ، وهذا من أعاجيب القرآن التي لاتدرك إلا بقراءة العلوم ، وليس يعقلها الناس بفن البلاغة المعروف ، فلا أصحاب المعلقات يدركونها ، ولا الذين بعدهم يعلمونها ، فهل لمثل امرئ القيس ، أو لأبي العلاء ، أو المتنبي أن يتناولوا هذه المعاني في أقوالهم ؟ كلا . . . فهذه بلاغته لاتخطر ببالهم ، وأنى لهم علم الروح حتى يخصصوها بلفظ مارج ؟ وعند إنزال العذاب يذكر الشواظ (٢) هـ .

ومثلاً في سورة الزلزلة نجد تفسيراً لفظياً مختصراً ، ثم يذكر ما فيها من لطائف ، مستعرضاً ما وقع من حوادث الزلزال في إيطاليا ، وما وصل إليه العلم الحديث من استخراج الفحم والبتروال من الأرض ،

(١) الجواهر ج ٢٤ ص ١٧ .

(٢) الجواهر ج ٢٤ ص ٢٧ .

وما كثر في هذا الزمان من استخراج الدفائن من الأرض ، مثل ما كشف في مصر من آثار قدمائها ، ثم يقول - بعد ما يفيض في هذا وغيره : ( ألسنت ترى أن هذه السورة - وإن كانت واردة لأحوال الآخرة - تشير من طرف خفي إلى ما ذكرنا في الدنيا ؟ فالأرض الآن كأنها في حال زلزلة ، وقد أخرجت أبقالها كنوزها وموتاهها وغيرها ، والناس الآن يتساءلون ، وهامم أولاء يلهمون الاختراع ، وهامم أولاء مقبلون على زمان تنسيق الأعمال بحيث تكون كل أمة في عمل يناسبها ، وكل إنسان في عمله الخاص به وينتفع به (١) ) .

ومثلاً نجده بعد أن يفرغ من تفسير سورة الكوثر ، وسورة الكافرون ، وسورة النصر ، يذكر لنا بحثاً مستفيضاً عنوانه : ( تطبيق عام على سورة الكوثر والنصر وما بينهما ) وفيه نجده يتأثر بنزعه التفسيرية العلمية إلى درجة جعلته يحمل نصوص الشارع من المعاني الرمزية ما يستبعد أن يكون مرادها ، وذلك أنه يقرر أولاً أن هذه السور لم تكن خاصة بزمان النبوة ، ولا بفتح مكة ونصر جيشها ، لأن هذه الأمة كانت عند نزول هذه السور في أول عمرها ، وسيطول إن شاء الله ، ولم سيكون لها من فتوح وانتصارات . ثم قال : ( وإذا كان الأمر كما وصفنا ونحن أبناء العرب ، وورثة النبي الذي جاء منا صلى الله عليه وسلم ، ولتتنا في مصر ، والشام ، والعراق ، وشمال أفريقيا ، هي لغة القرآن فلتبين للناس بعدنا سر هذه السور ، فقد كان العلماء قبلنا يكتمونها ؛ خوفاً من أهل زمانهم ، ولكننا الآن يجب علينا إبرازه وإظهاره ، لتأخذ هذه الأمة بعدنا حظاً من الحياة ، وقسطها من الإصلاح ... ) ثم أخذ يبين لنا الكوثر ، وأوصاف كيزانه ، وطيره ، وأوصاف من سيرد عليه من المسلمين ، بما جاء في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ثم قال - بعد هذا كله - : ( اعلم أن هذه الأحاديث وردت لغاية أرقى بما يراها الذين لا يفكرون ، كم أمم جاءت قبلنا وجاء فيهم مصلحون ، فإذا فعلوا ؟ ألقوا إليهم العلم بهيئة جميلة ، وضورة مفرحة ، وبهجة وجمال . ولا يزال نرى كل أمة

حاضرة كفاتنة . جميعهم يصيغون ما يريدون من الجمال ، والحكمة ، والعلم ، ورفق الأمة بهيئة تسر الجمهور ... ) ثم يقول : ( الجاهل يسمع الدرر والياقوت وشراباً أحلى من العسل ، فيفرح ويعبد الله ليصل إلى هذه اللذات التي تقر بها عينه . . . . . والعالم ينظر فيقول : إن هذا القول وراه حكمة ووراه علم ؛ لأنى أرى في خلال القول عجائب . فلماذا يذكر أن الكيزان أو الأباريق أو نحو ذلك عدد نجوم ، السماء ، وأى دخل لنجوم السماء هنا ؟ ولماذا عبر به ؟ . . . . . ثم يقول : لماذا ذكر أن الذين يرون الحوض عليهم آثار الوضوء ؟ ولم ؟ . . . . . ولم ؟ . . . . . الحق أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم يريد أمرين : أمراً واضحاً جلياً يفرح به جميع الناس ، وأمراً يختص بالقواد والعطاء

إن النبوة بأمر الله ، والله جعل في أهل الأرض فلاحين لا يعرفون إلا ظواهر الزرع ، وجعل أطباء يستخرجون منافع من الحب والشجر ، وحكام يستخرجون علوماً ، وكل لا يعرف إلا علمه ، فالطبيب يشارك الفلاح في أنه يأكل ، ولكنه يمتاز عنه بإدراك المنافع الطيبة . هكذا حكماؤنا الأئمة الإسلامية يشاركون الجهلاء في أنهم يفهمون الحوض كما فهموه ، ويردونهم كما يردونه ، ولكن هؤلاء يمتازون بأنهم قواد الأمة الذين يقودونها . فإذا يقولون ؟ يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم يريد معاني أرقى . إن الجنة فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فليس الماء الذى هو أحلى من العسل وأبيض من الثلج كل شيء هناك . ثم إن الجنة لا ظمأ فيها . وأى شيء عدد نجوم السماء ؟ ولماذا اختصت النجوم بالعدد والوضوء بالأثر ؟ والذى نقوله . إن الحوض يرمز به للعلم مع بقائه على ظاهره ، فلا المسك الإذفر ، ولا أنواع الجواهر النفيسة من درر وياقوت ، ولا حلوة العسل الذى فى ذلك الماء ، ولا اتساع الحوض إلا أفانين العلم ومناظر بداعة المختلفة المناهج ، العذبة المشارب ، السارة للناظرين . . . ) ثم يخاص من هذا كله إلى الاستدلال على أن مذهب إليه من قبيل الكناية التى هى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأسمى ، ثم يقول - بعد بيان هذه الكناية - ( . . . هنا يكون النصر ولا يكون

إلا بعد ان يتجافى الناس عن أفعال الملحدين والكافرين ، .وجعل العلوم مرتبطة بالربوبية كما تشير إليه سورة الكافرون . هنا يكون نصر الله والفتح ويدخل الناس في هذه العلوم الحقيقية افواجا . وعلى حكماء المسلمين الذين بعدنا متى نشروا هذه الآراء العلمية وأمثالها ، ورأوا المسلمين تقدموا ونصرو العلم على الجهل في العالم الإنساني ، واصبح المسلمون قائلين بما وعدهم ربهم من أنهم خير أمة أخرجت للناس ، وأنهم رحمة للعالمين ، متى رأى العلماء ذلك فيعلموا أن هذا هو النصر في زماننا ، وهو الفتح ، واذا فعلى القائلين بذلك أن يحمدا ربهم ويستغفروه . . . . . (١) الخ .

هذا هو تفسير الجواهر ، وهذه نماذج منه وضعتها امام القارىء ، ليقف على مقدار تسلط هذه النزعة التفسيرية على قلم مؤلفه وقلبه .

والكتاب - كاترى - موسوعة علمية، ضربت في كل فن من فنون العلم بسهم وافر ، مما جعل هذا التفسير يوصف بما وصف به تفسير الفخر الرازى ، فقيل عنه : (فيه كل شيء إلا التفسير) بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به ، واذا دل الكتاب على شيء ، فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيرا ما يسبح في ملكوت السموات والأرض بفسكره ، ويطوف في فواح شتى من العلم بعقله وقلبه ، ليحلى للناس آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ، ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمنا لكل ما جاء ويحىء به الإنسان من علوم ونظريات ، ولكل ما اشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث ، تحقيقا لقول الله تعالى في كتابه : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (٢) ، ، ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده ، وانحراف به عن هدفه ، وقد عرفت رأينا في المسألة فلا نعيده .

(١) الجواهر ج ٢٥ ص ٢٦٩ - ٢٧٣ .

(٢) في الآية (٣٨) من سورة الانعام .

## إنكار بعض العلماء المعاصرين لهذا اللون من التفسير

لم يقف العلماء في العصر موقف الإجماع على قبول هذا اللون من التفسير ، بل نراه مختلفين في قبوله والقول به ، كما كان الشأن بين من سبقهم من العلماء الأقدمين . . .

وإذا كنا قد وجدنا من العلماء المحدثين من انحاز إلى هذه الفكرة في التفسير وتأثر بها في مؤلفاته ، فإننا نجد بجوار هؤلاء أيضاً كثرة من العلماء لم ترض عن هذا اللون من التفسير ، ولم تستسغ أن تشرح به كتاب الله تعالى ، ولم تغمض عينها أو تمسك قلبها عن رد هذه الفكرة على أهلها وتناولهم إياها بالنقد والتفنيد . نجد هذه المعارضة في كثير من المحاورات والاعتراضات التي وجهت إلى صاحب الجواهر ، وذكرها لنا في تفسيره .

كما نجد بعض أساتذتنا المعاصرين ينعون على من يأخذ بهذه الفكرة ويقول بها ، ومن بين هؤلاء أستاذنا الشيخ محمود شلتوت . فقد تناول هذا الموضوع بالبحث في العدد ٤٠٧ و٤٠٨ من السنة التاسعة لمجلة الرسالة (أبريل سنة ١٩٤١م) وفيه يرد على من يذهب إلى هذا اللون من التفسير بحجج قوية واضحة .

وهذا هو الأستاذ الشيخ أمين الخولي يتناول هذا الموضوع في كتابه (التفسير: معالم حياته . منهجه اليوم) وفيه يرد على أنصار هذا المذهب في التفسير بحجج قوية واضحة ، استفدنا منها كثيراً في تأييد ما اخترنا ، من المذهبين .

وهذا هو المرحوم السيد محمد رشيد رضا . نجده في مقدمة تفسيره ينعي على من تأثروا في تفسيرهم بنزعاتهم العلمية ، فشغلوا تفاسيرهم بمباحث النحو ، والفقه ، ونكت المعاني ، والبيان ، والإسرائيليات ، وغير ذلك ، ويعد هذا صارفاً يصرف الناس عن القرآن وهديه ، ثم ينعي على الفخر الرازي ما أورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، ويعد هذا صارفاً يصرف

الإنسان عن القرآن وهديه، كما يتوجه بمثل هذا اللوم على من قلد الفخر الرازي في مسلكه من المعاصرين ، وأظنه أراد صاحب الجواهر ، وذلك حيث يقول : ( . . . ) وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن ، هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل هذا من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة ، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولاً طويلة - بمناسبة كلمة مفردة كالسما والارض - من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن ( ١ ) ..

وأخيراً فهذا هو شيخنا العلامة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى - رحمه الله رحمة واسعة - نجده في تقريره لكتاب ( الإسلام والطب الحديث ) لا يرضى عن هذا المسلك في التفسير ، رغم أنه مدح الكتاب وأشاد بمجهود مؤلفه ، وذلك حيث يقول : ( لست أريد من هذا - يعنى ثناءه على الكتاب ومؤلفه - أن أقول : إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلاً بالأسلوب التعليمي المعروف ، وإنما أريد أن أقول إنه أتى بأصول عامة لكل ما يهيم الإنسان معرفته به ، ليلبغ درجة الكمال جسدًا وروحًا ، وترك الباب مفتوحاً لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، لينبوا للناس جزئياتها بقدر ما أتوا منها في الزمان الذي هم عايشون فيه ( ٢ ) ) .

وفي موضع آخر يقول : ( يجب أن لا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها ، ولا العلوم إلى الآية : ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرها بها ( ٣ ) ) .

ومن هذا كله يتبين أن التفسير العلمي في العصر الحديث إن كان قد لقي قبولا ورواجاً عند بعض العلماء ، فإنه لم يلق مثل هذا القبول والرواج عند كثير منهم ، وقد علمت فيما سبق أى الرأيين أقرب إلى الحق وأحرى بالقبول .

( ١ ) تفسير المنار ج ١ ص ٧ ( ٢ ) الإسلام والطب الحديث ص د

( ٣ ) المرجع نفسه ص ٣ .

## اللون المذهبي

للتفسير في عصرنا الحاضر

لم يبق من الفرق المنسوبة إلى الإسلام في هذا العصر الحديث من له كيان ، أو شيء من الكيان - حسبما نعلم - إلا أهل السنة ، والإمامية الإثنا عشرية ، والإمامية الإسماعيلية ، والزيدية ، والإباضية من الخوارج ، والبهائية من الباطنية .. هذه هي الفرق التي لاتزال في اعتبارنا قائمة إلى يومنا هذا ، محتفظة بتعاليمها وعقائدها التي تسير عليها من أول عهدها ومبدأ ظهورها .

وإذا كنا قد وقفنا لكل فرقة من هذه الفرق في عصورها السابقة على عمل ظاهر في تفسير كتاب الله ، وشرحه على حسب ماتمليه عقيدة المفسر، وما يوحى به إليه ، فإننا لا نعدم هذا اللون المذهبي لتفسير القرآن الكريم في هذا العصر الحديث ، ولكن بمقدار ما بقي من هذه المذاهب قائماً إلى هذا العصر الذي نتكلم عنه ، وتحدث عن ألوان التفسير فيه .

نعم بقي اللون المذهبي لتفسير القرآن الكريم قائماً في هذا العصر الحديث ، بمقدار ما بقي قائماً من المذاهب الإسلامية .

فأهل السنة فسروا القرآن ، وألفوا الكتب فيه بما يتفق وعقيدتهم ، كما نرى ذلك واضحاً فيما خلفته لنا مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده من كتب في التفسير .

والإمامية الإثنا عشرية فسروا القرآن وألفوا الكتب فيه بما يتمشى مع مذهبهم . ويتفق مع أهوائهم ومشاربهم ، ومن أحدث كتبهم التي اطلعنا عليها في التفسير : كتاب ( بيان السعادة في مقامات العبادة ) للشيخ سلطان محمد الخراساني ، من أهل القرن الرابع عشر الهجري ، وقد سبق لنا الكلام عنه مفصلاً ، وكتاب ( آلاء الرحمن في تفسير القرآن ) للشيخ محمد جواد النجفي ،



المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ وقد سبق الكلام عنه بإيجاز عند الكلام على أهم كتب التفسير عند الإمامية الاثني عشرية .

والإباضية من الخوارج فسروا القرآن وألفوا فيه الكتب بما يناسب عقيدتهم ، ويسائر مذهبهم ، كما نجد ذلك في كتاب (هميان الزاد ، إلى دار المعاد) للشيخ محمد بن يوسف إطفيش ، المتوفى سنة ١٢٣٢ وقد مر الكلام عنه أيضاً .  
والبهائية من الباطنية نظروا إلى القرآن من خلال عقيدتهم ، فأولوا وحرّفوا ، كما نجد ذلك جلياً في رسائل أبي الفضائل الجرفادقاني . أحد رجال البهائية في هذا العصر .

أما الزيدية ، فهي وإن كانت لا تزال قائمة إلى يومنا هذا ، إلا أننا لم نقف لها على شيء في التفسير في هذا العصر الحديث .

وأما المعتزلة ، فنحن وإن كنا لا نسمع عن قيامها في هذا العصر كفرقة لها كيان ، ووحدة ، ومقومات ، إلا أننا نرى أثراً كبيراً لتعاليمها في تفسير القرآن في العصر الحديث ، كما يظهر ذلك جلياً في تفاسير الإمامية الاثني عشرية .  
والإباضية ، ومقالات بعض المحدثين من المفسرين .

كل هذه الفرق الموجودة في هذا العصر ، أضفت على التفسير لونا مذهبياً ، يقوم على تأييد العقيدة ، وخدمتها على حساب القرآن الكريم ، ولا أريد أن أطيل بذكر نماذج من هذا اللون التفسيري ؛ إذ قد سبق لنا الكلام عن هذه الكتب التي ذكرتها ، وذكرت لك منها ما يعطيك صورة واضحة عن اللون المذهبي في هذا العصر .

## اللون الإلحادي

للتفسير في عصرنا الحاضر

منى الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له ، ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد ، وطرق الهدم . وكان من أهم الأبواب التي طر قوها ليصلوا منها إلى نواياهم السيئة : تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة ، تتنافى مع ما في القرآن من هداية ، وتناقض ما هو عليه من حجة بيضاء وتهدف إلى ما سولته لهم نفوسهم من نحل خاسرة وأهواء . . . . .

منى الإسلام بهذا من أيامه الأولى ، ومعنى يمثل هذا في أحدث عصوره ، فظهر في هذا العصر أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله ، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم ، ويقضى حاجات في نفوسهم ، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة ، ومزاعم منبوذة ، تقبلها بعض المخدوعين من العامة وأشبهاء العامة ورفضها بكل إباء من حفظ الله عليهم دينهم وعقولهم .

الباعث على هذا اللون من التفسير :

اندفع هؤلاء النفر من المؤولة إلى ما ذهبوا إليه من أفهام زائفة في القرآن بعوامل مختلفة ، فمنهم من حسب أن التجديد ولو بتحريف كتاب الله سبب لظهوره وشهرته ، فأخذ يثور على قدماء المفسرين ويرميهم جميعاً بالسفه والغفلة ثم طلع على الناس بجديده في تفسير كتاب الله . . . . . جديد لا تقره لغة القرآن ، ولا يقوم على أصل من الدين .

ومنهم من تلقى من العلم حظاً يسيراً ، ونصيياً قليلاً ، لا يرقى به إلى مصاف العلماء ، ولكنه اغتر بما لديه ، فحسب أنه بلغ مبلغ الراسخين في العلم ، ونسى أنه قل في علم اللغة نصيبه ، وخف في علم الشريعة وزنه ، فراح ينظر في كتاب الله نظرة حرة لا تنقيد بأى أصل من أصول التفسير ، ثم أخذ يهذى بأفهام

فاسدة ، تتنافى مع ما قرره أئمة اللغة وأئمة الدين ، ولأول نظرة يتضح لمن يطلع عليها أنها لا تستند إلى حجة ، ولا تنكس على دليل .

ومنهم من لم يرسم لنفسه نحلة دينية ، ولم يسر على عقيدة معروفة ، ولكنه لعبت برأسه الغواية ، وتسلمت على قلبه وعقله أفكار وآراء من نحل مختلفة ، فانطلق إلى القرآن وهو يحمل في قلبه ورأسه هذه الأمشاج من الآراء ، فأخذ يؤوله بما يتفق معها ، تأويلاً لا يقرره العقل ولا يرضاه الدين .

هؤلاء جميعاً خاضوا في القرآن على عماية ، فلم يراعوا في فهمه قوانين البلاغة ، ولم يدخلوا إلى تفسيره من باب السنة الصحيحة ، وحسبوا أنهم أرضوا ضمائرهم ، وأنصفوا البحث الحر ، والرأى الطليق .

ولولا أن الله قيض لهذا الدين رجالاً يدرسونه ببصائر تنفذ إلى لبابه ، ويدفعهم الإيمان والأخلاص إلى أن يبعدوا عنه هذه الخبائث ، التي يراد أن تلتصق به أو تنزل في رحابه . . لولا هذا لأصاب المسلمين من هؤلاء المضللين شر مستطير ، ولنتج عن أفكارهم وأهوائهم فتنة في الأرض وفساد كبير .

وأنا إذ أعرض لهذا اللون من التفسير ، لا أريد أن أذكر أحداً من أصحابه باسمه ولقبه ، إذ ربما كان هذا سبباً للفتنة ، وباعثاً على العداوة ، وكثير منهم أحياء يرزقون ، ويكفى أن أضع يد القارئ على المراجع التي أنقل عنها تفسير هؤلاء القوم . وآراءهم في القرآن الكريم ، وهي مراجع ميسورة لسكل من يريد أن يرجع إليها ويطلع عليها .

وجدنا من أصحاب هذا اللون من ألوان التفسير ، رجلاً يكتب بحثاً طويلاً تحت عنوان ( القرآن والمفسرون ) وفيه يعرض لنواحي التقصير في تفسير كافة المفسرين لسكتاب الله تعالى ، ويحمل عليهم حملة شديدة نكراه ، ويوجه إليهم جميعاً نقده الساخر ، ولومه اللاذع ، بدون أن يستثنى منهم مفسراً واحداً على كثرتهم ، وكثرة المعتدلين منهم .

رأيتهم يتهم المفسرين جميعاً بأنهم تأثروا في تفاسيرهم بعقائدهم ، فأمالوا آيات القرآن نحو آرائهم ، في تعسف ظاهر ، وتكلف غير مقبول (١) . ورأيتهم

يرميهم جميعاً بأنهم كثيراً ما يكتبون بذكر إسرائيليات ليس لها سند أصلاً ، فضلاً عن طمعهم في تصحيح هذه الأسانيد المكذوبة ، وزراه يذكر ههنا الاتهام الأخير مثلاً من أقوالهم في تفسير قصة أيوب عليه السلام ، ثم يأخذ في تنفيذ ما ذهبوا إليه ، وإبطال ما قالوا به ، بأدلة كثيرة ذكرها ، وبعد هذا كله تناول هو قوله تعالى في الآيات ( ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ) من سورة ( ص ) :  
وأذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب . اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب . وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث إننا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب . .

تناول الكاتب هذه الآيات ، فشرحها شرحاً يخالف ما ذهب إليه المفسرون جميعاً ، مدعياً أن ما ذهب إليه هو الذى يسائر كل ما ورد من آيات القصص فى القرآن ، ومؤكداً أنه هو الذى يتفق مع بلاغة القرآن ، و قدسية الأنبياء ، فقال :

( يجب أن ننظر فى الآية نظرة أخرى - يعنى خلاف ما عليه المفسرون تسائر بها نظائرها من آيات القصص ونحن إذا التفتنا إلى ما فى هذه الآية من أن أيوب عليه السلام قد عزى النصب والعذاب للشيطان فقال د مسنى الشيطان بنصب وعذاب ، كان ذلك ما نعا كل المنع من أن يراد بالنصب والعذاب داء أصاب أيوب ، وكان من نتائجه ما ذكره المفسرون . . . إذ الشيطان لا يملك للإنسان إلا أن ينزغه ، ويوسوس إليه ، فيأويه عن الخير إلى الشر ، وعن العزم فى سبيل الغاية إلى التردد والهنيمه ، وإنه ما من نبي ولا رسول إلا وقد نزل به هذا المصاب . . مصاب إعراض الناس واستهوائهم بالدعوة والداعين ، وصد الشيطان لهم عن سبيل الله د وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي . . الآية ، (٢) وما كانت شكوى الأنبياء إلا من إعراض أمهم عن الاستجابة ، ولا كان حزنهم

( ١ ) انظر مجلة الايمان المدد الثانى من السنة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ .

( ٢ ) الآية (٥٢) من سورة الحج .

الذى كان يبلغ أحيانا حد الإهلاك للنفس إلا لبطء في سير الدعوة إلى الله تعالى . . انظر قوله تعالى « ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون » (١) وقوله تعالى « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » (٢).

ولما كانت الشكوى تشعر بوهن في العزيمة ، وضعف في الثقة . وعدم القوة في السير إلى الغاية ، كان جواب تلك الشكوى أن قيل له « اركض برجلك ، فلما بالركض هنا ، عقد العزيمة وتأكيدها ، واستتمام الثقة وإكمالها ، والمضاء بقوة وبغير تردد ولا توان إلى الغاية ، فهي كناية من أعذب الكنايات وأروعها ، وهي من وادى — شمر عن ساعد الجد . شمر عن ساقيك — غير أنها أوفر منها صياغة وترفعا . إذ من المعروف المشاهد أن السائر إلى جهة بغير تردد ، بل بقوة وعزيمة ، ترى لرجليه ضربا ، وتسمع لقدميه على الأرض وقعا . ولما كان تردد المرء في غايته ، ووهن عزمته إليها . وضعف ثقته بها ، صدا يغشى الأرواح ، ومرضا يتعب النفوس ويضايق الصدور ، كان عقد العزيمة واستكمال الثقة غسلا للروح من صحتها ، وشفاءا للنفس من مرضها ، ونقعا لغللة الصدور ؛ لذلك قال الله لرسوله أيوب « هذا مغتسل بارد وشراب » . والآية كما ترى ليس فيها مرجع لاسم الإشارة إلا الركض المفهوم من قوله « اركض » ، المسكن به عن توثيق العزم ، والأخذ بالحزم ، كما هو مقتضى النظم الكريم ، الجارى لقواعد اللغة ، التي تأتي أن يكون لاسم الإشارة مرجع غير هذا من الماء والعين ، كما يقتضيه تفسير المفسرين ؛ إذ ليس في النظم ما يدل عليهما بأى وجه من وجوه الدلالة . ولما كان أيوب عليه السلام باعتباره رسولا لا بد أن ياتمر في إخلاص الأنبياء بأمر ربه ، بين الله ثمرة جهاده وصبره ، ومضاء عزمه ، فقال : « ووهبنا له أهله ومثلهم معهم » ، أى هدينا له أهله فأمنوا به واستجابوا لدعوته ، وهدينا له مثلهم من غير أهله ، فليس المراد بالهبة هنا هبة الخلق والإيجاد ، بل هبة الهداية والإرشاد ؛ بدليل تعبيره بالأهل دون التعبير بالذرية والولد ، كما

(١) في الآية (١٢٧) من سورة النحل .

(٢) في الآية (٦) من سورة الكهف .

في قوله تعالى «ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا»<sup>(١)</sup>، إذ كل ما يهتم له الأنبياء إنما هو أن يهدي الله بهم ، لا أن يولد لهم . ولم يتحدث القرآن عن هبة يحيى لذكرياء ، ولمسحق لإبراهيم إلا لأن هبة الإيجاد فهما قد تضمنت أمرين عظيمين : ( الأول ) أنه قد ولد لإبراهيم ولذكرياء عن كبر وشيخوخة ويأس وقنوط . ( والثاني ) أن الموهوب لسلك منهما رسول لا ولد عادي ، فوضع المنة في هذا : كونهما رسولين لا كونهما ولدين ) .

( ثم بين الله بعد ذلك سيرة أيوب التي أمره أن يسير بها في قومه ، وهي اللين في القول ، والرفق في الدعوة ، والعظة بالحسنى ، وتلك هي الخطوة التي رسمها الله لجميع أنبيائه ، انظر كيف يقول لموسى وهرون « اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى »<sup>(٢)</sup> . ويقول لرسوله الكريم : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك »<sup>(٣)</sup> . « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »<sup>(٤)</sup> ) وبين الله ذلك فقال : « وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تمنثن ، أي لا ترفع في وجوه قومك رمحا ولا عصا ، ولا تغلظ لهم القول ، ولا تخاشنهم في الطلب . بل لوح في وجوههم بالرياحين والأزهار ، ولا تأثم بالغلظة والجفوة ، فإنك بخفض الجناح والجدال بالتي هي أحسن تبلغ منهم ما لا تبلغه بالسيف ، والعصا ، والخشونة ، والغلظة ، فانظر إلى ما في الآية من كناية ما أجملها وأعلاها ، وما أخصبها وأرواها ، وانظر كم تعطيك على هذا الوجه من فنون البلاغة ، وكم تمنحك من جزالة في الأسلوب ، ثم هم — يريد المفسرين — بعد ذلك يمسخونها ويشوهونها ، فيجعلونها منقطعة عما قبلها ، وما بعدها ، فتتعلق في مرقدتها ، وتنبو في مضجعها ، إذ يجعلونها متوافقة في فهمها على معونة أجنبية من الكلام الذي هي فيه ، وذلك من أدعى الدواعي لانحطاط

(١) في الآية (٥٣) من سورة مريم

(٢) الآيتان (٤٣ و ٤٤) من سورة طه

(٣) في الآية (١٤٩) من سورة آل عمران

(٤) في الآية (٢١٥) من سورة الشعراء

الكلام عن المستوى العالى لكلام البشر، فضلا عن مستوى الإعجاز الذى يجب أن يكون عليه القرآن الكريم).

(هذا ما رأيت أن تؤول به تلك الآيات، استناداً إلى ما جرى عليه قصص القرآن، وتحميماً لما يترتب على ما فسر به المفسرون تلك الآيات من خدش قدس أيوب عليه السلام، باعتباره نبياً رسولاً، ومن منافاة ذلك لحكمته السامية، وتفادياً من أن يحدثنا القرآن عن أمر عادى، وهو أن شخصاً مرض ثم دعا ربه فشفاه من مرضه... ذلك الحديث الذى لا يتحدث به عظيم من الناس فضلاً عن الله تعالى، ولا يحدث به عن رجل عادى فضلاً عن أيوب الرسول الكريم... اه<sup>(١)</sup>)

هذا هو التفسير الصحيح فى نظر صاحبه، وأحسب أن القارىء الكريم سوف لا يتردد فى الحكم عليه بأنه تفسير منابذ لبلاغة القرآن، ومخالف لظاهره الذى عرف منذ عهد الصحابة والتابعين، وأى شيء يقف فى سبيل المعنى الظاهر حتى نعدل عنه إلى مجاز أو كناية فيها تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول؟ اللهم لا شيء إلا دعوى التجديد، والثورة على القديم، والعمل على هدم آراء العلماء الذين عرف الناس مبلغ خدماتهم للعلم، ودفاعهم عن الدين.

ولا أطيل بذكر ما أفند به هذا الرأى الشاذ وما يحمله من دعاوى غير صحيحة على المفسرين جميعاً، فقد سبقنى إلى هذا أحد أساتذتى الأجلاء، ولست يبالغ مبلغه من العلم، ولا بات بأكثر مما أتى به فى الرد على صاحب هذا الرأى<sup>(٢)</sup>.

ووجدنا من أصحاب هذا اللون رجلاً آخر دفعه حب التجديد المزيف إلى أن يساير روح الإلحاد ويجارى من يهتمون الشريعة الإسلامية بالقسوة فى

(١) مجلة الإيمان المدد الثالث من السنة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ.

(٢) صاحب الرد المفحم هو أستاذنا العلامة الشيخ السيد محمد الحضر حسين، وقد نشره فى مجلة الهداية الإسلامية.. المدد العاشر والثانى عشر من المجلد السابع، والمدد الثانى والثالث والرابع من المجلد الثامن.

أحكامها وحدودها . فراح يتأول آيات الحدود بما يوافق هواه وهوى أصحابه ، فحمل الأمر فيها على الإباحة . . . وجعل الأمر في ذلك مفوضاً إلى رأى ولى الأمر وحده ، وهو وإن كان قد استعمل الأسلوب اللوالبى فيما أبداه ، وطرح الموضوع الذى عاجله فى صورة سؤال ألقاه شخص خالى الذهن ليتعرف وجه الحق فى المسألة ، هو وإن كان قد فعل ذلك مفوضاً أمره فصدر المقال يكشف لنا عن نية صاحبه ، ويفيدنا بكل صراحة أن الكاتب يريد أن يتأول آيات الحدود بحمل الأوامر الواردة فيها على الإباحة ، وإليك ما جاء فى هذه المقالة لتقف على حقيقة الأمر ، ولتعرف نية الكاتب وما يهدف إليه فى مقاله .

قال هذا الكاتب تحت عنوان (التشريع المصرى وصلته بالفقه الإسلامى) :  
( قرأت فى السياسة الأسبوعية الغراء مقالا بهذا العنوان (١) . حوى أفكاراً أثارت فى نفسى من الرأى ما كنت أريد أن أرجئه إلى حين ، فإن النفوس لم تنهياً بعد لفتح باب الاجتهاد ، حتى إذا ظهر المجتهد فى هذا العصر برأى جديد ، كتلك الآراء التى كان يذهب إليها الأئمة المجتهدون فى عصور الاجتهاد ، قالها الناس بمثل ما كانت تقابل به تلك الآراء من الهدوء والسكون ، وإن بدا عليها ما بدا من الغرابة والشذوذ ؛ لأن الناس فى تلك العصور كانوا يألفون الاجتهاد وكانوا يألفون شذوذه وخطأه ، لفهم لصوانه وتوفيقه . أما فى هذا العصر ، فإن الناس قد بعد بهم العهد بالاجتهاد ، حتى صار كل جديد يظهر فيه شاذاً فى نظرهم ، وإن كان فى الواقع صواباً ، وما أسرعهم فى ذلك إلى التشنيع والطعن فى الدين ، والمحاربة فى الرزق ، فلا يجد من يرى شيئاً من ذلك إلا أن يكتمه أو يظهره بين أخصائه ، بمن يأمن شرهم ولا يخاف كيدهم ، وتضع بهذا على الأمة آراء نافعة فى دينها ودنياها ، ولكنى سأقدم على ما كنت أريد إخفاءه من ذلك إلى حين ، وسأجتهد ما أمكننى فى أن لا أدع لأحد مجالاً فى ذلك التشنيع الذى يقف عقبة فى سبيل كل جديد ) . . . ثم أشاد بما كتبه صاحب المقال المشار إليه ثم قال : (ولكن يبقى بعدا هذا فى تلك الحدود ذلك الأمر الذى

---

(١) هذا المقال المشار إليه يوجد بالعدد الخامس من السنة السادسة (سنة ١٩٧٣م)



سئيره فيها ، ليبحث في هدوء وسكون . فقد نصل فيه إلى تذييل تلك العقبة التي تقوم في سبيل الأخذ بالتشريع الإسلامي من تاحية تلك الحدود بوجه آخر جديد . . . وسيكون هذا بإعادة النظر في النصوص التي وردت فيها تلك الحدود ؛ لبحثها من جديد بعد هذه الأحداث الطارئة ، وسأقتصر في ذلك - الآن - على ذكر ما ورد في تلك الحدود من النصوص القرآنية ، وذلك قوله تعالى في حد السرقة : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم \* فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم <sup>(١)</sup> » ، وقوله تعالى في حد الزنى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين <sup>(٢)</sup> » ، فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حد السرقة وهو قوله تعالى ( فاقطعوا ) والأمر الوارد في حد الزنى وهو قوله تعالى ( فاجلدوا ) فنجعل كلا منهما للإباحة لا للوجوب ، ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين <sup>(٣)</sup> » ، فلا يكون قطع يد السارق حدا مفروضا ، لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة ، بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبة فيها ، ويجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبات أخرى رادعة . ويكون شأنه في ذلك شأن كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر ، وتقبل التأثير بظروف كل زمان ومكان . وهكذا الأمر في حد الزنى سواء أكان رجما أم جلدا ، مع مراعاة أن الرجم في الزنى لا يقول به فقهاء الخوارج ؛ لعدم النص عليه في القرآن الكريم ، وهل لنا أن ندلل بهذا عقبة من العقبات التي تقوم في سبيل الأخذ بالتشريع الإسلامي . مع أنا في هذه الحالة لا نكون قد أبطلنا نصا ولا أنفيئا حداً ،

(١) الآيتان ( ٣٨ و ٢٩ ) من سورة المائدة .

(٢) الآية (٢) من سورة النور .

(٣) الآية (٣١) من سورة الأعراف .

وإنما وسعنا الأمر توسيعاً يليق بما امتازت به الشريعة الإسلامية من المرونة والصلاحية لكل زمان ومكان ، وبما عرف عنها من إثبات التيسير على التعسير .  
والتخفيف على التشديد . . . (١) ٥١ .

فأنت ترى من هذا المقال مقدار ما وصل إليه الكاتب من الجرأة على كتاب الله ، إذ أول آية السرقة وآية الزنى تأويلا غير مقبول بأى حال من الأحوال ، ومن ينظر إلى آية السرقة وآية الزنى لا يفهم منهما إلا أن الأمر فيهما للوجوب ، فليس لأحد أن يعدل عنه مطلقا ، وذلك الأمر في قوله تعالى « فاقطعوا ، وقوله « فاجلدوا ، وورد في الوجوب القاطع : فإن بناء الأمر بالقطع في آية السرقة على قوله « والسارق والسارقة ، وبناء الأمر بالجلد في آية الزنى على قوله « الزانية والزاني ، يصرفه عن احتمال الإباحة إلى الوجوب ؛ وهذا لأن تعليق الحكم على شخص ، موصوف بوصف يؤذن بأن المنتقضى للحكم هو ذلك الوصف الذي قام بالشخص ، وإذا كان ذلك الوصف جنائية مثل السرقة والزنى ووضع الشارع لهما حكما في صيغة الأمر ولم يذكر حكما غيره ، لا يصح أن يقال : إن هذا الأمر محتمل للإباحة كما احتملها الأمر في قوله « خذوا زينتكم عند كل مسجد . . . الآية . » .

ثم إن قوله تعالى في آية السرقة « جزاء بما كسبنا نكالاً من الله ، وقوله في آية الزنى « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ، وقوله « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، يؤكد أن الأمر في الآيتين للوجوب لا للإباحة .

ثم إن هناك من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والعملية ما يؤكد كون الأمر للوجوب في الآيتين .

فهل يجوز للكاتب بعد هذا كله أن يتهم على آيات الحدود بمعول ذلك التأويل الذي تنكره اللغة . ولا تفره السنة ولا يتفق وحكمة التشريع ؟

(١) السياسة الأسبوعية ص ٦ من العدد السادس من السنة السادسة ( ٥٠ فبراير

اللهم إن هذا التأويل لا يجوز، ولهذا فإنه لم يصادف غفلة من عقول العلماء وأفلامهم، فقام كثير منهم بالرد على صاحبه، وتفنيده ما ذهب إليه (١)، ولقد تنبه القارئون على أمر الأزهر حينئذ إلى خطر هذا الرأي وما يجره على الدين من بلاء. فجوزى صاحب المقال على ما كان منه جزاء إن كان بسيطا في حد ذاته. فهو يدل على أن أفكار الكاتب لم تلق قبولا ولم تجد رواجاً في محيط العلماء...

ووجدنا غير هذا وذاك من تأثر ببعض الآراء الفلسفية فراح ينسكرك بعض الحقائق الدينية الثابتة، ويتأول ما ورد منها في القرآن بما يتماشى مع مذاهب الفلاسفة. فأنكر حقيقة الشيطان، وتأويل ما جاء من لفظ الشيطان في قوله تعالى في الآية (١١٧) من سورة النساء: «إن يدعون من دونه إلا إنا أنا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا، فقال ما نصه: (...). والمعنى أن هؤلاء لم يجيبوا حين أشركوا بالله داعي العقل أو داعي فطرة، وإنما أجابوا نزعات الشر المنبئة في العالم على مقتضى سنة الله من الابتلاء بعوامل الخير وعوامل الشر، فهم بذلك يتبعون قوة خفية أطلق عليها كلمة (شيطان) جريا على عادة العرب المألوفة، إذ كانوا يتصورون قوى الشر شياطين تتحدث وتناجى وتغرى وتدفع إلى ما تريد... ثم قال: (هذا هو الشيطان الذي يلبي المشرك ياشركه أمره. ويتخذها وليا يأمره وينهاه... (٢)» هـ.

وفي موضع آخر نجد (٣) صاحب هذا الرأي يعود إليه فيؤكد، ولست أدري ماذا يفعل في سياق الآية. وفي القرائن التي احتفت بها، والصفات التي انتظمتها مما يؤكد أن المراد هو إبليس، ذلك الكائن الخارجي المستقل المستتر عن أعين الناس، كما لا أدري كيف يفمل بالأحاديث الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي تقرر أن الشيطان حقيقة لها وجود خارجي.

(١) خير من رد عليه أستاذنا السيد محمد الخضر حسين في مجلة الهداية الإسلامية

العدد السابع من المجلد التاسع (مارس سنة ١٩٣٧ م)

(٤) مجلة الإيمان السنة الخامسة العدد ٢١ ص ١١.

(٣) مجلة الإيمان السنة الخامسة العدد ٢٤

وأنكر بعضهم وجود عالم الجن ، وتناول ما جاء من ذلك صريحاً في آيات القرآن الكريم ، ففسر قوله تعالى في أول سورة الجن : « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن ... الآية » بأن الجن قبيلة من العرب (١) .  
وهذا تأويل يناقئ صريح القرآن في مواضع كثيرة ، فضلاً عن أنه لا يقوم على دليل يصححه .

ووجدنا غير هؤلاء جميعاً رجلاً نكس على رأسه ، فطوعت له نفسه أن يخوض في تفسير كتاب الله على ما به من غواية وعماية ، وأخيراً طلع على الناس بكتاب مختصر في تفسير القرآن الكريم ، تفسيراً جمع فيه الكثير من وساوسه وأوهامه . ثم سول له الغرور أن يسميه :

#### الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن

أحدث هذا التفسير ضجة كبرى في المحيط العلمي ، وقام رجال الأزهر وقعدوا من أجله ، ثم ألفت لجنة من بعض العلماء لتتظر في هذا الكتاب ، ثم لتحكم عليه بما ترى فيه . ثم رفعت اللجنة تقريرها لشيخ الأزهر إذ ذاك ، وفيه تفنيد لأراء الرجل وحكم عليه بأنه ( أفاك خراص ، انتهى أن يعرف فلم ير وسيلة أهون عليه وأوفى بغرضه من الإلحاد في الدين بتحريف كلام الله عن مواضعه . ليستفز الكثير من الناس إلى الحديث في شأنه وترديد سيرته ) .  
ثم صودر الكتاب واختفى عن أعين الناس ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، .

قرأت ما جاء في تقرير اللجنة الأزهرية ، ولكنني أردت أن أطلع على الكتاب نفسه ، فعملت كل ما أستطيع حتى استصدرت تصريحاً من دار الكتب المصرية بالاطلاع على هذا الكتاب الذي منع من التداول بين الناس .

حملته على جميع المفسرين :

جاء في الكتاب وقرأت فيه ، فوجدت مؤلفه قد قدم له بمقدمة عاب فيها

المفسرين وكتب التفسير جميعا فقال : ( وقد بلغ الدس والحشو في التفاسير أنك لا تجد أصلا من أصول القرآن إلا وتجد بجانبه رواية موضوعية ؛ لهدمه وتبديله ، والمفسرون قد وضعوا هذا في كتبهم من حيث لا يشعرون ) (١) هـ .

### طريقته في التفسير :

ثم قال بعد ذلك : ( فهذا كله — يعني الدس والحشو في التفاسير — دعاني إلى تفسيري ، وأن تكون طريقي فيه كشف الآية وألفاظها بما ورد في موضوعها من الآيات والسور ، فيكون من ذلك العلم بكل مواضع القرآن ، ويكون القرآن هو الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في السكون ونظامه في الاجتماع ، وقد اخترت أن تكون على عدد الآيات في المصحف لتبقى الهداية بالترتيب الذي اختاره الله ، وليتمكن الباحث عن معنى الآية أن يلاحظ سيافا فيقرأ ما سبقها وما لحقها من الآيات ليكون على علم تام وهداية واعظة ... (٢) هـ

ونعل القاريء الكريم يلحظ كما ألحظ أن المؤلف يرمى من وراء قوله ( ... ويكون القرآن هو الذي يفسر نفسه كما أخبر الله . ولا يحتاج إلى شيء من الخارج غير الواقع الذي ينطبق عليه ويؤيده من سنن الله في السكون ونظامه في الاجتماع ) . أنه يريد أن يهدر صلة السنة بالقرآن الكريم ، وينفى أن منزلتها منه منزلة المبين من المبين . والله تعالى يقول : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » (٣) ، هـ .

ويظهر لنا أن المؤلف قد ركب رأسه فراح يهدم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعترف بما لها من مكانة في تفسير القرآن الكريم ، فقال مقالته السابقة ، كما أنه راح يهدم ما للسنة من المكانة في التشريع الإسلامي فقال

(١) ص ( ب ) .

(٢) ص ج — د .

(٣) في الآية (٤٤) من سورة النحل .

في قوله تعالى في الآية ( ٦٣ ) من سورة النور ، فليحذر الذين يخالفون ، عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، : يفيدك أن المخالفة المحذورة هي التي تكون للإعراض عن أمره ، وأما التي تكون للرأى والمصلحة فلا مانع منها بل هي من حكمة الشورى<sup>(١)</sup> ) فأنت ترى أنه يجيز مخالفة أمر الرسول للمصلحة ، وهذا عناد ومكابرة ومخالفة صريحة لقوله تعالى ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، ولغير هذا من الآيات التي وردت في وجوب طاعته عليه السلام وهي كثيرة . ثم أى مصلحة تخالف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ . . .

هذا ولا أريد أن أطيل بذكر ما جاء في هذا الكتاب من أبابيل وأضاليل ويدهى أن أذكر طرفاً مما حواه من ذلك ليتبين القارىء أن الرجل ( جامد على المحسوسات ، جاحد لكثير مما أخبر به القرآن ، منسكراً لأحكام قرورها القرآن والسنة وأجمع عليها الصحابة وأئمة المسلمين من بعدهم ) .

#### إنكاره لمعجزات الأنبياء عليهم السلام :

وقف هذا الرجل من معجزات الأنبياء عليهم السلام موقفاً شاذاً غريباً . يقوم على إنكارها وجحدها والذهاب بها - عن طريق التأويل الفاسد - إلى أن تكون من قبيل الممكن الذى يدخل تحت مقدور كل إنسان رسول أو غير رسول ، وهو يصرح بهذا في كثير من المواضع ، فيقول في بعض المواضع : ( وبعد هذا تعلم أن الله ينادى الناس بأنهم لا ينبغي أن ينتظروا من الرسول آية على صدقه في دعوته غير ما في سيرته ورسالته<sup>(٢)</sup> ) وفي موضع آخر يقول : ( واعلم أن آيات الله في نصر أنبيائه لا تناقض سنته في خلقه وكونه<sup>(٣)</sup> ) وفي موضع ثالث يقول : ( وقد كانت كل آياتهم حججاً وبراهين من

(١) ص ٢٨١ .

(٢) ص ١٦١ .

(٣) ص ٢٩٠ .

سيرتهم ورسالتهم . فلا يمكن أن يأتوا بدليل على صدقهم من غير الدعوة نفسها ، فتكون هناك علاقة بين الدعوة ودليلها فتدبر (١) وفي موضع رابع يقول : ( وإن آيتهم على صدق دعوتهم لا تخرج عن حسن سيرتهم ، وصلاح رسالتهم ، وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنته ونظامه في كونه (٢) ) .

على هذا الأساس تناول الرجل آيات المعجزات فخرج بها عن مدلولها الحقيقي الذي أراده الله تعالى .

موقفه من معجزات عيسى عليه السلام :

فتلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٩ ) من سورة آل عمران في شأن عيسى عليه السلام : . . . أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكفون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ، نجده يقول مانصه : ( كهيئة الطير ) يفيدك التمثيل لإخراج الناس من ثقل الجهل وظلماته إلى خفة العلم ونورده ( الأكمه ) من ليس عنده نظر ( الأبرص ) المتلون بما يشوه الفطرة ، فهل عيسى يرى هذا بمعنى أنه يكمل التكوين الجسماني بالأعمال الطيبة ؟ أم بمعنى أنه يكمل التكوين الروحي والفكري بالهداية الدينية ؟ ( في بيوتكم ) يعلمهم التدبير المنزلي (٣) اهـ .

وإذا كان المؤلف قد تردد في معنى إبراء الأكمه والأبرص هنا بين تكميل التكوين الجسماني بالأعمال الطيبة ، وبين تكميل التكوين الروحي بالهداية الدينية ، فإنه ليس تردد الشاك في أي الأمرين كان ، وإنما هو تردد يبدو منه في صراحة

(١) ص ٢٩٧

(٢) ص ٢٠٦

(٣) ص ٤٥

ووضوح ميله إلى أن المراد هو التكوين الروحي لا غير، وإنك لتجده يصرح في موضع آخر بأن المراد هو تكميل التكوين الروحي بالهداية الدينية، وذلك عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (١١٠) من سورة المائدة . . . . . وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير ياذني فتنفخ فيها فتكون طيراً ياذني وتبرىء الأكمه والأبرص ياذني وإذ تخرج الموتى ياذني . . . . . من هذا تعرف أن عيسى نبي أرسله الله إلى بني إسرائيل ليشفى نفوسهم، ويحيي موت فلوبيهم، فأياته في دعوته وسيرته وهدايته . عاش ومات كغيره من الأنبياء في بشرته، فلم يكن خارقاً في سنته، ولا ممتازاً بما يدعو ألوهيته وعبادته<sup>(١)</sup> .

كذلك تجده ينسب أن يكون عيسى عليه السلام قد تكلم في المهد وذلك حيث يؤول قوله تعالى في الآية (٤٦) من سورة آل عمران . . . . . ويكلم الناس في المهد وكهلاً . . . ما نصه: (في المهد: في دور التمهيد للحياة وهو دور الصبا، علامة على الجرأة وقوة الاستعداد في الصغر . وكهلاً: علامة على أنه لا يقل عزمه بالشيخوخة والكبر - ويصح أن يكون المعنى يكلم الناس الصغير منهم والكبير علامة على تواضعه ومباشرة دعوته بنفسه<sup>(٢)</sup>) اهـ .

وتأول أيضاً قوله تعالى في الآية (٢٩) من سورة مريم د فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، فقال: (أى كان ذلك النهار ولدأ صغيراً فكيف يأمرنا وينهانا ونحن كبار القوم فهذا ابن حرام<sup>(٣)</sup>) .

ولما رأى أن قوله تعالى قبل ذلك في الآية (٢٧) فأنت به قومها تحمله، لا يتفق مع تأويله السابق تأوله أيضاً فقال: (تحمله على ما يحمل عليه المسافر، ومنه تفهم أنه كان في سياحة طويلة<sup>(٤)</sup>) .

(١) ص ٩٧

(٢) ص ٤٤

(٣) ص ٢٣٩

(٤) ص ٢٣٩



موقفه من معجزات موسى عليه السلام :

وعند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٦٠) من سورة الأعراف «وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا» قال : ( ويصح أن يكون الحجر اسم مكان ، واضرب بعصاك الحجر : معناه : اطرقه واذهب إليه ، والغرض أن الله هداه إلى محل الماء وعيونه (١) ) .

وعند ما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٦٣ ) من سورة الشعراء « فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم » قال ما نصه : ( « البحر ، الماء الواسع » اضرب بعصاك البحر ، اطرقه واذهب إليه » فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم ، هذا بيان لحالة البحر ، يصوره لك بأنه مناطق بينها طرق ناشفة يابسة ، راجع ١٦٠ في الأعراف ، ثم راجع طه في ٧٧ و ٧٨ ولتعرف كيف اهتدى إلى طريق يبس مر منه ، وقرأ استعمال الضرب في السير في قصة أيوب في ص ٠٠٠ ) (٢) .

وفي سورة الأعراف عند قوله تعالى في الآيتين (١٠٧ و ١٠٨) «فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين \* ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين» يقول ( مثال من قوة حجته وظهور برهانه (٣) ) .

وعند قوله تعالى في الآيات ( ١١٨ ) إلى ( ١٢٢ ) من نفس السورة « فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، إلى قوله « رب موسى وهرون ، يقول ( يصور لنا كيف كشفت حجته تزيف حجتهم حتى سلموا له وآمنوا به (٤) ) .

موقفه من معجزة إراهيم عليه السلام :

وعند ما عرض لقوله تعالى في الآية ( ٦٩ ) من سورة الأنبياء ( قلنا يا نار

(١) ص ١٣١

(٢) ص ٢٩٠

(٣) ص ١٢٦

(٤) ص ١٢٦

كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .. الخ) نجده ينكر أن يكون إبراهيم عليه السلام قد ألقى في النار وخرج منها سالماً ، وذلك حيث يؤول الآية بما يخالف الظاهر فيقول : ( معناه نجاه من الوقوع فيها — راجع ٦٤ في المائة و ٢٦ في النحل ، وترى في الآية وباقي القصة أن الله نجاه بالهجرة وخيب تدميرهم (١) ) .

### موقفه من معجزات داود عليه السلام :

وعندما عرض لقوله تعالى في الآية (٧٩) من سورة الأنبياء : . . . . وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ، يقول : ( يسبحن ، يعبر عما تظهره الجبال من المعادن التي كان يسخرها داود في صناعتها الحربية ، والطير ، يطلق على ذى الجناح وكل سريع السير من الخيل والقطارات البخارية والطائرات الهوائية (٢) ) .

### موقفه من معجزات سليمان عليه السلام :

وعندما عرض لقوله تعالى في الآية (٨١) من سورة الأنبياء : د وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها . . . . نجده يقول : ( د تجري بأمره ، الآن تجري بأمر الدول الأوربية وإشارتها ، في التلغرافات والتليفونات الهوائية . اقرأ سبأ (٣) ) .

وفي سورة النمل عند قوله تعالى في الآية (١٦) د وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير . . . . يقول : د منطق الطير ، كل من يربي الطير ويؤلفه يمكنهم أن يتعلموا منطقهم وماذا يريد ، ويمكنهم أن يستعملوه في الرسائل وغيرها (٤) .

(١) ص ٢٥٦

(٢) ص ٢٥٧

(٣) ص ٢٥٧

(٤) ص ٢٩٧

وفي قوله تعالى في الآية (١٨) من السورة نفسها ، حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ... ، نجده يقول : ( د نملة ، : قبيلة د النمل ، قبائل الوادي ) (١) .

وفي قوله بعد ذلك في الآية (٢٠) من السورة أيضاً ، وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ، نجده يقول : ( د الهدهد ، اسم : طائر فهل يكون من ذوى الجناحين ؟ ويكون كلامه كناية عما يحمل من رسائل ؟ أم من الخيالة ؟ . السواري ؟ أو الطيارين الآخرين ؟ راجع الأنبياء ) (٢) .

وفي قوله بعد ذلك في الآيات من (٣٨) إلى (٤٢) من السورة نفسها : د قال يا أيها الملا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين \* قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه نقوى أمين . قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم \* قال فكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون . فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ، في هذه الآيات نراه يقول : ( د بعرشها ، بملكها ، يريد أن يضع خطط الحرب ونظام الدخول في البلاد ، فطلب الخريطة التي فيها مملكة سبأ ليهاجمها ويربها أنه جاد غير هازل د عفريت من الجن ، أحد القواد .. ويظهر أنه لم يفهم أن المسألة علمية جغرافية تحتاج إلى الذى د عنده علم من الكتاب) من الكتابة والرسم والتخطيط . ( قبل أن يرتد إليك طرفك ) الغرض أنه يأتي به حالا وقد أتى به ، ويحتمل أنه رسمه في الخال أو كان عنده مرسوماً ، ولو كان عهد الفوتوغرافيا قديماً لصح ان يكون ذلك الرسم بها ، وترى ان سليمان يشكر الله على ما في المملكة من العلماء العاملين في كل فن ، ونأخذ من القصة ان الله يعظم شأن العلم ويدعونا إلى التمسك بالأسباب

الكونية لتشييد الملك وإقامة الدولة ، وأوتينا العلم ، يؤيد لك أن المسألة علمية  
«مسلمين ، منقادين لله ، يعنى أنهم جمعوا بين العلم والتربية على الخلق العظيم ،  
وهذا أحسن حافظ لنظام الملك وعزة الدولة» (١) اه .

### موقفه من معجزة الإسراء :

وعندما تعرض لقوله تعالى في أول سورة الإسراء : « سبحان الذى أسرى  
بعده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من  
آياتنا إنه هو السميع البصير ، نجده يقول : ( « أسرى ، الإسراء يستعمل في  
هجرة الأنبياء .. انظر ٧٧ في طه و ١٣٨ في الأعراف و ٥٢ في الشعراء  
و ٢٣ في الدخان و ٨١ في هود و ٦٥ في الحج ، ثم تدبر آخر النحل وعلاقته  
بالإسراء ، المسجد الحرام ، الذى له حرمة يحترم بها عند جميع الناس ٢١٧  
و ٢١٨ في البقرة و ٢٥ في الحج ، المسجد الأقصى ، الأبعد ، مسجد المدينة ..  
وقد بارك الله حوله ، فكان للنبي صلى الله عليه وسلم هناك ثمرة وقوة ، وكان  
بالإسراء الفتح والنصر فكان ذلك من آيات الله انظر ٢٠ يس و ١٠٨ في  
التوبة ثم ارجع إلى الإسراء فقرأ إلى ٦٠ و ٩٣ » (٢) .

### إنكاره للملائكة والجن والشياطين :

كذلك نجد صاحب هذا الكتاب يؤول الملائكة ، والجن ، والشياطين ،  
بما لا يتفق والحقائق الشرعية الثابتة .

فتلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٤ ) من سورة البقرة ، وإذا قلنا  
للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان الكافرين ،  
نجده يقول : ( « الملائكة ، رسل النظام وعالم السنن ، وسجودهم للإنسان معناه  
أن الكون مسخر له . راجع ٢٩ ، ثم انظر الملك في ١٥ ( إبليس ) اسم لكل

(١) ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢) ص ٢١٩ .

مستكبر على الحق . ويتبعه لفظ الشيطان والجان ، وهو النوع المستعصى على الإنسان تسخير<sup>(١)</sup> .

وعند قوله تعالى في الآية (٧١) من سورة الأنعام : « قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونزد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران . . . الآية » ، نجده يقول : ( « الشياطين ، تطلق على الحيات والثعابين ، تستهوى من يتبعها ليقتلها فيهوى معها وتضله بتعرجها راجع ٢٧٥ في البقرة<sup>(٢)</sup> . »

وعند قوله تعالى في الآيتين (٢٦ و ٢٧) من سورة الحجر : « ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأسنون » والجان خلقناه من قبل من نار السموم . » يقول : ( يمثل لك بوصف الإنسان ، النوع الهاديء صاحب الطبع الطيبى الذى تشكله كما تريد . « والجان ، النوع المتشرد صاحب الطبع النارى ، إذا قاربتة يؤذيك ويفويك ، ولا تستطيع أن تمسكه وتعده ، والنوعان موجودان فى كل أمة ، فتدبر السياق من أول السورة ، وراجع القصة فى البقرة<sup>(٣)</sup> ) اهـ

وعند قوله تعالى فى الآية (١٧) من سورة النمل « وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس ، يقول ( « الجن ، يطلق على العالم الخفى والظاهر القوى ، وحن كل شىء أوله ومقدمته . وحن الجيش قواده ورؤساؤه « والإنس ، طائعه ومرء وسوءه اقرأ الجن<sup>(٤)</sup> . »

وعند قوله تعالى فى الآية (١٥٨) من سورة الصافات « وجعلوا يدينه وبين الجنة نسايا ولقد علمت الجنة لانهم لمحضرون ، يقول : ( الجنة أو الجن : سادتهم وكبرائهم<sup>(٥)</sup> . »

(١) ص ٧ .

(٢) ص ١٠٥ .

(٣) ص ٢٠٤ .

(٤) ص ٢٩٧ .

(٥) ص ٢٥٦ .

وعند قوله تعالى في الآيتين (٢٧ و ٢٨) من سورة (ص) « والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، نجده يقول : ( « الشياطين ، يطلقون على الصناع الماهرين والأشقياء المجرمين « مقرنين في الأصفاد ، مسلوكين في القيود ، ومنها تفهم أن سليمان كان يشغل المسجونين من أصحاب الصناعات للانتفاع بهم... » (١) .

إنكاره لأحكام من الدين لم ينازع فيها أحد من من المجتهدين :

ولقد سولت للمؤلف نفسه أن يتأول بعض آيات الأحكام على غير ما أراد الله ، وعلى مقتضى هواه الذي لا يخضع لقواعد اللغة ولا لأصول الشريعة !! .

#### حد السرقة :

فمثلا عند قوله تعالى في الآية ( ٢٨ ) من سورة المائدة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... الآية ، يقول : ( ز واعلم أن لفظ السارق والسارقة يعطى معنى التعود . أى أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ، ويظهر لك من هذا المعنى : أن من سرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده ؛ لأن قطعها فيه تعجيز له ، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه (٢) .

#### حد الزنى :

وعند قوله تعالى في الآية (٢) من سورة النور . « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... الآية ) نجده يقول : ( « الزانية والزاني ، يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنى وكان من عاداتهما وخلقيهما ، فهما بذلك يستحقان الجلد (٣) .

(١) ص ٣٥٩ .

(٢) ص ٨٨ .

(٣) ص ٢٧٤ .

### تعدد الزوجات :

في الآية (٣) من سورة النساء ، وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... الآية ، نجده يقول : ( د من النساء ، نساء اليتامى الذين فيهم الكلام (هكذا بالأصل) لأن الزواج ممن يمنع الحرج في أموالهن ، ومن هذا تفهم أن تعدد الزوجات لا يجوز إلا للضرورة التي يكون فيها التعدد مع العدل أقل ضرراً على المجتمع من تركه ، لتعلم أن التعدد لم يشرع إلا في هذه الآية بذلك الشرط السابق واللاحق ، وإن خفتم ألا تقسطوا ، فإن خفتم ألا تعدلوا ، (١) .

فهو يريد أن يبيح تعدد الزوجات إلا إذا كن يتامى في حجره ، وأمن من نفسه عدم الجور ، ولم يقل أحد بالشرط الأول مطلقاً ، ومن يطلع على سبب النزول يعلم خطأ من يشترط هذا الشرط في التعدد .

### التسرى :

وعند قوله تعالى في نفس الآية السابقة ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، نجده يقول : (انظر آية ٣٥ إلى ٢٨ من النساء) (٢) وفي الآية ٢٥ وهي قوله تعالى ، ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ، يقول : ( فيه عناية بالخدومات ، وتسهيل لمن يريدون الزواج . ولا يستطيعون النفقات على ذوات البيوتات ، انظر (٢٣) في النور و(٦٠) في السكف ثم (٣٠ و ٣٦ و ٤٢ و ٦٢) في يوسف و العنت ، الحرج انظر (٢٢٠) في البقرة و(٧) في الحجرات و(١٢٨) في التوبة و(١١٨) في آل عمران . وفي هذه الآية رد على الذين يتخذون ملك اليمين من الخدومات والوصيفات للتمتع بهن كالزوجات ، بحجة أنهم مشتريات بالمال ،

(١) ص ٦١ .

(٢) المرجع السابق .

أو أسيرات بالحرب ، فليس في الإسلام عرض امرأة يباح بغير الزواج ،  
ملوكة كانت أو مالكة ، فتدبر ذلك في الآيات (١) ،

وفي قوله تعالى في الآيتين ( ٦٥ و ٦٦ ) من سورة المؤمنون ، والذين هم  
لفروجهم حافظون - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم . . . الآية  
يقول : ( اقرأ المعارج ، والنور ، وأوائل البقرة (٢) ) .

ثم قال في المعارج عند قوله تعالى في الآيتين ( ٢٩ و ٣٠ ) ، والذين هم  
لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ،  
مانصه : ( أو ملكت أيمانهم ، من الخدم ، فإن لهم ما ليس لغيرهم ، فقد يكون  
في الإنسان فروج أى عيوب ونقائص سيئته أن يراها الناس فيه ، ولكن  
لا سيئته أن يراها خدمه (٣) ) .

فأنت ترى من هذا أنه يحرم التسرى ، ويفسر الفروج بالعيوب ، وهذا  
بعد عن قوانين اللغة ، ومبادئ الشريعة .

### الربا

كذلك نجد المؤلف يميل إلى أن الربا المحرم شرعا هو الفاحش فقط ،  
وهذا نراه عندما يعرض لآيات الربا في سورة البقرة يفسر ( الربا ) فيقول :  
( الربا هو الزيادة من الربح في رأس المال ، وهو معروف ومقيد بالآية (١٣٠)  
في آل عمران ، فانظرها أولا (٤) ) يريد قوله تعالى ، يا أيها الذين آمنوا  
لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ، ثم يقول بعد ذلك : ( ذروا ما بقى ، فلكم  
رهوس أموالكم ، وإن كان ذو عسرة ، كل ذلك يفيدك أن الكلام في المعاملة  
الحاضرة ، ويبشر من يتوب بأنه لا يحاسب على ما كسبه من قبل ، فله ما سلف ،

(١) ص ٤٥٥ .

(٢) ص ٢٦٧ .

(٣) ص ٤٥٥ :

(٤) ص ٣٧ .



انظر (٣٨) في الأنفال (١) . يريد قوله تعالى : قل الدين كفر وإن ينتهوا  
ينغفر لهم ما قد سلف .

ثم قال بعد ذلك عندما عرض لقوله تعالى في الآية (١٣٠) من سورة آل  
عمران : يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم  
تفلحون : (والربا أضعافاً مضاعفة ، أى الربا الفاحش وبمعنى آخر: الربح الزائد  
عن حده في رأس المال ، وتقدره كل أمة بعرفها . راجع في جزائه أواخر البقرة ،  
وقصة اليهود في أواخر النساء ، ثم ارجع إلى (٥) في النساء و(٤٣) (٢) .

### زكاة الزروع :

كذلك نجد المؤلف يذهب في زكاة الزروع مذهبا لم يقل به أحد من المجتهدين  
فضلا عن أنه يصادم ما جاء من السنة الصحيحة في بيان المقدار الواجب في زكاة  
الزروع ، وذلك حيث يفسر قوله تعالى في الآية (١٤١) من سورة الأنعام : وآتوا  
حقه يوم حصاده ، فيقول : (وآتوا حقه ، يفيد أن في كل هذا الخارج من الأرض  
حقاً لا بد من إعطائه يوم حصاده ، زمن تحصيله ، وكما أمر المالكين بإيتاء  
هذا الحق ، أمر الحاكم العام بأخذه ، والعمل على جبايته لبيت المال ، وقد ترك  
التقدير للأمة بحسب الحال) (٣) . أقول : وليس للأمة دخل في تقدير مقررات  
الزكاة بعد أن قدرها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقررها على الأمة .

### مصارف الزكاة :

كذلك تجب المؤلف في شرحه لبعض مصارف الزكاة ، وذلك حيث فسر  
قوله تعالى في الآية (٦٠) من سورة التوبة : . . . وفي الرقاب ، فقال : ( في  
خلاصها من الاستعباد . وفي هذا الزمان تجد أكثر المسلمين رقابهم بملاوكة  
الإنسان ، فيجب أن يتعاونوا على فك رقابهم . وفي الزكاة حق لهذا التعاون (٤) .

## الطلاق :

كذلك نجد المؤلف يذهب إلى أن الطلاق لا يقع إلا إذا كان سببه أمراً يخل بنظام العشرة، وآتياً من قبل المرأة، وذلك حينئذ يقول في قوله تعالى في الآية (١) من سورة الطلاق . . . لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بما حشة مبينة، مانصه : ( . . . بيوتهن، بيوت الزوجية . راجع البقرة من (٢٢٦ - ٢٤٢) والأحزاب (٢٠)، والتحريم (٥)، والنور (٥ - ١٠) لتعرف أن الطلاق وإن كان في يد الرجل لا يقع إلا بسبب يخل بنظام العشرة الزوجية (١) .

هذا بعض ما جاء في هذا الكتاب الذي هدى به صاحبه ، وفيه غير هذا كثير مما يدل على أن الرجل قد ركب متن الغواية ، ومشى بخط خط الأعمى في مهمه متسع من الضلالة . . .

وحسبي أن أكون قد أطلعت القادىء على بعض ما جاء في هذا الكتاب ، ولست في حاجة إلى أن أطيل بذكر ما يبطل هذه الأوهام ويفندها ؛ فإنى لست في مقام الرد والتفنيد، وإنما أنا في مقام بيان لون من ألوان التفسير في هذا العصر وإذا كان القارىء الكريم يود أن يقف على إبطال هذه المزاعم التي حشاها المؤلف كتابه ، فليرجع إلى قرار اللجنة الأزهرية ، التي ألفت للرد على هذا الكتاب (٢) ، وليرجع إلى ما كتبه شيخنا العلامة السيد محمد الخضر حسين في الجزء الثالث من رسائل الإصلاح (٣) ، ولا شك أنه سيجد فيما كتب هنا وهناك ما يكفي لأن يذهب بتلك التأويلات أدراج الرياح ، وما يتبادى بأن صاحب هذه التأويلات قد انحرف عن الهدى ، فهوى إلى مكان سحيق . . .

(١) ص ٤٥٥ .

(٢) العدد الثالث والرابع من المجلد الثاني من مجلة نور الاسلام (الأزهر سنة ١٣٥٠هـ)

(٣) ص ١٤٠ - ١٦٠ .

## اللون الأدبي الاجتماعي

للتفسير في عصرنا الحاضر

يمتاز التفسير في هذا العصر بأنه يتلون باللون الأدبي الاجتماعي ، ونعني بذلك : أن التفسير لم يعد يظهر عليه في هذا العصر ذلك الطابع الجاف ، الذي يصرف الناس عن هداية القرآن الكريم ، وإنما ظهر عايه طابع آخر ، وتلون بلون يكاد يكون جديداً وطارئاً على التفسير ، ذلك هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني ، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ، ونظم العمران .

## مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأثرها في التفسير

وإذا كان هذا اللون الأدبي الاجتماعي يعتبر في نظرنا عملاً جديداً في التفسير ، وابتكاراً يرجع فضله إلى مفسرى هذا العصر الحديث ، فإننا نستطيع أن نقول بحق : إن الفضل في هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده للتفسير . . . هذه المدرسة التي قام زعيمها ، ورجالها من بعده بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى ، وهداية الناس إلى ما فيه من خير الدنيا وخير الآخرة .

نعم قامت هذه المدرسة بمجهود كبير في تفسير كتاب الله تعالى . بمجهود نحمد لها الكثير منه ، ولا نوافقها على بعض منه قليل .

محاسن هذه المدرسة :

فالذي تحمده لهذه المدرسة : أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب ، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين من التأثر بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعاً لمذهبه ، فيؤول القرآن بما يتفق معه ، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً .

كما أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير ، فلم تشوه التفسير بما شوه به في كثير من كتب المتقدمين ، من الروايات الخرافية المكذوبة ، التي أحاطت بجمال القرآن وجلاله ، فأساءت إليه وجرأت الطاعنين عليه . . . كذلك لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعية التي كان لها أثر سيء في تفسير القرآن الكريم . . . ولقد كان من أثر عدم اغترار هذه المدرسة بالروايات الإسرائيلية ، والأحاديث الموضوعية ، أنها لم تخض في تعيين ما أبهمه القرآن ، ولم تجرؤ على الخوض في الكلام عن الأمور الغيبية ، التي لا تعرف إلا من جهة النصوص

الشرعية الصحيحة ، بل قررت مبدأ الإيمان بما جاء من ذلك مجملاً ، ومنعت من الخوض في التفصيلات والجزئيات ، وهذا مبدأ سليم ، يقف حاجزاً منيعاً دون تسرب شيء من خرافات الغيب المظنون إلى المعقول والعقائد .

كذلك نجد هذه المدرسة أبعدت التفسير عن التأثير بأعطالات العلوم والفنون ، التي زج بها في التفسير بدون أن يكون في حاجة إليها ، ولم تتناول من ذلك إلا بمقدار الحاجة ، وعلى حسب الضرورة فقط .

ثم إن هذه المدرسة ، نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً ، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه ، وأوضحت معانيه ومراميه ، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع ، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ، ومشاكل الأمم عامة ، بما أرشد إليه القرآن ، من هداية وتعاليم جمعت بين خيري الدنيا والآخرة ، ووفقت بين القرآن وما أثبتته العلم من نظريات صحيحة ، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد الذي يستطيع أن يسير التطور الزمني والبشري ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ودفعت ما ورد من شبه على القرآن ، وفندت ما أثير حوله من شكوك وأوهام ، بحجج قوية قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هوزاهق كل هذا بأسلوب شيق جذاب يستهوى القارئ ، ويستولى على قلبه ، ويحجب إليه النظر في كتاب الله ، ويرغبه في الوقوف على معانيه وأسراره .

هذا ما نحمده لهذه المدرسة ، ولا نستطيع أن نغمطها عليه ، أو نقلل من فضلها فيه .

#### عيوب هذه المدرسة :

أما ما نأخذه على هذه المدرسة ، فهو أنها أعطت لعقلها حرية واسعة ، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم ، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل ، وليس هناك ما يدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب .

استبعاد بالنسبة لقدرة البئر القاصرة ، واستغراب لا يكون إلا من جهل قدرة الله وصلاحتها لكل ممكن .

كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها

وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني مالم يكن معهوداً عند العرب في زمن نزول القرآن وطعن في بعض الأحاديث: تارة بالضعف، وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم، وهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع أهل العلم، كما أنها لم تأخذ بأحاديث الآحاد الصحيحة الثابتة، في كل ما هو من قبيل العقائد، أو من قبيل السمعيات، مع أن أحاديث الآحاد في هذا الباب كثيرة لا يستهان بها.

وما يقال من أن خبر الواحد لا تثبت به عقيدة إجماعاً. فيه نظر من وجوه:  
الأول: أن دعوى الإجماع باطلة. فإن للعلماء أربعة أقوال في إفادة خبر الواحد العلم:

١ - يفيد الظن مطلقاً. ٢ - يفيد العلم بقرينة.

٣ - يفيد العلم من غير قرينة باطراد.

٤ - يفيد العلم من غير قرينة لا باطراد.

الثاني: إذ جرينا على أن خبر الواحد يفيد العلم، أمكن أن تثبت به عقيدة، وإذا جرينا على أنه يفيد الظن، أمكن أن تثبت به العقيدة إذا احتفت به قرائن - على المختار - لإفادته العلم حينئذ، ومن هنا جزم ابن الصلاح وغيره بأن أحاديث الصحيحين التي لم تنتقد عليهما تفيد العلم؛ فإن الأمة قد تلقتهما بالقبول، وهي معصومة من الخطأ، وظن المعصوم لا يخطئ (١).

الثالث: أنه ليس المراد من العقيدة كل ما يعتقد، وإلا لتناول ذلك الفروع الفقهية، فإنه لا يسوغ العمل بها إلا بعد اعتقاد صحة الحكم فيها، وإنما المراد بالعقائد أصولها، وهو ما كان الإخلال بها موجبا للكفر، كالإيمان بالله وباليوم الآخر. وأما الأحاديث الواردة في الحوادث الماضية، أو المستقبلية، أو المتعلقة بتفاصيل اليوم الآخر وما فيه، فلا يشترط فيها التواتر، لأن هذه الأمور ليست من قبيل العقائد التي يترتب على عدم تصديقها الكفر والعياذ بالله تعالى، ولكن يكتفى فيها بأن تكون من طريق صحيح.

### أهم رجال هذه المدرسة:

هذا .. وإن أهم رجال هذه المدرسة، وهو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده زعيمها وعميدها، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، والمرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، وهما خير من أنجبت هذه المدرسة، وخير من ترسم خطا الأستاذ الإمام، وسار على منهجه وطريقته في التفسير .

ولست أرى القارىء بحاجة إلى أن أترجم لحياة هؤلاء الرجال الثلاثة، فالعهد بهم قريب، وليس يخفى على من له صلة بالحركة العلمية في هذا العصر شيء من معالم حياتهم، ويكفى أن أتكلم عن إنتاج كل واحد منهم في التفسير وعن منهجه الذى سلكه فيه، وسيقف القارىء - إن شاء الله تعالى - على ماقلته عن هذه المدرسة، وماذكرته لها من أثر محمود في التفسير، وماذكرته عنها من أثر يؤخذ عليها ولا يحد لها .

## ١ - الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده<sup>(١)</sup>

إتجاهه في التفسير :

إذا نحن ذهبنا نستقصى ما أتجه لنا الأستاذ الإمام من عمل في التفسير، فإننا نجد له تفسيره المشهور لجزء (عم) ذلك التفسير الذي ألفه بمشورة من بعض أعضاء الجمعية الخيرية الإسلامية، ليكون مرجعاً لاساتذة مدارس الجمعية في تفهيم التلاميذ معاني ما يحفظون من سور هذا الجزء، وعاملاً للإصلاح في أعمالهم وأخلاقهم، ولقد أتم الأستاذ الإمام تفسير هذا الجزء في سنة ١٣٣١ هـ إحدى وعشرين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة، ببلاد المغرب، وبذل جهده كما يقول : ( في أن تكون العبارة سهلة التناول، خالية من الخلاف وكثرة الوجوه في الإعراب، بحيث لا يحتاج في فهمها إلا أن يعرف القارئ كيف يقرأ، أو السامع كيف يسمع، مع حسن النية وسلامة الوجدان<sup>(٢)</sup> ) .

كذلك نجد له تفسيراً مطولاً لسورة (العصر) كان قد ألقاه على هيئة محاضرات، أو دروس على علماء مدينة الجزائر ووجهاتها في سنة ١٣٢١ هـ (سنة ١٩٠٢ م<sup>(٣)</sup>) ويقول الأستاذ الإمام : لأنه قرأ تفسير هذه السورة في سبعة أيام، وكل درس لا يقل عن ساعتين، أو ساعة ونصف<sup>(٤)</sup> .

كذلك نجد له بعض بحوث تفسيرية، عالج فيها بعض مشكلات القرآن، ودفع بها بعض ما أثير حول القرآن من شكوك وإشكالات، كشرحه لقوله تعالى في الآية (٧٨) من سورة النساء : وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كل من عند الله قال هؤلاء القوم

(١) ولد سنة ١٨٤٨ م وتوفي في سنة ١٩٠٥ م .

(٢) مقدمة تفسير جزء (عم) ص ٢ .

(٣) تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن الشيخ، رشيد .

(٤) تفسير المنار ج ١ ص ١٣ .



لا يكادون يفقهون حديثاً ، وقوله في الآية (٧٩) من السورة نفسها : ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ، وجمعه بينهما ، وتوفيقه بين ما يظن فيهما من تناف وتضاد ، وهو نسبة أفعال العباد تارة إلى الله تعالى ، وتارة إلى العبد .

وكشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ) من سورة الحج : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ... إلى قوله : أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ، وإبطاله لقصة الغرائق ، وتفنيد ما بنى عليها من تفسير يذهب بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويرفع الأمان عن الوحي الذي تكفل الله بحفظه .

وكتفسيره لقوله تعالى في الآية (٣٧) من سورة ( الأحزاب ) : وإذ نقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ، ورد له لما ألقى بها من أحاديث باطلة ، تصور النبي صلى الله عليه وسلم بصورة الرجل الشهواني ، وإبطاله لكل ما أثير حول هذه القصة — قصة زيد وزينب — من مطاعن رمى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم زورا وبهتانا .

وكذلك نجد من آثار الأستاذ الإمام في التفسير ، تلك الدروس التي ألقاها في الأزهر الشريف على تلاميذه ومريديه ، وكان ذلك بمشورة تلميذه السيد محمد رشيد رضا ، وإقناعه به . كما يقول هو في مقومة تفسيره (١) .

وقد ابتدأ الأستاذ الإمام بأول القرآن في غرة المحرم سنة ١٣١٧ ، وانتهى عند تفسير قوله تعالى في الآية (١٢٦) من سورة النساء : والله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا ، وذلك في منتصف المحرم

سنة ١٣٢٣ هـ ، إذ توفي - رحمه الله - لثمان خلون من جمادى الأولى من السنة نفسها<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الأستاذ الإمام قد ألقى هذه الدروس في التفسير على طلابه ولم يدون شيئاً منها ، فإننا لا نرى حرجاً من جعلها أثراً من آثاره في التفسير . وذلك :

لأن تلميذه السيد محمد رشيد رضا كان يكتب في أثناء إلقاء هذه الدروس مذكرات يودعها ما يراه أهم أقوال الأستاذ الإمام ، ثم يحفظ ما كتب ليده بما يذكره من أقواله وقت الفراغ ، ثم قام بعد ذلك بنشر ما كتب في مجلته (المنار) وكان - كما يقول هو في مقدمة تفسيره - يطلع الأستاذ الإمام على ما أعده للطبع ، كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه ، فكان ربما ينقح فيه زيادة قليلة ، أو حذف كلمة أو كلمات . قال : ( ولا أذكر أنه انتقد شيئاً مما لم يره قبل الطبع ، بل كان راضياً بالمكتوب ؛ بل معجبا به<sup>(٢)</sup> .. )

هذا هو كل ما وصلت إليه من إنتاج الأستاذ الإمام في التفسير ، وهو وإن كان لإنتاجا يعد قليلا بالنسبة لهذه الشخصية البارزة ، إلا أنه - والحق يقال - كان له أثر بالغ في تطور التفسير واتجاهاته ، كما سيظهر لك فيما بعد إن شاء الله تعالى .

منهجه في التفسير :

كان الأستاذ الإمام هو الذي قام وحده من بين رجال الأزهر بالدعوة إلى التجديد ، والتحرر من قيود التقليد ، فاستعمل عقله الحر في كتاباته وبحوثه ، ولم يجر على ما جمد عليه غيره من أفكار المتقدمين ، وأقوال السابقين ، فكان له من وراء ذلك آراء وأفكار خالف بها من سبقه ، فأغضبت عليه الكثير من أهل العلم ، وجمعت حوله قلوب مرديه والمعجبين به .

(١) المرجع نفسه .

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ١٥ .

هذه الحرية العقلية ، وهذه الثورة على القديم ، كان لهما أثر بالغ في المهج الذي نهجه الشيخ لنفسه . وسار عليه في تفسيره .

وذلك : أن الأستاذ الإمام اتخذ لنفسه مبدءاً يسير عليه في تفسير القرآن الكريم ، ويخالف به جماعة المفسرين المتقدمين . وهو فهم كتاب الله من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة : وذلك لأنه كان يرى أن هذا هو المقصد الأعلى للقرآن ، وما وراء ذلك من المباحث فهو تابع له ، أو وسيلة لتحصيله (١) ،

يقرر الأستاذ الإمام هذا المبدأ في التفسير ، ثم يتوجه باللوم إلى المفسرين الذين غفلوا عن الغرض الأول للقرآن . وهو ما فيه من هداية وإرشاد . وراحوا يتوسعون في نواح أخرى من ضروب المعاني ، ووجوه النحو ، وخلافات الفقه ، وغير ذلك من المقاصد التي يرى الأستاذ الإمام أن الإكثار في مقصد منها ( يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي ، ويذهب بهم في مذاهب تنسيبهم معناه الحقيقي (٢) ) .

لهذا نرى الأستاذ الإمام يقسم التفسير إلى قسمين :

أحدهما : جاف مبعد عن الله وكتابه ، وهو ما يقصد به حل الألفاظ ، وإعراب الجمل ، وبيان ما ترمى إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية . قال : وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيراً . وإنما هو ضرب من التمرين في القنون ، كالنحو ، والمعاني ، وغيرهما .

وثانیهما : ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول ، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام ، على الوجه الذي يجذب الأرواح ، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ؛ ليتحقق فيه معنى قوله تعالى : هدى ورحمة ، ونحوهما من

(١) تفسير المنار ج ١ ص ١٧ .

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ١٨ .

الأوصاف قال الأستاذ الإمام: (وهذا هو الغرض الأول الذي أرمى إليه في قراءة التفسير<sup>(١)</sup>) .

هذا .. وإن الأستاذ الإمام لا يريد من كلامه السابق أن يهمل الناحية البلاغية أو النحوية مثلا في تفسير القرآن ، ولكنه يريد أن يأخذ المفسر من ذلك بمقدار الضرورة ، فيبين المفسر - مثلا - من وجوه البلاغة ، وضروب الإعراب بقدر ما يحتمله المعنى ، وعلى الوجه الذى يليق بفصاحة القرآن وبلاغته . وذلك بدون أن يتجاوز مقدار الحاجة .

ثم إنا نجد الأستاذ الإمام - وقد وضع لنفسه هذه الخطة في التفسير - يشترط شروطا لا بد من توفرها عند من يريد أن يفسر القرآن تفسيرا يحقق الغرض منه ، وقد ذكرناها بجملة عند كلامنا عن العلوم التى يحتاج إليها المفسر .  
القرآن لا يتبع العقيدة وإنما تؤخذ العقيدة من القرآن :

ويرى الأستاذ الإمام : أن القرآن الكريم هو الميزان الذى توزن به العقائد لتعرف قيمتها ، ويقرر أنه يجب على من ينظر فى القرآن أن ينظر إليه كأصل تؤخذ منه العقيدة ، ويستنبط منه رأى ، وينحى على ما كان من أكثر المفسرين ، من تسلط العقيدة عليهم ، ونظرتهم للقرآن من خلالها ، حتى تأولوا القرآن بما يشهد لعقائدهم ، ويتمشى معها ، وفى هذا يقول : ( إذا وزنا ما فى أدمغتنا من الاعتقاد بكتاب الله تعالى ، من غير أن ندخلها أولا فيه ، يظهر لنا كوننا مهتدين أو ضالين . وأما إذا أدخلنا ما فى أدمغتنا فى القرآن ، وحشرناها فيه أولا ، فلا يمكننا أن نعرف الهداية من الضلال ؛ لاختلاط الموزون بالميزان . فلا يدري ما هو الموزون به ) .

( أريد أن يكون القرآن أصلا تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين ، لأن تكون المذاهب أصلا والقرآن هو الذى يحمل عليها . ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها ، كما جرى عليه المخدولون ، وتاد فيه الضالون<sup>(٢)</sup> ) .

(١) تفسير المنار ١٢ ص ٢٥ .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص ٥٤ .

كيف كان يقرأ الأستاذ الإمام التفسير ويكتبه .

تناول الأستاذ الإمام تفسير القرآن الكريم بالتأليف والتدريس ، أما ناحية التأليف . فمحدودة ضيقة ، كما ظهر لك فيما سبق . وأما ناحية التدريس فكانت أوسع إلى حد ما من ناحية التأليف ؛ فقد ألقى - رحمه الله - دروساً في التفسير بالجامع الأزهر الشريف ، مدة ست سنوات ، قرأ فيها ما يقرب من خمسة أجزاء من أجزاء القرآن ، كما ألمعنا إليه فيما تقدم .

كذلك ألقى دروساً في التفسير بمدينة الجزائر من بلاد المغرب . كما ألقى دروساً في التفسير أيضاً في مساجد بيروت ... في المسجد الكبير ، وفي مسجد (الباشورة) (١) .

وكان من عادة الأستاذ الإمام في دروسه : أنه يراعي حال من يستمعون إليه ، فإذا حضره جماعة من البلاد الخاملة الفكر شرح لهم المعنى بكلمات قليلة وإذا كان هناك من يتنبه لما يقول ويلقى له بالا ، يفتح الله عليه بكلام كثير . بهذا يحدث الأستاذ الإمام عن نفسه (٢)

ويحدثنا تلميذه السيد محمد رشيد رضا عن طريقة الأستاذ الإمام في دروس التفسير فيقول : ( كانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير ، وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون ، ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ ، والإعراب ، ونكت البلاغة ، وفي الروايات التي تدابرها ، ولا تتوقف على فهمها الآيات . (٣) .

وكان الأستاذ الإمام يعتمد في دروسه وكتابته في التفسير على عقله الحر وكان - كما يقول عنه بعض السكتين - ( لا يلتزم في التفسير كتاباً ، وإنما يقرأ في المصحف ، ويلقى ما يفيض الله على قلبه (٤) .

(١) محمد عبده لعثمان أمين ١٠١

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ١٤ .

(٣) المرجع نفسه ض ١٥ .

(٤) محمد عبده لعثمان أمين ص ١١

وكان من دأبه أنه لا يرجع إلى كتاب من كتب التفسير قبل إلقاء دروسه حتى لا يتأثر بفهم غيره ، وكل ما كان منه أنه إذا ما عرض له وجه غريب من الإعراب ، أو كلمة غريبة في اللغة رجع إلى بعض كتب التفسير ، ليرى ما كتب في ذلك ، وقد حدث عن نفسه بذلك فقال : ( إنني لا أطالع عند ما أقرأ لسكتني ربما أنصفح كتاب تفسير إذا كان هناك وجه غريب في الإعراب ، أو كلمة غريبة في اللغة (١) ) .

غير أننا نجد تلميذه السيد محمد رشيد رضا يذكر أن الأستاذ الإمام كان ( يتوكأ في ذلك - يعني في دروسه في التفسير - على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير ، فكان يقرأ عبارته فيقرأها ، أو يبتدئ منها ما يراه منتهقاً ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه ، مما فيه هداية وعبرة (٢) )

وسواء أقلنا إن الأستاذ الإمام كان يرجع إلى كتب التفسير أم لا يرجع إليها ، فإنه كان يحكم عقله فيما يلقى وفيما يكتب ، غير ملتفت إلى ما سبق به من أقوال في التفسير ، ولا بواقف عند اعتبارات المؤلفين وأفهامهم وقوف من يخضع لها ، ويسلم بها ، على ما فيها من غث وسمين .

نعم لم يحمده الأستاذ الإمام على ما في كتب قدماء المفسرين ، ولم يبلغ عقله أمام عقولهم ، بل على العكس من ذلك وجدناه يندد بمن يكتب في التفسير بالنظر في أقوال المتقدمين فيقول : ( التفسير عند قومنا اليوم ومن قبل اليوم بقرون ، هو عبارة عن الاطلاع على ما قاله بعض العلماء في كتب التفسير ، على ما في كلامهم من اختلاف يتزه عنه القرآن ، ولو كان من عند خير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، (٣) وليت أهل العناية باطلاع على كتب التفسير يطلبون لأنفسهم معنى تستقر عليه أفهامهم في العلم بمعاني الكتاب ، ثم يثبونه في الناس

(١) تفسير المنار ج ١ ص ١٤ ويظهر من سياق الكلام أن صحة العبارة ( قبل

أن أقرأ كما نبه على ذلك في حاشية الكتاب .

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ١٥ .

(٣) في الآية (٨٢) من سورة النساء .

ويحملونهم عليه ، ولكنهم لم يطلبوا ذلك ، وإنما طلبوا صناعة يفاخرون  
بالتفنن فيها ، ويمارون فيها من يباريم في ظلمها ، ولا يخرجون لإظهار البراعة  
في تحصيلها عن حد الإكثار من القول ، واختراع الوجود من التأويل والإغراب  
في الإبعاد عن مقاصد التنزيل ) .

( إن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه ، وإنما  
يسألنا عن كتابه الذي أنزله لإرشادنا وهدايتنا ، وعن سنة نبينا الذي بين لنا  
ما نزل إلينا ، وأنزلنا إليك الذك لتبين للناس ما نزل إليهم ، ) (١) .

( يسألنا هل بلغتكم الرسالة ؟ هل تدبرتم ما بلغتكم ؟ هل عقلتم ما عنده نهيتم  
وما به أمرتم ؟ وهل عملتم بإرشاد القرآن ، واهتديتم بهدى النبي ، واتبعت سنته ؟  
عجبا لنا ننتظر هذا السؤال ونحن في هذا الإعراض عن القرآن وهديه ،  
فيا للذفلة والغرور (٢) ) ٥١

كما وجدناه يعرف لنا الفهم الصحيح للقرآن فيقول : ( ... وأعني بالفهم  
ما يكون عن ذوق سليم تصييه أساليب القرآن بعجائنها ، وتمسكه مواضعه  
فتشغله عما بين يديه مما سواه . لا أريد الفهم المأخوذ بالتسليم الأعمى من  
الكتب أخذاً جافاً ، لم يصحبه ذلك الذوق وما يتبعه من رقة الشعور ولطف  
الوجدان ، الذين هما مدار التعمق والتأثر والفهم والتدبر ) ٥١هـ (٣) .

ومما يذكر في هذا المقام أنه ( لما أبدى الأستاذ الإمام رأياً طريفاً في  
تفسير بعض الآيات ، قال له أحد المجاورين : إن ما قلته لا يوافق عليه الجمل -  
يعني بالجمل أحد المؤلفين ممن كتبوا الحواشي على تفسير الجلالين - فقال  
الأستاذ على الفور : لأنني أقرر ما يدل عليه المعنى الجليل ، والكلام البليغ ،  
ولا يعنيني أوافق عليه الجمل أو الجمار (٤) ) .

(١) في الآية (٤٤) من سورة النحل

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٢٧

(٣) تفسير المنار ج ١ ص ٢٧

(٤) محمد عبده لعثمان أمين ص ١٢٥

كل هذا يدانا على أن الأستاذ الإمام كان حراً في تفكيره وفهمه للقرآن ، صريحاً في نقده ونصحته للتفسير والمفسرين ، جريئاً في ثورته على القديم ، ودعوته إلى التحرر مما أحاط بالعقول من القيود ، وما أوغلت فيه من الركود والجود

هذا . . . وإن الأستاذ الإمام لم يكن كغيره من المفسرين الذين كلفوا بالإسرائيليات فجعلوا منها شروحا لمبهمات القرآن ، بل وجدناه على العكس من ذلك نفوراً منها ، وشروداً من الخوض فيها ، لاعتقاده أن الله تعالى لم يكفنا بالبحث عن الجزئيات والتفصيلات لما جاء به مبهماً في كتابه ، ولو أراد منا ذلك لدلنا عليه في كتابه أو على لسان نبيه ، وهو يصرح بأن هذا هو ( مذهبه في جميع مبهمات القرآن يقف عند النص القطعي لا يتعداه ، ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه (١) .

وإذا نحن تتبعنا أقواله في مبهمات القرآن وجدناه محافظاً على هذا المبدأ ، لا يعدل عنه ولا يمجيد ، إلا في مواضع قليلة نادرة .

فثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآيتين ( ١٠ و ١١ ) من سورة الانفطار : « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين » ، نجده يقول : ( ومن الغيب الذي يجب علينا الإيمان به ما أنبأنا به في كتابه : أن علينا حفظة يكتبون أعمالنا حسنات وسيئات ، ولكن ليس علينا أن نبحت عن حقيقة هؤلاء ، ومن أى شيء خلقوا ، وما هو عملهم في حفظهم وكتابتهم ، هل عندهم أوراق واقلام ومداد كالمعهود عندنا ... وهو يعد فهمه ؟ أو هناك الواح ترسم فيها الأعمال ؟ وهل الحروف والصور التي ترسم هي على نحو ما نعد ؟ أو إنما هي أرواح تتجلى لها الأعمال فتبقى فيها بقاء المداد في القرطاس إلى أن يبعث الله الناس ؟ كل ذلك لا تكلف العلم به ، وإنما تكلف الإيمان بصدق الخبر وتفويض الأمر في معناه إلى الله ، والذي يجب علينا اعتقاده من جهة ما يدخل



في عملنا ، هو : أن أعمالنا تحفظ وتحصى ، لا يضيع منها فقير ولا قاطمير (١) اه  
ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى في الآية ( ٤ ) وما بعدها من سورة البروج  
« قتل أصحاب الأخدود ، . . . إلى آخر القصة يقول : ( أما تعيين أصحاب  
الأخدود ، وأنى كانوا ؟ ومن هم أولئك المؤمنون ؟ وأين كان منزلهم من  
الأرض ؟ فقد كثرت فيه الروايات ، والأشهر أن المؤمنين كانوا نصارى نجران ،  
عندما كان دينهم دين توحيد . ليس فيه حدث ولا بدعة . وأن الكافرين كانوا  
أمراء اليمن ، أو اليهود الذين لا يعبئون عن هؤلاء في حقيقة الوثنية ، غير أن  
المؤمن لا يحتاج في الاعتبار وإشعار الموعظة قلبه إلى أن يعرف القوم ،  
والجهة ، وخاصة الدين الذي كان عليه أولئك أو هؤلاء ، حتى يطير وراء  
القصص المشحونة بالمبالغات ، والأساطير المحشوة بالخرافات ، وإنما الذي  
عليه : هو أن يعرف من القصة ما ذكرناه أولا ، ولو علم الله خيرا في أكثر  
من ذلك لتفضل علينا به (٢) اه

ومثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآيتين ( ٦ و ٧ ) من سورة الفجر  
« ألم تر كيف فعل ربك بعاد : إرم ذات العماد ، نجدته يقول : وفديروى  
المفسرون هنا حكايات في تصوير إرم ذات العماد ، كان يجب أن ينزه عنها  
كتاب الله . فإذا وقع إليك شيء من كتبهم ، ونظرت في هذا الموضع منها ،  
فتخط ببصرك ما تجده في وصف إرم ، وإياك أن تنظر فيه (٣) اه .

ومثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآيات ( ٦ و ٧ و ٨ و ٩ ) من سورة  
القارعة « فأما من ثقلت موازينه \* فهو في عيشة راضية \* وأما من خفت  
موازينه \* فأما هاوية ، نجدته يقول : وتقدير الله الأعمال وما تستحقه من  
الجزاء في ذلك اليوم ، إنما يكون على حسب ما يعلم ، لا طريقة ما نعلم ،  
فعلينا أن نفرض الأمر فيه إليه سبحانه على الإيمان به ، ومن عجيب ما قال بعض

(١) تفسير جزم (عم) ص ٢٦

(٢) » » » ص ٥٩

(٣) » » » ص ٧٩

المفسرين ، إنه ميزان و كفتين كأطباق السموات والأرض ، ولا يعلم ماهيته إلا الله ، فماذا بقي من ماهيته بعد لسانه و كفتيه حتى يفوض العلم فيه إلى الله ؟ والكلام فيه جراءة على غيب الله بغير نص صريح متواتر عن المعصوم ، ولم يرد في السكتات إلا كلمة ميزان ، وقد عرفت ما يمكننا أن نفهم منها لننتفع بما نعتقد ، وما عدا ذلك فعله إلى الله سبحانه . وقد قالوا : إن منكر الميزان بالمعنى المعروف لا يكفر ، إذا كان القائل به يحدد له لسانا و كفتين ، مع أن البشر اخترعوا من الموازين ما هو أتقن من ذلك وأضبط . وأوفى ببيان الموزون . أفيأبى الحكيم الخبير إلا استعمال ذلك الميزان الخشن الناقص الذى هدى العلم عقول البشر إلى ما هو أدق منه ؟ أيا بى عالم الغيب والشهادة أن يستعمل فى وزن المعانى والمعقولات إلا ذلك الميزان الذى اخترعه بعض البشر قبل أن يبلغ بهم العلم ما بلغ بأهل العصر الحاضر وما سيبلغ بأهل العصور المقبلة ؟ على أن جميع ما اخترع البشر وما يخترعون مهما دق ولطف ، إنما هو معيار الأثقال الجسمانية والأوزان المحسوسة ، وهلا يكون الأليق بالمقام الإلهى أن يكون ميزان المعانى المعقولة لديه أسمى وأعلى من أن يكون على نمط . ما يستعمله البشر ، مهما ارتقت المعارف وسمت بهم العلوم ؟ وهل يليق بمن يخاف مقام ربه أن يجرؤ على القول بوجوب الاعتقاد بأن الميزان الذى يزن الله به الأعمال يوم القيامة هو الميزان الذى تستعمله القبائل ، التى لم تزل فى مهد الإنسانية الأولى ؟ .. ميزان ضعفاء العقول قصار الأنظار ، الذين لا يعرفون قيمة للإيمان بالغيب ، ولا لحياة العقل من الله ، وإطرافه عن أن ينظر إلى ما تشاخ من غيوب الله تعالى عليه ، وتعاضمت قدرته ) .

( عليك أيها المؤمن المطمئن إلى ما يخبر الله به أن توقن أن الله يزن الأعمال . ويميز لكل عمل مقداره ، ولا تسئل كيف يزن ، ولا كيف يقدر ، فهو أعلم بغيبه ، والله يعلم وأتم لا تعلمون (١) ) هـ .

### معالجته للمسائل الاجتماعية :

ثم إننا نجد الأستاذ الإمام لا يكاد يمر بآية من القرآن، يمكنه أن يأخذ منها علاجاً للأمراض الاجتماعية، إلا أفاض في ذلك بما يصور للقارىء خطر العلة الاجتماعية التي يتكلم عنها، ويرشده إلى وسيلة علاجها والتخلص منها، كل هذا يأخذه الأستاذ الإمام من القرآن الكريم، ثم يلقى به على أسماع المسلمين وغير المسلمين؛ رجاء أن يعودوا إلى الصواب، ويثوبوا إلى الرشاد.

فتثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية (٣) من سورة العصر من التفسير المطول لها، وتواصوا بالصبر، فجدده يقول: ( ... والصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله، والرضى بما يكره في سبيل الحق. وهو خلق يتعلق به بل يتوقف عليه كمال كل خلق، وما أتى الناس من شيء مثل ما أتوا من فقد البصر أو ضعفه. كل أمة ضعف الصبر في نفوس أفرادها، ضعف فيها كل شيء، وذهبت منها كل قوة، ولنضرب لذلك مثلاً: نقص العلم عند أمة من الأمم كالمسلمين اليوم، إذا دقت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر؛ فإن من عرف باباً من أبواب العلم، لا يجد في نفسه صبراً على التوسع فيه، والتعب في تحقيق مسأله، وينام على فراش من التقليد هين ابن، لا يكلفه مشقة، ولا يجشمه تعباً، ويسلى نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه، ولو كان عنده احترام حقيق لسلفه، لا تخدم أسوة له في عمله، فحذا حذوهم، وسلك مسلكهم، وكلف نفسه بعض ما حملوا أنفسهم عليه، واعتقد كما كانوا يعتقدون أنهم ليسوا بمعصومين ) .

(ثم هو إذا تعلم لا يجد صبراً على مشقة دعوة الناس إلى علم ما يعلم، وحلم على عرفان ما يعرف، ولا جلدأ على تحصيل الوسائل لنشر ما عنده، بل متى لاقوه أول معارضة قبح في بيته وترك الخلق للخالق كما يقولون ) .

( يجلس الطالب لدرسه سنة أو سنتين، ثم تعرضه مشقة التحصيل، فيترك الدرس أو يتساهل في فهمه إلى حرفة أخرى يظنها أربح له، فينقطع عن الطلب، ويذهب في الجهل كل مذهب، وكل هذا من ضعف الصبر ) .

( يبخل البخیل بماله ، ويجهد نفسه في جمعه وكنزه ، وتعرض له وجوه البر فيعرض عنها ، ولا ينفق درهما في شيء منها ، فيؤذى بذلك وطنه وملائته ، ويترك الشر والفقر يأكل قومه وأمته ، ولو نظرنا إلى ما قبض يده لوجدناه ضعف الصبر ، ولو صبر على محاربة خيال الفقر الأناث في ذهنه يهدده بالنزول به ، لما أصيب بذلك المرض القاتل له ولأهله ) .

( يسرف المسرف في الشهوات ، ويتهتك المهتك في المنكرات ، حتى ينفد المال ، وتسوء الحال ، ويستبدل الذل بالعز ، والفقر بالغنى ، ولا سبب لذلك إلا ضياع صبره في مقاومة الهوى . وضبط نفسه عن مواقع الردى ، ولو صبر في مجاهدة تلك النزعات لما كان قد خسر ماله ، وأفسد حاله . . . . . وهكذا لو أردت أن أعد جميع الرذائل ، وأبحث عن عللها الأولى ، لوجدتموها تنتهى إلى ضعف الصبر أو فقده . ولو سردت جميع الفضائل وطلبت ينبوعها الذى تستمد منه حياتها لما وجدت لها ينبوعا سوى الصبر . أفلا يكون جديراً بعد هذا بأن يخص بالذكر ؟ (١) ) ٥١ .

ثم يبين بعد ذلك وسائل الدعوة إلى الخير فيقول : ( . . . . . يجب على العلماء ومن يتشبه بهم ، أن يتعلموا من وسائل القيام بالواجب ما تدعو إليه الحال ، على حسب الأزمان واختلاف أحوال الأمم ، وأول ما يجب عليهم فى ذلك أن يتعلموا التاريخ الصحيح ، وعلم تكوين الأمم ، وارتفاعها وانحطاطها ، وعلم الأخلاق وأحوال النفس ، وعلم الحس والوجدان ، ونحو ذلك مما لا بد منه فى معرفة مداخل الباطل إلى القلوب ، ومعرفة طرق التوفيق بين العقل والحق ، وسبل التقريب بين اللذة والمنفعة الدنيوية والأخروية ، ووسائل استمالة النفوس عن جانب الشر إلى جانب الخير ، فإن لم يحصلوا على ذلك كله فوزر العامة عليهم . ولا تنفعهم دعوى العجز ؛ فإنهم ينفقون من أزمانهم فى القيل والقال ، والبحث فى الألفاظ والأقوال ، ما كان يكفيهم أن يكونوا بحار

علم ، وأعلام هدى ورشد ، فليطلبوا العلم من سبله التي قام عليها السلف الصالح ، والله كفيل أن يمدم بمعونته ، أما وقد انقطعوا إلى ما يعجزهم عن القيام بأمره ، فلن يقبل الله لهم عذراً ، بل فليتربصوا حتى يأتي أمر الله .

( لو قضى الزمان بأن يكون من وسائل التمكّن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واشتغال الناس بالحق عن الباطل ، وبالطيب عن الخبيث أن يضرب الإنسان في الأرض ويمسحها بالطول والعرض ، وأن يتعلم اللغات الأجنبية ، ليقف على ما فيها مما ينفعه فيستعمله ، وما يخشى ضرره على قومه فيدفعه ، لوجب على أهل العلم أن يأخذوا من ذلك بما يستطيعون ، ولهم في سلف الأمة من القرون الأولى إلى نهاية القرن الرابع من الهجرة أحسن أسوة ، وأفضل قدوة ، وكل ما يهونون به على أنفسهم مما يخالف ذلك فإيما هي وساوس شيطان . يشغلهم بها عن النظر في معاني القرآن ، ويحرمهم من التعرّض لرحمة الرحمن ) (١) هـ

ومثلاً عند قوله تعالى في الآية (١٣) من سورة الإنفطار : إن الأبرار لفي نعيم ، نراه يوضح معنى البر وما يكون به الإنسان من الأبرار ، ثم يقول : ( فلا يعد الشخص برأ ولا بارأ حتى يكون للناس من كسبة ومن نفسه نصيب فلا يغترن أولئك المكسالي الخاملون ، الذين يظنون أنهم يدركون مقام الأبرار بركات من الخشية خاليات ، وبتسيحات وتكبيرات وتحميدات ملفوظات غير معقولات ، وصيحات غير لائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات ، ثم بصوم أيام معدودات ، لا يجتنب فيها إبداء كثير من المخلوقات ، مع عدم مبالاة الواحد منهم بشأن الدين قام أم سقط ، ارتفع أو انحط ؛ ومع حرصه وطمعه وتطلعه لما في أيدي الناس ، واعتقاده الاستحقاق لما عندهم ؛ لا شيء سوى أنهم عاملون في كسب المال وهو غير عامل ؛ وهم يجرون على سنة الحق وهو مستمسك بسنة الباطل ، وهم يتجملون بحلية العمل وهو منها عاطل ، فهو لاه

ليسوا من الأبرار ، بل يجدر بهم أن يكونوا من الفجار (١) . اه .  
ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى أول في سورة العاديات : د والعاديات  
ضبحاً \* فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا \* فأثرن به نقعا \* فوسطن  
به جمعاً ، نجده يقول : ( . . . وكان في هذه الآيات القارعات ، وفي تخصيص  
الخيل بالذكر في قوله : د وأعدو لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل  
ترهبون به عدو الله وعدوكم (٢) ، وفيما ورد في الأحاديث التي لا تكاد تحصر  
ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض  
مهارة في ركوب الخيل ، ويعت القادرين منهم على قنية الخيل على التنافس في  
عقالها ، وأن يكون فن السباق عندهم يسبق بقيه الفنون إلتقانا . أفليس من  
أعجب العجب عندهم أن ترى أما هذا كتابها قد أهملت شأن الخيل والفروسية ،  
إلى أن صار يشار إلى راكبيها بينهم بالهزء والسخرية ، وأخذت كرام الخيل  
تهجر بلادهم إلى بلاد أخرى ؟ أليس أغرب ما يستغرب أن أنا سأ يزعمون أن  
هذا الكتاب كتاباتهم ، يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من  
ركوب الخيل ، وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أساتذتهم  
المشار إليهم بالبنان عندما كنت أكله في منافع بعض العلوم ، وفوائدها في علم  
الدين أن قال : ( إذا كان كل ما يفيد في الدين نعله لطلبة العلم ، كان علينا إذا  
أن نعلمهم ركوب الخيل ) ؟ يقول ذلك ليفحمني وتقوم له الحججة على ، كأن  
تعليم ركوب الخيل بما لا يليق ولا ينبغي لطلبة العلم ، وهم يقولون إن العلماء  
ورثة الأنبياء ، فهل هذه الأعمال وهذه العقائد تتفق مع الإيمان بهذا الكتاب ؟  
أنصف ثم احكم (٣) . اه .

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٣ ) من سورة الماعون

(١) تفسير جزء عم ص ٣٧ .

(٢) في الآية ( ٦٠ ) من سورة الأفعال .

(٣) تفسير جزء عم ص ١٤٢ .

... ولا يحض على طعام المسكين ، نجده يقرر : ( أن قوله ولا يحض على طعام المسكين ، كناية عن الذى لا يوجد بشئ من ماله على الفقير المحتاج إلى القوت الذى لا يستطيع له كسبا ) ... ثم يقول : ( وإنما جاء بالكناية ليفيد أنه إذا عرضت حاجة المسكين ؛ ولم تجد ما تعطيه ، فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه . وفيه حث للمصدقين بالدين على إغاثة الفقراء ولو بجمع المال من غيرهم وهى طريقة الجمعيات الخيرية ، فأصلها ثابت فى الكتاب بهذه الآية ، وبنحو قوله تعالى فى الآيتين ( ١٧ و ١٨ ) من سورة الفجر ، كلاب لا تكرر من اليتيم ، ولا تحاضون على طعام المسكين ، ونعمت الطريقة هى لإغاثة الفقراء ، وسد شئ من حاجات المساكين ... ) اهـ (١) .

ومن أجل هذه الروح التى تسطر على الأستاذ الإمام فى تفسيره ، نجد الشيخ المراغى - رحمه الله - يقول . ( وكانت دروسه يجد علماء الاجتماع فيها تطبيق القرآن على معارفهم (٢) ) .

### تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث .

كذلك نجد الأستاذ الإمام - رحمه الله - يتناول بعض آيات القرآن فيشرحها شرحاً يقوم على أساس من نظريات العلم الحديث ، وغرضه بذلك : أن يوفق بين معانى القرآن التى قد تبدو مستبعدة فى نظر بعض الناس ، وبين ما عندهم من معلومات توشك أن تكون مسلبة عندهم ، أو هى مسلبة بالفعل ، وهو - وإن كان يرمى من وراء ذلك إلى غرض نبيل - يخرج أحياناً بمثل هذا الشرح والبيان عن مألوف العرب ، وما عهد لديهم وقت نزول القرآن .

فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى أول سورة الإنشقاق : إذا السماء انشقت ، نجده يقول : ( انشقاق السماء ، مثل انفطارها الذى مر تفسيره فى سورة إذا السماء انفطرت . وهو فساد تركيبها ، واختلال نظامها ، عندما يريد

الله خراب هذا العالم الذى نحن فيه ، وهو يكون بحادثة من الحوادث التى قد ينجر إليها سير العالم ، كأن يمر كوكب فى سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره ، ويحدث من ذلك غمام وأى غمام ، يظهر فى مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع ، فتكون السماء قد تشقت بالغمام ، واختل نظامها حال ظهوره ( ١ ) هـ .

هذا التفسير من الأستاذ الإمام عمل جليل يشكر عليه ، إذ غرضه من ذلك تقريب معانى القرآن وما يخبر به من عقول الناس ، بما هو معهود عندهم ومسلم لديهم . ولكن هل لا بد فى فساد الكون من أن يترتب على مثل هذه الظاهرة الكونية ؟ وهل يعجز الله عن إفساده وإخلاله بأمر آخر غير ذلك ؟ أليس الأولى بنا أن نؤمن بما جاء به القرآن ، ولا نخوض فيما وراء ذلك من تفصيلات كما هو مذهب الشيخ ؟ أحسب أن الشيخ يضرب ذلك مثلاً ، ولا يريد على أنه أمر لا بد منه .

ومثلاً عندما يعرض لتفسير سورة الفيل ، بعد أن ذكر ما قبل فى إرسال الطير على أبرهة ، وما جاءت به بعض الروايات من أن الذى أصابهم هو داء الجدرى والحصبة يقول : ( وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة ، أن ذلك الجدرى أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش ، بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح ، فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الأمراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس ، الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات فاذا اتصل بجسده دخل فى مسامه ، فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بإفساد الجسم وتساقط لحمه ، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله فى إهلاك من يريد إهلاكه من البشر ، وإن هذا الحيوان الصغير الذى يسمونه الآن بالميسكروب لا يخرج عنها ، وهو فرق وجماعات لا يحصى عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور أثر قدرة الله تعالى فى قهر الطاغين على أن يكون الطير فى



حماخامة رموس الجبال . ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ، ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ، ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فله جند من كل شيء .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد (١) اهـ .

وهنا أيضا نجد الأستاذ الإمام قد خالف طريقته في مهمات القرآن فراح يخوض في التفصيلات والجزئيات ، ثم جوز أن تكون الطير هي ما يسمى اليوم بالميكروبات ، كما جوز أن تكون الحجارة هي جرائم بعض الأمراض ، وهذا مالا نقره عليه ، لأن هذه الجرائم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن ، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجرائم بحال من الأحوال ، وقد جاء القرآن بلغة العرب ، وخاطبهم بما يمدون وبالفون .

وإذا كان الأستاذ الإمام قد أعطى لعقله الحرية الكاملة في تفسيره للقرآن الكريم ، فإننا نجده يفرق في هذه الحرية ويتوسع فيها ، إلى درجة وصلت به إلى ما يشبه التطرف في أفكاره ، والغلو في آرائه .

### موقفه من حقيقة الملائكة وإبليس :

فمثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآيات (٣٤) وما بعدها من سورة البقرة ، وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، إلى آخر القصة نجده يقول : ( وذهب بعض المفسرين مذهبا آخر في فهم معنى الملائكة ، وهو أن مجموع ماورد في الملائكة من كونهم موكلين بالأعمال من إنماء نبات وخلق حيوان وحفظ إنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصة بما هو أدق من ظاهر العبارة ، وهو أن هذا النمو في النبات لم يكن إلا بروح خاص ، نفخه الله في البذرة فكانت به هذه الحياة النباتية المخصوصة وكذلك يقال في الحيوان والإنسان فكل أمر كلي قائم بنظام مخصوص تمت به الحكمة الإلهية في ايجادها ، فإنما

قوامه بروح إلهى سمي في لسان الشرع ملكا ومن لم يبال في التسمية بالتوقيف  
يسم هذه المعانى القوى الطبيعية ، إذا كان لا يعرف من عالم الإمكان إلا ما هو  
طبيعة ، أو قوة يظهر أثرها في الطبيعة . والأمر الثابت الذى لا نزاع فيه ، هو  
أن في باطن الخلقة أمراً هو مناطها ، وبه قوامها ونظامها ، لا يمكن العاقل أن  
ينكره ، وإن أنكر غير المؤمن بالوحي تسميته ملكا ، وزعم أنه لا دليل على  
وجود الملائكة ، أو أنكر بعض المؤمنين بالوحي تسميته قوة طبيعية أو ناموسا  
طبيعيا ، لأن هذه الأسماء لم ترد في الشرع ، فالحقيقة واحدة والعاقل من  
لا تحجبه الأسماء عن المسميات ، وإن كان المؤمن بالغيب يرى للأرواح وجودا  
لا يدرك كنهه ، والذى لا يؤمن بالغيب يقول لا أعرف الروح ، ولكن أعرف  
قوة لا أفهم حقيقتها . ولا يعلم إلا الله علام يختلف الناس ، وكل يقر بوجود  
شئ غير ما يرى ويحس ، ويعترف بأنه لا يفهمه حق الفهم ، ولا يصل بعقله  
إلى إدراك كنهه ؟ وماذا على هذا الذى يزعم أنه لا يؤمن بالغيب - وقد اعترف  
بما غيب عنه - لوقال : أصدق بغيب أعرف أثره ، وإن كنت لا أقدر قدره  
فيتفق مع المؤمنين بالغيب ، ويفهم بذلك ما يرد على لسان صاحب الوحي ،  
ويحظى بما يحظى به المؤمنون ؟ ) .

( يشعر كل من فكر في نفسه ، ووازن بين خواطرة عند ما همم بأمر  
فيه وجه للحق أو للخير ، ووجه للباطل أو للشر ، بأن في نفسه تنازعا كأن  
الأمر قد عرض فيها على مجلس شورى . فهذا يورد وذاك يدفع ، واحد يقول  
افعل ، وآخر يقول لا تفعل ، حتى ينتصر أحد الطرفين ، ويترجح أحد الخاطرين .  
فهذا الشئ الذى أودع في أنفسنا ونسميه قوة وفكرأ ، وهى في الحقيقة معنى  
لا يدرك كنهه ، وروح لا تكنته حقيقتها ، لا يعرف أن يسميه الله ملكا ،  
أو يسمي أسبابه ملائكة ، أو ما شاء من الأسماء ، فإن التسمية لا حجر فيها  
على الناس ، فكيف يحجر فيها على صاحب الإرادة المطلقة ، والسلطان النافذ  
والعلم الواسع (١) ) .

ثم قال الأستاذ الإمام بعد ذلك (١): (فإذا صح الجرى على هذا التفسير ، فلا يستبعد أن تكون الإشارة في الآية إلى أن الله تعالى لما خلق الأرض ، ودبرها بما شاء من القوى الروحانية التي بها قوامها ونظامها ، وجعل كل صنف من القوى مخصوصاً بنوع من أنواع المخلوقات ، لا يتعداه ولا يتعدى ما حدده من الأثر الذي خص به . خلق بعد ذلك الإنسان ، وأعطاه قوة يكون بها مستعداً للتصرف بجميع هذه القوى وتسخيرها في عمارة الأرض ، وعبر عن تسخير هذه القوى بالسجود الذي يفيد معنى الخضوع والتسخير ، وجعله بهذا الاستعداد الذي لاحد له ، والتصرف الذي لم يعطه لغيره ؛ خليفة الله في أرضه ، لأنه أكمل الموجودات في الأرض ، واستثنى من هذه القوى قوة واحدة ، عبر عنها إبليس ، وهي القوة التي لزاها الله بهذا العالم لزا ، وهي التي تميل بالمستعد للكمال ، أو بالسكامل إلى النقص ، وتعارض مد الوجود لترده إلى العدم ، أو تقطع سبيل البقاء ، وتعود بالموجود إلى العناء ، أو التي تعارض في اتباع الحق ، وتصد عن عمل الخير ، وتنازع الإنسان في صرف قواه إلى المنافع والمصالح التي تتم بها خلافته ، فيصل إلى مراتب الكمال الوجودي التي خلق مستعداً للوصول إليها .. تلك القوة التي ضلكت آثارها قوماً فزعموا أن في العالم إلهاً يسمى إله الشر ، وماهى إله ، ولكنها محنة إله لا يعلم أسرار حكمته إلا هو ) . قال : (ولو أن أنفسنا مالت إلى قبول هذا التأويل ، لم تجد في الدين ما يمنعنا من ذلك ، والعمدة على اطمئنان القلب ، وركون النفس إلى ما أبصرت من الحق (٢) ) هـ .

ثم يعود في موضع آخر إلى تقرير التمثيل في القصة فيقول : (وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب هكذا : أن إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض هو عبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه ، التي بها قوامه ونظامه ، لوجود نوع من المخلوقات يتصرف فيها ، فيكون به كمال الوجود

(١) غالب ما ينسب للإمام في هذا التفسير مروى بالمعنى عنه .

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ٢٦٩ .

في هذه الأرض ، وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض لأنه يعمل باختياره ، ويمطى استعداداً في العلم والعمل لاحد لهما ، هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك ، وتمهيد لبيان أنه لا ينافي خلافته في الأرض . وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان لعلم كل شيء في هذه الأرض ، وانتفاعه به في استعمارها ، وعرض الأسماء على الملائكة ، وسؤالهم عنها ، وتصلهم في الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعوالم محدوداً لا يتعدى وظيفته . وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ، ينتفع في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك . وإبائه إبليس واستكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر ، وإبطال داعية خواطر السوء ، التي هي حثارة التنازع والتخاصم والتعدى والإفساد في الأرض ، ولولا ذلك لجاء على الإنسان زمن يكون فيه أفراده كالملائكة بل أعظم ، أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري<sup>(١)</sup> ٥١ .

والذي ينظر في هذا التأويل الذي جوزه الشيخ ، وفي سياق الآية وألفاظها وما فيها من محاورة ومقابلة ، لا يسعه إلا أن يرده ، وإن حاول قائلة أن يروج له بجعله الأوامر التي وردت في الآية من قبيل الأمر التكويني ، لا الأمر التسليني .

موقفه من السحر :

ولقد كان من أثر إعطاء الأستاذ لنفسه الحرية الواسعة في فهم القرآن الكريم ، أنا نجده يخالف رأى جمهور أهل السنة ، ويذهب إلى ماذهب إليه المعتزلة ، من أن السحر لاحقيقة له ، واذلك عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٤) من سورة الفلق ، ومن شر النفاثات في العقد ، نجده بعد أن يفسر معنى النفث والعقد ، يفسر المراد بالنفاثات في الآية فيقول : ( المراد بهم هنا هم الغامون ، المقطمون

لروابط الألفة ، المحرقون لها بما يلقون عليها من ضرام نمامهم ، وإنما جاءت العبارة كافي الآية ؛ لأن الله جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين ، الذين إذا أرادوا أن يملوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه - مثلاً - فيما يوهمون به العامة ، عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوا . ليكون ذلك حلاً للعقد التي بين الزوجين . والنميمة تشبه أن تكون ضرباً من السحر ؛ لأنها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة ، بوسيلة خفية كاذبة . والنميمة تضلل وجدان الصديقين ، كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته ؛ ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق .. (١) .

#### إنكاره لبعض الأحاديث الصحيحة :

ثم راح الشيخ - رحمه الله - يرد ما جاء من الروايات في سحر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : ( وقد رووا هنا أحاديث في أن النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد ابن الأعصم ، وأرسله فيه ، حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله ، أو يأتي شيئاً وهو لا يأتيه ، وأن الله أنبأه بذلك ، وأخرجت مواد السحر من بئر ، وعوفي صلى الله عليه وسلم بما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه السورة ، ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض في الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان في بعض الأمور العادية ، بل هو ما س بالعقل ، أخذ بالروح ، وهو ما يصدق قول المشركين فيه : إن تبعون إلا رجلاً مسحوراً (٢) ، وليس المسحور عندهم إلا من خواط في عقله ، وخيل له أن شيئاً يقع وهو لا يقع ، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ، ولا يوحى إليه ، وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ماهى النبوة ولا ما يجب لها : إن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صح فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق

(١) تفسير جزء عم ص ١٨١ .

(٢) الآية (٨) من سورة الفرقان .

به من بدع المبتدعين ، لأنه ضرب من إنكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر ، فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح . والحق الصريح في نظر المقلد بدعة ، ونعوذ بالله . . . يحتاج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه . ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك ، مع أن الذي قصده المشركون ظاهر ، لأنهم كانوا يقولون : إن الشيطان يلبسه عليه الصلاة والسلام ، وملاسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم ، وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد . فإنه خراط في عقله وإدراكه في زعمهم ) .

والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت . وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام ، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ، وبجهم على زعمهم هذا ، فإذا هو ليس بمسحور قطعاً . وأما الحديث فعلى فرض صحته ، هو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد ، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد ، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها الظن والمظنون ، على أن الحديث الذي يصل إلينا من طريق الآحاد . إنما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الأدلة على أنه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أى حال ، فلنا . بل علينا أن نفرض الأمر في الحديث . ولا نحكمه في عقيدتنا ، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل ، فإنه إذا حولت النبي في عقله كما زعموا جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه ، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه ، والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان . الخ (١) .

وهذا الحديث الذي يرده الأستاذ الإمام رواه البخارى وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة ، وليس من وراء صحته ما يخل بمقام النبوة ، فإن السحر

الذى أصيب به عليه الصلاة والسلام كان من قبيل الأمراض التي تعرض للبدن بدون أن تؤثر على شيء من العقل ، وقد قالوا إن مافعله ليدين الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم من السحر لا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع العقد عن النساء ، وهو الذي يسمونه (رباطاً) ، فكان يخيل إليه أن عنده قدرة على إتيان إحدى نساته ، فإذا ما هم بحاجة يعجز عن ذلك . أما السحر الذي نفى عنه صلى الله عليه وسلم فراد به الجنون ، وهو مخل ولا شك بمقام النبوة . وقد قالوا : يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون .

ثم إن الحديث رواية البخاري وغيره من كتب الصحيح ، ولكن الأستاذ الإمام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري ، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبر آحاد لا يثبت به إلا الظن ، وهذا في نظرنا هدم للجانب الأكبر من السنة التي هي بالنسبة للكتاب في منزلة المبين من المبين ، وقد قالوا : إن البيان يلتحق بالمبين ، وليس هذا الحديث وحده هو الذي يضعفه الشيخ ، أو يتخلص منه بأنه رواية آحاد ، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسي ، فمن ذلك أيضاً حديث الشيخين ( كل بني آدم يمسسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها ) فإنه قال فيه : ( إذا صح الحديث فهو من قبيل التمثيل لا من باب الحقيقة<sup>(١)</sup> ) .

فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له ، ثم يتخلص من إرادة الحقيقة على فرض الصحة ، بجعل الحديث من باب التمثيل ، وهو ركون إلى مذهب المعتزلة . الذين يرون أن الشيطان لا تسلط له على الإنسان إلا بالوسوسة والإغواء فقط .

وبعد . . . . فهذا هو إنتاج الأستاذ الإمام في التفسير ، وهذا هو مسلكه ومنهجه فيه ، ولعلني أكون قد أرضيت الحقيقة ، ولم أتجن على الشيخ ، أو أتهمه بما هو منه بري .

## ٢ - السيد محمد رشيد رضا<sup>(١)</sup>

كيف اتصل الشيخ رشيد بالأستاذ الامام :

نشأ السيد محمد رشيد رضا في طرابلس الشام ، وفيها تلقى العلم عن شيوخها وعلماؤها ، وجلس يفيدهم بعلمه ، وبرشدهم بنصحه ووعظه ، وفي هذه الأثناء وقع في يده نسخة من جريدة العروة الوثقى ، التي كان يقوم بإخراجها والكتابة فيها رجل الإصلاح جمال الدين الأفغاني ، وتلميذه الشيخ محمد عبده ، فقرأ الشيخ رشيد ما في الجريدة ، فأعجب بالرجلين إعجاباً شديداً ، ورغب في الاتصال بالسيد جمال الدين الأفغاني فلم يسعده الحظ ، ثم تعلق أملة بالاتصال بخليفته الشيخ محمد عبده ، فأسعده الحظ في هذه المرة ، واتصل بالشيخ في رجب سنة ١٣١٥ هـ وكان أول اقتراح عرضه عليه ، أن يكتب تفسيراً للقرآن على نهج ما كان يكتب في جريدة العروة الوثقى ، وبعد أخذ ورد بين الشيخين اقتنع الأستاذ الإمام بأن يقرأ دروساً في التفسير بالجامع الأزهر ، ولم يلبث إلا قليلاً حتى قام بإلقاء دورسه في التفسير على طلابه ومريديه .

وكان الشيخ رشيد - رحمه الله - ألزم الناس لهذه الدروس ، وأحرضهم على تلقيا وضبطها . فكان يكتب بعض ما يسمع ، ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك ، ثم قام بنشر ما كتب على الناس في مجلته ( المنار ) ، ولكنه لم يفعل ذلك إلا بعد مراجعة أستاذه لما كتب ، وتناول له بالتنقيح والتهذيب<sup>(٢)</sup> .

لهذا كله نستطيع أن نقول إن الشيخ رشيد هو الوارث الأول لعلم الأستاذ الإمام ، إذ أنه أخذ عنه فوعى ما أخذ ، وألف في حياته وبعد وفاته ؛ فكان لا يجيد عن منهجه أو ينحرف عن أفكاره . وائس غريباً ما يرويه الشيخ رشيد

(١) ولد في سنة ١٢٨٢ هـ وتوفي في سنة ١٣٥٤ هـ .

(٢) اختصرنا هذا الموضوع من مقدمة تفسير المنار ج ١ ص ١٠ - ١٥ .



من أن الأستاذ الإمام - رحمه الله - كان يقول : ( صاحب المنار ترجمان أفكارى )<sup>(١)</sup> كما أنه ليس غريباً ما يحدث به أحد تلاميذ الشيخ رشيد ، من أن الأستاذ الإمام وصف الشيخ رشيداً بأنه ( متحد معه في العقيدة ، والفكر ، والرأى ، والخلق ، والعمل )<sup>(٢)</sup> .

### إنتاج الشيخ رشيد في التفسير :

وإذا نحن تدبعتنا ما كتبه الشيخ رشيد من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الأستاذ الإمام إنتاجاً في التفسير ؛ وذلك أنه كتب تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم ، والمشهور بتفسير المنار . . . ابتداءً بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى : ( ١٠١ ) من سورة يوسف ، رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وأحقتنى بالصالحين ، ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كله .

هذا القدر من التفسير مطبوع فى اثنى عشر مجلداً كباراً ، ينتهى المجلد الثانى عشر عند قوله تعالى فى الآية ( ٥٣ ) من سورة يوسف : « وما أبصر نفسى .. الآية » .

وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف ، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها فى كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله . هذا . . . وقد فسر الشيخ من القصار سورة الكوثر ، والكافرون ، والإخلاص ، والمعوذتين ، ولا نعرف له إنتاجاً فى التفسير أكثر من هذا ، وهو إنتاج لا بأس به ، وفيه تتجلى روح الأستاذ الإمام بمزوجة بروح تلميذه ، فالمصادر هى المصادر ، والهدف هو الهدف ، والمنهج هو المنهج ، والأفكار هى الأفكار ، لا فرق بين الرجلين إلا فيما هو قليل نادر .

(١) ج ٢ ص ٤٩٨ .

(٢) المحدث بهذا هو الأستاذ عبد الرحمن عاصم فى مقال كتبه عن حياة الشيخ رشيد بالعدد ١٢ من السنة الخامسة من مجلة نور الإسلام .

( ٣٧ - التفسير والمفسرون ) ( ٢ )

مصادره في التفسير :

أما مصادره في التفسير فإنه كان يستعين ببعض آيات القرآن على فهم بعض آخر منه ، خصوصاً إذا تكررت الآيات في موضوع واحد ، وكان يستعين أيضاً بما صح عنده من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ، وبأساليب لغة العرب وسنن الله في خلقه<sup>(١)</sup> ، ومستعيناً بعد ذلك كله بعقله المتخرد من التقليد للمفسرين ، إلا فيما يقتنع به من أقوالهم ، وأقوال شيوخه على الأخص ، ويحدثنا بعض تلاميذه : (أنه كان لا يراجع ما يكتب في التفسير إلا بعد أن يكتب فهمه في الآية ، حذراً من تأثير أقوال المفسرين على نفسه ، وإذا آتاه الله فهماً في القرآن لم يسبق إليه ، أو لم يطلع عليه إلا بعد كتابته من عنده فإنه يتحدث إلى إخوانه شاكرآ ، وقد يقصه على أهل بيته مغتبطاً مسروراً<sup>(٢)</sup> ) .

هدفه من التفسير :

وأما هدفه في التفسير فهو عين ما يهدف إليه الأستاذ الإمام ، فإذا كان الأستاذ الإمام يصرح بأن هدفه من التفسير هو ( فهم السكاتب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة<sup>(٣)</sup> ) . فإن صاحبنا يصرح بمثل ذلك في كثير من مواضع كتابه ، فيقول بعد أن يوجه اللوم إلى من حشروا في التفسير من قواعد العلوم ، ومسائل الفنون ، وموضوعات الحديث ، وخرافات الإسرائيليات ، ما يصرف الناس عن هداية القرآن ، يقول : ( إن حاجة الناس صارت شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة ، المنزلة في وصفه . وما أنزل لأجله ، من الإنذار . والتبشير ، والهداية ، والإصلاح<sup>(٤)</sup> ) .

(١) انظر تفسير النار ج ٦ ص ١٩٦ .

(٢) من مقال نشره الأستاذ عبد الرحمن عاصم عن الشيخ رشيد في مجلة نور الإسلام السنة الخامسة العدد ١٢ سنة ١٣٥٤ هـ .

(٣) تفسير النار ج ١ ص ١٧ . (٤) تفسير النار ج ١ ص ١٠ .

يريد أنه سيعمل تفسيره على هذا النمط ليسد حاجة الناس ، ويقول في موضع آخر : ( إن قصدنا من التفسير بيان معنى القرآن ، وطرق الاهتداء به في هذا الزمان (١) ) .

### منهجه في التفسير :

وأما منهجه فيه فهو عين ما منهجه الأستاذ الإمام ، فلا تقيد بأقوال المفسرين ، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن ، ولا خوض في إسرئيليات ، ولا تعيين لمهمات ، ولا تعلق بأحاديث موضوعية ، ولا حشد لمباحث الفنون ، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم ، بل شرح للآيات بأسلوب رائع ، وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة ، وتوضيح لمشكلات القرآن ، ودفاع عنه يردها ما أثير حوله من شبهات ، وبيان هدايته ، ودلالة إلى عظيم إرشاده ، وتوقيف على حكم تشريعه ، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه ، وبيان لسنن الله في خلقته .

ولسكننا نجد الشيخ رشيد - رحمه الله - يجيد عن هذا المنهج بعض الشيء ، وذلك بعد وفاة شيخه ، واستقلاله بالعمل ، ويحدثنا هو بذلك فيقول :

( وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته ، خالفت منهجه - رحمه الله تعالى - بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة ، سواء كان تفسيراً لها ، أو في حكمها ، وفي تحقيق بعض المفردات ، أو الجمل اللغوية ، والمسائل الخلافية بين العلماء ، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المخلفة ، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها ، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر ، أو يقوى حججهم على خصومه من الكفار والمبتدعة ، أو بجل بعض المشكلات التي أعيأ حلها . بما يطامن به انقلب ، وتسكن إليه النفس (٢) ) . ٥١ .

(١) تفسير المنار ج ٤ ص ٤٢ .

(٢) تفسير المنار ج ١ ص ١٦ .

ويبدو لنا أن هذا التوسع الذي كان من الشيخ رشيد خصوصاً في المسائل الاجتماعية ، لم يدفعه إليه إلا كونه رجلاً ( صحفياً ) اتصل عن طريق مجلته بالناس على اختلاف منازعهم ومشاربهم ، وفيهم المتدين ، والملحد ، والكافر ، فأراد أن يتمشى بكتابته مع الجميع ، فثبتت المتدين على دينه ، ويرد الملحد عن إلحاده ، ويكشف عن محاسن الإسلام ؛ لعل الكافر أن يثوب إلى رشده ويرجع عن كفره (١) .

آراؤه في التفسير :

أما آراؤه في التفسير فهي كآراء شيخه ، تقوم على حرية واسعة في الرأي واعتداد عظيم بالفهم ، وثقة قوية بما عنده من العلم ، وعدم تقيد ببعض المسلمات عند العلماء ؛ ولهذا نجد له أفكاراً غريبة في تفسير القرآن استقل ببعض منها ، وقلد شيخه في بعضها الآخر .

رأيه في أصحاب الكبائر :

فثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ٢٧٥ ) من سورة البقرة في شأن المرابين : « ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » ، نجده يخالف أهل السنة ، ويؤكد أن صاحب الكبيرة التي في درجه أكل الربا وقتل العمد إذا مات ولم يتب منها يخلد في النار ، ولا يخرج منها أبداً فيقول : ( أى ومن عاد إلى ما كان يأكل من الربا المحرم بعد تحريمه ، فأولئك البعداء عن الاتعاط بموعظة ربهم ، الذي لا ينههم إلا عما يضرهم في أفرادهم أو جمعهم ، هم أهل النار الذين يلازمونها كما يلازم الصاحب صاحبه ، فيكونون فيها خالدين ) .

( وقد أول الخلود المفسرون ؛ لتتفق الآية مع المقرر في العقائد والفقهاء من كون المعاصي لا توجب الخلود في النار ، فقال أكثرهم : إن المراد . ومن عاد إلى تحليل الربا واستباحته اعتقاداً ، ورده بعضهم بأن الكلام في أكل الربا ، وما ذكر عنهم من جعله كالبيع هو بيان لرأيهم قبل التحريم ، فهو ليس بمعنى

(١) كان الشيخ رشيد ينشر ما يكتبه في التفسير تباعاً بمجلته ( النار ) ثم جمع

ما كتب في كتاب واحد وهو تفسيره المتداول بين أهل العلم .

استباحة المحرم ، فإذا كان الوعيد قاصرا على الاعتقاد بحمله لا يكون هناك وعيد على أكله بالفعل) .

(والحق أن القرآن فوق ما كتب المتكلمون والفقهاء ، يجب إرجاع كل قول في الدين إليه ، ولا يجوز تأويل شيء ليوافق كلام الناس ، وما الوعيد بالخلود هنا إلا كالوعيد بالخلود في آية قتل العمد ، وليس هناك شبهة في اللفظ على إرادة الاستحلال . ومن العجيب أن يجعل الرازي الآية هنا حجة على القائلين بخلود مرتكب الكبيرة في النار ، انتصارا لأصحابه الأشاعرة ، وخير من هذا التأويل تأويل بعضهم الخلود بطول المسك . أما نحن فنقول : ما كل ما يسمى إيمانا يعصم صاحبه من الخلود في النار ، الإيمان إيمانان : إيمان لا يعدو التسليم الإجمالي بالدين الذي نشأ فيه المرء أو نسب إليه ، وجماعة أهله ولو بعدم معارضتهم فيما هم عليه . وإيمان هو عبارة عن معرفة صحيحة بالدين عن يقين بالإيمان ، متمكنة في العقل بالبرهان ، مؤثرة في النفس بمقتضى الإذعان ، حاکمة على الإرادة المصرفة للجوارح في الأعمال ، بحيث يكون صاحبها خاضعا لسلطانها في كل حال ، إلا ما لا يخلو عنه الإنسان من غلبة جهالة أو نسيان . وليس الربا من المعاصي التي تنسى ، أو تغلب النفس عليها خفة الجهالة والطمس كالحدة وثورة الشهوة ، أو يقع صاحبها منها في غمرة النسيان كالغيبية والنظرة ، فهذا هو الإيمان الذي يعصم صاحبه بإذن الله من الخلود في سخط الله ، ولكنه لا يجتمع مع الإقدام على كبائر الإثم والنمواحش عمدا ، إثارا لحب المال والدة ، عن دين الله وما فيه من الحكم والمصالح . وأما الإيمان الأول : فهو صوري فقط ، فلا قيمة له عند الله تعالى ؛ لأنه تعالى لا ينظر إلى الصور والأقوال ، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال ، كما ورد في الحديث والشواهد على هذا الذي قررناه في كتاب الله تعالى كثيرة جدا ، وهو مذهب السلف الصالح ، وإن جملة كثير مما يدعون اتباع لسنة حتى جرءوا الناس على هدم الدين ، بناء على أن مدار السعادة على الاعتراف بالدين وإن لم يعمل به ، حتى صار الناس يتبجحون بارتكاب الموبقات ، مع الاعتراف بأنها من كبائر ما حرم ، كما بلغنا عن بعض

كبرائنا أنه قال: إنني لأنكر أني آكل الربا ولاكنني مسلم اعترف بأنه حرام، وقد فاته أنه يلزمه بهذا القول الاعتراف بأنه من أهل هذا الوعيد ، وبأنه يرضى أن يكون محاربا لله ولرسوله ، وظالما لنفسه وللناس ، كما سيأتى في آية أخرى ، فهل يعترف بالملزوم ؟ أو ينكر الوعيد المنصوص فيؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ؟ نعوذ بالله من الخذلان (١) هـ .

تقليده لشيخه في قصة آدم :

كذلك نجد صاحب المنار يقلد شيخه في موقفه من قصة آدم وإبليس وما يتعلق بها فيقول :

(وهذا التفصيل مبني على كون الأمر بالسجود للتكليف ، وأنه وقع حوار بين الرب سبحانه وبين إبليس . وأما على القول بأن الأمر للتكوين ، وأن القصة بيان لغراز البشر والملائكة والشياطين ، فالمعنى : أنه تعالى جعل ملائكة الأرض المدبرة بأمر الله وإذنه لأمرها بالسنة التي عليها مدار نظامها كما قال : «فالمدبرات أمر» (٢) ، مسخرة لآدم وذريته ، إذ خلق الله هذا النوع مستعدا للانتفاع بها كلها ، بعلمه بسنة الله تعالى فيها ، وبعلمه بمقتضى هذه السنة كخواص الماء ، والهواء ، والكهرباء ، والنور ، والأرض : معادنها ، ونباتها ، وحيوانها ، وإظهاره لحكم الله تعالى وآياته فيها ، ومستعداً لاصطفاء الله بعض أفرادها ، واختصاصهم بوحية ورسالته ، وإقامة من اهتدى بهم لدينه وميزان شرعه ، وقد أشير إلى ذلك في الآية (٢١) من سورة البقرة بقوله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها ، إلا أنه جعل الشيطان عاتيا متمرداً على الإنسان ، بل عدواً له ، من حيث إن الإنسان بروحه وسط بين روح الملائكة المفطورين على طاعة الله وإقامة سنته في صلاح الخلق ، وبين روح الجن الذي يغلب على شرارهم — وهم الشياطين — التمرد والعصيان . وقد أعطى الإنسان إرادة

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٩٨ — ٩٩ . وراجع أيضا ما كتبه عن قتل العمدة

ج ٥ ص ٣٣٩ — ٣٤٥ .

(٢) الآية (٥) من سورة النازعات .

واختياراً من ربه في ترجيح ما به يصعد إلى أفق الملائكة ، وما به يهبط إلى أفق للشياطين) (١) اه .

تذره بالمجاز والتشبيه :

كذلك نجد صاحب المنار يصرف بعض ألفاظ القرآن عن ظواهرها ، ويعدل بها إلى ناحية المجاز أو التشبيه ، وذلك فيما يبدو مستبعداً ومستغرباً لو أجرى على حقيقته ، وهذا المسلك الذي جرى عليه الشيخ رشيد هو مسلك شيخه ، ومسلك الزمخشري وغيره من المعتزلة ، الذين اتخذوا التشبيه والتمثيل سبيلاً للفرار من الحقائق التي يصرح بها القرآن ، ولا تعجز عنها قدرة الله ، وإن بعدت عن منال البشر .

فمثلاً نجد صاحب المنار عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٤٧) من سورة النساء : « يا أيها الذين آمنوا أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنزدها على أدبارها ... الآية » ، نراه يستظهر أن المعنى المراد هنا هو ( آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوه مقاصدكم التي توجهتم إليها في كيد الإسلام ، ونزدها خاسئة خاسرة إلى الوراء ، بإظهار الإسلام ونصره عليكم ، وفضيحتكم فيما تأتونه باسم الدين والعلم الذي جاء به الأنبياء ، وقد كان لهم عند نزول الآية شيء من المسكنة والمعرفة والقوة ، فهذا ما نفسرها به ، على جعل الطمس والرد على الأدبار معنويين ... ثم سرد بعض أقوال المفسرين في هذه الآية ، ثم بين أن ما اختاره هو رأى شيخه الذي مال إليه في دروسه (٢) .

رأيه في السحر :

ثم إن صاحب المنار لا يرى السحر إلا ضرباً من التمويه والخداع ، وليس له حقيقة كما يقول أهل السنة ، وهو يوافق بهذا القول قول شيخه وقول

(١) تفسير المنار ج ٨ ص ٢٣٢ .

(٢) تفسير المنار ج ٥ ص ١٤٥ - ١٤٦ .

المعتزلة من قبله ؛ ولهذا نراه عندما فسر قوله تعالى في الآية (٧) من سورة الأنعام : « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين، نجده يقول: (والآية تدل على أن السحر خداع باطل، وتخييل يرى ما لا حقيقة له في صورة الحقائق (١) . . . ) .

وهذا ولم يستطع الشيخ رشيد أن يرد حديث البخارى في سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل شيخه ، ولكنته تأول الحديث على أنه كان من قبيل العقد عن النساء ، وبين أن عذر من طعن في الحديث هو أن هشام راوى الحديث عن أبيه عن عائشة مطعون فيه من كثير من أئمة الجرح والتعديل (٢) .  
رأيه في الشياطين :

وهو يرى أن شياطين الجن لا تسلط لها على الإنسان إلا بالإغواء فقط ، ويقول : ( كل ما يدعيه بعض الدجالين من تسلط الشيطان ، أو ملوك الجن على بعض الناس ، وقدرتهم على نفهم وضرهم ، فهو كذب وحيل من شياطين الإنس وخدم (٣) ) .

رأيه في الجن :

كما يرى أن الجن لا ترى للإنسان على أى حال من الأحوال ، ويرجح أن من ادعى رؤية الجن فذلك وهم منه وتخييل ، ولا حقيقة له في الخارج ، أو لعله رأى حيواناً غريباً كبعض القرود فظنه أحد أفراد الجن (٤) . يقول هذا ثم يعرض في ( الهامش ) لذكر حديث أبي هريرة فيمن كان يسرق تمر الصدقة ،

(١) تفسير النار ج ٧ ص ٣١١ .

(٢) انظر تفسير سورة الفلق من مجموعة تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ص ١٢٩ - ١٣٤ .

(٣) تفسير سورة الناس من مجموعة تفسير الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن ص ١٤١ .

(٤) انظر تفسير النار ج ٧ ص ٥١٦ .



ولإخبار النبي له بأنه شيطان - وهو في البخارى - ولغيره من الأحاديث التي تدل على أن الإنسان يرى الجنى ويبصره ، ثم يقول بعد أن يفرغ من سرده للروايات ( والصواب أنه ليس في هذه الروايات كلها حديث صحيح<sup>(١)</sup> ) . بل ونجده يزيد على ذلك فيجوز أن تكون ميكروبات الأمراض نوعا من الجن . وذلك حيث يقول عندما تعرض لتفسير قوله تعالى في الآية (٢٧د) من سورة البقرة : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ... الآية ، : ( ..... والمتكلمون يقولون : إن الجن أجسام حية خفية لا ترى ، وقد قلنا في المنار غير مرة : إنه يصح أن يقال : إن الأجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة وتسمى بالمكروبات ، يصح أن تكون نوعا من الجن ، وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض<sup>(٢)</sup> ) .

رأيه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ؛

ولقد نجد صاحب المنار يذهب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم مذهبا بعيداً ، فيقرر أنه لا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم، وينكر بعض معجزاته الكونية ، ويتأول ما يشهد لها من آيات ، ويحدد صحة ما يقوم بإثباتها عن الأحاديث ، وما يسلمه من بعض الآيات الكونية فهو في نظره لإكرام للنبي من ربه ، وليس من قبيل المعجزة ، أو الحجة على صدق دعوته . يذهب إلى هذا ويستدل له بمثل قوله تعالى في الآية ( ٥٩ ) من سورة الإسراء : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ... الآية ، وبمثل قوله عليه السلام من رواية أبي هريرة عند الشيخين وغيرهما : ( ما من نبي من الأنبياء إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ) .

(١) المرجع السابق (هامش)

(٢) تفسير المنار ج ٣ ص ٩٦

ولكن صاحب المنار يستشعر معارضة بعض نصوص القرآن والحديث لما ساقه من أدلة على مدعاه فيقول : ( وقد يعارضه - - يعني الحديث السابق - آية انشقاق القمر مع ما ورد في أحاديث الصحيحين وغيرهما من أن قریشا سألوا النبی صلی الله علیه وسلم آية على نبوته فانشق القمر فكان فرقتين ، ولكن في الأحاديث الواردة في انشقاقه عللاً في متنها وأسانيدھا، وإشکالات علمية ، وعقلية ، وتاريخية ، فصلناها في المجلد الثلاثين من المنار ، وبيننا أن ما تدل عليه الآيات القرآنية المؤيدة بحديث الصحيحين الصريح في حصر معجزة نبوته صلی الله علیه وسلم في القرآن وكون الآيات المقترحة تقتضي إجابة مقترحيها عذاب الاستئصال ، هو الحق الذي لا ينمض لمعارضته شيء (١) .

وإذا كان الشيخ رشيد قد تخلص هنا من معارضة الحديث بالظن فيه ، فإنه قد تخلص في موضع آخر من معارضة الآية ، حيث فسر انشقاق القمر بظهور الحجّة (٢) . . . . .

رأيه في مسائل من الفقه :

كذلك نجد صاحب المنار يعطى نفسه حرية واسعة في استنباط الأحكام من القرآن الكريم ، مما جعله يخالف جمهور الفقهاء ، ويسفهم فيما ذهبوا إليه وإذا أردت مثلاً لذلك فارجع إلى ما كتبه على قوله تعالى في الآية (٨٠) من سورة البقرة : « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين ، فستجد أنه لم يعبأ بما عليه جمهور العلماء من أهل السنة من أن حكم هذه الآية منسوخ ، بصرف النظر عن كون الناسخ آية المواثيق أو حديث لاوصية لوارث ، الذي جنح الشافعي في الأم إلى أن منته متواتر (٣) ، فراح - رحمه الله - يؤكد بكل ما يملك من

(١) تفسير المنار ج ١١ ص ٣٣٣ وانظر الوحي المحمدي للدؤلف ص ٦٩ - ٧٠

مطبعة المنار سنة ١٣٥٤ هـ .

(٢) انظر القول الفصل ص ١٦٣ .

(٣) نيل الأوطار للشوكاني ج ٦ ص ٤٠ المطبعة العشانية سنة ١٣٥٧ هـ .

حجة : أن حكم الوصية للوالدين والأقربين باق لم يفسخ ، كما راح يفند كل دليل تمسك به الجمهور . ولا أطيل بذكر ما قال في هذا الموضوع ، ويكفي أن أقول لك : إنه أنهى البحث في هذه المسألة بقوله : ( وصفوة القول : أن الآية غير منسوخة بآية المواريث ؛ لأنها لا تعارضها ، بل تؤيدها ، ولا دليل على أنها بعدها ، ولا بالحديث ، لأنه لا يصلح لنسخ الكتاب ، فهي محكمة ، وحكمها باق ، ولك أن تجعله خاصاً بمن لا يرث من الوالدين أو الأقربين كما روى عن بعض الصحابة ، وأن تجعله على إطلاقه ، ولا تكن من المجازفين الذين يخاطرون بدعوى النسخ فينبذ ما كتبه الله عليه بغير عذر ، ولا سيما بعد ما أكده بقوله : « حقا على المتقين ، (١) » .

وإن أردت مثالا آخر فارجع إلى ما ذهب إليه في آية التيمم من سورة النساء ، فسترى أنه يقرر : أن المسافر يجوز له التيمم ولو كان الماء بين يديه ولا علة تمنعه من استعماله إلا كونه مسافراً ، ويخالف بذلك جماعة الفقهاء ، ويحمل عليهم حملة شديدة فيما ذهبوا إليه من أن المسافر لا يجوز له التيمم مع وجود الماء ، كما ينكر على من استشكل الآية من المفسرين ، ويقول فيما يقول : ( سيقول أدياء العلم من المقلدين ، نعم . . إن الآية واضحة المعنى ، كاملة البلاغة على الوجه الذى قررتم ، ولكنها تقتضى عليه أن التيمم فى السفر جائز ولو مع وجود الماء . وهذا مخالف للمذاهب المعروفة عندنا ، فكيف يعقل أن يخفى معناها هذا على أولئك الفقهاء المحققين ؟ وكيف يعقل أن يخلفوها من غير معارض لظاهرها أرجعوها إليه ؟ . . ولنا أن نقول لمثل هؤلاء - وأن كان المقلد لا يحتاج لأنه لا علم له - وكيف يعقل أن يكون البلف الكلام وأسلمه من التكلف والضعف معضلاً مشكلاً ؟ وإى الأمرين أولى بالترجيح ؟ أظن ببلاغة القرآن وبيانه . لحله على كلام الفقهاء ؟ أو تجويز الخطأ على الفقهاء ؛ لأنهم لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآية من غير تكلف ، وهو الموافق للملتزم مع غيره من رخص السفر ، التى فيها قصر الصلاة وجمعها ، وإباحة الفطر فى

رمضان ، فهل يستنكر مع هذا أن يرخص للمسافر في ترك الغسل والوضوء ،  
وهما دون الصلاة والصيام في نظر الدين،) ... إلى أن قال: ( ألا إن من أعجب  
العجيب ، غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة في عبارة القرآن ،  
التي هي أظهر وأولى من قصر الصلاة وترك الصيام ، وأظهر في رفع الحرج  
والعسر الثابت بالنص وعليه مدار الأحكام ... ) ثم قال : ( وإذا ثبت أن  
التيهم رخصة للمسافر بلا شرط ولا قيد ، بطلت كل تلك التشديدات التي  
توسعوا في بنائها على اشتراط فقد الماء ، ومنها ما قالوا من وجوب طلبه في  
السفر ، وما وضعوه لذلك من الحدود كحد القرب وحد الغوث .. (١) .

حملته على بعض المفسرين :

هذا .. ولا يفوتنا أن نقول . إن صاحب المنار كان كثير التوسع فيما  
يتعقب به أحيانا قدماء المفسرين ، خصوصا الفخر الرازي منهم ، مع قسوة منه  
عليهم في الكثير الغالب (٢) .

حملته على البدع والخرافات :

كما أنه كان كثير الاستطراد إلى تتبع بدع المسلمين، والكشف عن عوارها  
والإرشاد إلى علاجها ، مع تشدد وتعسف منه في كثير من الأحيان  
شرحه لمبهمات القرآن بما جاء في التوراة والإنجيل :

كذلك لا يفوتنا أن ننبه على أن صاحب المنار كان مع شدة لومه على  
المفسرين الذين يزجون بالإسرائيليات في تفاسيرهم ، ويتخذن منها شروحا  
لكتاب الله ، يخوض هو أيضا فيما هو من هذا القبيل ويتخذ منه شروحا  
لكتاب الله ، وذلك أنه كثيراً ما ينقل عن الكتاب المقدس أخباراً وآثاراً

(١) تفسير المناز ج ٥ ص ١١٨ - ١٢٢ .

(٢) انظر ما عقب به طي العنشرى وغيره من المفسرين الذين فسروا الركون  
بالميل اليسير في قوله تعالى في الآية (١١٣) من سورة هود « ولا تركنوا إلى الذين

ظلموا .. الآية » ج ١٢ ص ١٦٩ - ١٧٩ .

يفسر بها بعض مهمات القرآن ، أو يرد بها على أقوال بعض المفسرين (٣). وكان الأجدد بهذا المفسر الذي يشدد النكير على عشاق الإسرائيليات ، أن يكف هو أيضاً عن النقل عن كتب أهل الكتاب ، خصوصاً وهو يعترف أنه قد تطرق إليها التحريف والتبديل .

### دفاعه عن الإسلام :

وأخيراً فلا يفوتنا أن الرجل قد دافع عن الإسلام والقرآن ، وكشف عما أحاط بهما من شكوك ومشاكل ، وقد استعمل في ذلك لسانه وقلبه ، وضمينه مجلته وتفسيره ، وتلك مزية لا جزل يحمد عليها ، ولا نفسى ماله من أفكار جريئة ومتطرفة .

---

(١) انظر ما نقله عن الفصل الخامس والمشرين من سفر الخروج عن التابوت وما حواه ج ٢ ص ٤٨٢ — ٤٨٣ واستشهادة على ما نشر به استجابة الله لدعاء موسى وهارون حيث قالوا كما جاء في الآيتين (٨٨ و ٨٩) من سورة يونس « ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم » قال قد أُجيب دعوتكما . الآية ، بما جاء في سفر الخروج ج ١١ ص ٤٧٤ .

### ٣ - الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى

الأستاذ المراغى فى مدرسة الشيخ محمد عبده :

لم نعرف من رجال هذه المدرسة رجلاً تأثر بروح الأستاذ الإمام ، ونهج على طريقته من التجديد واطراح التقليد ، والعمل على تنقية الإسلام من الشائب التى أصقت به ، وتنبية الغافلين عن هديه وإرشاده ، مثل الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى عليه رحمة الله ورضوانه .  
تربى هذا الرجل فى مدرسة الأستاذ الامام ، وتخرج منها وهو يحمل بين جنبيه قلباً مليئاً بالرغبة فى الإصلاح ، والثورة على كل ما يقف فى سبيل الإسلام والمسلمين .

هذا القلب الفتى ، العامر بما فيه من حب للخير ورغبة فى الإصلاح ، دفع بالرجل إلى ميدان الحياة الاجتماعية ، وترقى به فى مراتب المناصب الدينية ، وأخيراً وقف به عند الغاية ، فإذا بالرجل شيخاً للأزهر ، وإذا بروح الإصلاح والتجديد تندفق من فوق منبره ، وعلى قلوب طلابه وغير طلابه ، ثم تنساب جارية إلى فراح من الحياة مختلفة ، فتعمل فيها عمل السحر ، والحياة والنور .

لم يلازم الشيخ المراغى أستاذه الامام ملازمة طويلة كما لازمه الشيخ رشيد ولم يجلس إليه كثيراً مثل ما جلس ، ولكنه كان على رغم ذلك أعمق أثراً وأكثر تحقيقاً لما تهدف إليه هذه المدرسة من ضروب الإصلاح وصنوف التجديد ، والسر فى ذلك - كما يظهر لنا - هو تقلب الشيخ فى مختلف المناصب الدينية الكبيرة ، ثم ما كان فيه من جاذبية وقدرة على استجلاب قلوب سامعيه واستمالتها إليه ، مما أجلس بين يديه الملك ، والأمير ، والوزير ، والشيخ الكبير . والطالب الصغير ، ورجل الشارع .

جلس هؤلاء جميعاً يستمعون إليه ويأخذون عنه ، فكان الميدان فسبحاً أمام

الشيخ ، يلقي فيه بآرائه وأفكاره ، فتجد الدعوة قبولاً من مستمعيه، ورواجاً عند مردييه . . . ثم لا تلبث أن تنتشر فتعم كل شيء .  
وإذا كان كتاب الله هو الدستور الذي شرعه الله تعالى للأمة الإسلامية ، وجعل فيه خيرها وسعادتها في الدنيا والآخرة ، فلم لا يكون هو الباب الذي يصل منه الشيخ إلى ما يريه من خير : وما يهدف إليه من إصلاح ،  
إنتاجه في التفسير :

طرق الشيخ هذا الباب ، فعقد دروساً دينية في تفسير القرآن الكريم ، استمع إليها الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم ، من الملك إلى رجل الشارع كما قلت ، وأذيعت هذه الدروس أيضاً في كثير من ممالك الأرض ، ودول الإسلام وأخيراً طبعت هذه الدروس ، ووزعت على الناس ليعم نفعها ، ويزداد أثرها .

لم تكن هذه الدروس على شيء من الكثرة ، ولم يكن مقدار ما تناولته من آيات القرآن بالمقدار الكبير ، الذي كنا نرغب ونطمح في أن تزود به المكتبة الإسلامية .

نعم . . . لم تتناول هذه الدروس من آيات القرآن إلا مقداراً قليلاً ، وإذا نحن ذهبنا نستقصيه فإننا لانجده أكثر من شرحه لقوله تعالى في الآية (١٧٧) من سورة البقرة : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . . . إلى قوله : أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون<sup>(١)</sup> . . .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات (١٣٣ — ١٣٨) من سورة آل عمران : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض . . . إلى قوله : هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين<sup>(٢)</sup> . . .

وشرحه لقوله تعالى في الآيتين (١٣ و١٤) من سورة الشورى : شرع

---

(١) ألقى هذا الدرس بمسجد البوصيري بالاسكندرية في رمضان سنة ١٣٥٦ هـ .

(٢) ألقى هذا المسجد بمسجد الحسين بالقاهرة في رمضان سنة ١٣٥٦ هـ .

لكم من الدين ما وصى به نوحا . . . ، إلى قوله « وإن الذين أورتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب <sup>(١)</sup> » .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ١٥١ - ١٥٣ ) من سورة الأنعام « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . . . ، إلى قوله « ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون <sup>(٢)</sup> » .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ١٨٣ - ١٨٦ ) من سورة البقرة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام . . . ، إلى قوله « . . . وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون <sup>(٣)</sup> » .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ٢٤ - ٢٩ ) من سورة الأنفال « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم . . . ، إلى قوله « والله ذو الفضل العظيم <sup>(٤)</sup> » .

وشرحه لسورة الحجرات <sup>(٥)</sup> ، وشرحه لسورة الحديد <sup>(٦)</sup> ، وشرحه لسورة لقمان <sup>(٧)</sup> ،

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ١٦٠ - ١٦٥ ) من سورة الأنعام « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . . . إلى آخر السورة <sup>(٨)</sup> » .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ١٩٩ - ٢٠٦ ) من سورة الأعراف « خذ العفو وأمر بالعرف ، إلى آخر السورة <sup>(٩)</sup> » .

---

(١) ألقى هذا الدرس بمسجد السلطان أبي الملاء بالقاهرة في رمضان سنة ١٣٥٦ هـ .

(٢) « « « « الخنفي « « « « ١٣٥٦ هـ .

(٣) « « « « السيدة زينب « « « « ١٣٥٦ هـ .

(٤) « « « « البوصيري بالإسكندرية « « « « ١٣٥٦ هـ .

(٥) في دروس ثلاثة في شهر رمضان سنة ١٣٥٨ هـ .

(٦) ألقى تفسير هذه السورة في رمضان سنة ١٣٥٩ هـ ؛ ١٣٦٠ هـ .

(٧) ألقى تفسيرها في رمضان سنة ١٣٦١ هـ .



وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ٣٠ - ٣٤ ) من سورة فصلت ، إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ... إلى قوله ، كأنه ولي حميم (١) ، .

وشرحه لأوائل سورة الأعراف .. إلى قوله في الآية (٩) ... ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون، (٢) .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ١١٢ - ١٢٣ ) من سورة هود ، فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ... ، إلى آخر السورة (٣) .

وشرحه لقوله تعالى في الآيتين ( ٥٨ و ٥٩ ) من سورة النساء ، إن الله يامرکم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ... ، إلى قوله : ذلك خير وأحسن تأويلاً (٤) ، .

وشرحه لقوله تعالى في الآية ( ١٧ ) من سورة الرعد ، أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ... ، إلى قوله ، كذلك يضرب الله الأمثال (٥) ، .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ٨٣ - ٨٨ ) من سورة القصص ، تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ... ، إلى آخر السورة (٦) .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ١ - ١٠ ) من سورة الفرقان ، تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ... ، إلى قوله ، ويجعل لك قصوراً (٧) ، .

وشرحه لقوله تعالى في الآيات ( ٦٣ - ٧٧ ) من سورة الفرقان أيضاً

(١) ألقى هذا التفسير في رمضان سنة ١٣٦١ هـ .

(٢) ألقى هذا التفسير في رمضان سنة ١٣٦٢ هـ .

(٣) ألقى هذا التفسير في رمضان سنة ١٣٦٢ هـ .

(٤) ألقى هذا الدرس في رمضان سنة ١٣٦٣ هـ .

(٥) ألقى هذا الدرس في رمضان سنة ١٣٦٣ هـ .

(٦) ألقى هذا الدرس في رمضان سنة ١٣٦٣ هـ — وقد قدم شرحه لهذه الآيات

بالكلام عن قصة قارون مع قومه وبين موضع العبرة فيها .

(٧) ألقاه بدار جمعية الشبان المسلمين سنة ١٣٦٠ هـ .

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . . . .» ، إلى قوله «فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً» (١) .

وشرحه لسورة العصر (٢) .

وشرحه لسورة المالك (٣) .

هذا هو كل ما للأستاذ المراغي - رحمه الله - من إنتاج في التفسير ، وهو على قلته عمل كبير وعظيم ، بالنظر لما يهدف إليه من إصلاح ، وما يحمل في طياته من توجيه حسن في التفسير .

وحسب الشيخ أن يكون قد لفت قلوب كثيره من المسلمين إلى القرآن ، بعد أن أعرضوا عن هديه ، وضلوا عن إرشاده ، وتلك حسنة نرجو له برها وذخرها عند الله .

#### منهجه في التفسير :

يتبع الإنسان إنتاج الأستاذ الأكبر في التفسير ، ويستقوى ما عرض له من آيات القرآن الكريم ، فيلاحظ أن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان يختار لدروسه من آيات القرآن ما تتجلى فيه دلالة قدرة الله وآيات عظمته ، وما تظهر فيه وسائل هداية البشر ، ومواضع العظة والعبرة ، كما يلاحظ أيضاً أنه وجه جانباً كبيراً من عنايته إلى الآيات التي يجمعها وقضايا العلم الحديث صلة القربى ؛ ليظهر للناس أن القرآن لا يقف في سبيل العلم ، ولا يصادم ما صح من قواعده ونظرياته ، وذلك بما يهديه الله إليه من الدقة في التوفيق بين قضايا القرآن ، وقضايا العلم الحديث . . دقة لا يبلغ شأوها ، ولا يدرك خطرها إلا من شغل نفسه ، وكد فهمه في هذا السبيل .

(١) ألقاه بدار جمعية الشبان المسلمين في سنة ١٣٥٩ هـ .

(٢) ألقاه بدار جمعية الشبان المسلمين سنة ١٣٦١ هـ .

(٣) وهو آخر دروسه في التفسير رحمه الله ، إذ توفي في رمضان سنة ١٣٦٤ هـ

ولم يقع لنا تفسير هذه السورة ، وقد اعتمدت فيما نقلته عنه فيها على ما سمعته بنفسه من دروسه في تفسيرها .

مصادره في التفسير :

وأعتقد أن الشيخ - رحمه الله - كان يستند في تحضير دروسه على كتاب الله تعالى بجمع ما كان من الآيات في موضوع واحد . لعل ما أجمل في موضع فسر في موضع آخر ، وما أبهم في آية بين في آية أخرى ، وكان يستند أيضاً إلى ما صح من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبيان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ثم على أساليب اللغة وسنن الله في السكون ، ثم على ما كتبه قدماء المفسرين ، ولسكنه لم يبلغ عقله في هذا كله ، بل كان يضع هذه المصادر كلها أمام نظره ، ويعرض ما فيها على قلبه وعقله ، فما أعجبه منها أقره ، وما لم يطمئن إليه نبذه وأعرض عنه .

لم نسمع عن الأستاذ المراغي - رحمه الله - أنه فسر القرآن بدون أن ينظر أولاً فيما كتبه المفسرون ، ولم يبلغنا عنه أنه ادعى لنفسه أنه أتى بما لم يأت به الأوائل في التفسير ، بل على العكس من ذلك وجدناه يعترف بالفضل للأقدمين . ولا ينسى ما كان لهم من مجود طيب وأثر محمود ، وذلك حيث يقول عن تفسيره : ( ما هو إلا ثمرات من غرس أسلافنا الأقدمين ، وزهرات من رياضهم (١) ) .

لم يتحامل الشيخ - رحمه الله - على المفسرين كما تحامل غيره ، ولم يرم في وجوههم بالعبارات القاذعة اللاذعة ، بل كان عفواً في نقده ، زهياً في عبارته ، وهذا أدب ما أجمله بالعلماء ، وبخاصة مع أسلافهم ومتقدميهم .

موقفه من مبهمات القرآن :

هذا ، وإن الأستاذ المراغي - رحمه الله - قد نهج في تفسيره منهج شيخه ، فوجدناه لا يخوض في مبهمات القرآن بالتفصيل . ولا يدخل في جزئيات سكنت عنها القرآن ، وأعرض عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا الروايات

(١) مقدمة تفسيره لسورة الحديد .

الموضوعة أو الضعيفة بكافية عنده عنده حتى يزح بها في تفسيره ، ولا الأخبار الإسرائيلية بمقبولة لديه ، حتى يجعل منها شروحا لما أجمله القرآن وسكت عن تفصيله ، فلماذا نراه عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٣٣) من سورة آل عمران « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، نجده يقول بعد أن ينتهي من تفسير الآية مانصه : ( والآية تدل بظاهرها على أن الجنة مخلوقة الآن ، لأن الفعل الماضي يفهم هذا . غير أنه من الجائز أن يكون من قبيل قوله تعالى « ونفخ في الصور فصعق من السموات ومن في الأرض (١) ، فلا يدل على خلقها الآن ، والبحث في هذا لافائدة له ، ولا طائل تحته (٢) .

ومثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٨٣) من سورة البقرة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . الآية ، وجدناه يقول : ( .. ونحن لا نعلم ما هو الذى فرضه الله على الأمم السابقة من قبل ، أهو شهر رمضان كما قال بعض الناس ؟ أم غيره ؟ وليس لنا ما يهديننا إلى شيء معين من دليل يطمئن إليه القلب . والتشبيه لا يدل على المماثلة في كل شيء ، فنحن نؤمن بأن صوما فرض على الأمم السابقة ، لا نعلم مقداراه ولا كيفيته . ولا يزال الصوم معروفا عند الأمم الأخرى على أوضاع مختلفة .. (٣) .

ومثلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٢) من سورة لقمان « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله . الآية ، وجدناه يقول مانصه : ( اختلف الناس في لقمان هذا من هو ؟ ومن أى الأمم هو ؟ فقيل : إنه من بنى إسرائيل . وقيل : إنه كان عبدا حبشياً . وقيل . إنه أسود من السودان مصر . وقيل : إنه يوفانى . ومن الناس من جعله نجارا ، ومنهم من جعله راعى غنم ، ومنهم من

(١) فى الآية (٦٨) من سورة الزمر .

(٢) ص ٢١ من الدروس الدينية لسنة ١٣٥٦ هـ مطبعة وزارة الأوقاف سنة ١٩٣٨

(٣) الدروس الدينية لسنة ١٣٥٧ هـ ص ٦ مطبعة الأزهر سنة ١٩٣٩

قال إنه نبي ، ومنهم من قال : إنه حكيم . وكل هذه أقوال ليس لها سند يعول عليه ، وبعد أن وصفه الله بالحكمة فلا يرفع من شأنه أنه كان من أشرف الأمم ، ولا يضع من قدره أنه كان زنجياً مملوكاً (١) .

عنايته بإظهار أسرار التشريع :

كذلك نجد الأستاذ الأكبر يهتم في تفسيره اهتماماً كبيراً بإظهار سر التشريع الإسلامي ، وحكمة التكليف الإلهي ؛ ليظهر محاسن الإسلام ، ويكشف عن هدايته للناس .

فتلاً عندما تعرض لآيات الصوم في سورة البقرة ، نجده يفيض في سر الصوم وحكمته فيقول : (الصيام أحد الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام ، وهو رياضة بدنية ، وتهذيب خلقي ، وتطهير روحي ؛ ذلك أن الاسترسال في الشهوات ، والانغماس في اللذات حجاب بين الروح وبين الحكالات القدسية والفيض الإلهي ، يعوقها عن تلقى الإلهام وعن لذة الإتصال ، ولذلك يلجأ أرباب المقامات والعارفون إلى الصوم ، كلما أحسوا بعداً عن الذات الإلهية ، وانزعج خاطرهم شوقاً إلى القرب منها) .

( وفي الصبر على الحرمان من اللذات التي تنازع إليها النفس ، وتقتضيها الطبيعة ، تربية للإرادة ، وتقوية على المضي في العزم ، وعدم نقض العقد والعهد إذا وسوس الشيطان وزين للنفس الخروج عن العهود ؛ لما فيها من المشقات ، وفي تقوية الإرادة على هذا النحو إعداد لتلقى التكليف الإلهية بالقبول والطمانينة ، وتثبيت للملكة المراقبة والخوف من الله ، وتقوية لخلق الحياة ، وفي هذا كل الخير ، وبه تتحقق تقوى الله ، وتستعد النفس للسجاء ، والبذل والتضحية ، إذا دعى الداعي ، وحان وقت الفصل بين شجعان الرجال وجبناتهم ، وبين كرامهم وأندالهم) .

( وليس يخفى أن كل شيء في هذه الحياة ممكن . الفقر بعد الغنى ، والمرض

(١) تفسير سورة لقمان ص ١٨ مطبعة الأزهر سنة ١٩٤٢ م .

بعد الصحة ، والذلة بعد العز ، والنزوح عن الأوطان بعد الطمأنينة فيها ،  
وتغلب الأعداء بعد الغلب عليهم وقهرهم . . . . وما إلى ذلك بما هو بسبيل أن  
يعرض للإنسان . وعروض هذه الأشياء على نفس مدللة ، وجسم مترف ،  
ينام بقدر ، ويأكل بقدر ، ويمرح في اللذات بين الأهل والعشيرة ، قد يصدمه  
صدمة لا يقوى على احتمالها ، أو يسوق إليه الجزع ويورثه اليأس ) .  
( لذلك كله اقتضت حكمه الحكيم العليم ، أن يجعل من العبادات ما يروض  
الأجسام ويهذب الأخلاق ، ويظهر الأرواح ويزكياها . . . . وكان من هذه  
العبادات الصوم ) .

( وكما عني الإسلام بتزكية الأرواح وتهذيب الأخلاق ، فقد عني بتربية  
الأجسام ، وحرّم كل ما هو ضار بها ، وأباح الطيبات وكل ما هو نافع ومفيد ؛  
ذلك أن الإسلام يريد رجلاً عاملاً في الحياة ، مهذب الأخلاق ، ظاهر  
الأعراق ، قوياً لا يهاب الموت ، يدفع عن الدين ويدافع عن الوطن ، ويذود  
عن العشيرة ، ويريد رجلاً رحماً حسن المعاشرة ، سلس القياد لأهله ،  
وعشيرته ، وبني وطنه ، يريد رجلاً لا تلميه الدنيا عن الاتصال بالخلاق وأداء  
حقوقه . . . . إلخ (١) ) .

#### معالجته للمشاكل الاجتماعية :

كذلك نجد الشيخ المراغي - رحمه الله - يعرض لمشاكل المجتمع وأسباب  
الانحطاط في دول الإسلام ، فيعالج كل ذلك بما يفيضه الله على قلبه وعقله  
ولسانه ، من هداية القرآن وإرشاده .

ولقد كان الأستاذ - رحمه الله - بصيراً بمواطن الداء ، وأسباب الشفاء ،  
فكان يهدف في دروسه إلى علاجها واستئصالها ، وكان كثيراً ما يوجه الخطاب  
إلى أرباب الحل والعقد في الدولة - وهم غالبية المستمعين له - ويلفت  
أنظارهم إلى ما في أعناقهم من أمانات ، وما عليهم من تبعات ، ثم يأخذ

ييدهم إلى حيث يكون صلاحهم ، وصلاح من تحت إمرتهم ورعايتهم .. يدفعه في هذا كله إخلاصه لربه . ولوطنه ، ولأمنته .....

فتلا عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٣) من سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .. الآية ، نجده يقول : ( ... والحكمة في هذه الشرائع الإلهية : أن الإنسان إذا ترك إلى مداركة الحسية ونظرياته العقلية ، ضل وكره الحياة ، وكان أشقى من أنواع الحيوان ، وشقاؤه يكون من ناحية العقل نفسه ، فقد ذلت التجارب على أن العقل غير المؤيد بالشرع الإلهي يذهب مذاهب شتى ، منها الصواب ومنها الضلال ، وهو فيما عدا المحسات والماديات ضلاله أكثر من صوابه . وهذه آراء العلماء في الفلسفة والأخلاق ، يشبه بعضها هذيان المحموم ، وبعضها لا يدرك له محصل على كثرة ما يقولون من مقدمات وبراهين . وهذه مذاهب الاجتماع قديما وحديثا ، لم تسعد الأمم بها ، فلا بد من هداية تصدر عن المعصوم يحملها من عند الله العلي الحكيم . وقد ذلت التجارب أيضاً على أن الأمم التي عملت بالهدى كسله أو بعضه سعدت بمقدار ذلك الهدى الذي عملت به ) .

( وأما أنه لولا الدين لما احتمل الإنسان هذه الحياة ، فإنها على قصرها مملوءة بالمصائب والويلات ، فمن فقر ودقع ، إلى مرض مزمن ، ومن فقد الأهل والعشيرة ، إلى فقد العزة والجاه ، ومن شرف رفيع ، إلى ذلة ومهانة ... واحتمال هذا كله إذا لم يكن أمام الإنسان أمل ينتظره ، وحياة دائمة فيها سعادة دائمة ليس في طاقة الإنسان ، فالاعتقاد بالآخرة يرفه العيش ، ويجعل المؤمن في سعادة نفسية ، ويقويه على احتمال الصعاب ، وعلى الصبر على معاشره الناس ، فلا بد من نظام يعتقد فيه العصمة من الخطأ ، ويهدر معه حكم العقل إذا حصل تعارض بينهما : فإن دائرة العقل محدودة ، وهي قاصرة عن إدراك خفايا المستقبل ) .

وإذا قيل : إن التدين مقيد للحرية ، وما منع من التمتع باللذات ، فكيف تكون فيه السلوى والعزاء ؟ فالجواب : أن الإسلام أباح الطيبات وحرم الخبائث ، ولم يحظر من اللذات إلا ما يضر الإنسان ، وليست السعادة في حرية البهائم ،

بل في حرية يسبح بها فيما فيه خيره وسعادته ، ويحظر عليه فيها ما فيه ضرره وشقاؤه ، وقوام آداب الأمم وفضائلها ، التي قامت عليها صروح المدنية الحقبة مستند إلى الدين ، وبعض العلماء يحاول تحويلها عن أساس الدين ، وبناءها على أساس العقل والعلم ، غير أنه لاشبهة في أن الأمم التي تروم هذا التحول تقع في اضطراب وفوضى لا تعلم عاقبتها ، وليس من الميسور أن تبنى للعامة قواعد الفضيلة على أساس علم الأخلاق ، أو أية قاعدة علمية أخرى ، وليكن من الميسور دائماً أن تبنى قواعد الفضيلة على أساس العصمة للدين ، فالذي يحاول العلماء : وهم وخيال<sup>(١)</sup> .

ومثلاً عند ما تعرض لقوله تعالى في الآية ( ١٨٥ ) من سورة البقرة :  
« شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »  
فجده بعد أن يشرح الآية ، ويذكر ما في القرآن من هداية يقول : ( هذا هو القرآن الذي سعد به المسلمون بحياة روحية هي المثال الأعلى للنفس الإنسانية ، وبحياة جثمانية طاهرة بريئة ، وبحياة علمية لا يزال ما بقى من نورها يستمتع به الناس ، وهو موضع للعجب ومثار للاكبار والإجلال ) .

( سعدوا به حقبة ، ثم انحرفوا عنه فعاقبهم الله بما هم فيه من ذل وهوان ، حتى أصبحوا يخافون تحظف الناس لهم ، وصاروا في حاجة إلى غيرهم في كل مرافق الحياة ، ووصل بهم الجهل إلى حد أن ظنوا أن كل ما عند غيرهم خير يجلب ، وكل ما عندهم شر يبتذ ، وأنه لا حياة لهم إلا بالقدوة .. القدوة حتى فيما علم غيرهم شره وفساده ، وحاولوا نبذ وطرحه ، وقد أصبح المسلمون مثلاً سيئاً للإسلام ، يحتاج بهم عليه والدين منهم برىء ) .

( الدين يطلب رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، رجالاً باعوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، رجالاً خلفاء بأن يكونوا خلفاء عن الله في الأرض ، يعلمون سرها ، ويسخرونه للخير ودفع الأذى ، يدفعون عوادي الزمان بمنابكهم كأنهم بنيان مرصوص ، يعرفون للكرامة



قدرها ، وللغزة موضعها ، ويميزون بين الأعداء والأصدقاء ، ويعلمون أن متاع الحياة الدنيا قليل ، وأن الآخرة خير وأبقى (١) .

وعندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٢٥) من سورة الحديد : لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس . . . الآية . . .

وجدناه يقول بعد ما شرح الآية : ( ذكر الله - سبحانه - الكتاب والميزان والحديد وقرنها بعضها ببعض ، فالكتاب : إشارة إلى الأحكام المقتضية للعدل والإنصاف . والميزان : إشارة إلى سلوك الناس على وفق هذه الأحكام . والحديد : إشارة إلى ما يحملهم على اتباع هذه الأحكام إذا تمردوا ، والله سبحانه - وهو العليم الحكيم - لا يضع للخلق من القوانين إلا ما فيه مصلحتهم وخيار الخلق تكفيهم تلاوة الكتاب وعلمه لا اتباع ما فيه ، وغيرهم لا بد له من وازع ، وهو سلطان الحاكم المشار إليه بالحديد ، ولذلك وجدت التعاذير في الإسلام ، ووجدت الحدود . أما ترك الناس أحراراً من غير وازع . فهو ضار بالمجتمع الإنساني ، وموجب للتراخي في إقامة العدل واتباع القانون ، جرب هذا في العصور المختلفة ، وقامت الشواهد الناطقة في العصر الحديث عليه . وعلم أن الأمم التي لم تحط أخلاقها بوازع ؛ انحدرت إلى الدرك الأسفل وأضلتها الشهوات وقد كانت ذرة عمر سلكها قوياً للنظام الإسلامي فلما رفعت ضعف ذلك الرباط (٢) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة لقمان : ومن الناس من يشترى لهُو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم . . . الآية ، نجد يقول ( . . . من الناس فريق مؤمن بالقرآن إجمالاً وبرسالة محمد ، ويعظمهما ويحلمهما فإذا قلت له : لم لا تقطع يد السارق ؟ وتحذ القاذف ؟ ولم لا تحكم القرآن في الحياة ونحن مؤمنون به ؟ هز كتفيه وابتسم ؛ أو زاد : إنها رجعية لا يحتملها

(١) الدروس الدينية لسنة ١٤٥٧ هـ ص ١٥ - ١٦ .

(٢) تفسير سورة الحديد ص ٤٢ - ٤٣ .

تمدين العصر الحديث ١١ . . أليس هذا استهزاءً بالآيات؟ واشتراءً للباطل؟  
وضلالاً عن سبيل الله؟ .

(هناك مقلدون للمذاهب في العقائد والأحكام، إذا عرضت عليهم الآيات  
الدالة على فساد مذاهبهم، ولوا عنها وإن كانوا لا يسخرون بها؛ بل يسخرون  
من يعرضها، أليس هذا شراءً للباطل وبيعاً للحق بغير علم؟) .  
(هناك مذاهب ابتدعت في الدين للضلال والإضلال بسبب السياسة،  
وفسر مبتدعوها الآيات في التأويل ليردوها إلى مذاهبهم المبتدعة وجاء أتباعهم  
فقلدوهم) .

(أما المبتدعون فأمرهم واضح . . اشتروا الضلالة بالهدى ١١ . . .)  
(وأما الأتباع فكان عليهم أن ينظروا في الآيات ويتدبروها عملاً بقوله  
سبحانه فإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله  
واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً، (١) فهم أيضاً اشتروا الضلالة بالهدى  
ولهم بعض العذر . . .) (٢) .

ومثلاً عند تفسيره لقوله تعالى في الآية (٦) من سورة الحجرات د يا أيها  
الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ . . . الآية، نجدده يقول: ( . . . وللثبث في  
الأخبار فضيلة ليست كثيرة عند الناس، وأكثر الناس يقعون في تصديق  
الأخبار من حيث لا يشعرون، ولبعض مهرة الكاذبين حيل تخفي على أشد  
الناس ثبثاً من الأخبار) .

(وكثيراً ما يقع عدم الثبث من العظماء الذين يملكون النفع والضرر يجيئهم  
ذلك: من ناحية استبعاد أن يكذب بطاعتهم عليهم وهو مدخل للخطر العظيم)  
(والذين هم في أشد الحاجة إلى العمل بهذه الآية هم الذين بيدهم مقاليد

(١) الآية (٥٩) من سورة النساء .

(٢) تفسير سورة لقمان ص ٩ - ١٠

الأمور؟ ويبدم الضر والنفع . أما الذين لا يملكون ضراً ولا نفعاً لحاجتهم إليها أقل من حاجة هؤلاء) .

(والآية على العموم : أدب عظيم لا بد منه لتكميل النفس ، وإعدادها لتعرف الحق والبعد عن مواطن الباطل ... ) (١) .  
توفيقه بين القرآن والعلم الحديث :

هذا . . . وإن الأستاذ المراغى رحمه الله - كان مع اعتقاده أن القرآن . . . أتى بأصول عامة ، لكل ما يهيم الإنسان معرفته والعلم به ، يكره أن يسلك المفسر للقرآن مسلك من يجر الآية القرآنية إلى العلوم ، أو العلوم إلى الآية ، كي يفسرها تفسيراً علمياً يتفق مع نظريات العلم الحديث .

نعم . . . كره الشيخ هذا المسلك في التفسير ، وجهر بخطأ أصحاب المولعين به ، وكرر هذا في مواضع كثيرة ، فكان مما قاله في بعض المواضع من دروسه في التفسير : ( وجد الخلاف بين المسلمين في العقائد والأحكام الفقهية . ووجد عندهم مرض آخر هو الغرور بالفلسفة وتأويل القرآن ليرجع إليها ، وتأويله لبعض النظريات العلمية التي لم يقر قرارها ، وذلك خطر عظيم على الكتاب ، فإن للفلاسفة أوهاماً لا تزيد على هذيان المصاب بالحمى ، والنظريات التي لم تستقر لا يصح أن يرد إليها كتاب الله ) (٢)

ولكن الأستاذ المراغى مع هذا كله كان يرى أن يكون مفسر كتاب الله على شيء من العلم ببعض نظريات العلم الحديث ، ليستطيع أن يأخذ منها دليلاً على قدرة الله ، ويستلهم منها مكان العبرة والعظة .

كان الشيخ يرى هذا ، ويعتقد أنه هو المسلك السليم لفهم القرآن الكريم ، فجز به في أحد دروسه في التفسير فقال . ( ليس من غرض مفسر كتاب الله أن يشرح عالم السموات ، ومادته وأبعاده ، وأقداره ، وأوزانه ؛ لكنه يجب أن

(١) تفسير سورة الحجرات ص ١١

(٢) الدروس الدينية لسنة ١٣٥٦ هـ ص ٤٢

يلم بطرف يسير منه ، ليدل به على القدرة الإلهية ويشير إليه للعضة  
والاعتبار (١)

ثم وجدنا الأستاذ المراغى بعد هذا يشرح قوله تعالى في الآية ( ١٠ ) من  
سورة لقمان د خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن  
تُميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبئتنا فيها من كل زوج كريم،  
شرحاً يقوم على هذا المبدأ الذي ارتضاه فقال ( د خلق السموات بغير عمد  
ترونها ، السموات بمجموع ما نراه في الفضاء وقتنا من سيارات ؛ ونجوم وسدائم  
وهي مرتبة بعضها فوق بعض تطوف دائرة في الفضاء ؛ كل شيء منها في  
مكانه المقدر له بالناموس الإلهي ونظام الجاذبية ، ولا يمكن أن يكون لها عمد  
وانته هو مسكها ومجرها إلى الأجل المقدر لها فإذا قيل . إن نظام الجاذبية وهو  
الناموس الإلهي قائم مقام العمد ويطلق عليه اسم العمد جاز أن نقول . إن  
لها عمداً غير منظورة وإذا لاحظنا أنه لا يوجد شيء مادي تعتمد عليه ،  
وجب أن نقول : إنه لا عمد لها ، وأقدار الأجرام السماوية وأوزانها أقدار  
وأوزان لا عمد لأهل الأرض بها والأرض نفسها إذا قيست بهذه الأجرام  
ليست إلا هبابة دقيقة في الفضاء ... ثم قال : قرر الكتاب الكريم أن الأرض  
كانت جزءاً من السموات وانفصلت عنها وقرر الكتاب الكريم أن الله  
د استوى إلى السماء وهي دخان، (٢) وهذا الذي قرره الكتاب الكريم هو  
الذي دل عليه العلم وقد قال العلماء . إن حادثاً كونياً جذب قطعة من الشمس  
وفصلها عنها وإن هذه القطعة بعد أن مرت عليها أطوار تكسرت وصارت  
قطعا كل قطعة منها صارت سياراً من السيارات وهذه السيارات طافت حول  
الشمس وبقيت في قبضة جاذبيتها والأرض واحدة من هذه السيارات فهي بنت  
الشمس ، والشمس هي المركز لكل هذه السيارات ..... فليست الأرض هي  
مركز العالم كما ظنه الأقدمون ، بل الشمس هي مركز هذه المجموعة والشمس

(١) تفسير سورة لقمان ص ١٣ — ١٤ .

(٢) في الآية (١١) من سورة فصلت

وتوابعها قوى صغيرة في العالم السماوى ، وأين هى من الشعري اليمانية التى قال الله سبحانه فيها ، وأنه هو رب الشعري ، (١) فهذا النجم قدرته على إشعاع الضوء تساوى قوة الشمس ( ٢٦ ) مرة ، وقدرته على إشعاع الحرارة مثل قدرته على إشعاع الضوء ، فلو فرض أن الشعري اليمانية حلت محل الشمس يوماً من الأيام ، لانتهد الحياة فجأة ؛ بغليان الأنهار ، والمحيطات والقارات الجليدية ، التى حول القطبين ، وضوء الشعري اليمانية يصل إلينا بعد ثمان سنوات ، وضوء الشمس يصل إلينا بعد ثمان دقائق ، فانظر إلى هذا البعد السحيق ) :

( وليست الشعري اليمانية أكبر نجم في السماء ، فهناك بعض النجوم قدرتها تزيد على قدرة الشعري أكثر من عشرة آلاف مرة ) .

( وعظمة السماء ليست في الشمس وتوابعها ، كلا . . . إن عظمتها في مدنها النجمية ، في أقدارها ، وأوزانها وأضوائها ، وأبعادها ، على اختلاف أنواعها ) ( وهناك نجم يسمى الميرة أكبر من شمسنا بما يزيد عن ثلاثين مليوناً من المرات ، وهناك السدائم . وهى قريبة من الخلق أول الأمر ، ثم يقف علم الإنسان ، والله تعالى وحده الذى يعلم خلقه ، ما أشهدتهم خلق السموات والإرض ولا خلق أنفسهم ، (٢) .

وأتى في الأرض رواسى أن تميد بكم ، أى خلق الجبال في الأرض لتلا تميد الأرض وتضطرب ، ولييان هذا يمكن أن نقول باختصار : إن الأرض بعد انفصالها عن الشمس ، وعكوفها على الدوران حولها على بعد منها ، وصلت بعض موادها إلى حالة السيولة بعد أن كانت مواد ملتهبة كالشمس ، وتكونت عليها قشرة صلبة بعد تتابع انخفاض الحرارة أحاضت بما في جوفها من المواد المنصهرة ، ثم تتابعت البرودة على القشرة فتجمعت ، وحدث من التجمد نتوءات وأعوار ، فالجبال الأولى نتوء القشرة الصلبة التى غلفت الأرض ، وهناك جبال جدت عن اشتداد الضغط في الرواسب التى في قاع البحر ،

(١) الآية (٤٩) من سورة النجم .

(٢) فى الآية (٥١) من سورة السكف .

وجبال نارية جدت من خروج الحمم النارية من وسط الأرض وتداخلها في الطبقات ، حتى صارت كأوتاد مغروزة فيها ) .  
( والجبال كلها تتحمل الضغوط الرسوبية على جدرانها ، وتوزعها ، وتغير اتجاهها . وتسكسرت حدتها ، وتساعد بذلك على بقاء الطبقة المفسكة الصالحة للإنبات ، والتي يتغذى بواسطتها الحيوان والإنسان ، وتحفظها من أن تمور ) .  
( فالجبال أولا حبست النار في جوف الأرض ، وعصرت الأرض بعد ذلك صالحة للحياة ، والجبال توزع ضغوط الطبقات . ثم بعد ذلك تسكسرت حدة العواصف والرياح ، فهي حافظة للأرض من الميدان الذي يجيء بأسباب من داخل الأرض ، والذي يجيء بسبب العواصف والرياح ) . وهكذا مشى الشيخ إلى آخر الآية (١) .

### حرية الرأي في تفسيره :

ثم إن الشيخ المراغى رحمه الله كان كغيره من رجال هذه المدرسة لا يتقيد بأقوال الأئمة ، ولا يقف عند مذهب مخصوص ، ولا يقول برأى معين إلا إذا اقتنع به ، وإلا فلا عليه أن يتركه إلى ما هو صواب في نظره .  
فثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (١٨٦) من سورة البقرة . . . فن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر . . . نجده يقول بعد أن يذكر خلاف علماء الفقه في السفر المبيح للفطر : ( وقد روى أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقصر الصلاة مسيرة ثلاثة أميال . وروى عن ابن أبي شيبه بإسناد صحيح أنه كان يقصر في الميل الواحد ، وإذا نظرنا إلى أن نص القرآن مطلق ، وأن كل ما رواه في التخصيص أخبار آحاد ، وأنهم لم يتفقوا في التخصيص ، جاز لنا أن نقول : إن السفر مطلقاً مبيح للفطر ، وهذا رأى داود وغيره من الأئمة (٢) .

(١) تفسير سورة لقمان ص ١٣ — ١٥

(٢) الدروس الدينية لسنة ١٣٥٧ هـ ص ١١

ومثلاً عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٢٧) من سورة لقمان ، ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله . . الآية . فجدده بعد أن يبين أن عدد السبعة في الآية مراد به الكثرة يقول: ( وعلى هذا يمكن أن يقال في أبواب النار ، أما الأبواب الثمانية للجنة ، فقد أريد بالزيادة فيها على النار أن يدل على أن مسالكها أكثر من مسالك النار ؛ لراحة أهلها ، وزيادة العناية بهم ) .

( وكذلك يقال في السموات السبع . والأرضين السبع ، والعرب تذكر السبعة للكثرة ، وتذكر السبعين للكثرة كذلك ، ومنه استغفر لهم أولاً تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم<sup>(١)</sup> ، ومن المعلوم أن الله لا يغفر لهم في السبعين ، ولا في السبعة الآلاف ، ونظيره في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً فأسلكوه<sup>(٢)</sup> ، يراد في سلسلة طويلة هائلة ، ولا يراد التقدير بهذا العدد<sup>(٣)</sup> ) والواقع أن هناك فرقا بين ماورد من نحو قوله : استغفر لهم الخ وقوله : في سلسلة ذرعا سبعون ذراعاً ، وبين ما ورد في عدة أبواب الجنة والنار ، وعدة السموات والأرض ، فإن الأول ذكر في مقام التهويل . فلا يراد التحديد وإنما يراد الكثرة ، بخلاف الثاني فإنه ليس كذلك .

ومثلاً نجد الأستاذ المراغى في دروسه الأخيرة عندما تعرض لقوله تعالى في الآية (٥) من سورة الملك ، ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين . . الآية ، يشرح كون النجوم رجوما للشياطين بما معناه : ( أن ما في السماء من النجوم دلائل قاطعة على تمام قدرة الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى زين السماء الدنيا بهذه الكواكب ، وجعلها على هيئات مخصوصة ونظام محكم ، لتكون حججاً دامغة ، وأدلة قوية على من يمجدون قدرة الله وينسكرون وجوده ) . سمعناه يقول ما هذا معناه ، ثم يستدل على ما ذهب إليه بأنهم يقولون : ( ألقمته

(١) في الآية (٨٠) من سورة التوبة (٢) في الآية (٢٣) من سورة الحاقة :

(٣) تفسير سورة لقمان ص ٣٦ .

حجراً) يعني أقمت عليه الحججة فلم يحرج جواباً ، ثم يستشعر الشيخ بعد ذلك أن في القرآن آيات كثيرة تصادم هذا الفهم ، كقوله تعالى في الآيات (٦ - ١٠) من سورة الصافات : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد \* لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى ويقذفون من كل جانب . دحوراً ولهم عذاب واصب . إلا من خطف الخطفة فأنبهه شهاب ثاقب ، وكقوله في الآيتين (٩٠٨) من سورة الجن : وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ، يستشعر الشيخ مصادمة هذه الآيات لرأيه فيقول ما معناه : ( وهناك آيات أخرى في هذا المقام ، تبدوا مخالفة لهذا المعنى ، ولكن يمكن حملها عليه ، وليس في الوقت متسع لذلك ، وسنعرض لها في موضع غير هذا ) .

ولست أدري كيف كان يستطيع الشيخ - رحمه الله - أن يحمل كل الآيات الواردة في هذا الموضوع على المعنى الذي قاله حملاً صحيحاً ، وهي كما ترى صريحة في أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء ويسترقون السمع ، ثم منعوا من ذلك عند رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن حاول منهم استراق السمع - كما كانوا يفعلون من قبل - رمى بشهاب من السماء لحال بينه وبين ما يريد .

وخاتمة المطاف في هذه الدروس التي ألقاها الأستاذ الأكبر في التفسير : أنه كان منها - كما قيل - أمران عظيمان لها خطرهما في الحياة الدينية : كانت عاملاً قوياً في توجيه المسلمين ونشئهم الطيب الطاهر إلى الجانب الديني ، ولقت أنظارهم إلى ما في كتاب الله من تشريع حكيم ، وأدب جم كريم ، وإرشاد قيم مفيد ، فحبت إليهم الدين . وزينت في قلوبهم ، وهرعوا إليه يتعرفون حكمه ، وأحكامه ويتلمسون بها حياة طيبة ونهضة قوية ، أساسها الدين والخلق الكريم .

وكانت هذه الدروس أيضاً : منار هدى وإرشاد ، يلقى أشعته الوضوءة على عقول المشتغلين بتفسير القرآن . فيضيء لهم الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه في فهم كتاب الله ، واستخلاص أدايه وأحكامه ، خالصة مما جاورها من



إسرائيليات وتأويلات أبعدت أهل الدين عن الدين، وشغلتهم في تفسير القرآن بما لا يمت إلى روحه ومعناه، وكذلك صورت الدين لغير أهله الذين يتحسسون له عيباً صورة لا تتفق وما له من جلال وجمال (١) .

هذا . . . وإنا نلجؤ للشيخ المراغى عند ربه ما كان يرجوه هو لنفسه من وراء مجهوده في التفسير وهو :

( أن يضعه الله سبحانه في كفة الحسنات من ميزان أعماله ، وأن يجعله ضياءً ونوراً يسمى بين يديه « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » ) .

---

(١) مقدمة الشيخ شلتوت لتفسير سورة الحجرات للشيخ المراغى .

## رجاء واعتذار

وبعد . . . فهذا ما يسره الله لي وأعانني عليه ، ولعلي أكون وقد طوقت بالقارىء الكريم في نواح شتى من مناهج التفسير ، وأخذت بيده إلى حيث أطلتته على ألوان مختلفة منه ، من مبدأ نزول القرآن إلى عصرنا هذا ، وكشفت له عن طرائق القوم في فهمهم لنصوص كتاب الله ، وأريته كيف حاول كل ذى نخلة أن يقيم نخلته على أساس من القرآن . وكيف تحايل على فهم آياته ، وتصرف في تأويل عباراته ، كل من حاول أن يجعل القرآن شاهداً له ، ودليلاً على ما يهدف إليه . من حق تبلج ، أو باطل تلجلج . . لعل بعد هذا كله أكون قد أرضيت عشاق التفسير خاصة ، وأهل العلم عامة ، وحققت رغبة طالما ترددت في صدورهم . وقضيت حاجة كثيراً ما تطالعت لها نفوسهم ، واشربت إليها أعناقهم .

ولعل بعد ذلك أن لا أكون قد أسأت القارىء الكريم ، من طول دعئني إليه ضرورة البحث ، ودفعئني إليه رغبة الاستيفاء والاستقصاء .

واعتمادى — رغم هذا الطول — أن في هذا البحث تركيزاً كبيراً ، واختصاراً كبيراً ، إذ أن كل موضوع من موضوعات هذا الكتاب يصلح لأن يكون كتاباً وحده ، وكتاباً موسعاً مسهباً .

وأرجو أن يهيء الله لي رشداً من أمرى ، ومتسعاً من وقئى ، لأجعل من هذا الكتاب كتباً متعددة ، فيها إسهاب أوسع من هذا الإسهاب ، واستيفاء أشمل من هذا الاستيفاء .

وحسبى بهذا العمل الذى يعتبر با كورة عملى فى التأليف أن أكون قدمت إلى المكتبة الإسلامية بحثاً فيه جدة وطرافة ، وفيه متعة علمية ، ولذة روحية ، تستهوى القارىء ، وتستجوذ على مشاعره وحسه .

حسبى هذا ، حسبى وأن أكون قد أرضيت رغبتى العلمية ؛ التى لم آل فى

لإرضائها جهداً ، ولم أدخر في إشباعها وسعاً ، فإن رضى الناس بعد ذلك ، فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى ؛ فذلك هو جهد المقل ، وطاقة الناشئ ، الذى لا يزال يرقب من وراء الغيب أملاً فسيحاً ، وكألاً صريحاً .

هذا .. ولا يفوتنى أن أعتذر إلى القارىء الكريم عما قد يكون فى هذا الكتاب من أخطاء هيئة لا تخفى على فطانتها ، ولاندق عن إدراكها ، فإن مرهبها فرجأتى إليه أن يتلمس لها عذراً ، وأن يصححها مشكوراً ، وتلك شيمة الكرام أهل الخلق الطاهر والأدب الحميد ، وأن لا يكون بمن قال فيهم الشاعر :

فإن رأوا زلة طاروا بها فرحاً عني وما وجدوا من صالح دفنوا

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به أناساً أخلصوا قلوبهم لله ، وأن ينفعنى به فى دنياى وأخرتى ، وأن يحقق لى به ما تصبو إليه نفسى ، وتسمو إليه همتى . . . والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،

محمد حسين الذهبي

حدائق حلوان فى عصر الجمعة الموافق { ١٩ من ربيع الثانى سنة ١٣٨١ هـ .  
٢٩ من سبتمبر سنة ١٩٦١ م .

قد تم بحمد الله تعالى طبع الجزء الثاني  
من كتاب التفسير والمفسرون  
في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٩٦ هـ  
في ٢٨ أبريل سنة ١٩٧٦ م

رقم الإيداع ٣١٤٧ / ١٩٧٦  
الترقيم الدولي-١٠٥-٧٢٠٥-٩٧٧ ISBN

# الفهرس العام للجزء الثاني

صفحة

الموضوع

## الشيعة

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

٣	كلمة إجمالية عن الشيعة وعقائدهم
٥	الزيدية
٦	قوام مذهب الزيدية
٧	الإمامية - الإمامية الأثنا عشرية
٨	أشهر تعاليم الإمامية الأثني عشرية
٩	الإمامية الإسماعيلية
١٢	موقف الشيعة من تفسير القرآن الكريم - من تأويلات السبئية
١٣	من تأويلات البيانية - من تأويلات المغيرة
١٤	من تأويلات المنصورية
١٥	من تأويلات الخطابية
١٦	من تأويلات العبيديين

## الإمامية الإثنا عشرية

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

٢٣	موقفهم من الأئمة وأثر ذلك في تفسيرهم
٢٥	تأثر الإمامية الأثني عشرية بأراء المعتزلة وأثر ذلك في تفسيرهم
٢٦	تأثرهم بمذاهبهم الفقهية والأصولية في تفاسيرهم
٢٧	احتياهم على تركيز عقائدهم وترويجها

صفحة	الموضوع
٢٨	١ - حرصهم على التوفيق بين ظاهر القرآن وباطنه
٢٩	حلهم الناس على التسليم بما يدعون من المعاني الباطنة للقرآن
٣٠	أثر التفسير الباطني في تلاعبهم بنصوص القرآن
٣٢	مخلصهم من تناقض أقوالهم في التفسير
٣٣	٢ - موقف القرآن من الأئمة وأوليائهم وأعدائهم
٣٤	٣ - تحريف القرآن وتبديله
٣٧	٤ - موقفهم من الأحاديث النبوية وآثار الصحابة
٣٩	أهم الكتب التي يعتمدون عليها في رواية الأحاديث والأخبار
٤٢	د أهم كتب التفسير عند الإمامية الإثني عشرية ،
٤٦	١ - مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمولى : عبد اللطيف الكازراني
	التعريف بمؤلف هذا التفسير - التعريف بهذا التفسير وطويفة مؤلفه
٤٦	مؤلفه فيه
	المؤلف يتكلم عن الباعث له على تأليف تفسيره وعلى منهجه الذي
٤٧	سلكه فيه
	٢ - تفسير الحسن العسكري - التعريف بمؤلف هذا التفسير -
٧٩	التعريف بهذا التفسير
٨٥	ولاية علي
٨٧	روايات مكذوبة في فضل أهل البيت
٩٢	الشجرة التي نهي آدم عن الأكل منها
٩٣	توسل الأنبياء والأمم السابقة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبأهل البيت
٩٦	التقية
٩٧	تأثره بمذهب المعتزلة - تأثره في تفسيره بأراء الشيعة في انزعاج الفقهاء
٩٩	٣ - مجمع البيان لعلوم القرآن للطبرسي - ترجمه المؤلف ومكاتبه العلمية

صفحة	الموضوع
١٠٠	الكلام عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
١٠١	الدواعى التى حملت الطبرسى على كتابة هذا التفسير
١٠٢	وصف الطبرسى لتفسيره
١٠٣	منهج الطبرسى فى تفسيره - مقدمات الكتاب
١٠٥	أمامة على
١١٠	عصمة الأئمة
١١١	الرجعة - المهدي - التقية
١١٣	تأثر الطبرسى بفقهاء الشيعة فى تفسيره - نكاح المتعة
١١٥	فرض الرجلين فى الوضوء
١٢٠	نكاح الكتائيات
١٢٣	الغنائم
١٢٥	ميرات الأنبياء
١٢٧	الإجماع
١٢٨	تأثير الطبرسى بمذهب المعتزلة فى تفسيره - الهدى والضلال
١٢١	رؤية الله
١٣٤	السحر
١٣٥	الشفاعة
١٣٦	حقيقة الإيمان
١٣٧	روايته للأحاديث الموضوعية
١٣٩	موقفه من الإسرائيليات
١٤١	التفسير الرمزي
١٤٢	اعتداله فى تشييعه
١٤٥	٢ - الصافي فى تفسير القرآن الكريم للملا محسن الكاشى
١٤٥	التعريف بصاحب هذا التفسير

- التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه ١٤٨
- آل البيت هم تراجم القرآن ، لأنهم جمعوا عليه كله دون من عداهم ١٤٩
- من يجوز له أن يفسر القرآن برأيه ١٥١
- المؤلف يرى أن تفسيره للقرآن بما جاء عن أهل البيت هو التفسير المثالي - ويظن في بقية الصحابة وفي تفسيرهم ١٥٢
- جل القرآن نازل في شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم ١٥٥
- رأى المصنف في تحريف القرآن وتبديله ١٥٦
- طريقة المؤلف في تفسيره ١٥٩
- القرآن وأهل البيت ١٦١
- ظن المؤلف على الصحابة - ظننه على عثمان رضي الله عنه ١٦٢
- ظننه على أبي بكر ١٦٥
- ظننه على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة ١٦٦
- صرفه لآيات العتاب عن ظاهرها ١٦٧
- دفاع المؤلف عن أصول مذهبه - ولاية علي ١٦٨
- أولو الأمر الذين يجب طاعتهم ١٧٠
- الإمام يوصى لمن بعده - استدلاله على الرجعة - الإيمان بالرجعة - ١٧٣
- وقيام القائم من الإيمان بالغيب ١٧٣
- التقية - تأثره في تفسيره بالفروع الفقهية للأمامية ١٧٤
- المتعة ١٧٥
- نكاح الكتائيات ١٧٧
- فرض الرجلين في الوضوء وحكم المسح على الخفين ١٧٩
- الغنائم ١٨٠
- الاستنباط ١٨١
- موقف المؤلف من مسائل علم الكلام - أفعال العباد ١٨٢



صفحة	الموضوع
١٨٣	رؤية الله - الشفاعة
١٨٤	السحر
١٨٥	روايته للأحاديث الموضوعية
١٨٦	٥ - تفسير القرآن للسيد عبدالله العلوي - التعريف بمؤلف هذا التفسير
١٨٧	التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
١٨٨	تصويب المؤلف لأصول مذهبه وأثر ذلك في تفسيره - الأمامة كل إمام يوصى لمن بعده - وجود الأئمة في كل زمان وعصمتهم - ووجوب الرجوع إليهم عند الاختلاف دون غيرهم
١٨٩	الرجعة - النقية
١٩٠	تحريف القرآن - آيات العتاب - طاعته على الصحة
١٩٢	تعصبه لآل البيت علم القرآن كله عند آل البيت - تأثر المؤلف في تفسيره بفروع - الإمامية الفقهية - نكاح المتعة
١٩٣	فرض الرجلين في الوصوه - الغنائم
١٩٤	ميراث الأنبياء - نكاح الكتايات
١٩٥	تأثره بمذهب المعتزلة في تفسيره - حرية الإرادة وخلق الأفعال
١٩٦	رؤية الله
١٩٧	غفران الذنوب
١٩٨	٦ - بيان السعادة في مقامات العبادة لسليمان محمد الخراساني
١٩٩	التعريف بمؤلف هذا التفسير - قيمه هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
٢٠١	الإمامية الأثنا عشرية والمهدى المنتظر - القرآن والعتره
٢٠٢	علم القرآن جميعه عند محمد والأوصياء
٢٠٣	تحريف القرآن وتبديله
٢٠٤	نزول القرآن في شأن الأئمة وأشياعهم وأعدائهم

صفحة

الموضوع

- ٢٠٥ من التفسير الصوفي  
٢١٠ من التفسير الفلسفي  
٢١٤ آل البيت والامم السابقة  
٢١٦ قصص القرآن  
٢١٩ الامامة  
٢٢٢ الرجعة - تحريف القرآن  
٢٢٣ موقف المؤلف من الصحابة  
٢٢٦ عتاب النبي صلى الله عليه وسلم  
٢٢٧ الناحية الفقهية في هذا التفسير  
٢٢٨ نكاح الكتبايات - المتعة - فرض الرجلين في الوضوء  
٢٢٩ ميراث الانبياء  
٢٣٠ الغنائم  
١٣١ موقف المؤلف في تفسيره من المسائل الكلامية - روية الله  
٢٢٢ السحر

الامامية الإسماعيلية ( الباطنية )

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

- ٢٢٥ كلمة إجمالية عن الإسماعيلية وعقائدهم وأغراضهم - مؤسسو هذه الطائفة  
٢٢٦ احتياهم على الوصول إلى أغراضهم - مراتب الدعوة عند الباطنية  
٢٤٠ إنتاج الباطنية في تفسير القرآن الكريم  
٢٤٠ موقف متقدمى الباطنية من تفسير القرآن الكريم  
٢٤١ من تأويلات الباطنية القدامى  
٢٤٧ مقالة محمد بن مالك اليماني في الباطنية  
٢٥٣ موقف متأخرى الباطنية من تفسير القرآن الكريم  
٢٥٣ تهديد في بيان انتشار الباطنية في البلاد الآن وتعدد ألقابهم

صفحة

الموضوع

البائية والبهائية

- ٢٥٥ كلمة إجمالية عن نشأة البائية والبهائية
- ٢٥٥ البائية
- ٢٥٥ البهائية
- ٢٥٦ بهاء الله
- ٢٥٧ الصلة بين عقائد البائية وعقائد الباطنية القدامى
- ٢٦٤ موقف البائية من تفسير القرآن الكريم
- ٢٦٤ أبو الفضائل الايراني يعيب تفاسير أهل السنة
- ٢٦٥ إنتاج البائية والبهائية في التفسير ومثل من تأويلاتهم الفاسدة
- ٢٦٥ من تأويلات الباب
- ٢٦٧ من تأويلات بهاء الله
- ٢٦٨ من تأويلات عبد البهاء عباس

الزيدية

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

- ٢٨٠ تمهيد
- ٢٨١ أهم كتب التفسير عند الزيدية
- ٢٨٥ - فتح القدير للشوكاني - التعريف بمؤلف هذا التفسير
- ٢٨٦ التعريف بهدم التفسير وطريقة مؤلفه فيه
- ٢٨٦ طريقة الشوكاني في تفسيره
- ٢٨٨ نقله للروايات الموضوعية والضعيفة
- ٢٨٩ ذمه للتقليد والمقلدين
- ٢٩٢ حياة الشهداء - التوسل
- ٢٩٥ موقفه من التشابه - موقفه من آراء المعتزلة
- ٢٩٨ موقف الشوكاني من مسألة خلق القرآن

صفحة

الموضوع  
الخوارج

وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

- ٣٠٠ كلبة لإحالية عن الخوارج  
٣٠٢ الأزارقة - النجدات  
٣٠٢ الصفريه - الأباضة  
٣٥ موقف الخوارج من تفسير القرآن الكريم  
٣٠٥ سلطان المذهب يغلب على الخوارج في فهم نصوص القرآن  
٣١٠ مدى فهم الخوارج لنصوص القرآن  
٣١٢ موقف الخوارج من السنة وإجماع الأمة ، وأثر ذلك في تفسيرهم للقرآن  
٣١٤ الإنتاج التفسيري للخوارج  
٣١٩ - هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف أطفيش  
٣١٩ التعريف بمؤلف هذا التفسير  
٣٢٠ التفسير بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه  
٣٢١ حقيقة الإيمان  
٣٢٢ موقفه من أصحاب الكبار  
٣٢٣ حملته على أهل السنة  
٣٢٤ مغفرة الذنوب  
٣٢٥ رأيه في الشفاعة  
٣٢٦ رؤية الله تعالى  
٣٢٧ أفعال العباد  
٣٢٨ موقفه من المنشابه  
٣٢٩ موقفه من تفسير الصوفية  
٣٣٠ موقفه من الشيعة - رأيه في التحكيم  
٣٣٣ أشادته بالخوارج وحطه من قدر عثمان وعلى ومن والأما

صفحة

الموضوع

٢٣٥

أعداده بنفسه وحملته على جمهور المسلمين

الفصل الخامس

تفسير الصوفية

( تمهيد )

( أصل كلمة تصوف - معناها - نشأته وتطوره - أقسامه )

٢٣٧

أصل كلمة تصوف - معنى التصوف

٢٣٨

نشأة التصوف وتطوره

٢٣٩

أقسام التصوف

٢٣٩

- أولا : التفسير الصوفي النظرى

٢٤٠

ابن عربى شيخ هذه الطريقة - تأثر ابن عربى بالنظريات الفلسفية

٢٤١

تأثره فى تفسيره بنظرية وحدة الوجود

٢٤٢

قياسه الغائب على الشاهد

٢٤٤

إخضاعه قواعد النحو لنظراته الصوفية

٢٤٦

التفسير الصوفى النظرى فى الميزان

٢٥٠

رأينا فى التفسير الصوفى النظرى

٢٥٢

- ثانيا : التفسير الصوفى الفيضى أو الإشارى

٢٥٢

حقيقته - الفرق بينه وبين التفسير الصوفى النظرى

٢٥٢

هل للتفسير الإشارى أصل شرعى ؟

٢٥٦

التفاوت فى إدراك المعانى الباطنة وأصابتها

- التفسير الإشارى فى الميزان  
٢٥٧  
مقالة اشاطبى فى التفسير الإشارى  
٢٦٦  
مقالة ابن الصلاح فى التفسير الإشارى  
٢٦٨  
مقالة سعد الدين التفتازانى فى التفسير الإشارى  
٢٦٩  
مقالة ابن عطاء الله السكندرى فى التفسير الإشارى  
٢٦٩  
مقالة ابن عربى فى التفسير الإشارى  
٢٧٠  
رأينا فى مقالة ابن عربى  
٢٧٤  
شروط قبول التفسير الإشارى  
٢٧٧  
أهم كتب التفسير الإشارى  
٢٧٩  
١ - تفسير القرآن العظيم للتستري  
٢٨٠  
التعريف بمؤلف هذا التفسير - التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه  
٢٨٠  
٢ - حقائق لتفسير للسلمى - التعريف بمؤلف هذا التفسير  
٢٨٤  
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه  
٢٨٥  
طعن بعض العلماء على هذا التفسير - رأينا فى هذه الطعون  
٢٨٦  
نماذج من تفسير السلمى  
٢٨٧  
٣ - عرائس البيان فى حقائق القرآن لأبى محمد الشيرازى  
٢٩٠  
التعريف بمؤلف هذا التفسير - التعريف بهذا التفسير  
٢٩٠  
بعض ما جاء فى هذا التفسير  
٢٩١  
٤ - التأويلات النجمية لنجم الدين داية ، وعلاء الدولة السمنانى  
٢٩٢  
التعريف بمؤلفى هذا التفسير  
٢٩٢  
التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفيه فيه  
٢٩٤  
من تأويلات نجم الدين  
٢٩٦  
من تأويلات السمنانى  
٢٩٨

صفحة	الموضوع
٤٠٠	٥ — التفسير المنسوب لابن عربي
٤٠٠	من مؤلف هذا التفسير ؟
٤٠١	التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
٤٠٤	نماذج من التفسير الاشارى
٤٠٥	نماذج من التفسير المبني على وحدة الوجود
٤٠٧	ابن عربي ومذهبه في تفسير القرآن الكريم
٤٠٨	ترجمة ابن عربي — ابن عربي بين أعدائه ومريديه
٤١١	مكانته العلمية — مذهب ابن عربي في وحدة الوجود
٤١٢	مذهب ابن عربي في تفسير القرآن الكريم
٤١٣	نماذج من التفسير الصوفي النظرى له
٤١٥	نماذج من التفسير الإشارى له
	نماذج من التفسير الظاهر لابن عربي
	الفصل السادس
	تفسير الفلاسفة
٤١٨	كيف وجدت الصلة بين التفسير والفلسفة
٤١٨	كيف كان التوفيق بين الدين والفلسفة
٤١٩	الآثر الفلسفى في تفسير القرآن الكريم
٤١٩	الفريق المعاند للفلسفة — الفريق المسالم للفلسفة
٤٢٠	من تفسير الفارابى
٤٢١	من تفسير أخوان الصفا
٤٢٤	ترجمة ابن سينا
٤٢٥	مملك ابن سينا في التفسير
٤٢٦	نماذج من تفسير ابن سينا
٣٤٠	رأينا في تفسير الفلاسفة

( كلمة إجمالية عن تطور التفسير الفقهي )

- ٤٣٢ التفسير الفقهي من عهد النبوة إلى مبدأ قيام المذاهب الفقهية
- ٤٣٣ التفسير الفقهي في مبدأ قيام المذاهب الفقهية
- ٤٣٤ التفسير الفقهي بعد ظهور التقليد والتعصب المذهبي
- ٤٣٥ تنوع التفسير الفقهي تبعاً لتنوع الفرق الإسلامية
- ٤٣٥ الإنتاج التفسيري للفقهاء
- ٤٣٨ ١ - أحكام القرآن للجصاص ( الحنفي )
- ٤٣٨ ترجمة المؤلف - التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
- ٤٣٦ استطراده لمسائل فقهية بعيدة عن فقه القرآن
- ٤٤٠ تعصبه لمذهب الحنفية - حملة الجصاص على مخالفيه
- ٤٤١ تأثر الجصاص بمذهب المعتزلة
- ٤٤٢ حملة الجصاص على معاوية رضى الله عنه
- ٤٤٤ ٢ - أحكام القرآن لسكيا الهرامى ( الشافعى )
- ٤٤٤ ترجمة المؤلف - التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه - أهمية
- ٤٤٤ هذا التفسير ومبلغ تعصب صاحبه لمذهب الشافعى
- ٤٤٥ تأدبه مع الأئمة وحملته على الجصاص
- ٤٤٨ ٣ - أحكام القرآن لابن العربي ( المالكي )
- ٤٢٩ ترجمة المؤلف
- ٤٤٩ التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه - تفسير ابن العربي بين
- ٤٤٩ إنصافه واعتسافه
- ٤٥٠ طرف من إنصافه



الصفحة	الموضوع
٤٥١	طرف من تعصبه لمذهبه
٤٥٢	حملته على مخالفى مذهبه
٤٥٥	إحتكامه إلى اللغة - كراهته للأسرائيليات
٤٥٦	نفرته من الأحاديث الضعيفة
٤٥٧	٤ - الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبي ( المالكي )
٤٥٧	ترجمة المؤلف
٤٥٨	التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
٤٥٩	إنصاف القرطبي وعدم تعصبه
٤٦٢	موقفه من حملات ابن العربي على مخالفيه
	٥ - كنز العرفان فى فقه القرآن لمقداد السيورى ( من الإمامية
٤٦٥	الأثنى عشرية )
٤٦٥	ترجمة المؤلف - التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
	٦ - الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة ليوסף الثلاثى
٤٦٨	( الزيدى )
٤٦٨	ترجمة المؤلف - التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه
	إعتماد المؤلف على الروايات التى لاتصح - تقديره لكشاف الزمخشري
٤٦٩	مسلكه فى أحكام القرآن
٤٧٠	رأيه فى نزاح الكتابيات
٤٧٢	رأيه فى المسح على الخفين

### الفصل الثامن

### التفسير العلمى

معنى التفسير العلمى - اتوسع فى هذا النوع من التفسير وكثرة القائلين

٤٧٤ به - الإمام الغزالى والتفسير العلمى

( ٤٠ - التفسير والمفسرون ٢ )

- ٤٧٧ الجلال السيوطي والتفسير العلمي  
٤٧٨ أبو الفضل المرسي والتفسير العلمي  
٤٨٥ أنكار التفسير العلمي  
٤٨٥ أنكار الشاطبي للتفسير العلمي  
٤٩١ اختيارنا في هذا الموضوع

الخاتمة

- كلمة عامة عن التفسير وأوانه في العصر الحديث  
٤٩٥ التفسير بين ماضيه وحاضره - ميزات التفسير في العصر الحديث  
٤٩٥ ألوان التفسير في العصر الحديث  
٤٩٧ اللون العلمي للتفسير في عصرنا الحاضر  
رؤى التفسير العلمي في عصرنا الحاضر - أهم الكتب التي عنيت  
٤٩٧ بهذا اللون  
٥٠٠ الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهرى  
الدوافع التي حملت المؤلف على كتابة هذا التفسير - متى وكيف - شرع  
٥٠٠ المؤلف في كتابة هذا التفسير  
٥٠٠ عرض المؤلف من تفسيره - مسلك المؤلف في تفسيره  
عدم قبول المثقفين لهذا التفسير - مصادر الممالكة السعودية لتفسير  
الجواهر - طريقة المؤلف في تفسيره  
٥٠٨ نماذج من هذا التفسير  
٥١٠ أنكار بعض العلماء المعاصرين لهذا اللون من التفسير  
٥١٨ اللون المذهبي للتفسير في عصرنا الحاضر  
٥٢٠ اللون الإلحادي للتفسير في عصرنا الحاضر  
٥٢٢ الباعث على هذا اللون من التفسير  
٥٢٢

- ٥٢٢ نماذج من التفسير الاحادي  
✓ كتاب الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن - حملته على جميع
- ٥٢٢ المفسرين
- ٥٢٣ طريقته في التفسير
- ٥٢٤ أنكاره لمعجزات الانبياء عليهم السلام
- ٥٢٥ موقفه من معجزات عيسى عليه السلام
- ٥٢٧ موقفه من معجزات موسى عليه السلام
- ٥٢٨ موقفه من معجزات إبراهيم عليه السلام
- ٥٢٨ موقفه من معجزات داود وسليمان عليهما السلام
- ٥٤٠ موقفه من معجزات الأسراء - أنكاره للملائكة والجن والشياطين
- ٥٤٢ أنكاره لأحكام من الدين لم ينازع فيها أحد من المجتهدين
- ٥٤٢ حد السرقة - حد الزنى
- ٥٤٣ تعدد الزوجات - التسرى
- ٥٤٤ الربا
- ٥٤٥ زكاة الزروع - مصارف الزكاة
- ٥٤٦ الطلاق
- ٥٤٧ اللون الأدبي الإجتماعي للتفسير في عصرنا الحاضر  
مدرسة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأثرها في التفسير - محاسن
- ٥٤٨ هذه المدرسة
- ٥٤٩ عيوب هذه المدرسة
- ٥٥١ أهم رجال هذه المدرسة
- ٥٥٢ ١ - الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - إنتاجه في التفسير
- ٥٤٤ منهجه في التفسير
- ٥٥٦ القرآن لا يتبع العقيدة وإنما تؤخذ العقيدة من القرآن

صفحة	الموضوع
٥٥٧	كيف كان يقرأ الأستاذ الإمام التفسير ويكتبه
٥٦٠	موقفه من مبهمات القرآن
٥٦٣	معالجته للمسائل الإجتماعية
٥٦٧	تفسيره للقرآن على ضوء العلم الحديث
٥٦٩	موقفه من حقيقة الملائكة والبلس
٥٧٢	موقفه من السحر
٥٧٢	أنكاره لبعض الأحاديث الصحيحة
	٢ - السيد محمد رشيد رضا - كيف اتصل الشيخ رشيد بالأستاذ
٥٧٦	الإمام
٥٧٧	إنتاج الشيخ رشيد في التفسير
٥٧٨	مصادره في التفسير - هدفه من التفسير
٥٧٩	منهجه في التفسير
٥٨٠	آراؤه في التفسير - رأيه في أصحاب الكبار
٥٨٢	تقلياه لشيخه في قصة آدم
٥٨٣	تذره بالمجاز والتشبيه - رأيه في السحر
٥٨٤	رأيه في الشياطين - رأيه في الجن
٥٨٥	رأيه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
٥٨٦	رأيه في مسائل من الفقه
	حملته على بعض المفسرين - حملته على البدع والخرافات - شرحه لمبهمات
٥٨٨	القرآن بما جاء في التوراة والإنجيل
٥٨٩	دفاعه عن الإسلام
٥٩٠	٣ - الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي
٥٩٠	الأستاذ المراغي في مدرسة الشيخ محمد عبده
٥٩١	إنتاجه في التفسير

صفحة

الموضوع

٥٩٤	منهجه في التفسير
٥٩٥	مصادره في التفسير - موقفه من مبهمات القرآن
٥٩٧	عنايته بإظهار أسرار التشريع
٥٩٨	معالجته للمشاكل الإجتماعية
٦٠٣	توفيقه بين القرآن والعلم الحديث
٦٠٦	حرية الرأي في تفسيره
٦٠٨	رجاء وأعتذار

انتهى بحمد الله تعالى

## المراجع

### كتب التفسير بالمأثور :

- ١ - جامع البيان . في تفسير القرآن : ابن جرير الطبري ، الأملرية ١٣٢٣ هـ
- ٢ - بحر العلوم : أبو الليث السمرقندي ، بعض نسخه مخطوطة بدار الكتب تحت رقم (٣)
- ٣ - الكشف والبيان عن تفسير القرآن : أبو إسحق الثعلبي ، بعض نسخه مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم (١٣٦) ٥٥٦١
- ٤ - معالم التنزيل : الحسين بن مسعود البغدادي ، المنار ١٣٤٥ هـ
- ٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ابن عطية الأندلسي ، بعض نسخه مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ١٠ و ٢٥٦
- ٦ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير : للحافظ عماد الدين ابن كثير ، التجارية (مصطفى محمد) ١٣٥٦ هـ
- ٧ - الجواهر الحسان : عبد الرحمن الثعالبي ، طبع الجزائر ١٣٢٣ هـ
- ٨ - الدر المنثور : جلال الدين السيوطي ، الميمنية ١٣١٤ هـ
- ٩ - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : أبو طاهر الفيروزآبادي الأزهرية ١٣٤٤ هـ

### كتب التفسير بالرأى المحمود :

- ١ - مفاتيح الغيب : الفخر الرازي ، الأملرية ١٢٨٩ هـ
- ٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي ، دار الكتب العربية ١٣٣٠ هـ
- ٣ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل : النسفي ، السعادة ١٣٢٦ هـ
- ٤ - الباب التأويل في معاني التنزيل : الخازن ، التقدّم ١٣٢١ هـ
- ٥ - البحر المحيط : أبو حيان ، السعادة ١٣٢٨ هـ

٦ - تفسير الجن : الجلال المحلى والجلال السيوطى ، دار إحياء الكتب

١٣٤٥ هـ

٧ - غرائب القرآن و رغائب الفرقان : النيسابورى ، الأميرية ١٣٢٣ هـ

٨ - السراج المنير : الخطيب الشربيني ، الأميرية ١٢٩٩ هـ

٩ - إرشاد العقل السليم : أبو السعود ، المصرية ١٣٤٧ هـ

١٠ - روح المعاني : الألوسى ، إدارة الطباعة المنيرية الطبعة الأخيرة

### كتب تفسير المعتزلة :

١ - تنزيه القرآن عن المطاعن : القاضى عبد الجبار . الجمالية ١٣٢٩ هـ

٢ - أمالى الشريف المرتضى : الشريف المرتضى ، السعادة ١٣٢٥ هـ

٣ - الكشاف : الزمخشري ، مطبعة محمد مصطفى ١٣٠٨ هـ

### كتب تفسير الإمامية الأثنى عشرية :

١ - مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار : عبد اللطيف الكازراني ، طبع

العجم ١٣٠٣ هـ

٢ - تفسير العسكري : الحسن العسكري ، طبع تبريز ١٣١٤ هـ

٣ - مجمع البيان : أبو على الطبرسى ، طبع طهران ١٣١٤ هـ

٤ - الصافي : ملا محسن الكاشى . طبع فارس ١٣٤٤ هـ

٥ - تفسير القرآن : السيد عبد الله العلوى ، طبع طهران ١٣٥٢ هـ

٦ - بيان السعادة : سلطان الخراسانى ، طبع طهران ١٣١٤ هـ

### كتب تفسير الزيدية :

١ - فتح القدير : الشوكانى ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٠٩ هـ

### كتب تفسير الخوارج :

١ - هميان الزاد إلى دار المعاد : محمد إسفيش ، طبع زنجبار ١٣١٤ هـ

تفاسير الصوفية :

- ١ - تفسير القرآن الكريم : سهل التستري ، السعادة ١٩٠٨ هـ
- ٢ - حقائق التفسير : أبو عبد الرحمن السلمي ، نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم ( ١٠٩٢ )
- ٣ - عرائس البيان في حقائق القرآن : أبو محمد روزبهان ، طبع الهند ١٣١٥ هـ
- ٤ - التأويلات النجمية : نجم الدين داية وعلاء الدولة البياناكي ، نسخة مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ٢٦ م
- ٥ - تفسير ابن عربي ( تأويلات القاشاني ) : عبد الرزاق القاشاني ، الأميرية ١٢٨٣ هـ

تفاسير الفقهاء :

- ١ - أحكام القرآن ( حنفي ) : الجصاص ، البهية المصرية ١٣٤٧ هـ
- ٢ - أحكام القرآن ( شافعي ) : السكيا الهراسي ، نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم ( ٢٩٨ ) ٧٨٦٦
- ٣ - الإكليل في استنباط التنزيل ( شافعي ) : الجلال السيوطي ، نسخة مخطوطة بمكتبة الأزهر تحت رقم ( ١٧٨٥ ) بحيث
- ٤ - أحكام القرآن ( مالكي ) : أبو بكر بن العربي ، السعادة ١٣٣١ هـ
- ٥ - الجامع لأحكام القرآن ( مالكي ) : القرطبي ، دارالكتب ١٩٣٥-١٩٤٥ م
- ٦ - كنز العرفان في فقه القرآن ( إنا عشرى ) : مقداد السيوري ، طبع تبريز ١٣١٤ هـ

- ٧ - الثمرات اليانعة ( زيدي ) : الفقيه يوسف الثلاثي ، نسخة مخطوطة بدار الكتب تحت رقم ( ٤١ ) م
- كتب التفسير في العصر الحديث :

- ١ - الجواهر في تفسير القرآن الحكيم : طنطاوي جوهرى ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٤٠ - ١٣٥١ هـ



- ٢ - الهداية والعرفان : أبو زيد الدمهورى ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٤٩ هـ
- ٣ - تفسير جزء ( عم ) : الشيخ محمد عبده ، مطبعة مصر ١٣٤١ هـ
- ٤ - تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن : الشيخ محمد عبده ،  
والشيخ رشيد رضا ، المنار ١٣٥٣ هـ
- ٥ - تفسير القرآن الحكيم ( تفسير المنار ) : السيد محمد رشيد رضا ، المنار  
١٣٤٦ هـ
- ٦ - الدروس الدينية : الشيخ محمد مصطفى المراغى ، مطبعة الأزهر  
١٣٥٦ - ١٣٦٤ هـ

### علوم القرآن :

- ١ - مقدمة التفسير : الراغب الأصفهاني ، الجمالية ١٣٢٩ هـ
- ٢ - مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ، الترقى بدمشق ١٩٣٩ م
- ٣ - جواهر القرآن : الغزالي ، كردستان العلمية ١٣٢٩ م
- ٤ - الإلتقان : الجلال السيوطى ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٩٣٥ م
- ٥ - الفوز الكبير في أصول التفسير : ولى الله الدهلوى ، إدارة الطباعة  
المنيرية ١٣٤٦ هـ
- ٦ - مبادئ التفسير : محمد الخضرى الدياتى ، النيل ١٣٢١ هـ
- ٧ - المدخل المنير : محمد حسنين مخلوف العدوى ، مطبعة المعاهد ١٣٥١ هـ
- ٨ - التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل : حامد العادى ، نسخة مخطوطة  
بدار الكتب تحت رقم ٣٤٤٤ مجاميع
- ٩ - التفسير - معالم حياته - منهجه اليوم : أمين الخولى ، دار المعلمين للطبع  
والنشر ١٩٤٤ م
- ١٠ - المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن الكريم ( جزء أول ) : جولد زهير  
تعريب على حسن عبد القادر ، العلوم ١٩٤٤ م
- ١١ - إعجاز القرآن : مصطفى صادق الرافعى ، الاستقامة ١٩٤٠ م

- ١٢ - منهج الفرقان : محمد أبو سلامة ، مطبعة شبرا ١٩٣٨ م  
١٣ - مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقاني . مطبعة شبرا ١٣٥٩ هـ

كتب الحديث وعلومه :

- ١ - صحيح البخارى : أبو عبد الله البخارى ، الخيرية ١٣٢٠ هـ  
٢ - صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج ، الأميرية ١٣٢٥ هـ  
٣ - سنن الترمذى : أبو عيسى الترمذى ، الأميرية ١٢٩٢ هـ  
٤ - مسند الإمام أحمد : الإمام أحمد بن حنبل ، الميمنية ١٣١٣ هـ  
٥ - نيل الأوطار . الشوكاني ، العثمانية ١٣٥٧ هـ  
٦ - فتح البارى شرح البخارى : ابن حجر العسقلاني ، الخيرية ١٣١٩ هـ  
٧ - إرشاد السارى شرح البخارى : القسطلاني ، الأميرية ١٣٢٥ هـ  
٨ - شرح صحيح مسلم : محي الدين النووي ، الأميرية ١٣٢٥ هـ  
٩ - تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة ، كردستان ١٣٢٦ هـ  
١٠ - منهاج السنة : ابن تيمية ، الأميرية ١٣٢٢ هـ  
١١ - معرفة علوم الحديث : الحاكم النيسابورى ، دار الکتب المصرية ١٩٣٧ هـ  
١٢ - مقدمة ابن الصلاح : أبو عمر بن الصلاح ، طبع الهند ١٣٥٧ هـ  
١٣ - تدريب الراوى : الجلال السيوطى ، الخيرية ١٣٠٧ هـ  
١٤ - هدى السارى مقدمة فتح البارى : ابن حجر العسقلاني ، إدارة الطباعة  
المغربية ١٣٤٧ هـ  
١٥ - الأسلوب الحديث : أمين الشيخ . مطبعة شبرا ١٩٤٠ م

كتب اللغة :

- ١ - القاموس المحيط : مجد الدين الفيروزابادى ، المصرية ١٩٣٥ م  
٢ - تاج العروس شرح القاموس : السيد مرتضى الزبيدى ، الخيرية ١٣٠٦ هـ  
٣ - لسان العرب : ابن منظور ، الأميرية ١٣٠٢ هـ  
٤ - أساس البلاغة : الزنجشبرى ، الأميرية ١٣٢٧ هـ

كتب الفقه والأصول :

- ١ — فتاوى ابن تيمية : ابن تيمية ، كردستان العلمية ١٣٢٩ هـ
- ٢ — أعلام الموقعين : ابن القيم ، مطبعة فرج الله الكردي ١٣٢٥ هـ
- ٣ — الموافقات : أبو إسحق الشاطبي ، مطبعة المكتبة التجارية الطبعة الأخيرة
- ٤ — المستصفي : أبو حامد الغزالي ، الأميرية ١٣٢٤ هـ
- ٥ — مسلم الثبوت وشرحه : محب الله عبد الشكور وعبد العلي الأنصاري ،  
الأميرية ١٣٢٤ هـ
- ٦ — شرح التلويح : سعد الدين التفتازاني ، دار الكتب العربية ١٣٢٧ هـ
- ٧ — جمع الجوامع وشرحه : ابن السبكي ، والجلال المحلي ، الأزهرية ١٣٣١ هـ

كتب التاريخ والرجال :

- ١ — الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي العسقلاني ، الشرفية ١٩٠٧ م
- ٢ — أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير الجزري ، الوهية ١٢٨٠ هـ
- ٣ — تهذيب التهذيب : ابن حجر العسقلاني طبع الهند ١٣٢٥ هـ
- ٤ — ميزان الاعتدال : الحافظ الذهبي ، السعادة ١٣٢٥ هـ
- ٥ — لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني ، طبع الهند ١٣٣١ هـ
- ٦ — خلاصة تذهيب الكمال : صفى الدين الخزرجي ، الخيرية ١٣٢٢ هـ
- ٧ — طبقات الشافعية الكبرى : تاج الدين السبكي ، الحسينية الطبعة الأولى
- ٨ — الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب : ابن فرحون السعادة  
١٣٢٩ هـ

- ٩ — نيل الابتهاج : أحمد بابا التبنكي السعادة ١٣٢٩ هـ
- ١٠ — الفوائد البهية في تراجم الحنفية : محمد اللاكنوي ، السعادة ١٣٢٤ هـ
- ١١ — الفهرست : ابن النديم ، الرحمانية ١٣٤٨ هـ
- ١٢ — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع : شمس الدين السخاوي ، مطبعة  
القدمي ١٣٥٥ هـ

- ١٣ - شذرات الذهب : عبد الحى بن العماد ، مطبعة القدسي ، ١٣٥٠ هـ
- ١٤ - مروج الذهب : أبو الحسن المسعودي ، البهية ١٣٤٦ هـ
- ١٥ - مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ، الشرفية ١٣٢٧ هـ
- ١٦ - طبقات المفسرين : الجلال السيوطي ، طبع ليدن ١٨٣٩ م
- ١٧ - طبقات المفسرين : الداودي ، نسخة مخطوطة بدار الكتب نمرة ١٦٨
- ١٨ - تهذيب الأسماء واللغات : محي الدين النووي ، إدارة الطباعة المنيرية  
الطبعة الأخيرة
- ١٩ - وفيات الأعيان : ابن خلكان ، الأميرية ١٢٩٩ هـ
- ٢٠ - فوات الوفيات : محمد بن شاکر الکتبي ، الأميرية ١٢٨٣ هـ
- ٢١ - العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم : علي بن لالي بالي ، الميمنية ١٣١٠ هـ
- ٢٢ - معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٣٦ م
- ٢٣ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر العسقلاني ، طبع  
الهند ١٣٤٨ هـ
- ٢٤ - روضات الجنات في أحوال العلماء وانشادات : محمد باقر الموسوي ،  
طبع فارس ١٣٠٧ هـ
- ٢٥ - بغية أوعية في طبقات النحاة : الجلال السيوطي ، السعادة ١٣٢٦ هـ
- ٢٦ - أعيان الشيعة : السيد محمد الأمين الحسيني ، مطبعة ابن زيدون  
بدمشق ١٢٥٣ هـ
- ٢٧ - ترجمة الرجال المذكورة في شرح الأزهار : أحمد بن عبد الله الجنداري  
التمدن ١٣٣٢ هـ
- ٢٨ - تاريخ التشريع الإسلامي : محمد (بك) الخضري مطبعة عيسى الحلبي ١٩٣٠ م
- ٢٩ - مذكرة تاريخ التشريع الإسلامي : السبكي ، السائيس ، البربري ،  
وادی الملوك ١٩٣٦ م
- ٣٠ - نظرة عامة في تاريخ التشريع الإسلامي : علي حسن عبد القادر ،  
العلوم ١٩٤٢ م

٣١ - تاريخ الجدل : محمد أبو زهرة ، العلوم ١٩٣٤ م

كتب التوحيد والمال والنحل :

- ١ - الفرق بين الفرق : أبو منصور البغدادي ، المعارف ١٣٢٨ هـ
- ٢ - التبصير في الدين : أبو المظفر الإسفراييني ، الأنوار ١٩٤٠ م
- ٣ - شرح المواقف : السيد الشريف ، السعادة ١٩٠٧ م
- ٤ - تبين كذب المفقري : ابن عساكر ، مطبعة التوفيق بدمشق ١٣٤٧ هـ
- ٥ - إثبات الحق على الخلق : أبو عبد الله اليماني ، الآداب ١٣١٨ هـ
- ٦ - شرح العقائد النسفية : سعد الدين التفتازاني ، مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٢١ هـ
- ٧ - الإكليل في المتشابه والتنزيل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى : ابن تيمية  
العامة الشرفية ١٣٢٣ هـ
- ٨ - الفصل : علي بن حزم ، الأدبية ١٣٢٠ هـ
- ٩ - الملل والنحل : محمد الشهرستاني ، الأدبية ١٣٢٠ هـ
- ١٠ - كشف أمرار الباطنية : محمد بن مالك اليماني ، الأنوار ١٣٥٧ هـ
- ١١ - فضائح الباطنية : أبو حامد الغزالي ، طبع ليدن ١٩١٦ م
- ١٢ - تعريف الشيعة : عبد الرزاق الحسني ، العرفان ١٣٥٢ هـ
- ١٣ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة : موسى جاد الله ، الشرق ١٣٥٥ هـ
- ١٤ - كتاب بهاء الله : بهاء الله ، السعادة ١٩٢٠ م
- ١٥ - رسائل أبي الفضائل : أبو الفضائل الإيراني ، السعادة ١٩٢٠ م
- ١٦ - مفتاح باب الأبواب : ميرزا محمد مهدي خان المنار ١٣٢١ هـ
- ١٧ - خطابات ومحادثات عبد البهاء : عبد البهاء عباس جمع ع ج س ،  
السعادة ١٩٢٠ م
- ١٨ - المسادى البهائية : معرب عن مجلة كوكب الغرب الأمريكية  
رعمسيس ١٩٢١ م
- ١٩ - الحجج البهية : أبو الفضائل الإيراني ، السعادة ١٩٢٥ م
- ٢٠ - محاضرة عن البهائية : عبد العزيز نصحي ، السلفية ١٣٥٢ هـ

كتب التصوف :

- ١ - الفتوحات المكية : ابن عربي ، دار الكتب العربية ١٣٢٩ هـ
- ٢ - الفصوص : ابن عربي ، الزمان ١٣٠٤ هـ
- ٣ - إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ، مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية ١٣٠٦ هـ
- ٤ - تليس إبليس : ابن الجوزي ، النهضة ١٩٢٨ م

كتب الفلسفة .

- ١ - رسائل إخوان الصفا : إخوان الصفا ، الآداب ١٣٠٦ هـ
- ٢ - فصوص الحكم : العارابي . السعادة ١٩٠٧ م
- ٣ - رسائل ابن سينا : أبو علي بن سينا ، مطبعة هندية ١٩٠٨ م
- ٤ - جامع الدائع : ابن سينا ، السعادة ١٩١٧ م
- ٥ - تاريخ الفلسفة : الدكتور مذكور - يوسف كرم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٠ م

كتب المعلومات العامة :

- ١ - الكتب المقدس : المطبعة الأمريكية ببيروت ١٩٣٠ م
- ٢ - شرح حج البلاغة : ابن أبي الحديد ، دار الكتب العربية ١٣٢٩ هـ
- ٣ - الحيوان : الجاحظ . السعادة ١٣٢٥ هـ
- ٤ - الكامل : المبرد ، الخيرية ١٣٠٨ هـ
- ٥ - كشف الظنون : ملا كاتب جلبي ، دار الطباعة المصرية ٢٧٤ هـ
- ٦ - فجر الإسلام : أحمد ( بك ) أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٥ م
- ٧ - ضحى الإسلام : أحمد ( بك ) أمين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٣ هـ
- ٨ - رسائل الإصلاح : محمد الخضر حسين ، مطبعة القدسي ١٣٥٨ هـ

- ٩ - القول الفصل : شيخ الإسلام صبرى ، مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦١ هـ
  - ١٠ - الرسالة المستطرفة : محمد الكنتاني ، طبع بيروت ١٣٢٢ هـ
  - ١١ - طبائع الاستبداد ، ومصارع الاستعباد : عبد الرحمن الكواكبي الجالية
  - ١٢ - اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم . أبو عليان ، الحسينية ١٣٢٥ هـ
  - ١٣ - المبادئ النصرية : نصر الحويجي ، الخيرية ١٣٢٠ هـ
  - ١٤ - محمد عبده : عثمان أمين ، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٤٤ م
  - ١٥ - الإسلام والطب الحديث : عبد العزيز إسماعيل باشا ، الاعتماد ١٣٥٧ هـ
  - ١٦ - النماذج الخيرية : منير الدمشقي ، إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٩ هـ
  - ١٧ - دائرة المعارف الإسلامية : أحمد الشنتاوى وشركاه . مطبعة لجنة الترجمة ١٩٢٣ م
  - ١٨ - دائرة المعارف للبستاني : المعلم بطرس البستاني ، طبع بيروت ١٨٧٦ م
  - ١٩ - مجلة الإيمان : علماء الوعظ والإرشاد
  - ٢٠ - مجلة نور الإسلام : علماء الوعظ والإرشاد
  - ٢١ - مجلة نور الإسلام (الأزهر) : الأزهر الشريف
  - ٢٢ - مجلة الهداية الإسلامية : جمعية الهداية الإسلامية
  - ٢٣ - مجلة المقتطف : دار المقطم
  - ٢٤ - مجلة السيامة الأسبوعية : محمد حسين هيكل ( باشا )
- بمجموع المراجع ١٧١ مرجعاً

تم والحمد لله

